

المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

العدد ٧٦ / ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م



تصدر عن
الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب
بغداد

الترقيم الدولي: ISSN 2710-2831

المؤرخ العربي

العدد ٧٦ / ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م

JOURNAL OF ARAB HISTORIANS



Office of the General Secretary
Iraq - Baghdad - P.O.Box 6387
Cable:MOARKHEEN Baghdad

ISSN 2710-2831

رقم المعيار الدولي للمجلة



27102831

المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتأريخ العربي والعالمي



الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد

ISSN 2710 – 2831

العدد: 76 – 1447هـ / 2026م

بطاقة الاشتراكات

للاقطار الأخرى

١٥٠ دولاراً

٥٠ دولاراً

قيمة الاشتراك للاقطار العربية

٥٠ دولاراً للمؤسسات الرسمية

٢٥ دولاراً للمؤرخين وطلبة معاهد التاريخ

مجلة المؤرخ العربي - العنوان

العراق - بغداد - المنصور -

شارع النقابات

ص. ب (٦٣٨٧)

الخلوي: ٠٠٩٦٤٧٨١٤٤٠٤٠١١ - ٠٠٩٦٤٧٩٠١٤٧٨٣١٥ - ٠٠٩٦٤٧٧٠٥٨٨٨٨٠٧

البريد الإلكتروني: arabhistory1974@gmail.com

ارجو قبول اشتراكي في مجلتكم لمدة سنة واحدة

الاسم:

العنوان:

المدينة:

القطر:

التاريخ:

يرجى ارسال قائمة بالحساب وتجدون طياً صكاً بقيمة

Subscription card

Please enter my subscription for

Address:

Prof. Dr. Muhammed J. al Mashhadani

Secretary General of Union of Arab Historians

Iraq - Baghdad - Al-Mansour - Al-Nagabat St. - P.O.Box. (6387)

Tel.: 009647814404011 - 009647901478315 - 009647705888807

email: arabhistory1974@gmail.com

One year \$ 150 for institutions

\$ 50 for Historians & Students of History

Please Bill me

Check enclosed for

Name

Address

Country

City

Date

التنفيذ الإلكتروني: يسرى توفيق

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب	جمهورية العراق	رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة	المملكة الأردنية الهاشمية	نائب رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور محمدو أمين	الجمهورية الإسلامية الموريتانية	المشرف العلمي للمجلة
الأستاذ الدكتور طلال جميل الرفاعي	المملكة العربية السعودية	عضواً
الأستاذ الدكتور طارق أحمد قاسم	الجمهورية اللبنانية	عضواً
الأستاذ الدكتور حميد اجميلي	المملكة المغربية	عضواً
الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا	جمهورية مصر العربية	عضواً
الأستاذ الدكتور محمد لحسن زغدي	الجمهورية الجزائرية	مدير التحرير

شروط نشر البحوث في المجلة

1. أن يعتمد البحث الأسس العلمية في إعداد وكتابة البحث.
2. أن يكون منسجماً مع أهداف اتحاد المؤرخين العرب.
3. أن لا يزيد عدد صفحاته عن (50) صفحة.
4. أن لا يكون قد سبق نشره أو قبل للنشر في مجلة أخرى، على أن يقدم كاتب البحث تعهداً يؤكد ذلك مرفقاً برسالة مع البحث موجهة إلى مدير التحرير.
5. تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية، وباللغتين العربية والإنكليزية.
6. يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة، ويفضل أن يكون مختصراً، ويثبت اسم الباحث أو أسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم.
7. يطبع البحث على وجه واحد من الورقة، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص، ويقدم نسختين.
8. بالنسبة للبحوث المقدمة إلى المؤتمرات أو الندوات أو ما كان مستقلاً من رسالة أشرف عليها مقدم البحث فيشار إلى ذلك في حاشية البحث.
9. لأمر فنية خاصة بالطباعة يجب أن توحد الهوامش بالبحث من أول هامش في البحث إلى آخر هامش فيه، وتعطى تسلسلاً واحداً.
10. يحال البحث المقدم للنشر إلى خبير مختص ويُعاد إلى كاتبه لإجراء التعديلات المقترحة إن وجدت، على أن يُعاد إلى مدير التحرير في غضون خمسة أيام.
11. رتبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبّر عن آراء أصحابها مع التأكيد على أن مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى.
12. البحوث التي ترد للمجلة لا تعاد إلى أصحابها في حالة عدم نشرها.
13. يرجى تدوين اسم الباحث وعنوانه، وعنوان بحثه باللغة الإنكليزية.

ترسل البحوث إلى

الأمانة العامة

لاتحاد المؤرخين العرب

البريد الإلكتروني:

arabhistory1974@gmail.com

الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي

المملكة الأردنية الهاشمية	- الأستاذة المشارك الدكتورة أسماء جاد الله عبد خصاونة
دولة الإمارات العربية المتحدة	- الدكتور أحمد زياد الزبيدي
مملكة البحرين	- الأستاذ الدكتور علي منصور نصر آل شهاب
الجمهورية التونسية	- الدكتور خالد رمضان
الجمهورية الجزائرية	- الأستاذ الدكتور فارس كعوان
جمهورية القمر المتحدة	- الأستاذ الدكتور محمد ذاكِر حسن سقاف
جمهورية جيبوتي	- الأستاذ المساعد الدكتور حسن عثمان سجال
المملكة العربية السعودية	- الأستاذة الدكتورة عائشة بنت مرشود بن حميد الحربي
جمهورية السودان	- الأستاذ الدكتور حاتم الصديق محمد أحمد
الجمهورية العربية السورية	- الأستاذ الدكتور عمار محمد النهار
جمهورية الصومال	- الدكتور مؤمن علي عالم جيلي
جمهورية العراق	- الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني
سلطنة عُمان	- الدكتورة بدرية بنت محمد بن شامس النبھاني
دولة فلسطين	- الأستاذ الدكتور سعيد عبد الله جبريل البيشاوي
دولة قطر	- الأستاذ الدكتور علي عفيفي علي غازي
دولة الكويت	- الأستاذ المساعد الدكتور عيسى حسين أحمد دشتي
الجمهورية اللبنانية	- الأستاذ الدكتور كمال شكيب حماد
الجمهورية الليبية	- الأستاذ الدكتور ماهر عبد الغني أحمد دعوب
جمهورية مصر العربية	- الأستاذ الدكتور عبد الباري محمد الطاهر الشرقاوي
المملكة المغربية	- الأستاذ الدكتور حسن حافظي علوي
الجمهورية الإسلامية الموريتانية	- الأستاذ الدكتور جمال غدور
الجمهورية اليمنية	- الأستاذ الدكتور طه حسين عوض أحمد هُدِيل

المحتويات

11 – 10	أ.د. محمد جاسم المشهداني	مقدمة العدد	
13	بحوث التاريخ القديم		
32 – 15	أ.د. أزهار هاشم شيت	النحت الآشوري نماذج منتخبة من العصر الآشوري الحديث	1
43 – 33	أ.م.د. محمود محمد صالح	مدينة القصر الإسلامية عبقرية الزمان والمكان وأثرها على الابداع	2
49 – 44	د. سامي عافي	الحفر الفني: تعبير عن الذات والواقع، نبيل الصوّابي أنموذجاً.	3
51	بحوث التاريخ العربي الإسلامي		
57 – 53	أ.د. محمد جاسم المشهداني	أمانة الرواة الأوائل من رواة السير والمغازي	4
74 – 58	أ.د. أنس محمد جاسم	كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام	5
98 – 75	أ.د. أنيسة محمد جاسم	التوجهات العلمية لسيدات القصر العباسي وأثرها في الحضارة الإسلامية 656-132هـ/749-1258م	6
118 – 99	أ.د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي	نظام حصانة وحماية المبعوث الدبلوماسي في ظل الشريعة الإسلامية والقانون الدولي – دراسة تاريخية في ضوء كتب الشريعة والقانون والسياسة والإدارة	7
155 – 119	أ.د. عبد السلام الجعماطي	المصادر التاريخية الأندلسية المفقودة	8
192 – 156	أ.د. غسان وشاح	المفاوضات والمعاهدات بين الأيوبيين خلفاء صلاح الدين – والصليبيين	9
204 – 193	أ.م.د. إكرام البشير الجمل	الطرق الصوفية ودورها في نشر الفكر الإسلامي بالقارة الإفريقية	10

233 – 205	د.سالم كربوعة	الأعياد والاحتفالات وأثرها في لحمة المجتمع الأندلسي	11
246 – 234	أ.خالد مجوط	الأحلام والغزو ببلاد المغرب في العصر الوسيط	12
247	بحوث التاريخ الحديث والمعاصر		
256 – 249	أ.د.صادق ياسين الحلو	الحملة البريطانية الأولى على القواسم في الخليج العربي 1805م	13
275 – 257	أ.د.إسماعيل نوري الربيعي	نظرية المعرفة التاريخية	14
286 – 276	أ.د.لصر الدين لعوج	علال الفاسي والثورة الجزائرية" - من خلال وثيقة سياسية خاصة من الأرشيف الوطني لما وراء البحار باكس - أون بروفانس FR (A.N.O.M.), Boite N°: - 4421/93	15
304 – 287	أ.م.د.بكيل محمد الكليبي	إمارة عسير خلال حكم آل عايض 1289-1249هـ/ 1872-1833م	16
320 – 305	د.محمد حنّاي	خطوط إمداد السلاح للثورة الجزائرية من أقصى الجنوب الشرقي الجزائري والحرب الأمنية لتأمين وصولها من خلال شهادات مجاهدين (1958 – 1962م)	17
334 – 321	د.محمد ذويب	الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958: الأسباب والأطوار والتداعيات	18
357 – 335	د.محمد عبد الجواد البطة	الباحث في حقل التاريخ الشفوي – مهارات ووسائل	19
366 – 358	د.هبة هارون	ملخص كتاب روح القوانين لمونتسكيو [عرض كتاب]	20
382 – 367	أ.إيمان حمدان	إحصاءات سكان فلسطين في العهد العثماني من عام (1948-1847م)	21

مقدمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتفرد بالوحدانية أزلاً وأبداً، المتعالي عن الأشباه والأنداد، المستتر بسدوف الأنوار الجلالية، المتجلي بآثار العظمة والكبرياء، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحكم كل أمر تقديراً وتدبيراً.

والصلاة والسلام الزاكيات العاطرات، المتتابعات المتواترات، على من أشرقت بولادته البطحاء المكية، وتزينت بطلعه العراص الهاشمية، سيد الكونين، وإمام الثقلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد، دُرّة الصدف القرشية، وخلاصة السلالة الهاشمية، المبعوث رحمة للعالمين، والهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يسعدنا ويشرفنا كتابة هذه المقدمة لهذا العدد الجديد السادس والسبعين (76) من مجلة المؤرخ العربي، هذه المجلة الرائدة والمتخصصة والتميزة التي لم ينقطع رافدها واستمرار عطائها منذ عام 1975م ولحد الآن، وهي المجلة العربية الوحيدة على نطاق الوطن العربي التي تتميز بهذه الميزة ألا وهي ميزة الاستمرار السنوي والعطاء الفكري الذي يتناول مختلف جوانب تأريخ الأمة ليسهم اتحاد المؤرخين العرب في تحقيق جوانب مختلفة من أهدافه وأبرزها نشر الثقافة التاريخية السليمة والهادفة ولتعريف العرب على حقيقة تأريخهم بما يعزز قيم ومبادئ البناء الروحي والتأريخي والحضاري لأبناء هذه الأمة عبر الأجيال من أجل أن يتعرف المواطن العربي على حقيقة ماضيه المشرق والمشرق والذي يعدّ دافعاً من دوافع النهوض بالأمة وليس عبئاً عليها.

كما أن المجلة احتضنت في الأعداد الأخيرة إسهامات عدد من المؤرخين العرب من جزر القمر وجيبوتي وموريتانيا إضافة إلى بقية المؤرخين العرب من الأقطار العربية الأخرى مما يؤكد على شمولية المجلة واحتضانها للبحوث كافة من المؤرخين العرب ومن جميع أنحاء الوطن العربي؛ ذلك لأن الثقافة التاريخية مهمة في حياة أبنائها وخاصة شبابها في وسط عصر ازدهمت فيه مغريات الإنترنت ووسائل

التواصل الاجتماعي الأخرى التي يتضمن أغلبها عناوين ومحتويات لا مساس لها ولا علاقة لها بالتربية الوطنية والتأريخية الصحيحة لهذه الأجيال والأجيال القادمة من أبناء أمتنا.

ولذلك فمن الواجب علينا جميعاً أن يستمر هذا الرافد الثقافي والفكري في التواصل لتقديم المزيد والمزيد من البحوث والدراسات في مختلف جوانب الحقب التأريخية لأقطار أمتنا العربية؛ وذلك ليستمر التواصل والترابط الروحي والثقافي بين ماضي الأمة وحاضرها والارتقاء بمستقبلها الزاهر بإذن الله تعالى. ونسأل الله تعالى أن يمكننا جميعاً من أجل استمرار إصدار هذه المجلة وجعلها في متناول الجميع من أجل تحقيق الهدف المنشود من هذا الإصدار وبمعون الله تعالى إنه سميع مجيب الدعاء.

أ.د. محمد جاسم المشهداني
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب
رئيس تحرير المجلة

بحوث التاريخ القديم

النحت الآشوري

نماذج منتخبة من العصر الآشوري الحديث

Assyrian sculpture Selected models from the modern Assyrian period

الأستاذة الدكتورة أزهار هاشم شيت

كلية الآداب/ جامعة الموصل

employing art for political informational purposes aimed at showing the power of the king and the Assyrian empire. The walls of the Assyrian royal palaces were covered with wall carvings, as they had an impact on the hearts of foreign visitors and Assyrians, and Assyria is one of the important sources that is characterized by the presence of rocky areas that contain stone (lime and alabaster) for the implementation of sculptural works on them, and we have touched in this study on the definition of sculpture Linguistically and idiomatically, the most prominent types of Assyrian sculpture are three-dimensional sculpture, and prominent sculpture that appeared in many forms, most notably wall carvings, mountain carvings, creatures installed in Assyrian entrances, obelisks, and carving on ivory.

Keywords: stereoscopic sculpture; bas-relief; composite creatures; obelisks; ivories.

أهداف البحث: من أهداف البحث الرئيسية

القاء الضوء على طبيعة المنحوتات الآشورية وبيان مدى تأثيرها الاعلامي والمنحوتات المجسمة والبارزة.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى عرض موجز لدور النحت الآشوري في توظيف الفن لأغراض إعلامية سياسية هدفها اظهار قوة الملك والامبراطورية الاشورية. فقد غلفت جدران القصور الملكية الآشورية بالمنحوتات الجدارية حيث كان لها وقعاً على نفوس الزوار الأجانب والآشوريين، وتعد بلاد اشور من المصادر المهمة التي تمتاز بوجود مناطق صخرية تحتوي على حجر (الكلس والرخام المرمز) لتنفيذ الاعمال النحتية عليها، وقد تطرقنا في هذه الدراسة الى تعريف النحت لغة واصطلاحاً، وأبرز أنواع النحت الآشوري وهو النحت المجسم، والنحت البارز الذي ظهر على أشكال عديدة أبرزها المنحوتات الجدارية والمنحوتات الجبلية والمخلوقات المركبة في المداخل الآشورية، والمسلات، والنحت على العاج.

الكلمات المفتاحية: النحت المجسم؛ النحت البارز؛ المخلوقات المركبة؛ المسلات؛ العاجيات.

Abstract: This study aims to present a brief presentation of the role of Assyrian sculpture in

أسئلة البحث: يمكن وضع عدد من الأسئلة التي

تعد مركزية في دراسة موضوع البحث: -

كيف وظف النحت الآشوري أعماله الفنية لخدمة الملك؟
ماهي الموضوعات التي نفذت على المنحوتات. أين كانت
توضع الأعمال النحتية المنجزة. هل كان للملوك اهتمام
بمواضيع المنحوتات الآشورية ودورها الإعلامي.

منهجية البحث: اعتمدنا في كتابة هذا البحث
على منهجية علمية واضحة من خلال الاعتماد على
المصادر العلمية التي تناولت موضوع الدراسة والاقتباس
منها وتحليل المعلومات فيها

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في تناوله دور
النحت الآشوري في توظيف الفن لأغراض إعلامية
سياسية هدفها اظهار قوة الملك والامبراطورية الآشورية.

1- تعريف النحت لغة واصطلاحاً:

عرف علماء اللغة النحت انه: النشر والقشر
والبدي والقطع⁽¹⁾ وعرفت بأنها كلمة لنجر شيء وتسويته
بجدية⁽²⁾. كما عرفها ابن منظور في معجم لسان العرب
بقوله: النشر والقشر والنحت: نحت النجار الخشب ونحت
الجبيل ينحته أي قطعة ونحته ينحته بالكسر نحتنا أي:
براه ونحتيه الرديء من كل شيء. ونحته بالعصى ينحته
نحتنا: ضربه بها⁽³⁾

النحت اصطلاحاً: هي عملية تجسيد لكل ما يتركز
لدى فكر النحات وأحاسيسه بمشاهد فنية ودمى وتمائيل
ويتم تنفيذها على المادة المهيئة للتشكيل وغالباً ما تكون
تلك المادة طينا او حجرا او معدنا او خشباً.⁽⁴⁾

1.1- فن النحت الآشوري:

اهتم الملوك الآشوريون بالفن بصورة عامة
وبالأخص فن النحت فقد اشتهروا بكثرة ما تركوه من آثار
فنية ما زالت الى يومنا هذا تزين قاعات المتحف العراقي
والمتحف البريطاني ومتاحف العالم الأخرى.

وإذا أردنا ان نبحث عن الأسباب التي تكمن وراء
هذا النتاج الهائل من المنحوتات فربما ان السبب الرئيسي
يكن في إدراك الملوك الآشوريين للعلاقة القوية بين الفن
الذي من خلاله تم تصويرهم بصورة دعائية أظهرت
قوتهم وتفوقهم في جميع ميادين الحياة ولاسيما في ميادين
الحرب فكانت المنحوتات عبارة عن وقائع مصورة سخرت
لخدمة الملك أي ان الفن كان فنا رسمياً إمبراطورياً
موضوعه الأساسي التعبير عن فكرة الملك القوي الفاتح
المنتصر لذلك مال النحاتون الآشوريون إلى استخدام
النحت البارز أكثر من استخدامهم النحت المجسم لأنهم
نفذوا بواسطته تصوير أعمال البطولات وانطلاقاً من هذا
المبدأ فقد غلفت جدران القصور الملكية الآشورية
بالممنحوتات الجدارية حيث كان لها وقعاً على نفوس الزوار
الأجانب والآشوريين.

والمعروف ان بلاد الرافدين كانت تفتقر إلى
الأحجار وتحديدا القسم الجنوبي منه حيث يمتاز القسم
الشمالي بتوفر المواد الخام اللازمة للمنحوتات مثل بعض
أنواع الحجر الكلسي وأحجار الحلان والمرمر والجبس التي
يسهل استخراجها من المقالع القريبة من المدن الآشورية
الرئيسية حيث يذكر الملك الآشوري سنحاريب (704 -
681 ق.م) قائلاً: "سنحاريب ملك الكون، ملك المملكة

الآشورية ان المرمر الأبيض والذي اكتشف عن حكم الإلهة في ارض بلط لبناء قصري".

وتعد بلاد اشور من المصادر المهمة التي تمتاز بوجود مناطق صخرية فيها تحتوي على حجر (الكلس والرخام المرمر) لذا فقد عمد الآشوريين على فتح مقالع الحجارة لحاجتهم الماسة اليها ومن اشهرها المقالع القريبة من المدن الاشورية والتي عرفت باسم بلاطو⁽⁵⁾ واذا استخدم الآشوريين هذه الأحجار في اكساء جدران قصورهم لتزيينها بالمشاهد فضلا عن اكساء سور مدينة نينوى⁽⁶⁾ واقاموا فيها المنحوتات المتنوعة كالثيران المجنحة وتمائيل الملوك ومسلاتهم وهناك آخر من أسباب الإنتاج الهائل لفن النحت هو اهتمام الملوك الآشوريين بجلب الأيدي الفنية الماهرة من البلدان التي سيطر عليها ومن ضمنهم النحاتين .

اما الأدوات التي استخدمها النحات الاشوري في نحت العاج فمن السهل التعرف عليها من اثارها على القطع نفسها وهي الازاميل والمناشير والمثاقب وكان الصقل يقتصر على عملية الدلك بالرمل بعيدا عن الآلات الاخرى كالمبرد اما تنفيذ الكتابة على الواح العاج فكان يتم بطريقة النقر الدقيق وبأقلام معدنية مثلثة المقطع مشابهة الى حد ما التي استخدمت للنقر على الحجارة ولكن بأحجام أدق تلافيا لكسر اللوح. ومن الأدوات الأخرى المنقاش وهوة عبارة عن قلم حديدي براس مربع الشكل أو مثلث استغلت زواياه في حفر وطرق الذهب والفضة والنحاس والبرونز⁽⁷⁾ مع الأخذ بالحسبان قصر طول القلم مع مقبض الذي صنع ليمسك بشكل دقيق حفاظا على القطعة المراد تنفيذها وخصوصا ان عملية صنع القطع

الذهبية وغيرها تحتاج الى دقة وصبر وتركيز عالي اكثر من المشاهد الفنية المنفذة على الأحجار وما يشابهها ويمكننا ان نبين ذلك في (الشكل -1) وبهذا فقد استفاد النحات من زواياه الحادة التي تفوق حدة وقوة رؤوسها المدببة حتى يتسنى نقر هذه المعادن وتنفيذها من خلال إضافة النقوش عليها حسب الأشكال المطلوبة وخاصة العلامات المسماية ومن الأمثلة على ذلك الكتابات المسماية المدونة على الصفائح البرونزية المثبتة على البوابات الخشبية⁽⁸⁾. وقد ظهرت عدة أنواع من النحت الآشوري أبرزها:

2.1- النحت المجسم الآشوري:

استعمل الفنان الآشوري الحجر بأنواعه المختلفة والبرونز والعاج في مجال النحت المجسم وكان موضوعه الأساسي هو تمثيل ملوك آشور في أشكال تظهر عليها الهيبة والجلال.

وهناك نماذج من النحت المجسم ممثلة بتمائيل من العهد الآشوري الحديث عثر عليها في كلح (نمرود) منها ما يمثل الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (833-858 ق.م) وتمثال للملك شلمنصر الثالث (824-858 ق.م) والمحفوظ في متحف اسطنبول يظهر فيه الملك الآشوري وكأنه ملك الملوك . ملك العالم. (الشكل 2)

ومن زمن أدد – نيراري الثالث (810-783 ق.م) وجد عدد من التماثيل للإله نبو كما عثر في دور شروكين (خرسباد) على تماثيل للإله أيا اله الماء وهو يحمل إناء يتدفق منه الماء على جانبيه ومن مدينة آشور عثر على تمثال لسيدة ترتدي عصابة وحزاماً سميكاً والملاحظ أن النحاتين الآشوريين صوروا الملوك بأجسام ممثلة

وبوقفات جامدة يمسكون بأيديهم أدوات الحرب. وقد حزم وسط الجسم بحزام عريض، كما حققوا نجاحاً كبيراً في إبراز التفاصيل الدقيقة في صياغة ملامح الوجه بشكل يليق بمقام الملك من معالم القوة والكبرياء والشجاعة وتمكنوا من صياغة شعر الرأس والذقن الطويل وإظهار عضلات الجسم لتعبر عن مدى قوة الملك وعظمته مع توضيح تفاصيل الملابس وزركشتها وأهدابها. كما عملت تماثيل النحت المجسم الآشورية تلك بالحجم الطبيعي للإنسان⁽³⁾.

2- النحت البارز الآشوري:

سخر الآشوريون فن النحت لخدمة المملكة الآشورية لإظهار قوة جيشها ولبيان منجزاتها العسكرية والعمرانية من خلال الدعاية المصورة والمتمثلة بالدرجة الأولى بالمنحوتات بشتى أنواعها حيث ركز الفنان الآشوري على إظهار الأساليب القمعية في القضاء على التمردات والعصيان من أجل إيقاع الخوف والرعب في نفوس الأعداء والتأكيد على أنه لا جدوى من مقاومتهم للمملكة الآشورية حيث تبعث تلك المشاهد مشاعر الرهبة والرعب وتساهم في الوقت نفسه في رفع الروح المعنوية لدى الآشوريين⁽⁹⁾ وقد ظهر فن النحت البارز الآشوري على أشكال عديدة:

1.2- المنحوتات الجدارية:

وهي عبارة عن ألواح حجرية استخدمت في تغليف جدران القصور الملكية وخاصة في عهد الملك آشور ناصر بال الثاني (883 – 859 ق.م) في قصره المعروف بـ (القصر الشمالي الغربي) حيث زينت جدرانه

بألواح مرمرية بارتفاع سبع أقدام وبعرض اقل من ذلك، وبمواضيع صورت أحداثاً كثيرة عرفت بالسرد القصصي حيث يكمل إحداها الآخر في قاعة واحدة وهذه الألواح كانت تزين القسم الأسفل من جدران القاعات الملكية وقد صممت هذه المنحوتات لتوضع في قاعات الاستقبال الملكية وقاعات العرش في القصور الملكية الآشورية حيث يستقبل فيها الملوك والحكام والسفراء والوفود الأجنبية. ولهذا فقد وثقت هذه المنحوتات مظاهر القوة الآشورية، مثل مواضيع تعظيم الملك والتعبير عن قوته وإبراز قوة الجيش الآشوري والمبالغة في إظهار الأساليب القمعية التي استخدمها الآشوريون للقضاء على حركات التمرد والعصيان بهدف إيقاع الخوف والرعب في نفوس الأعداء، والتأكيد على عدم جدوى مقاومتهم للإمبراطورية الآشورية كما وثق الفنان الآشوري التحديات المصرية التي واجهت الامبراطورية وتمكن من ترجمتها بصيغة رائعة على شكل صور من المعارك القاسية التي تمت معالجتها بحيث جعلتها إحدى وسائل الحرب النفسية، لأن الفن الآشوري كان فن الدولة لذلك اتخذ قالباً دعائياً صريحاً ومستقراً في إبراز عظمة السلطة كما وثق الفنان الآشوري التحديات المصرية التي واجهت الامبراطورية وتمكن من ترجمتها بصيغة رائعة على شكل صور من المعارك القاسية التي تمت معالجتها بحيث جعلتها إحدى وسائل الحرب النفسية، لأن الفن الآشوري كان فن الدولة لذلك اتخذ قالباً دعائياً صريحاً ومستقراً في إبراز عظمة السلطة⁽¹⁰⁾.

مشاهد المعارك الحربية: ففي منحوتة بارزة تعود الى الملك آشور ناصر بال الثاني منفذة على حجر الرخام زينت أروقة القصر الشمالي الغربي في العاصمة كلك، تبين

هروب جنود العدو سباحة في مياه نهر الفرات لينجوا بحياتهم متجهين صوب بناية عليها ثلاث جنود أحدهم مسلح بالسلاح الآشوري نفسه وتوجد ثلاثة أشجار نخيل على الجانب الآخر من مجرى الفرات والجنود الآشوريون يتعقبون الهاربين وهم يسددون نحوهم بالسهم وبأيديهم الاقواس وواقفين على ساحل النهر⁽¹¹⁾

وأظهرت المنحوتات عمليات الجرد لعدد القتلى من الأعداء حيث نجد في إحدى المنحوتات عملية جرد لرؤوس القتلى يقوم بها كاتبان من الكتبة العسكريين الآشوريين وهما يقومان بتسجيل عدد رؤوس القتلى من الأعداء، وقد نفذ هذا الموضوع لهدف مفاده أن الموت هو المصير المحتوم لكل من يعادي الإمبراطورية الآشورية وأنه سيتكبد خسائر فادحة كما صورت بعض المشاهد لجميع الأسرى وتسفيرهم وهم مكبلون بالسلاسل الحديدية، وفي بعض المشاهد يجري استعراض الأسرى أمام الملك الذي يظهر جالساً على العرش وماسكاً بيده عصا ويظهر قائد مجموعة الأسرى وهو راكع على الأرض دلالة على الخضوع، كما برع النحات الآشوري في المشاهد التي صورت حرب الآشوريين مع العيلاميين في التعبير عن الانفعالات الداخلية الرهيبة جراء الخوف والذعر الذي أحدثه فيهم الآشوريون والذي انعكس بشكل مذهل على وجوههم في حين نرى الصرامة والهدوء على وجوه الجنود الآشوريين، كما وثقت المنحوتات الآشورية وسائل الهجوم القوية التي امتلكها الآشوريون وأنواع الأسلحة والآلات الحربية التي يمكن بواسطتها دك الأسوار أو إحداث ثغرات أو فجوات في أسوار المدينة المحاصرة لتمكين الجيش الآشوري من الدخول إلى المدينة مثل الأكباش والدبابات

والزحافات و الأبراج والسلاسل وأدوات الهدم من فؤوس ومعاول وغيرها⁽¹²⁾.

في حين أظهرت منحوتة ثانية تفاصيل معركة دامية ما بين الفرسان الآشوريين وهم يمتطون صهوات جيادهم ويحاربون أعداءهم المشاة ومن تحليل المشهد الفني نلاحظ احراز الجيش الآشوري النصر معتمدين على قوة ملكهم الذي كان في المقدمة بعربته الحربية وماسكا سلاحه وهو يشرف على اقتحام حصن اعدائه وجنوده يقطعون الأشجار التي يصادفونها وجثث القتلى متناثرة لتملئ ارض المعركة وتُداس بحوافر الخيول ويتوسط المشهد من الأعلى شعار الاله آشور⁽¹³⁾ حيث استعرضت القطعات العسكرية الآشورية وتقدمها في مختلف البيئات السهلية او الجبلية او المائية وظهرت وهي تزحف وتقاتل وتلك بصفوفها المختلفة أسوار المدن وتحاصرها (مثل حصار مدينة لاجيش في مملكة يهوذا) فضلاً عن مناظر الانتصارات (مثل المنحوتة التي تصور الانتصار على بلاد عيلام في عهد الملك آشور بانيبال (672-688 ق.م) حيث تصوره مع زوجته يحتفلان بالنصر في حديقة ورأس تيومان العيلامي معلق على الشجرة او تصور التقدم الظافر للملك الآشوري في عربته ومواكب طويلة من أسرى الحرب ومشاهد معاقبة المتآمرين والمتمردين ومنحوتات أخرى صورت الملك في مشاهد خاصة بالتعبد وتقديم القرابين للآلهة او منحوتات أخرى صورت مشاهد استلام الجزية واستقبال الوفود الأجنبية⁽¹⁴⁾.

وفي المنحوتات البارزة المنفذة على صفائح البرونز التي تغطي بوابات القصر في مدينة امكر- انليل (بلاوت الحالية) والتي تبعد ما يقارب من 10 كم من الشمال

الشرقي من كلخ حيث مثل الملك شلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م) نضيره الصوري واقفا مع احد نساء قصره على ساحة البحر المتوسط ليشرف بنفسه على تحميل السفن بالإتاوات وايصالها الى الأول وهو مرتدي ملبسه الملكية مع رجال قصره ومن خلفه مرافقيه الذين يحملون المظلة لتغطي راس ملكهم وفي الشريط السفلي نشاهد باستعراض عسكري يجوب الأرض الغربية ومن دون منافس ويقدم له قائد الجيش⁽¹⁵⁾ الاسرى الذين وقعوا بيده وايديهم مربوطة الى الخلف وهكذا يكون فنان الملك الاشوري قد نقل مشهد البحر المتوسط وهذا دليل واضح على مدة تأثيره وسحر طبيعة مياه البحر الذي وقع في نفسه ملكه⁽¹⁶⁾ وخلد انتصاره على منحوتة منفذة بالحفر البارز تم العثور عليها في قصره بـ خور سيباد فبين مشهد البحر نقل الاخشاب من المدن الساحلية عبر مياه البحر المتوسط الى بلاد اشور باستخدام القوارب وركز الفنان الاشوري على تمثيل العناصر الطبيعية للبحر من نباتات وحيوانات⁽¹⁷⁾

مشاهد الاحتفال بالنصر: وليخلد آشور ناصر بال الثاني انتصاراته وبطولاته على أعدائه في منحوتة وجدت على لوحين جداريين في غرفة العرش في مدينة كلخ "النمرود" في مشهد يظهر فيه الملك آشور ناصر بال الثاني وقد ترجل من عربته الحربية وهو متوج بإكليل ومظلة شمسية تصل الى قمة الشريط المصور، وهو يحمل قوساً وسهاماً في يديه، ومن ناحية اليمين يقترب القائد منه مع جماعة من العسكريين الذين يقتادون الأسرى في موكب يتناقص حجمه⁽¹⁸⁾ ظهر مثلاً الملك سنحاريب بمظهر الملك المنتصر في منحوتة يبدو فيها في موكب النصر في عربة

مدنية تظلمها مظلة عالية⁽¹⁹⁾ (وهكذا نجح النحات عندما مثل نهاية المعركة بالانتصار على العدو والاحتفال بالعودة الى ارض الوطن وقد ظهرت مثل هذه المواضيع منذ عهد آشور ناصر بال الثاني فصاعداً، حيث أصبحت مواضيع المنحوتات تخص بالدرجة الأولى حملات انتصار الملك الآشوري ضد جيوش الأعداء، حتى اصبح هذا الموضوع تكراراً نمطياً على وجه التقريب كما وصفه فرانكفورت قائلاً: (شاهد تقدم الجيوش وهي تخضع وتحرق وتعاقب البلد تلو البلد)⁽²⁰⁾ وهناك منحوتة تصور الملك الآشوري اشور بانيبال وهو يحتفل بالسيطرة على سوسة (الشوش) بفرقة موسيقية كبيرة اشبه بـ (اوركسترا) مؤلفة من أحد عشر عازفاً وهم يعزفون للاحتفال بالنصر وهناك منحوتة أخرى عثر عليها في نينوى القصر الشمالي لآشور بانيبال (866-626 ق.م) مثل الموضوع المنقوش عليها بالنحت البارز احتفال الملك بمناسبة انتصاره على عدوه الملك العيلامي (تيؤمان) وهو جالس في حديقة وفوقه عناقيد العنب محتفلاً بالنصر وسط عزف الفرقة الموسيقية وقد علق رأس الملك العيلامي تيؤمان على الشجرة⁽²¹⁾ (الشكل 3- ولا نبالغ في القول بأن الآشوريين قد أدركوا ما للموسيقى العسكرية من اثر في رفع معنوية المقاتلين لذلك فقد استخدموها أثناء التقدم للمعركة وإبان حلهم في المعسكرات وفي الأقاليم التي كانوا يحتلونها وعند إقامتهم الاستعراضات العسكرية وهذا ما تصوره منحوتة الملك آشور بانيبال والتي تصور مجموعة من الجنود المترجلين الذين ينشدون للمعركة ويستدل على ذلك من حركة أيديهم التي تبدو وكأنها تتم على إيقاع واحد.

مشاهد استعراض الأسرى: التي صورت على

المنحوتات الجدارية الآشورية وتظهر بعض المشاهد لجميع الأسرى أمام الملك الآشوري الذي يظهر جالساً على العرش وماسكاً بيده عصا بينما يظهر قائد مجموعة الأسرى وهو راکع على الأرض دلالة على الخضوع.⁽²²⁾

مشاهد صيد الأسود: يعتبر الصيد والقنص

رياضة الملوك الآشوريين المحببة فهي ترمز الى الرغبة في الكشف عن القيمة العليا للملك الآشوري فالصياد يعتبر بطلا وكان الصيد من الأمور المكملة للتدريب الحربي والقتال أيام السلم فهي تعود على الصبر والشجاعة عند مواجهة الفريسة واصطيادها، أصبح تقليداً ملكياً جلياً وواضحاً لنا في العصر الآشوري الحديث، حيث نشاهد الملوك الآشوريين وجنودهم يلاحقون الأسود، سائرين على الأقدام او وهم يركبون عرباتهم الحربية، مصوبين سهامهم او رماحهم الى صدور الأسود واللبوات الهائجة والجريحة. ولقد ترك لنا الآشوريون منحوتات رائعة على جدران القصور حيث عثر في قصر الملك آشور بانيبال (669-624 ق.م)، الواقع الى الشمال الشرقي من تل قوينجق في مدينة نينوى التاريخية بالموصل، على ألواح منحوتة بالنحت البارز تحتوي على مواضيع عسكرية ودينية، ومن أشهرها موضوع صيد الأسود. لقد بعث النحاتون الآشوريون الحياة في أشكال منحوتات صيد الأسود في عهد الملك سنحاريب وأشور بانيبال مثل منحوتة اللبوة الجريحة او المحتضرة والأسود اللاهثة من كثرة السهام المنغرسه في أجسادها ومشاهد العودة من الصيد وحمل الأسود الى القصر ووضع الأسود عند قاعدة مذبح للنار، ويسير الملك آشور بانيبال وهو يحمل كأساً بيده اليمنى،

الى الأمام لكي يقدم الشكر الى الآلهة ويصب ماء مقدساً على الأسود الميتة.(الشكل 4-)

2.2- المنحوتات الجبلية:

اعتاد الآشوريون أن يخلدوا انتصاراتهم العسكرية على الأقوام الأجنبية بإقامة النصب التذكارية على الجبال وهناك أمثلة عديدة تعود الى العصر الآشوري الحديث منها النصب الذي وضعه الملك آشور ناصر بال الثاني والذي يضم صورته الملكية عند منابع نهر دجلة⁽²³⁾، كذلك ما ذكر شلمنصر الثالث من انه وصل الى البحر الأبيض المتوسط وانه وضع صورته على نصب تذكارية هناك ونصب تذكاري اخر عند منابع نهر دجلة، وما أقامه اسرحدون (680-669 ق.م) على صخور جبال نهر الكلب (من بلاد الشام)⁽⁶⁾ مفتخراً بفتح مصر⁽²⁴⁾ كما دون الملوك الآشوريين أعمالهم العمرانية الضخمة على المنحوتات الجبلية فقد خلد الملك سنحاريب بعضاً من منجزاته العمرانية بمنحوتات ضخمة صورت لنا قدراته الكبيرة في انجاز مشاريع لأجل إرواء مدينة نينوى حيث جلب اليها مياه نهر الكومل وعيون الماء من شمال نينوى وقد زين هذا المشروع بمنحوتة في موقع بافيان في الشيخان (يبعد 60 كم شمال نينوى) بطريقة النحت البارز على كتف الجبل وأكبرها تلك التي ترتفع بمقدار (16م) وقد نفذ فيها الملك الآشوري سنحاريب (704 ق.م- 681 ق.م) مشروعه الاروائي الضخم في نينوى وتوثيقه بالنص والصورة امام الآلهة اذ تبدأ من قرية بافيان القناة المسمى بـ (قناة سنحاريب) والتي تمثل احد القنوات الذي تزود نهر الخوصر بالمياه والذي يعتبر مصدر مائي لنهر دجلة اذا امكن الاستفادة من مياه نهر الخوصر في شتى مجالات الحياة والذي تغذيه منابع العيون المنتشرة ضمن

حوض النهر⁽²⁵⁾ وقد ضمت قرية بافيان مشاهد منحوتة على الصخر نفذت بأسلوب النحت البارز اذ مثلت عددا من صور الالهة الاشورية وامامهم يقف الملك سنحاريب وهو في وضع الخضوع الذي كان يهدف من هذا المشهد اثناء افتتاح القناة هو تقديم الشكر والعرفان الى الالهة التي ساعدته وساندته في إقامة مشروعه الاروائي وامر أيضا بإقامة طقس ديني بهذه المناسبة وكلف بعض الكهنة المختصين بإجراء ذلك الطقس جاء ذلك على كله مدون بالكتابات المسمارية المنقوشة على الصخرة والذي دون فيها أيضا كل ما قام به الملك سنحاريب من اجل نينوى وترك كل ذلك لا بنائه الملوك في المستقبل⁽²⁶⁾

المخلوقات المركبة في المداخل الآشورية:

زينت مداخل المباني الآشورية بقطع نحتية كبيرة تمثل حيوانات مركبة عرفت باسم (لاماسو) عند الآشوريين وعرفت لدى الباحثين المختصين بالثيران المجنحة وتركيب هذه القطع مكون من قوى بشرية وحيوانية حيث تتكون من رأس إنسان وجسم حيوان وجناحي طائر تعبيراً عن القوى ذات السيادة القصوى⁽²⁷⁾ وهي مقدسة وقد استخدمت لغرضين أساسيين فهي من جهة ذات مضمون روحي إذ إنها تطرد الأرواح الشريرة وثانياً انه تخدم غرضاً معمارياً تزييناً فقد صممت لكي تغلف جدران المداخل فوجودها من هذه الناحية يكمل استمرار مواضيع المنحوتات الجدارية ذات النحت البارز من القصور الآشورية والمنحوتات الحارسة يشاهدها المرء قبل المرور عبر المدخل وهو تواجهه بهيئتها الصامدة وأرجلها الأمامية الثابتة اما اذا سار المرء في رحاب المدخل فسيجدها بحالة السير مما استوجب تزويدها برجل

خامسة وهناك نماذج منها في قصر آشور بانيبال في نمرود⁽²⁸⁾، ولم ينس الفنانون تفاصيلها الصغيرة حتى الأقراط المتدلّية من الأذان ولعب الخيال الفني والأسطوري دوره في تمثيل بعض من هذه الكائنات فهناك الثور المجنح والأسد كما يشاهد بعض امثلة منها وهي مزودة بأيد بشرية تحمل غزالاً وتوجد كذلك في قصر آشور ناصر بال الثاني ومعبد نينورتا في كلخو وجوانب مدخل قصر سرجون ومدخل قاعة عرشه في خور سيباد⁽²⁹⁾.

ان المنحوتات الاشورية الضخمة التي عثر عليها في العواصم الاشورية من أروع ما تم الكشف عنه من نماذج المنحوتات في العراق قاطبة ويبدو ان الآشوريين أصبحوا على بينة من ان الالهة الحامية ليس بالضرورة ظهورها بالهيئة البشرية او ربما اعتقدوا ان هيئة منحوتات الحيوانات المركبة اسودا كانت ام ثيران وبأجنحة النسر هي اشد قوة واكثر ملائمة لمفهوم الحراسة والحماية لهذا اكدوا على الهيئة الحيوانية المركبة. لقد استخدمت هذه الاشكال النحتية المركبة بشكل واضح ومميز عند الآشوريين فقد نحتت بعناية كبيرة وتضمنت بعضها نصوص مسمارية ولاسيما في الجزء المحصور ما بين الأطراف واسفل بطن الحيوان وقد تألفت تلك الكتابات اسم الملك مع ذكر بعض إنجازاته ومن النماذج المهمة المكتشفة للمنحوتات المركبة انموذج لثور مجنح من خورسيباد يعود الى قصر سرجون الآشوري تميزت هذه المنحوتة باستدارة الراس الى الجانب حيث يحدد هذا الوضع المكان الذي يوضع فيه هذا المخلوق حسب اعتقادهم ويبدووا راس الثور بوجه ادمي وبأقراط طويلة

ويزينه التاج المقرن الذي يتكون من ثلاثة أزواج من القرون التي تعد رمزا للألوهية ومما يلاحظ على زينة التاج الريش الذي يعطي لهذا التاج طولا فضلا عن تزيينه بصف من أزهار البابونج المعروفة لدى الآشوريين إذا ما قارن هذه الزينة مع زينة رأس الثور المجنح المكتشف في النمرود (كلخو)⁽³⁰⁾ (الشكل 5-)

ومن النماذج الأخرى لهذه المنحوتات اسد مجنح أو ثور مجنح تم الكشف عنه في قصر الملك آشور ناصر بال الثاني ويلاحظ على هذه المنحوتات التاج المقرن على الرأس المكون من ثلاث أزواج من القرون⁽³¹⁾ اهتم النحات بالملامح الرئيسية إذ نجده يبالغ في اظهارها فالعين كانت واسعة جاحظة والانف ضخمة والشعر كثيف غزير وخاصة في منطقة اللحية وهو في الوقت نفسه يعالج هذه الملامح بواسطة الأسلوب الزخرفي التقليدي وذلك باستخدام الحز القليل البرونز والانخفاض على شكل خطوط متموجة متوازية ونلاحظ ان هذه الخطوط المنحنية المشابهة تشكل نوعا من الانسجام العام كما انها تعبر عن الحركة كذلك يلاحظ في منحوتة المجنح الآشورية زينة الاقراط وضعت لأغراض تجميلية اما المنحوتات المركبة الحيوانية الآشورية فقد تفنن الفنان بعبقيرية بالغة في تنفيذ حركة الأطراف في هذه المنحوتات عند إضافة طرف خامس لكل ثور أو اسد مجنح ليعطي الانطباع بحركة مستمرة بالغة سواء كان الناظر من الامام أو من الجانب معتمدا على المزاجية بين النحت البارز والمجسم وقد تم صنع التمثالين الآشوريين من حجر المرمر⁽³²⁾.

ومن النماذج الأخرى لمنحوتات الحيوانات المركبة (الثور المجنح) الذي عثر عليه في مدينة نينوى وتحديدًا

التي تم الكشف عنه في الجانب الشرقي لجامع النبي يونس (عليه السلام) وعلى مسافة 23م والذي عمل من حجر الحلان إذ تختلف هذه المنحوتة عن باقي منحوتات الثيران المجنحة التي ظهرت جراء التنقيبات الأثرية في العواصم الآشورية فقد تم نحتها قطعة واحدة من حجر المرمر ونقشت بعض أقسامه بكتابات مسمارية فالفرق الأول في هذه المنحوتة انها منحوتة من حجر الحلان المحلي المعروف الثاني أسلوب النحت بواسطة قطع مختلفة الأحجام ورصفت بشكل صفوف متساوية وعند مقارنة هذه المنحوتة⁽³³⁾ اما الثور المجنح الآشوري في نينوى فيتميز بوضعه فوق قاعدة اشبه بالمصطبة صنعت من الحجر تحت اقدمه بارتفاع 30 سم عن مستوى الأرض ويلاحظ وضع الثور المجنح جانبي من الشرق ومقدمته تتجه الى الشمال كما ان الجانب الغربي منه يتصل بواجهة عمارة سكنية اما منحوتة الثور المجنح الآشورية فيلاحظ ان التاج هو الذي يزين رأسها بوضوح⁽³⁴⁾

وقد اخذت هذه المنحوتات في الفن الآشوري الحديث معنى آخر متمثلا بنحتها على كتل حجرية ضخمة ورصفها على جانبي البوابات المهمة في القصور والمعابد بوصفها أرواح حامية وفضلا عن استمرار تضمينها في المنحوتات والفنون الأخرى⁽³⁵⁾ وقد عثر على عدد كبير من تلك التماثيل بعضها ثيران مجنحة برؤوس بشرية وبعضها اسود برؤوس بشرية ومن النماذج الغريبة التي ظهرت في هذا العصر اسد برأس امرأة من عهد اسرحدون⁽³⁶⁾

1- المسلات:

المسلات: (مسلة) الميم والسين واللام يقولون المسلة والجمع مسلات: خد في الأرض ينقاد ويستطيل⁽³⁷⁾

ربما كان في ذلك تعبير عن شكل المسلة الاخذ في الطول والاستطالة والمسلة بالكسر: واحدة المسال وهي الابر العظام⁽³⁸⁾ وترد الإشارة الى تسمية المسلة في اللغات الأجنبية بصيغ مختلفة تم التعبير في كل لغة منها عن نموذج معين من المسلات ومنها وردت الإشارة الى المسلة بصيغة obelisk وهي تسمية اطلقت على العمود المدبب ذي الجوانب الأربعة والمسلة عبارة عن كتلة صخرية كبيرة الحجم يتفاوت ارتفاعها ما بين 50 سم - 3م تنحت من جانب واحد او اثنين او اربع جوانب بنقوش صورية بارزة ترافقها في معظم الأحيان نصوص مسمارية تخليديه للملوك من خلال تدوين اخبار الحملات العسكرية على نحو مستطيل او مربع في بعض الأحيان وكانت بعض المسلات ذات قمة محدبة او شبه دائرية كما كان بعضها الاخر ذات قمة هرمية كما وجد ان القسم الأسفل من المسلات عريضا شكلت بما يشبه قاعدة الاستناد ولوحظ ان قسم اخر منها نحت على هيئة نهاية رفيعة بعض الشيء لكي يسهل دكه في الأرض او نصبه فوق قاعدة خاصة وكانت هذه المسلات تقام لتخليد ذكرى اعمال الملوك ومنجزاتهم في السلم والحرب وكما تؤكد ذلك النصوص المسمارية المنقوشة والمشاهد الفنية المنفذة عليها⁽³⁹⁾.

والمسلات واحدة من المنجزات الفنية الرائعة التي أبدع النحاتون القدماء في نحتها وتصميم المشاهد والنقوش وتدوين الكتابات عليها، وقد اهتم الملوك الآشوريين بإقامة المسلات تخليداً لذكراهم للأجيال اللاحقة من خلال تدوين انجازاتهم وأعمالهم في مختلف مجالات الحياة، وقد كشفت أعمال التنقيب في المواقع

الأثرية في بلاد آشور عن عدد كبير من المسلات الملكية وقد انتخبنا ابرزها:

أ- مسلة توكولتي - تنورتا الثاني:

الذي اعتلى العرش (884-890) وقد أقام مسلة تخليداً لذكرى الانتصارات التي حققها على مملكة لافي الآرامية في منطقة الفرات الأوسط وقد نحت هذه المسلة على حجر البازلت يبلغ ارتفاعها 90 سم ونفذ النحت عليها بالنحت البارز على هيئة اله بكامل جسده في وضع أمامي باستثناء الرأس والأرجل وهو يحمل بيده اليمنى فأساً وباليسرى يمك ثعباناً كبيراً ذو قرون ويظهر على رأسه ما يشبه الخوذة يتدلى من أعلاها جبالن يظهر نحتها صغيرة غليظة تتدلى على الظهر ويوحى رمز القرنين المعوقين الموجودين على جهة هذا الشخص بأنه يمثل احد الإلهة (ربما رمز الإله ادد). وربما يشير ذلك الى وجود تأثيرات خارجية لاسيما في أسلوب تنفيذ الشخص خاصة في صورة ادد (حدد) الذي يقتل الثعبان الأمر الذي يشير الى ان انجاز نحتها كان من قبل النحات آرامي وهو ما يشير الى التأثيرات الآرامية على الأعمال الفنية التي برزت خلال (القرن التاسع ق.م) وطغيانها في شمال سوريا وشمال بلاد الرافدين⁽⁴⁰⁾. (الشكل 6-)

ب- مسلة آشور ناصر بال الثاني:

وهي عبارة عن مسلة كبيرة وهي من نوع خاص لأن شكلها المستطيل يشبه رقيماً من الطين أكثر مما يشبه المسلات الآشورية الملكية التي تكون طويلة ومستطيلة ومدورة عند الرأس⁽⁴¹⁾. وقد غطى سطح هذه المسلة كله ما عدا النص حقل تصويري مربع يظهر فيه الملك في صفة تعبد وهو يحمل هراوته وصولجانه واقفاً أمام رموز الإله

الرئيسية مثل (آشور وسين وعشتاروانو وادد وسيتي)⁽⁴²⁾ أما النص الكتابي فهو عبارة عن كتابة مسمارية تخلد ذكرى بناء أول قصر ملكي كبير وتصور الاحتفالات الفخمة التي رافقت تدشين المدينة سنة 879 ق.م حيث أقام آشور ناصر بال وليمة كبرى دعا إليها العديد من الملوك والحكام والسفراء الأجانب ونقرأ في النص في مسلته التي اكتشفت في (كلخو) نمرود (عندما زينت القصر في كلخو أحضرت 47074 عاملاً من الرجال والنساء من كل المقاطعات في بلادتي 5000 من الموظفين الكبار المبعوثين في سوقي وخندانو (إلى الغرب من سوكي على الفرات) وبلاد الحثيين وتاير (سور) وصيدا وملتيا (ملاطية) و 1500 من موظفي البلاط في القصر الآشوري المجموع الكلي 69574 الشعب السعيد في كل الأرض مع شعب كلخو طيلة عشرة أيام أقمت لهم الولائم وقدمت لهم الشراب وغسلتهم وعطرتهم وشرفتهم ثم أعدتهم إلى بلادهم بسلام⁽⁴³⁾). (الشكل -7)

ج- مسلة شلمنصر الثالث (المسلة السوداء):

تعد هذه المسلة أحد أهم الأعمال الفنية العائدة للملك الآشوري شلمنصر الثالث وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني عثر عليها عالم الآثار البريطاني أوستن هنري لايارد في معبد ننورتا في موقع القصر الجنوبي الغربي المعروف بالقصر المركزي في مدينة النمرود وتنص الكتابة المدونة على هذه المسلة على منجزات هذا الملك في السنة الأولى لحكمه ولغاية السنة الواحدة والثلاثين من حكمه في (829 ق.م) نحتت هذه المسلة من حجر الديورايت الأسود وبلغ الارتفاع الكلي لها 2.2م ونقشت بالمشاهد

والنصوص من جميع جهاتها الأربعة التي قسمت إلى خمسة حقول وتنتهي المسلة عن قممتها بدرجات هرمية⁽⁴⁴⁾ وتتكون من كتلة ارتفاعها ستة أقدام مصنوعة من المرمر الأسود تنتهي بعدة دكات تشبه الزقورة الصغيرة دون فيها نص مسماري يضم تعريفاً بحروب الملك بينما تظهر خمسة ألواح منقوشة من كل جانب دفعات الجزية المقدمة من قبل الممالك الأجنبية المختلفة بضمنها مملكة إسرائيل التي يظهر ملكها، ياهو الإسرائيلي بن عمري جاثماً عند قدمي شلمنصر الثالث في حقل تصويري واسع مستطيل مما جاء فيها (استلمت الجزية من ياهو بن عمري الفضة والذهب وطاسة خمر ذهبية ذات قعر مسنن ولواء وأقداح ذهبية وكتل كبيرة من القصدير وأمتعة أخرى يستعملها الملوك)⁽⁴⁵⁾. (الشكل -8)

د - مسلة سرجون الثاني الآشوري:

وجدت في لارنكا في قبرص تحدثنا عن سبعة من ملوك (ايتنانا) اليونان ومما يذكر النص أن الذين يبعد موطنهم مسافة سبعة أيام في بحر الشمس الغاربة قد أرسلوا الهدايا إلى آشور واقسموا يمين الولاء للعاهل الجبار في مسلة قدموها اليهم⁽⁴⁶⁾.

هـ - مسلة شمسي - ادد الخامس:

تولى حكم بلاد آشور للفترة ما بين (832 - 811 ق.م) وتم العثور على مسلته عند بوابة قاعة معبد نابو في نمرود وهي محفوظة حالياً في المتحف البريطاني.

يبلغ ارتفاعها 2.18م وقد نحتت على الحجر الجيري الأبيض وقد صورت الملك وخو يحمل صولجاناً بيده اليسرى ويشير بإصبعه نحو رموز الإلهة المنقوشة في أعلى المسلة كما تصورت رموز الإلهة منها رمز الإله آشور

على شكل تاج ذو القرون والإله شمش بقرص الشمس
المخيخ والإله ادد بحزمة البرق والإلهة عشتار بالنجمة
والإله سين بقرص القمر⁽⁴⁷⁾. (الشكل 9-)

و- مسلة الملكة سمير - اميس:

تولت شمو - رامات العرش على ولدها ادد -
نيراري الثالث اثروفاة زوجها شمشي ادد الخامس اذا
حكمت ما بين (808-811 ق.م) مما جاء فيها:

ملكة (سيدة القصر) شمشي ادد

ملك الجميع، ملك آشور، والدة ادد - نيراري

ملك الجميع، ملك آشور، زوجة ابن شلمنصر، ملك
الجهات الأربع⁽⁴⁸⁾.

ي - مسلة الملك ادد - نيراري الثالث الذي حكم المدة
(783-810 ق.م):

تم الكشف عنها في تل الرماح وهي منحوتة من
حجر الرخام ولهذه المسلة أهمية كبيرة من حيث دقة
تنفيذ عملية النحت فضلاً عن أهميتها التاريخية التي
خلدت إحدى حملات هذا الملك وتتضمن هذه المسلة
مشهداً بالنحت البارز ويظهر الملك رافعاً يده اليمنى مشيراً
بأصبعه الرابع نحو رموز الإلهة ويظهر الملك واضعاً تاجاً
ذوقمة مسطحة يحيط به من الأسفل عند الحافة شريط
تتوسطه من الأمام زهرة اللوتس وظهر الملك وهو يحمل
الهرافة او الصولجان الملكي في يده اليسرى⁽⁴⁹⁾.

النحت على العاج:

يعد النحت على العاج من الفنون المرموقة في
الشرق القديم وبشكل خاص في بلاد آشور، وشاع فن

الحفر على العاج في المدن الفينيقية على الساحل السوري
منذ منتصف الألف الثاني ق.م. وربما تأثر الآشوريون
بذلك عندما احتكوا بهم عن طريق التجارة أو أثناء
الحملات العسكرية وأكثر ما انتشر من الحفر على العاج
هو من العصر الآشوري الحديث حيث عثر على أعداد
كبيرة من قطع العاج التي تم تنفيذها من العواصم
الآشورية وارتبطت لقطع العاجية المنفذة ارتباطاً وثيقاً
بصناعة الأثاث حيث كانت العاجيات⁽⁵⁰⁾ تزين قطع الأثاث
في حين استخدم بعضها الآخر لعمل بعض أدوات الزينة
وعدة الخيول كتلك التي تغطي جانبي الحصان. وتم
الكشف عن غالبية العاجيات الآشورية في مدينة كلخو
(نمرود) من قبل البعثات الانكليزية في القرن الماضي
والقرن الحالي ووجد معظمها في القصر الشمالي الغربي
للملك آشور ناصر بال الثاني وفي القصر المحروق
لشلمنصر الثالث وفي بئر عميق في قصر آشور ناصر بال
الثاني⁽⁵¹⁾.

وربما كانت القطع التي تحمل الأسلوب الفينيقي أو
الآشوري قد جلبت كغنائم أو هدايا إلى بلاد آشور أو أنها
نفذت من قبل صناع سوريين وفينيقيين جيء بهم إلى بلاد
آشور، وتؤكد التنقيبات التي أجريت في نمرود قيام
النحاتين الآشوريين أنفسهم بالحفر على العاج حيث تم
العثور على أدوات الحفر المستخدمة كما كشف عن مواد
ومعاجين ملونة كانت تستخدم في تطعيم العاجيات ومن
جملة القطع المكتشفة أجزاء مكملية لقطع أثاث ملكية
مثل العروش والأسرة والكراسي والأبواب وبعضها على
هيئة صناديق وأوعية وملاعق ودبابيس وأمشاط كما عثر
على أشكال مجسمة منحوتة نحتاً بارزاً وكان البعض منها

مطعماً بالأحجار الكريمة وملبساً بالذهب ومن القطع الفنية الرابعة ما عرف لدى المنقبين بموناليزا النمروذ، وهي عبارة عن قناع رأي فتاة عثر عليها من قبل البعثة البريطانية في قاع بئر في قصر شلمنصر كما ان هناك قطعة فريدة من نوعها تمثل لبوة تنقض على رجل أثيوبي وقد طعمت القطعة بالذهب ولونت بألوان جميلة⁽⁵²⁾.
(الشكل -10)

الخاتمة:

من خلال معالجتنا لهذا الموضوع توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:

- 1- سخر الاشوريين فن النحت لأغراض إعلامية سياسية هدفها اظهار قوة الملك والامبراطورية الاشورية
- 2- ان المنحوتات الجدارية هي واحدة من المنجزات الفنية الرائعة التي برع الفنانون الاشوريون في تصميمها ونقشها على الاعمال الفنية .
- 3- معظم اللوحات الجدارية كانت تحاكي قصص وتوثق أحداثا حقيقية أو طقوسا معينة
- 4- منحوتات الحيوانات المركبة والتي عرفت بالثيران المجنحة أو الأسود كانت توضع في مداخل المدن والقصور المعابد ذلك لاعتقادهم بانها الالهة أو الملاك الحارس والتي تحمي المدينة أو القصور وسكانها من الشرور ولها القدرة على طرد الأرواح الشريرة وحماية الأرواح.

(11) Leichty, E., The Royal Inscriptions of Esarhaddon, King of Assyria (680-669

B.C), Vol. 4, Indiana, 2011, P. 107.

محمد علي، ياسمين عبد الكريم، المنحوتات الجدارية خلال عصر السلالة السرجونية دراسة تحليلية بين النص المسماري والمشهد الفني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل كلية الآداب 2011 ص 39

(12) عبد الله، يوسف خلف، صفوف الجيش الآشوري، الجيش وال سلاح، ج1، بغداد، 1988، ص 355-394.

(13) الباشا، حسن، تاريخ الفن في العراق القديم، بغداد 1965 ص 105

(14) شيت، أزهار هاشم، الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث، 911-612 ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000، ص 114-116 .

(15) الحديدي، احمد زيدان خلف، الحملات العسكرية الآشورية الى الجهات الغربية (883 – 626 ق.م) في ضوء المشاهد الفنية، دراسات موصلية، ع 21، 2008 ص 104.

(16) مظلوم، طارق عبد الوهاب (فن النحت) ص 453 .

(17) Frankfort, H., The Art and Architecture of The Ancient Orient, New York, 1977, P.133

(18) لويد، ستين، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش – دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1988، ص 226.

(19) يوحنا، مجيد كوركيس، الفارس الآشوري في النحت البارز رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1983 ص 39

(20) مورتكات أنطوان، الفن في العراق القديم، ميونيخ، 1966، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1975، ص 363.

(21) الدوري، رياض عبد الرحمن، آشور – بانيبال (669-627 ق.م)، سيرته ومنجزاته، بغداد، 2001، ص 167-168

(22) عبد الله، يوسف خلف، صفوف الجيش الآشوري، الجيش وال سلاح، ج1، بغداد 1988، ص 355

(1) الرازي: احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج5 دم.1979، ص 404

(2) عبد القادر، إبراهيم مصطفى احمد الزيات حامد، المعجم الوسيط، د.ت. ص 906

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ج4، بيروت، د.ت، ص 3861

(4) العبيدي، نزار عبد اللطيف احمد، النحت البارز في عهد الملك اشور بانيبال رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، 1987، ص 13

⁵ بلاطو: عرفت باسم بلد او بلط وتقع على الضفة الغربية لنهر دجلة على مسافة 50 كم شمال غرب الموصل ، للمزيد ينظر: اغا، عبدالله امين، بلد (اسكي موصل)، تاريخها واثارها، موصل 1974

(6) نينوى: عرفت باسم (المدينة العظيمة) في كتاب العهد القديم وهي ثالث العواصم الآشورية تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة قبالة مدينة الموصل القديمة للمزيد ينظر: سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج 2، موجز التاريخ الحضاري، الموصل 1993، ص 371، 372

(7) - احمد، سهيلة مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد بابل واشور، أطروحة دكتوراه جامعة الموصل 2000

(8) دنون، يونس، مدخل إلى أدوات الكتابة عند العراقيين القدماء، مجلة آفاق عربية، العدد 4-3، 1985، ص 58. 102 مظلوم، طارق عبد الوهاب، (فن النحت)، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد (1)، 1991، ص 453

Curtis, J.E., and Reade, J.E., Art and Empire, British Museum, Paris 1995, p.89-99.

(9) - يوحنا : مجيد كوركيس، النحت البارز في عصر سرجون الآشوري 721 – 705 ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد 1999، ص 37 .

(10) حمود، حسين ظاهر، المنحوتات الجدارية من وسائل الاعلام عند الآشوريين، أدأب الرافدين، ع31، (1998) ص 291

(23) Oppenheim, A. Leo "Babylonian and Assyrian Historical Text's " ANET, PP. 277-281.

(24) مورتكات أنطوان، الفن في العراق القديم، ميونيخ، 1966، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1975، ص363.

(25) بايك وريستن قصة الآثار الاشورية ترجمة يوسف داؤود عبد القادر، بغداد 1972، ص 119

(26) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، ج1، ط1، بغداد، 1973، ص 504 وينظر

-سوسة، احمد، مشروع الارواء لسنحاريب في نينوى، مجلة المجمع العلمي العراقي 1962 ع9، ص65

(27) مظلوم طارق عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 465.

(28) Reade, J., Assyrian sculpture, British, 1983, p365

(29) Strommenger, E., The Art of Mesopotamia, London, 1964, p.188

(30) مصطفى، اسراء عبد السلام، منحوتات الحيوانات المركبة في بلاد الرافدين ووادي النيل (نماذج منتخبة) أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2، 2011، ص 461

(31) مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، نمرود والكنوز الذهبية، موصل 1989، ص 55

(32) البياتي، امينة فاضل، الروح الحامية (لاماسو) في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الانثوية، رسالة ماجستير، بغداد، 2001، ص 44

(33) العزاوي، عبد الستار، ظهور الثور المجنح على تل النبي يونس (عليه السلام) مجلة سومر، 45 بغداد 1987 – 1988، ص 97

(34) مصطفى، اسراء عبد السلام، المصدر السابق، ص 461

(35) جرك، اوسام البحر، تأثير فنون بلاد وادي الرافدين على الفنون الحديثة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، 2004، ص 132

(36) ساكز، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، 1999،

ص 607

(37) بن زكريا، ابي الحسن احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، م5، بيروت، 1979 دار الفكر، ص321

(38) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت \ 1955) ص 342

(39) الخطاط، سلمان وصاحب محسن، زهير، تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين (بغداد \ 1987) ص 100 – 101

(40) بايك، وريستن، قصة الآثار الاشورية، ترجمة يوف داؤود عبد القادر، بغداد، 1972، ص 119 .

(41) Wiseman D.J " Anew Stala of Assure – Nasir – Pal Il. Iraq. XIV, London (1959) PP.24-44.

(42) مورتكات، أنطوان، المصدر السابق، ص 364

(43) Wiseman D.J, ibid. PP: 32-33.

(44) Oppenheim, A. Leo, Babylonian and Assyrian Historical Texts' ANET, PP 277-281

(45) Oppenheim, A. Leo, ibid. PP: 284.

(46) شيت، أزهار هاشم، الدعاية والإعلام، المصدر السابق، ص85.

(47) مورتكات، أنطوان، المصدر السابق، ص 364

(48) بارو، اندريه، باريس، 1961، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد 1980، ص 133 .

(49) ساكز، هاري، قوة آشور، لندن 1984، ترجمة عامر سليمان، بغداد، 1999، ص 118 .

(50) سفر، فؤاد، وميسر سعيد العراقي، عجائبات النمرود، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1987، ص 11 .

العبيدي، نزار عبد اللطيف أحمد، المنحوتات العاجية المكتشفة في بلاد آشور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2011، ص 105. 70

(51) مظلوم، طارق عبد الوهاب، فن النحت المدور والبارز والنحت على العاج موسوعة الموصل الحضارية، ج1، موصل، 1991، ص458.

(52) Mallowan. M. "The Mona Lisa of Nimrud" Iraq XXV. London pt.1 (1963) PP: 1-5.

المصادر والمراجع:

- سفر، فؤاد، وميسر سعيد العراقي، عاجيات النمرود، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1987.
- سوسة، احمد، مشروع الارواء لسنحاريب في نينوى، مجلة المجمع العلمي العراقي 1962 ع9، ص
- شيت، أزهارهاشم، الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث، 911-612 ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000.
- عبد القادر، إبراهيم مصطفى احمد الزيات حامد، المعجم الوسيط ، د.ت.
- عبد الله، يوسف خلف، صفوف الجيش الآشوري، الجيش وال سلاح، ج1، بغداد، 144، 1988.
- العبيدي، نزار عبد اللطيف احمد، النحت البارز في عهد الملك اشور بانيبال رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، 1987.
- العبيدي، نزار عبد اللطيف أحمد، المنحوتات العاجية المكتشفة في بلاد آشور، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 2011
- العزاوي، عبد الستار، ظهور الثور المجنح على تل النبي يونس (عليه السلام) مجلة سومر، 45 بغداد 1987 – 1988.
- لويد، ستين، فن الشرق الادنى القديم، ترجمة محمد درويش – دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1988.
- محمد على، ياسمين عبد الكريم، المنحوتات الجدارية خلال عصر السلالة السرجونية دراسة تحليلية بين النص المسماري والمشهد الفني، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل 2011
- مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، نمرود والكنوز الذهبية، موصل 1989
- احمد، سهيلة مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد بابل واشور، أطروحة دكتوراه جامعة الموصل 2000
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ج4، بيروت، د.ت
- بارو، اندريه، باريس، 1961، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد 1980 .
- الباشا، حسن، تاريخ الفن في العراق القديم، بغداد 1965
- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، ج1، ط1، بغداد، 1973 .
- بايك، وريستن، قصة الآثار الآشورية، ترجمة يوف داؤود عبد القادر، بغداد، 1972 .
- البياتي، امته فاضل، الروح الحامية (لاماسو) في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الاثرية، رسالة ماجستير، بغداد، 2001
- جرك، اوسام البحر، تأثير فنون بلاد وادي الرافدين على الفنون الحديثة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، 2004
- الحديدي، احمد زيدان خلف، الحملات العسكرية الآشورية الى الجهات الغربية (883 – 626 ق.م) في ضوء المشاهد الفنية، دراسات موصلية، ع 21، 2008
- حمود، حسين ظاهر، المنحوتات الجدارية من وسائل الاعلام عند الآشوريين، ادأب الرافدين، ع31، (1998)
- الخطاط، سلمان وصاحب محسن، زهير، تاريخ الفن القديم في بلاد الرافدين (بغداد \ 1987)
- الدوري، رياض عبد الرحمن، آشور – بانيبال (669-627 ق.م)، سيرته ومنجزاته، بغداد، 2001
- ساكز، هاري، قوة آشور، لندن 1984، ترجمة عامر سليمان، بغداد، 1999 .



الشكل 1: أدوات النحت التقليدية - أحمد، سبيلة مجيد، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد بابل
واشور، أطروحة دكتوراه جامعة الموصل 2000



(الشكل 2) تمثال الملك اشورناصربال الثاني نقلا عن: Reade, J., Assyrian sculpture, British, 1983



(الشكل 3) الملك اشور بانينبال يحتفل بالنصر نقلا عن مورتكات انطون مصدر سابق لوح 287 ص 430



(الشكل 4) رياضة صيد الاسود، Reade, J., Assyrian sculpture, British, 1983

مصطفى، اسراء عبد السلام، منحوتات الحيوانات المركبة في بلاد الرافدين ووادي النيل (نماذج منتخبة) أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2، 2011
مظلوم، طارق عبد الوهاب، (فن النحت)، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد (1)، 1991
مورتكات أنطون، الفن في العراق القديم، ميونيخ، 1966، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1975

يوحنا، مجيد كوركيس، الفارس الاشوري في النحت البارز رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1983
يوحنا : مجيد كوركيس، النحت البارز في عصر سرجون الاشوري 721 – 705 ق.م، اطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد 1999

المصادر الأجنبية:

Curtis, J.E., and Reade, J.E., Art and Empire, British Museum, Paris 1995,
Frankfort, H., The Art and Architecture of The Ancient Orient, New York, 1977 .
Leichty, E., The Royal Inscriptions of Esarhaddon, King of Assyria (680-669B.C), Vol. 4, Indiana, 2011, P. 107.
Mallowan . M. " The Mona Lisa of Nimrud " Iraq XXV. London pt.1 (1963) PP: 1-5 .
Oppenheim, A. Leo, Babylonian and Assyrian Historical Texts' ANET, PP 277-281
365Reade, J., Assyrian sculpture, British, 1983, p
Strommenger, E., The Art of Mesopotamia, London, 1964, p.188
Wiseman D.J " Anew Stala of Assure – Nasir – Pal II. Iraq . XIV, London (1959) PP.24-44 .



Oppenheim, A. Leo, Babylonian and Assyrian (الشكل 8) مسلة شلمنصر الثالث نقلا عن
Historical Texts' ANET



Frankfort, H., The Art and Architecture of The (الشكل 5) المخلوقات المركبة نقلا عن :
Ancient Orient, New York, 1977 .



Oppenheim, A. Leo, Babylonian and (الشكل 9) مسلة شمشي ادد الخامس نقلا عن
Assyrian Historical Texts' ANET



(الشكل 6) مسلة الملك توكلتي نينورتا الثاني نقلا عن: بايك . وريسن . قصة الآثار الآشورية .
ترجمة يوف داوود عبد القادر . بغداد . 1972 . ص 119



Mallowan . M. " The Mona Lisa of Nimrud " نقلا عن (الشكل - 10) النحت على العاج
Iraq XXV



Wiseman D.J " Anew Stala of Assure — (الشكل 7) مسلة اشور ناصربال الثاني نقلا عن
Nasir — Pal II. Iraq . XIV

مدينة القصر الإسلامية عبقرية الزمان والمكان وأثرها على الإبداع

الأستاذ المساعد الدكتور محمود محمد صالح

مدير منطقة آثار شرق الداخلة بالوادي الجديد/ جمهورية مصر العربية

مقدمة

محفرًا للإبداع أو عائقًا له. هنا نستعرض كيف يمكن

للمكان أن يؤثر على الإبداع من خلال عدة عوامل:

1- البيئة الطبيعية

- الطبيعة والهدوء: البيئات الطبيعية مثل الحدائق والغابات والشواطئ توفر هدوءًا وسلامًا داخليًا يساعد على التركيز والإلهام، النظر إلى المناظر الطبيعية يمكن أن يحفز التفكير الإبداعي ويخفف التوتر.

- التنوع البصري: البيئات الطبيعية المتنوعة بمشاهدها وألوانها وأشكالها يمكن أن تكون مصدر إلهام للفنانين والمبدعين من خلال توفير مواد بصرية غنية ومتنوعة.

2- البيئة العمرانية

- المدن والمناطق الحضرية: المدن الكبيرة والمناطق الحضرية توفر تنوعًا ثقافيًا واجتماعيًا، ما يعزز التفاعل الاجتماعي والأفكار المتبادلة. المشاهد الحضرية المتنوعة والتفاعل مع الآخرين يمكن أن يولد أفكارًا جديدة وإبداعية.

- المباني التاريخية والأثرية: المواقع التاريخية والأثرية، مثل المباني القديمة والآثار، توفر إحساسًا بالتراث

لا شك أن القيمة المعمارية هي قيمة تولد مع

ميلاد العمل الفني أو المعماري، وتعتمد على إضافة البعد الغير مادي للعمل المعماري كفلسفة أو فكرة، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالطابع العام والقدرات الإبداعية والتعليمية المتفردة وقد تتوازي مع القيمة التاريخية، ومن هنا ظهر اهم الاعتبار التي تؤكد القيمة الإبداعية علي النحو التالي:-

- أن تتجلى في العمل ملامح الابداع والابتكار والتشكيل المتميز

- أن يمثل المبنى عملاً فنياً بارزاً ذو خصائص معينة لمعماري عالمي

- أن يعكس المبني ثقافة المجتمع والطابع المحلي المتميز بعناصره من مفردات وتشكيل

- أن يحقق المبني علاقة متميزة مع المكان فيمثل إضافة للمحتوي الذي يولد فيه سواء كانت البيئة المحيطة به

المكان والابداع

المكان له تأثير كبير على الإبداع⁽¹⁾ والقدرة على التفكير

بشكل خلاق. البيئة التي نعيش ونعمل فيها يمكن أن تكون

والثقافة يمكن أن يكون مصدر إلهام للأدباء والفنانين.

3- البيئة الاجتماعية

- **التفاعل مع المجتمع:** العمل في بيئة تشجع على التفاعل والتعاون بين الأفراد يعزز الإبداع من خلال تبادل الأفكار والآراء المختلفة، المجتمعات التي تدعم الفن والإبداع وتوفر منصات للعرض والمشاركة تساهم في تعزيز الإبداع.
- **الدعم والتشجيع:** الأماكن التي توفر دعماً وتشجيعاً للمبدعين، سواء من خلال التمويل أو الفرص، تحفز الأفراد على الاستمرار في أعمالهم الإبداعية.

4- البيئة الثقافية

- **الثقافة المحلية:** التراث الثقافي والتقاليد المحلية يمكن أن تكون مصدر إلهام كبير للمبدعين. الثقافات المتنوعة توفر مفردات وأفكار فريدة يمكن دمجها في الأعمال الإبداعية.
- **الفنون والموسيقى:** الأماكن التي تحتوي على مسارح، متاحف، ومعارض فنية توفر فرصاً للإلهام وتبادل الأفكار الفنية.

5- التصميم الداخلي

- **المساحات المريحة:** تصميم المساحات الداخلية يؤثر على الراحة النفسية والإبداع. المساحات المفتوحة والمرتبطة جيداً تعزز التفكير الواضح والإبداع.
- **الألوان والإضاءة:** الألوان الزاهية والإضاءة الطبيعية تعزز المزاج الإيجابي والإبداع. الإضاءة الجيدة تساعد في تقليل الإجهاد البصري وتحسن التركيز.

المتأمل لعمارة المدينة الإسلامية يجد أنها كانت واضحة وجلية تعكس خصائص الإنسان ومزايه المادية والبيئية والاجتماعية، أما اليوم وبفضل المتغيرات التي حدثت للمدينة انتشرت المباني الخرسانية وتشوهت عمارة المدينة وأصبحت امتداداتها عشوائية تشابه تماماً العشوائيات الموجودة في المدينة بحيث أصبح في فكر ومفهوم السكان أن البناء بالمواد المحلية تخلفاً بينما البناء بالخرسانة والطوب الأحمر من سمات التقدم والحضارة على الرغم من فشل هذه العشوائيات وعدم ملاءمتها لاحتياجات ومتطلبات المجتمع. لذلك فإن عمارة المدينة الآن لا تمثل استمراراً طبيعياً لانعكاس المقومات البيئية والحضارية للمجتمع بحيث أصبح الوضع المعماري في كثير من جوانبه بعيداً عن الواقعية حيث يتنافى وظروف وبيئة القرية وأيضاً قد لا يعكس إظهار البيئة الصالحة للنمو الروحي والمعنوي للمجتمع الريفي من خلال قيمه وعاداته واحتياجاته، لأن عملية البناء في القرية تتم بدون اتباع خطة منهجية تربط الاستمرار الحضاري بين الماضي والحاضر⁽²⁾.

ومن أهم الامثلة للمدن الاسلامية بالواحات الداخلة التي يتجلى فيها الابداع المعماري ومدى مهارة المعمار الواحاتي ويظهر ذلك واضحاً في التصميم المعماري وتاريخها وكذلك اهم العمائر التي توجد بها وهي على النحو التالي:

لقد أتاحت عبقرية الانسان المصري له ان يمتد بعمرانه الى الصحراء المحيطة بالنهر، حيث تفاعل مع الطبيعة الصحراوية واكتشف الموارد الطبيعية الحقيقية لهذه الصحراء، وكان هناك العديد من المدن وغيرها من مراكز الاستقرار البشري التي انتشرت حول مقومات



موقع مدينة القصر الإسلامية

أصل التسمية

تعددت الآراء حول تسمية المدينة بمدينة القصر

لفظ القصر يشير في العربية إلى معان متعددة فإما يطلق على بلدة بأكملها كحال بلدة القصر أو إما يشير إلى بناء قائم بذاته يتميز بتحصيناته القوية وجدرانه المرتفعة وبنائه الفخم وكذلك نعتت به المنشآت الصحراوية التي أنشأها الحكام والأمراء الأمويون بصفة القصر واستمرت التسمية بذات المعنى في العصور التالية سواء في مصر أو غيرها من الولايات العربية والإسلامية وأطلقت على مباني الحكام والأمراء وعلية القوم من المشايخ والتجار، ومن هذا يتضح أن مفهوم القصر قد أخذ ثلاث أبعاد فاطلق على بلدة بأكملها مثل بلدة القصر، وأطلق على منازل ودور العلية من القوم خاصة الحكام والأمراء والأعيان وكبار التجار، ولأنها كانت عاصمة للداخلية لفترة وكانت أيضا بها الكثير من الأمراء في العصر العثماني، ويؤكد ذلك ما عثر عليه من نصوص إنشائية على أعتاب بعض أبواب المنشآت.

الحياة في الصحراء من مياه وادوية ومحاجر وطرق ودروب وغيرها، فقد توفرت في هذه المدن عوامل قيام المجتمع البشري وأسباب التنمية في مثل هذا المجتمع، وفي العديد من مدن الواحات المصرية التقى الحاضر بالماضي التليد ليرز التزام الصحراء بقانون العمران البشري منذ عصور ما قبل الإسلام، ثم يأتي العصر الإسلامي ليسطر إضافات الفكر الإسلامي السليم لقانون العمران البشري ووضع بنوده وعوامل التنمية المستدامة التي انبثقت من امتزاج الحضارات القديمة بما تلاها من حضارات كما هو الحال في مدينة القصر الإسلامية بالداخلية، وتعد فكرة الاستفادة من هذه المنظومة المعمارية بكل مقوماتها الاجتماعية والاقتصادية والدينية والدفاعية وتكرارها في موقع آخر هي ثمرة التقاء الحاضر بالماضي .

موقع المدينة

تقع مدينة القصر الإسلامية⁽³⁾ في الطرف الشمالي الغربي لمدينة موط على بعد 35 كم من مركز الداخلة والوصول إليها من الطريق المتجه إلى الفرافرة وقد هيا لها موقعها أهمية تاريخية منذ القدم نظرا لكونها نقطة التقاء لعدة دروب قديمة وكانت بمثابة الطرق الخاصة بالقوافل التجارية وللغزاة والفاحين خاصة إلى بلاد المغرب كان ذلك له تأثير على تنشيط التجارة وحركة التبادل التجاري والثقافي بها وساعد بالتالي على نقل كثير من التأثيرات المعمارية إليها واستقرار بعض الحرفيين بها ومساهماتهم في النشاط المعماري كما كان لهذا الموقع تأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي بدورها كان لها تأثير كبير أيضا على العمارة في القصر⁽⁴⁾

فخارية تعود إلى العصر الفاطمي وكذلك وجدت أحجار مصطفة طويلة وفوالق خشبية عرضية وهي ربما أساسات المباني القديمة كما عثر بالمدينة على صنجة زجاجية لسك العملة مسجل عليها اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (27-487) هجرية وهي محفوظة بمخزن المنطقة تنوعت عمارة مدينة القصر فنجد العمائر الدينية والعمائر المدنية والعمائر الجنائزية والعمائر الدفاعية⁽⁶⁾.



صورة (2): مدينة القصر الإسلامية ويظهر بها المنازل والمساجد

عمارة مدينة القصر

ومدينة القصر الإسلامية نشبه في نشأتها العواصم الإسلامية المبكرة في مصر من حيث أنها خططت تبعاً للعائلات التي كانت تسكنها، فإذا كانت مدينة الفسطاط خططت بحيث كانت هناك حارة لأهل الراية وحارة للفراسيين وحارة لبني يشكر وغيرهم فإن مدينة القصر خططت أيضاً تبعاً للعائلات التي سكنتها مثل عائلة الدينارية والشهابية والقرشية وغيرهم.



صورة (3): منزل عبد الحافظ العمدة

وكذلك كان بها قصر لآل عبدون حكام الواحات وملوكها وحول القصر منازل لحاشيتهم وذلك كما ذكر في كتاب الأرض لابن القصب سنة 397 هجرية.



صورة (1): منظر عام لمدينة القصر الإسلامية

تاريخ المدينة

لم يرد ذكر للواحات في مصدر إلا وكانت القصر في مقدمة بلدانها لمالها من أهمية وشهرة وقد أشارت بعض هذه المصادر إلى القصر بأنها كانت مصر "العاصمة"، ووصفها بأنها مسورة وورد ذكره على أنها مدينة.

وقد ذكرت في كتاب الأرض لابن القصب سنة 397 هجري أوائل العصر الفاطمي حيث ذكر أن القصر مدينة بالداخلية وأن بها قصر لآل عبدون حكام الواحات في ذلك العصر وملوكها وحول القصر مساكن لآل عبدون وحاشيتهم كما ذكرت أيضاً في كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب للبكري⁽⁵⁾ حيث جاء بأن القصر حصن بالداخلية في وسطه عين ماء ثرثار تتشعب فيه الأنهار وترجع معظم أثار مدينة القصر الإسلامية إلى العصر العثماني حيث أن أقدم لوحة تأسيسية باقية في المدينة تعلو مدخل أحد المنازل ومسجل عليها تاريخ 909 هجرية أواخر العصر المملوكي إلا أن القصر ترجع إلى عصور قديمة وذلك نتيجة للتراكم الحضاري والدليل على ذلك ما أسفرت عنه أعمال الحفائر عن شقافات من فخار مطلي عبارة عن كسر أواني فخارية تعود إلى العصر المملوكي كما عثر على كسرات

مادة البناء: استخدم الطوب اللبن كمادة بناء والسقف من افلاك وجريد النخيل وكذلك خشب السنط والزيتون .
الوظيفة : مسجد ومدرسة.



صورة (5): مئذنة جامع نصر الدين والضريح الملحق تظهر من بين الحارات وشوارع المدينة

العمارة الجنائزية :

تمثلت المنشآت الجنائزية في بلدة القصر في مجموعة المقابر الباقية في كل من الجبانة الشرقية والغربية وكلاهما يقعان في الشمال الشرقي والشمال الغربي من الكتلة السكنية، حيث شهدت القبور في منطقة التلال والتي أتخذ بعضها لإقامة ضريح أو أكثر عليها حيث يعطي ذلك للقبعة مظهر الضخامة والارتفاع وكذلك ضريح الشيخ عماد الدين وضريح الشيخ أبو حمام وهما يقعان خارج نطاق الجبانتين ومستقلين عنها، أحدهما وهو ضريح الشيخ أبو حمام يقع إلى الغرب من المدينة القديمة، والآخر وهو ضريح الشيخ عماد الدين الذي يقع جنوب البلدة (المدينة القديمة) أضف إلى ذلك ضريح الشيخ نصر الدين وهو مدمج بالجامع



صورة رقم (4) مسجد ومأذنة نصر الدين بمدينة القصر

العمارة الدينية:

تعتبر المنشآت الدينية من أكثر المنشآت العامة أهمية في المدن الإسلامية وتعد المساجد والمساجد الجامعة علي رأس هذه النوعية من المنشآت .وفي مدينة القصر يلاحظ أن عدد المساجد الجامعة يبلغ خمسة مساجد، أربعة منها مازالت قائمة، وتتركز جميعها في الجانب الجنوبي من المدينة وتتمثل في جامع الحمية القرشية وجامع الشيخ نصر الدين "الأشراف" والجامع القديم "الشهابية" وجامع وضاح الجزارين " أما الجامع الخامس المندثر حاليا فكان بالجانب الشمالي الشرقي من المدينة ويذكر أنه كان ملحقا به ضريح غير أنه اندثر حاليا .

جامع الشيخ نصر الدين .:

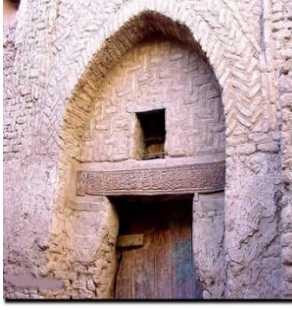
الموقع : يقع في منتصف الجانب الجنوبي من مدينة القصر الإسلامية .

المنشي: وصلنا أسم مجدد المسجد درويش علي افندي حاكم الواحات .

تاريخ الإنشاء: غير معروف أما تاريخ تجديده فكان عام 1273هـ.

مكونات المسجد: يتكون من المسجد والضريح الملحق به ومئذنة منفصلة عن المسجد كما يضم حجرة ملحقة به الجانب الشمالي الغربي .

مساحة المسجد: تبلغ (12م×13,5م)



صورة (7): نماذج للمنازل بمدينة القصر الإسلامية

المحكمة

تنوعت الآراء حول هذه المنشأة فمنهم من يقول انها أنشأت كمدرسه ومنهم من يقول انها أنشأت كمحكمة ومنهم من يقول انها أنشأت كمدرسه واستخدمت فيما بعد كمحكمة.

المعروف بجامع نصر الدين، أي أن هناك نوعين من الأضرحة وجدا في مدينة القصر الإسلامية :-

النوع الأول:- أضرحة مستقلة بذاتها :-

وتشتمل على الأضرحة الموجودة بالجانبين الشرقية والغربية والأضرحة الموجودة خارج الجانبين مثل ضريح الشيخ حمام والشيخ عماد الدين .



صورة (6): منظر عام للأضرحة بمدينة القصر الإسلامية

النوع الثاني:- أضرحة مدمجة بمباني :-

مثل ضريح الشيخ نصر الدين المدمج بجامع الشيخ نصر الدين.

العمارة المدنية

تنوعت العمارة المدنية في مدينة القصر الإسلامية ما بين المنشآت التجارية مثل الحوانيت والطواحين وكذلك المنشآت السكنية (المنازل) .



صورة (9): استخدام الزخارف الإسلامية لتشكيل الواجهات

العمارة الدفاعية:

يلتف حول المدينة سور كبير ويفتح به أربعة ابواب بالجهة الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية البوابات جمع بوابة وهي الكتلة المعمارية التي تؤدي إلى آخر الشوارع الرئيسية بالمدينة وتطل على الفضاء الخارجي، وقد ورد بالنصوص الإنشائية التي تعلو مداخل الحارات والطرق المتنوعة منها الدروب والأزقة مما يدل على ذلك حيث يلاحظ أن مصطلح بوابة وكذلك درب يشير إلى مثل هذه النوعية من المنشآت ومن البوابات العامة:.

بوابة آل مبارز: تقع بالجانب الغربي من المدينة عليها نص إنشائي يحمل تاريخ 1198هـ. وهي تفتح على خارج المدينة وكذلك بوابة الأمير/ محمود جريجي بتاريخ 1108هـ. وتقع بالجانب الجنوبي من المدينة، ومن الدروب دربي مبارز الشمالي والجنوبي الأول يقع إلى الجنوب من بوابة مبارز العمومية أما الثاني فيبعد عن الأول بحوالى 20 متر إلى جنوب، وكذلك درب الحبانية وغيرهم من الدروب، إلا أن أهم وسيلة للدفاع عن المدينة وهو بنائها فوق رابية مرتفعة⁽⁷⁾.

وقد تجسدت في عمارة مدينة القصر الإسلامية مختلف فنون العمارة الدينية مثل مئذنة وجامع



صورة (8): مبني المحكمة من أهم المباني بمدينة القصر

العمارة السكنية:

ومنها علي سبيل المثال منزل القرشي:

الموقع : يقع منزل القرشي بحارة الشهابية إلى جوار بيت القاضي وقد قامت البعثة الكندية بأعمال الترميم والصيانة لهذا المنزل وكذلك عمليات النظافة وذلك في موسم 2004م.

التخطيط العام : يحتوي على منور كشوف يعتبر متنفس لداخل الدار كما يتضمن مجموعة من الملاحق والحجرات والحواصل أيضا تعددت الطواحين والعصارات والحوانيت بالمدينة .

نصر الدين من العصر العثماني وكذلك العمارة الجنائزية مثل ضريح الشيخ عماد الدين، وأكثر العماائر الباقية هي العمارة المدنية مثل المقاعد و المنازل والحوانيت وطواحين الحبوب وعصارة الزيتون، ومعظم هذه العماائر تعود إلى العصر العثماني التركي، وحتما فان المدينة لا تخلو من الآثار الإسلامية المبكرة، فهناك جدار قبلة لمسجد بالجزء الجنوبي من المدينة يذكر انه يعود للقرن الأول الهجري، كذلك كشفت بعثة المعهد الهولندي بمدین القصر عن قطع أثرية ترجع إلى العصر الفاطمي وكذلك العصر المملوكي⁽⁸⁾.

توفر لبلدة القصر الإسلامية عوامل قيام المجتمع البشري الامن المتضمنة ذلك النسيج المعماري الملائم لحماية ساكنيها من العوامل البشرية والبيئية على حد سواء ويعزي ذلك الى التزامها بشروط اختيار موقعها ونظام بنائها التي حددها الفكر الاسلامي منذ بداية العصر الاسلامي.

أشار ابن الربيع في الشروط الواجب توافرها في اختيار موقع المدينة الإسلامية وحددها في ستة شروط هي "سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميرة المستمدة، واعتدال المكان وجودة الهواء، والقرب من المرعى والاحتطاب، وتحصين منازلها من الأعداء والذعار، وأن يحيط بها سور يعين أهلها ويذكر ابن الأزرقي أن الذي يجب مراعاته في أوضاع المدن أصلان مهمان : دفع المضار وجلب المنافع، وذكر أن من أمور دفع المضار هو دفعها بإدارة سياج الأسوار على المدينة، ووضعها في مكان ممتنع، إما على هضبة متوعدة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر منها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على

العدو ويتضاعف تحصينها، ويذكر ابن الأزرقي في جلب المنافع للمدينة أنه يكون بمراعاة عدة أمور هي الماء، وطيب المرعى السائمة وقربه، وقرب المزارع الطيبة، والشعراء (أي الشجر) للحطب والخشب، وقربه من البحر⁽⁹⁾.

ومن مظاهر التزام العمارة في هذه المدينة الإسلامية بالتقاليد الدينية والفكر الاسلامي هو نظام تنكيب الأبواب، وفي نظام تنكيب الأبواب يذكر ابن الرامي "يقال لمن فتح بابه مقابل باب آخر نكب قليلا عن جارك، إلا أن تكون السكة واسعة جدا حتى لا يرى من الباب المفتوح إلا ما ترى من السكة، فله أن يفتح حيث يشاء" وعن مقدار ومسافة التنكيب يذكر ابن الرامي "قال حبيب: قلت له: وما حد التنكيب، أيكون زراعا أو زراعين؟ قال: بقدر ما يرى أن الضرر قد زال عن الدار التي تقابله⁽¹⁰⁾.

خصائص التخطيط العام لمدينة القصر الإسلامية :-

1- تأثر التخطيط بالتقاليد الدينية الإسلامية على

النحو التالي :-

- عدم تقابل مداخل المنازل:

إن إيجاد المنازل في الحارة بحيث لا تتقابل مدخلها فلا يرى ساكني البيت المقابل، فهو نابع من روح الدين الإسلامي والسنة النبوية محافظة على حرمة المنازل.

- الأزقة غير النافذة:

أي التي تطل عليها مجموعة من المنازل ولا ترتبط بأي من الدروب أو الأزقة الاخرى فهي مقتصرة على أصحاب المنازل المطلة عليها أي أنها مسدودة فلا يسير فيها المارة وهي بذلك تحافظ على حرمانية هذه المنازل .

- المداخل في سمت الجدار :

بمعني انه لا توجد مداخل بارزة تعوق حركة المارة.

2- تأثر التخطيط بالتقاليد الاجتماعية كما يلي:

إن عادة أهل المدينة في حل مشاكلهم التي تطرأ بينهم داخليا دون اللجوء إلي الفضاء فهو تقليد اجتماعي واجب إيجاد أماكن لاجتماعاتهم فيه وحل مشاكلهم وقد وجدت بمدينة القصر الإسلامية تلك الساحات لاجتماع أهل المناطق الأربعة لحل مشاكلهم.

3- تأثير التخطيط بالظروف البيئية:

لعل أهم وبرز تلك الظروف البيئية هي ظروف المناخ الشديد الحرارة صيفا . الأمر الذي دفع المعمار إلى محاولة تلطيف درجة الحرارة في الحارات والشوارع وبالتالي تلطيف درجة حرارة المنازل مما فرض على العمارة مادة البناء من الطوب اللبن بادئي ذي بدء، لما له من خاصية في تلطيف درجة حرارة الصيف، كما اوجب أيضا وجود سقائف والملاقف داخل الحارات والشوارع لتوفير الظل والهواء. أضف إلى ذلك خاصية ارتفاع المنازل (طابقين أو ثلاث)، مع ضيق الشوارع (1.50 م : 2.25 م هي خاصية ذات أهمية في توفير الظل المطلوب للحارة أو الشارع معظم اليوم الأمر الذي يؤدي إلى تلطيف درجة الحرارة . وانه في البلدان التي تقع في نطاق الإقليم الصحراوي كما هو الحال في بلدان الواحات ومن بينها القصر ولوحظ فيها أن اتجاه الشوارع يغلب عليها أن يكون الاتجاه من الجنوب إلى الشمال، عكس اتجاه حركة الشم، فلا تغطي الشمس هذه الشوارع كما أنها تستقبل الهواء البارد، حيث إن حركة الرياح في مصر من الاتجاه الشمالي الغربي في فصل الصيف وهي فترة طويلة نسبيا في المنطقة .

• وحيث أن المدينة ضاربة في عمق التاريخ الإسلامي من حيث القدم والأهمية فإن المدينة تعرضت على مدى الفترات المنية الطويلة للعديد من العوامل المؤثرة على الآثار القائمة بها حيث العوامل الطبيعية كالتقادم المني – العوامل البشرية المتمثلة في العامل البشري - العوامل المناخية كالتغير في درجات الحرارة صيفاً وشتاءً حيث المناخ الصحراوي الجاف حيث تصل درجات الحرارة نهائياً إلى 50 درجة مئوية

الخاتمة:

○ بعد استعراض الوصف المعماري لمدينة القصر الإسلامية ويتجلى مدى الابداع في عمارة مدينة القصر الإسلامية وظهر ذلك واضحا في التصميم المعماري

○ تجسدت في عمارة مدينة القصر الإسلامية مختلف فنون العمارة الدينية مثل مئذنة وجامع نصر الدين من العصر العثماني وكذلك العمارة الجنائزية مثل ضريح الشيخ عماد الدين، وأكثر العماائر الباقية هي العمارة المدنية مثل المقاعد و المنازل والحوانيت وطواحين الحبوب وعصارة الزيتون، ومعظم هذه العماائر تعود إلى العصر العثماني.

استخدام الزخارف في واجهات المباني بالمنازل والمساجد والاضرحة وظهر مدى مهارة المعمار الواحاتي وبراعته في ذلك.

- ناحية كفر الزيات، وقصر هور ناحية ملوي، وقصر الصياد ناحية نجح حمادي قنا.
- (6) محمد التداوي: الواحات المصرية جنان الصعيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص 65
- (7) محمود محمد مسعود، العمارة الدفاعية الباقية بواحي الداخلة والخارجة في العصرين البيزنطي والاسلامي، دراسة اثارية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2017م، ص 67
- (8) عائشة التهامي، سليم فاروق: قرية القصر الاسلامية بواحة الداخلة دراسة أثرية سياحية، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، العدد 13، سبتمبر 2019، ص 23
- (9) ابن الأزرقي، محمد بن علي بن محمد الأصبغي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة 2007م، ص 699، 701.
- (10) محمود محمد مسعود، المرجع السابق.

- (1) الإبداع: هو عملية توليد أفكار أو منتجات جديدة ومفيدة، حيث يتمثل في القدرة على التفكير بطرق جديدة ومبتكرة للتوصل إلى حلول أو مفاهيم أو أعمال غير تقليدية. يمكن أن يظهر الإبداع في مختلف المجالات مثل الفن، الأدب، العلوم، التكنولوجيا، والأعمال، يتميز الإبداع بخصائص معينة
- (2) احمد منصور حمادة. العمارة التلقائية والتوافق البيئي دراسة حالة قرية أبو الريش بأسوان. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، 2004م، ص 59
- (3) لقد كان من بين هذه القوافل التجارية، والتي خصص لها مقعد لاستقبالها وإقامتها في القصر قافلة الفرافرة، حيث شيد لها مقعد الفرافرة، والذي يقع في الشمال الغربي من الكتلة التراثية، سعد عبد الكريم شهاب، عمارة بلدة القصر، ص 12.
- (4) ياسر حنفي محمد: تقرير عن مدينة القصر الاسلامية، ص 4
- (5) في القاموس الجغرافي ورد ذكر العديد من البلدان باسم القصر غير أن العديد منها نسبه إلى قصر أحد الوجهاء، وورد به قصر ناحية الواحات البحرية، وقصر ناحية أنبوب مديرية أسيوط، وقصر ناحية الواحات الداخلة، يتبعها أربعة توابع وعدد سكانها 3758) وناحية القصر مركز الكنوز مديرية النوبة، وقصر ذو الفقار باشا عزبة سراياي رشيد البحيرة، وقصر أبو الدود ناحية سحالي أبو حمص بحيرة، وقصر البايوطى سكة الواحات البحرية بسيوة مديرية البحيرة، وعزبة القصر العالية حلوان الجيزة، وقصر بغداد ناحية بلاد تلا المنوفية، وقصر حيدر ناحية مركز ديروط أسيوط، وقصر رشوان ناحية عزبة عريان ناحية طامة سنورس الفيوم، وقصر شان عزبة ناحية سيلة الفيوم، وقصر عمر محجوب، وقصر ملوم بك السعدي عزبة بمركز الفشن، وقصر منصور عزبة ناحية أبشواي الفيوم، وقصر نصر الدين

المراجع العربية

- ابن الأزرقي، محمد بن علي بن محمد الأصبغي،
بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق تعليق: علي
سامي النشار، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الناشر
دارالسلام للطباعة والنشر، القاهرة 2007م.
- حمد منصور حمادة. العمارة التلقائية والتوافق
البيئي دراسة حالة قرية أبو الريش بأسوان. رسالة
ماجستير غير منشورة، قسم العمارة، كلية
الهندسة، جامعة أسيوط، 2004م.
- سعد عبد الكريم شهاب، عمارة بلدة القصر،
2009.
- ياسر حنفي محمد: تقرير عن مدينة القصر
الاسلامي.
- محمد التداوي: الواحات المصرية جنان الصعيد،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.
- محمود محمد مسعود، العمارة الدفاعية الباقية
بواحي الداخلة والخارجة في العصرين البيزنطي
والاسلامي، دراسة اثارية تحليلية، رسالة دكتوراه
غير منشورة، كلية الاداب، جامعة طنطا، 2017م.
- عائشة التهامي، سليم فاروق: قرية القصر الاسلاميه
بواحة الداخلة دراسة أثرية سياحية، المجلة الدولية
للتراث والسياحة والضيافة، العدد 13، سبتمبر
2019

الحفر الفني: تعبير عن الذات والواقع، نبيل الصوّابي أنموذجا

الدكتور سامي عافي

باحث في الفنون التشكيلية جامعة القيروان/ الجمهورية التونسية

الكلمات المفتاحية: الحفر الفني، الذات، الواقع، التجريد، الرمزية.

التلخيص:

يهدف هذا المقال الى ابراز الدور المهم للحفر الفني كوسيلة فعالة للتعبير عن الذات والواقع، حيث يمكن للفنانين من خلاله نقل تجاربهم الشخصية ومشاعرهم وأفكارهم والتعبير عن واقعهم الاجتماعي والسياسي وتسلط الضوء على عدة قضايا، ويعتبر نبيل الصوّابي أحد الفنانين الذين استخدموا الحفر الفني للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم دون التغافل عن واقعهم الاجتماعي والسياسي الذي تفننوا في التعبير عنه من خلال جملة من التقنيات الحفرية المختلفة.

مقدمة:

منذ أن بدأ الإنسان في التعبير عن ذاته عبر الفن، شكلت الوسائل التقنية في التعبير عن الأفكار والأحاسيس ركيزة أساسية لخلق الروابط بين الذات والعالم المحيط. ويعد الحفر الفني أحد أقدم تقنيات الطباعة التي استخدمها الفنانون عبر التاريخ، ولقد شهد

هذا المجال تطورا مهما منذ العصور الوسطى الى يومنا هذا. ويعد الفنان التونسي نبيل الصوّابي أحد الأسماء البارزة في هذا المجال، حيث استطاع أن يعبر عن رؤيته الفنية والجمالية من خلال أعماله التي تنطوي على استكشاف عميق للذات والتفاعل مع الواقع.

فكيف يمكن إذا للحفر الفني أن يعكس تجربة الفنان الشخصية والواقع السياسي والاجتماعي بطريقة تعبيرية وفعالة مع الحفاظ على التوازن بين الإنتاج التشكيلي والقضايا المطروحة؟ و الى أي مدى يمكن للحفر الفني ان يعبر عن الذات و الواقع؟

1 الفنان نبيل الصوّابي: لمحة عن سيرته ومسيرته الفنية:

الأستاذ نبيل الصوّابي فنان تونسي من مواليد 1972. تميز بأسلوبه الفريد الذي جمع بين تقنيات الحفر التقليدية والرمزية الحديثة وعلى الرغم من أن الصوّابي بدأ مسيرته الأكاديمية في مجال الفنون الجميلة بتونس كنحات، إلا أنه سرعان ما اكتشف الحفر كأداة قوية للتعبير عن رؤيته الداخلية والعالمية. اشتهر الصوّابي

بتقنيات الحفر على الخشب والنحاس، حيث يلتزم بتصميمات متقنة ومعبرة تركز على الرمزية والمجال.

اهتم نبيل الصوّابي منذ بدايته بمفهوم "الذات" وكيفية تفاعل الإنسان مع محيطه الاجتماعي والسياسي. شكلت هذه القضايا محور اهتمامه التي غالبا ما تندمج فيها الرموز العميقة مع تقنيات الحفر الصعبة.

2 الحفر الفني أداة للتعبير عن الذات:

يعتبر الحفر الفني من أقدم أشكال الفن التي استخدمها الإنسان لنقل أفكاره. فهي ليست مجرد وسيلة لخلق صورة أو انجاز تصميم، بل هي عملية خلق لفكرة أو رؤية. ففي الحفر مثلاً يشترك الفنان بشكل عضوي مع المادة التيبوغرافية أو لربما "يخترعها" على حد تعبير فرانكستال حيث يقول: "إن الفنان يخترع المادة التي يحتاجها للتعبير."⁽¹⁾ حيث يتم تخطيط وحفر الخطوط والشكل على أسطح صلبة، ما يجعل العمل أكثر ارتفاعاً مع يد الفنان وهذا تقريباً ما قصده الدكتور الحبيب بيده في تعريفه لمفهوم "الفن" بقوله: "كل عمل يقوم به الإنسان على سبيل الاشتقاق أي عن طريق فهم جدلية "الصورة" والمادة والمصنوع الطبيعي وإدراك قدرته على الاستخراج والخلق انطلاقاً من هذا الفهم."⁽²⁾ لذلك يمكن أن نقول بأن الحفر ليس مجرد تقنية، بل هو شكل من أشكال السرد البصري الذي يتيح للفنان التعبير عن نفسه وعن أفكاره حول الوجود والعالم.

وبالنسبة للفنان نبيل الصوّابي، تعد عملية الحفر لديه أداة رئيسية لخلق مساحة للتعبير الشخصي، يعبر من خلالها عن صراعاته الداخلية وعلاقته بالزمان والمكان، لذلك ما انفك سليمان الكامل يؤكد على أنّ نبيل الصوّابي: "يستفيد من الراهن الآن وهنا فيعمل على تكثيف الهم السياسي، بشحنه جمالياً ودلالياً مستعيداً الخيط الرابط بين وقع الواقع و الفن، كأنه يرغب في التستر على حقيقة الفعل السياسي وتليسه رداء من صميم الاستعارة والرمزية"⁽³⁾ مضيفاً "لمشاهدة هاته اللوحات عليكم التنقل بحرية بين تضاريسها وأعماقها، عليكم أن تطيروا بين أجوائها وأن تدخلوها من كل الاتجاهات بعين الحداثة المفككة المتعددة."⁽⁴⁾ هاته الحداثة التي تفرض عليك مزيد التأمل والتفكير وطرح السؤال وعدم الاقتناع بالجواب لأنّ الجواب في حد ذاته كم هائل من التساؤلات.

3 الواقع في أعمال نبيل الصوّابي بين التجريد والرمزية:

لا تعد أعمال نبيل الصوّابي مجرد انعكاس للذات والمحيط فقط بل هي تأملات في الواقع الاجتماعي والسياسي.

من خلال الحفر، يخلق الصوّابي صوراً خيالية، مجازية ورمزية حتى أن فاطمة إبراهيم أحمد تقول: "يجادل هذا الفن ثقافة المحاكاة وفقاً لنظريات الفلاسفة التي تنطوي على خلق رمز أو دالة من خلال تطوير الواقع



صورة 1: "حمضية مساحية"

وإنّ هذا التداخل بين القيم الضوئية والعناصر العضوية التي ركّز عليها الفنان في هذا العمل يشير إلى فقدان الهوية الثقافية وسط العولمة والتغيرات الاجتماعية السريعة ونلاحظ ذلك بجلاء في ما رسمه الصوّابي في تلك الحركة الحلزونية التي تمثل مراحل تطور البشرية وتحولها عبر العصور والتي استحوذت تقريبا على كافة المساحة. "خاصة أن هذا التحول مقترن بضوابط داخلية وخارجية بحيث لا يشكل أي استقرار نسبي... بل أن كل عمل في وضمن الاتجاه الذي يشتغل عليه له نظمه الخاصة المتحولة بتحويلات الفكر والرؤية الذهنية والاليات والوسائط الناقلة للصورة الفنية. إن هذا التحول لا يمكن عده حتمية صارمة ولا فوضى المتغيرات التي تحدث بالمصادفة، بل هو تحول قصدي إرادي ينجز بوعي التجربة وتأثير المجاورات وهذا مرده إلى قدرة الفن

بالخيال".⁽⁵⁾، وهكذا يمزج الصوّابي بين الواقع والرمز بأسلوب مجرد. ففي جل أعماله يظهر لنا الواقع الاجتماعي والعنف السياسي والاقتصادي بشكل غير مباشر، من خلال تشويه الأشكال أو تأويل الرموز وهو ما نلاحظه لدى الدكتور محمود أمهر عندما أكد أن جميع التيارات الفنية –تقريبا- تتفق في الرغبة في تخطي الواقع والسيطرة عليه بواسطة رموز وإشارات... رفضوا بها محاكاة الطبيعة وتقليدها حيث يقول في حديث له عن الفنان وفضاءه التشكيلي: "يسعى إلى تخطي الصورة والتمثيل الصوري رافضا المحاكاة والتقليد بالمنظور أو الطبيعة التي كانت التيارات الفنية تدعو، منذ بداية القرن، إلى تخطيها أو السيطرة عليها بواسطة إشارة ورموز بدلا من الغوص فيها والتوقف عندها".⁽⁶⁾

ففي هاته اللوحة (صورة عدد 1) والتي تعتبر من أبرز أعماله، يظهر الصوّابي استخداما مكثفا للخطوط المتشابكة والتي تمثل الصراع الداخلي للإنسان.

لاستقطاب كل ما يحيط به وتحويله على بنية جمالية.⁽⁷⁾ وهذا تقريبا ما قصده نبيل الصوّابي من خلال هذا النوع من التركيب خاصة أن تداخل العناصر في صورة شبه غير مكتملة، يعكس حالة الإنسان الذي يظل في حالة بحث دائم عن ذاته. إن الفنان استخدم تقنيات لخلق التوترات بين المساحات المظلمة والمضيئة، وهو ما يعزز الشعور بالتمزق والانقسام.

أما في لوحة "Trou de lumière" (صورة عدد2)، فقد أظهر الصوّابي وجه الإنسان بشكل غير مكتمل، كل جزء منه يعبر عن حالة من الانفصال بين أجزاء الروح والجسد (عين واحدة وثقب حل محل الثانية، أنف غير مكتمل وفم مغلق وغياب تام للأذنين مع شعر مجعد ...).



صورة 2: "حمضية مساحية"

وقد تم تمثيل ملامح الوجه بواسطة خطوط على شاكلة حدود حادة غير متواصلة، مما يخلق شعورا بالفراغ والشتات. الحفر على النحاس في هذا العمل يعزز

من قسوة الصراع الذي يعيشه الإنسان الذي يشعر بالغربة داخل مجتمعه، أوفي تواصله مع ذاته. هذه الرمزية تشكل تعبيراً عن اغتراب الانسان في عالم مادي يفتقد إلى الروح.

وأحيانا يجد نبيل الصوّابي نفسه مضطراً إلى اللجوء إلى فن الرسم، ففي هذا العمل (صورة عدد 3) مثلاً لجأ الصوّابي إلى إقحام نفسه داخل العمل التشكيلي مستغلاً فن الرسم كأداة لخلق عمق بصري ليظهر في اللوحة كرجل كهل مع تفاصيل دقيقة في جسده مركزاً على ملامحه التي تعكس الندوب والذكريات.



صورة 3: "رسم على قماش"

فن الرسم هنا يخلق إحساساً باللمس الذي يمكن أن يشعر به المتلقي، مما يساهم في تحويل اللوحة إلى تجربة حسية تعزز من مفهوم الذاكرة والزمان المتراكم. كما يوضح هذا العمل أيضاً تأمل الفنان في مرور الزمن وكيف يترك أثراً لا يمحو في حياة الإنسان.

للألوان الداكنة في أعماله، مثل الأسود والأزرق الداكن
يعكس حالة من الحزن أو القلق العميق، بينما يترك
أحيانا المساحات البيضاء أو الفاتحة مما يشير إلى الأمل أو
الإضاءة داخل الظلام.

خاتمة:

من خلال أعماله، يثبت نبيل الصوّابي أن الحفر
الفني ليس مجرد أداة تقليدية للطباعة، بل هو وسيلة
تعبيرية متكاملة تنطوي على رسائل فلسفية واجتماعية
عميقة. في أعماله يسرد الصوّابي قصة الانسان المعاصر،
الذي يجد نفسه في حالة من الاغتراب والصراع الداخلي
والخارجي.

إنّ الصوّابي يفتح أمامنا نافذة على الواقع الذي
تشابك فيه الذات مع العالم وتقدم من خلاله رؤى
بصرية تقيد صياغة مفهوم الفن كأداة للتغيير والتعبير
عن الحرية. إن أعمال نبيل الصوّابي تتجاوز كونها مشاهد
جمالية، لتصبح تأملات وجودية غنية بالتفاصيل الرمزية
التي تسلط الضوء على مفهوم الإنسان في هذا العصر.

ليكون الدهول و الحيرة و القلق مواضيع حاضرة
بقوة في أغلب أعمال نبيل الصوّابي، ففي هذه الحمضية
المساحية (صورة عدد 4)،



صورة 4 " حمضية مساحية "

يجسد نبيل الصوّابي مشهدا لجموع حائرة في حالة
من الدهول، ولكن في أعلاها تظهر مساحة فارغة وهو ما
يعكس حالة الصمت المطبق في ظل القمع الاجتماعي
والسياسي. إن استخدام المساحات الفارغة في الحفر يشير
إلى القمع الذي يعانيه الانسان في ظل واقع يقتل الصمت
والحرية.

4 الأسلوب التقني في أعمال الصوّابي:

يظهر نبيل الصوّابي براعة كبيرة في استخدام
تقنيات الحفر المتنوعة، بدءا بالحفر الغائر (eau-forte)
الذي يعزز من التأثيرات الدرامية للأعمال، وصولا إلى
الحفر البارز (Linogravure) الذي يمنح الأشكال مزيدا
من التفاصيل والعمق على الرغم من صعوبة هذه
التقنيات، إلا أن الصوّابي يتقن دمجها بأسلوبه الخاص،
مما يخلق تأثيرات بصرية معقدة تنطوي على أكثر من
مجرد جمالية سطحية. كما أن الاستخدام المكثف

(1) "L'artiste crée la matière dont il éprouve le besoin pour s'exprimer"

Francastle Pierre, Arts et Techniques au XIXème et XXXème siècle, Edition Minuit, 1956, p216

(2) الحبيب بيده: محاولة في جمالية الفن العربي الإسلامي، مجلة التنوير العدد الأول 1993 ص 62

(3) سليمان الكامل، نبيل الصوّابي يكتب بألوانه رحلة العالم العربي إلى الضفة الأخرى، مجلة العرب 3 يوليو 2014

(4) نفس المرجع السابق

(5) فاطمة إبراهيم أحمد، الواقعية المفرطة كمدخل لاستحداث لوحات فنية مفاهيمية، ص 240

(6) محمود أمهر، التيارات الفنية المعاصرة، شركة مطبوعات للتوزيع والنشر 1996، ص 215

(7) يحي حمودة، نظرية اللون، القاهرة، 1981 ص 11

قائمة المراجع

1. أمهر محمود، التيارات الفنية المعاصرة، شركة مطبوعات للتوزيع و النشر 1996.

2. إبراهيم فاطمة أحمد، الواقعية المفرطة كمدخل لاستحداث لوحات فنية مفاهيمية.

3. الكامل سليمان، نبيل الصوّابي يكتب بألوانه رحلة العالم العربي إلى الضفة الأخرى، مجلة العرب 3 يوليو 2014.

4. بيده الحبيب: محاولة في جمالية الفن العربي الإسلامي، مجلة التنوير العدد الأول 1993 .

5. حمودة يحي، نظرية اللون، القاهرة، 1981.

6. Francastle Pierre, Arts et Techniques au XIXème et XXXème siècle, Edition Minuit, .1956

بحوث التاريخ الإسلامي

أمانة الرواة الأوائل من رواة السير والمغازي

الأستاذ الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

(صلى الله عليه وسلم)؟ قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن مائة وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه قيل: يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه؟ قال: أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما، والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع كل من رآه وسمع منه بعرفة⁽¹⁾، وكانت الحلقة الأولى من سلسلة الرواة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتميزون بالثقة وعنوا عناية كبيرة بكل ما يتعلق بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) من قول وعمل وأمر ونهي وحديث وخلق وأنهم قد التزموا بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))⁽²⁾، وقال: ((إن كذباً عليّ ليس ككذبٍ على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))⁽³⁾.

قال أنس بن مالك: ((والله ما كنا نكذب ولا كنا ندري ما الكذب))⁽⁴⁾، وقال أيضاً: ((لا يهتم بعضهم ببعضاً))⁽⁵⁾ وإنهم كانوا حملة الشريعة ولم يكن في عهد الصحابة لأهل الأهواء أن يظهروا آراءهم الفاسدة جهاراً لأن الناس إذا اختلفوا في أمر رجعوا إليهم وانطفأت نار الفتنة⁽⁶⁾، ويروي قتادة أنه: ((لما مات أنس بن مالك قال مؤرج: ذهب اليوم نصف العلم، قال: كيف ذلك؟ قال:

كان الجيل الأول من رواة السيرة والمغازي والتاريخ يتميز بالثقة والأمانة الأمر الذي يؤكد قيمة وأهمية المعلومات التي أوردوها، وتؤكد الوقائع أنه لا مجال للرواة الكذابين في دس وتزوير روايات هذا الجيل خلال المرحلة التي ظهر فيها رواة الصحابة والتابعين فجيل الصحابة الكرام كانوا موثوقين لرضا الله تعالى عنهم والله لا يرضى إلا عمن صدق في قوله وسار في سلوكه وفقاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإن جيل الصحابة والتابعين لم يجرؤ على الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولذلك لم يتعرض أحد إلى الصحابة بنقد وتجريح، ولذلك كانت المرويات موثوقة برجالها وأسانيدها سواء في الحديث النبوي أو سير ومغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وكان هؤلاء الرواة هم الثقات أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبين صاحب كتاب فتح المغيبي أن هؤلاء لا يمكن إحصاؤهم ولا حصر أعدادهم، كانوا متفرقين في القرى والبادي ومن عددهم من العلماء فإنه من باب التقريب، فيروى أن رجلاً سأل أبا زرعة قائلاً له: ((يا أبا زرعة أليس يقال حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أربعة آلاف حديث؟ قال: ومن قال هذا قلقل الله أنيابه هذا قول الزنادقة، ومن يحصي حديث رسول الله

كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعال إلى من سمعه من النبي (صلى الله عليه وسلم))⁽⁷⁾ وهو آخر من مات بالبصرة وأقرب ما قيل في وفاته (93هـ) وقيل (95هـ)، أما الجيل الثاني ونعني به جيل التابعين الذين هم تلاميذ الصحابة وهم طبقات واتباعوا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أخلاقهم وأعمالهم وجمعوا جميع المرويات، وكتبوا ما وصل إلى علمهم من الأخبار والشؤون وبذلوا جهودهم ورحلوا من أجل ذلك وطرقوا أبواب كل من روى الحديث والسنة النبوية الشريفة ويعدون بالملئات جابوا البلاد وجالوا خلال الديار وطووا الصحارى وشدوا الرحال إلى الصحابة الكرام⁽⁸⁾ ويمكن أن ندرك جهود التابعين من خلال قول مكحول الدمشقي وهو من كبار التابعين عن رحلته العلمية عندما قال: ((اعتقت بمصر فلم أدع بها علما إلا حويته، فيما أرى، ثم أتيت العراق ثم المدينة فلم أدع بها علما إلا حويته، فيما أرى، ثم أتيت الشام فغريبتها))⁽⁹⁾ وقال السخاوي: ((لا يكاد يوجد في القرن الأول الذي انقضى في الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور، فلما مضى القرن الأول ودخل القرن الثاني كان في أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالبا من قبل تحملهم وضبطهم للحديث فتراهم يرفعون المرفوع ويرسلون كثيرا ولهم غلط))⁽¹⁰⁾، ولنقتطف جانباً من آراء العلماء بهذا الجيل من الرواة. إن من بين أبرز الذين اهتموا من الصحابة

بالسيرة عمرو بن حريث العذري⁽¹¹⁾، وكذلك الإمام عبد الله بن عباس (ت، 68هـ) وهو الذي دعا له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالفهم بالقرآن فكان يسمى البحر والحرير لسعة علمه⁽¹²⁾، والذي ترك من الكتب عند موسى بن عقبة صاحب المغازي ما يوصف للدلالة على كثرتة بأنه حمل بعير.

ومن أبرز التابعين في تدوين السيرة، أبان بن عثمان بن عفان (ت، 105هـ) وهو ثقة⁽¹³⁾، شيخ الذين أخذوا المغازي ورووها: ومن أبرز تلامذته المغيرة ابن عبد الرحمن وهو ((ثقة قليل الحديث إلا في مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخذها من أبان بن عثمان فكان كثيرا ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعلمها))⁽¹⁴⁾. وعامر بن شراحيل الشعبي (ت، 103هـ) وهو ((ثقة أمين وكان من البارزين في حديث المغازي وقد مرَّ على مجلسه عبد الله بن عمر فقال: لقد شهدت القوم فلهما أحفظ لها وأعلم بها))⁽¹⁵⁾ ومنهم مقسم بن بحيرة (ت، 101هـ) ويقال ابن نجدة وقد احتفظ عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه بنقول عنه شملت عدد غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) وسراياه وأحداث تتعلق بفتح مكة وغير ذلك))⁽¹⁶⁾.

وهناك عروة بن الزبير الأسدي المدني وهو ثقة فقيه مشهور⁽¹⁷⁾، (22 - 93هـ) وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة وكان الخلفاء والأمراء والعلماء يكتبون إليه ويسألونه⁽¹⁸⁾ ومنهم سرحبيل بن سعد الخطمي المدني (ت، 123هـ) قال علي بن المديني ((قلت لسفيان بن عيينه كان

شرحبيلى بن سعد يفتى قال نعم ولم يكن أحد أعلم بالمغازى والبدرين منه⁽¹⁹⁾.

وهناك وهب بن منبه اليماني (ت، 114 هـ) والذي قال عن نفسه ((قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء))⁽²⁰⁾.

وبعد هؤلاء جاء عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأنصاري وهو إمام ثقة ثبت⁽²¹⁾، وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري الظفري المدني وهو ثقة ولم يتكلم أحد فيه بجرح⁽²²⁾، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري الحافظ (ت، 124 هـ) وقد كان واسع المعرفة له مشاركات في علوم كثيرة وقد روى السيرة وله كتاب سيرة الزهري⁽²³⁾ رواها عن عروة بن الزبير⁽²⁴⁾ ومنهم أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي المدني وهو ثقة وله كتاب في المغازي أخذه عن شيخه عروة بن الزبير وحدث به في مصر عندما نزلها⁽²⁵⁾، وقال عنه الذهبي: ((من العلماء الثقات عداده في صغار التابعين))⁽²⁶⁾.

وبعد الإمام الزهري قام موسى بن عقبة الأسدي (ت، 141 هـ) وهو ثقة فقيه إمام في المغازي⁽²⁷⁾ وقال مالك بن أنس مشيداً بمغازيه ((عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه رجل ثقة طلبها على كبار السن ليقيد من شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يكثر كما كثر غيره))⁽²⁸⁾، وقال عنه أيضاً: ((عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي))⁽²⁹⁾، أما محمد بن إسحاق المدني وهو ثقة فقيه إمام في المغازي⁽³⁰⁾.

قال عنه الزهري: ((لا يزال بالمدينة علم جم ما دام فيهم ابن إسحاق))⁽³¹⁾، وقال الإمام الشافعي: ((من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق))⁽³²⁾، أما معمر بن راشد البصري نزيل اليمن (ت، 154 هـ) وهو ثقة ثبت فاضل⁽³³⁾، قال عنه الذهبي: ((كان من أوعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف))⁽³⁴⁾ واشتهرت مدرسة أهل الحديث بالعناية بالسيرة النبوية سواء بالتأليف المستقلة أو بتخصيص بعض الأبواب في المسانيد والجوامع والسنن للسيرة النبوية والشمائيل والدلائل والمغازي وأحاديث أحكام الجهاد، ومناقب الصحابة وفضلهم ولقد لقيت السيرة النبوية في هذه الكتب العناية الكثيرة من النقد والتحقيق لأنها نقلت بالأسانيد وخضعت لموازن الجرح والتعديل وعرفت أحوال الرجال الذين رووها ففي الصحيحين كتب مستقلة للمغازي والسير والفضائل عدا الأخبار المنشورة في مختلف الموضوعات والأبواب المرتبة على الأحكام الفقهية خاصة في باب الجهاد وأحكامه⁽³⁵⁾، ومن أبرز من اهتم بهذا الاتجاه سليمان بن طرخان أبو المعتمر البصري (ت، 143 هـ) وهو ثقة عابد⁽³⁶⁾، ونجيب بن عبد الرحمن السندي المدني أبو معشر (ت، 170 هـ) حفظ المغازي والسير وأخبار الناس قال عنه أحمد بن حنبل (ت، 241 هـ): ((كان بصيراً بالمغازي))⁽³⁷⁾ وهي لا تقتصر على مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسيرته بل تشمل أحداث التاريخ الإسلامي حتى وفاته في سنة سبعين ومائة من الهجرة⁽³⁸⁾.

ولذلك امتاز الجيل الأول من رواة السير والمغازي والأخبار
بثقتهم وبعدهم.

أما إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري
(ت، 185هـ) وهو ثقة قال الخليلي: ((أبو إسحاق يقتدي به
صاحب كتاب السير نظر فيه الشافعي وأملى كتابا على
ترتيبه)) وقال الحميدي: ((قال لي الشافعي لم يصنف
أحد في السير مثله)) أما أبو العباس الوليد بن مسلم
الأموي (ت، 195هـ) فقد صنف ما يقارب سبعين كتابا
قال أحمد: ((ما رأيت في الشاميين أعقل منه وكان من
أحفظ الناس للأحاديث الطوال والملاحم)).

وهناك عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت،
211هـ) وهو صاحب كتاب (المغازي) وهو ثقة حافظ
مصنف شهير، أما محمد بن عائد القرشي (ت، 233هـ)
فهو الإمام المؤرخ صاحب المغازي تولى ديوان الخراج
بالشام أيام المأمون، قال الذهبي: ((جمع كتاب المغازي
وسمعت معظمه وله كتاب الفتوح والصوائف)) وهو
صدوق وهناك كثير غيرهم ممن اتصفوا بالثقة والاتقان
والأمانة ولذلك كان الجيل الأول من الصحابة والتابعين
وتابعي التابعين ممن امتازوا بالصدق والثقة والأمانة، إذ
كان يطلق عليهم كل ما يؤكد عدالتهم وتوثيقهم وكانت
رواياتهم مسندة وبعضها غير مسند لأن الثقة بالشخص
تمس الثقة بمروياته وإن الالتزام الدقيق بالشروط
الحازمة في التدوين من عدمه يشير إلى مدى حرص الجيل
الأول من المفكرين والعلماء بالمحافظة على جوهر وروح
الحقيقة التاريخية والخشية من تزويرات وتأويلات وبدع
الوضاعين والكذابين من مختلف الشرائع والاتجاهات،

الهوامش:

- (1) فتح الغيث، ج 3، ص 112.
- (2) أخرجه البخاري، كتاب العلم.
- (3) صحيح مسلم، ج 1، ص 10.
- (4) الأنوار الكاشفة، ص 272.
- (5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 2، ص 13.
- (6) الظاهري، علم رجال الحديث، ص 31.
- (7) ابن حجر، تهذيب التهذيب، 1 / 378.
- (8) الظاهري، علم رجال الحديث، 34.
- (9) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1 / 275.
- (10) الإعلان بالتوبيخ، 163.
- (11) السلي، 294.
- (12) تقريب، 1 / 425.
- (13) تقريب، 1 / 31.
- (14) ابن سعد، الطبقات، 5 / 210.
- (15) ابن حجر، تهذيب، 5 / 67.
- (16) عبد الرزاق المصنف، 5 / 294، 295، 344، 353، 355، 374 – 379 – 389.
- (17) تقريب، 1 / 19.
- (18) السلي، 297.
- (19) ابن حجر، تهذيب التهذيب، 4 / 321.
- (20) كتاب التيجان في ملوك حمير المنسوب لوهب من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام ص 9 وقال عنه حاجي خليفة أنه (مجمع المغازي) كشف الظنون، 2 / 2747.
- (21) تهذيب التهذيب، 5 / 164 – 165.
- (22) نفسه، 5 / 53 – 54.
- (23) نفسه، 88.
- (24) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص 88.
- (25) الذهبي، سير 6 / 150.
- (26) نفسه، 6 / 150.
- (27) ابن حجر، تقريب، 2 / 286.
- (28) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1 / 115.
- (29) نفسه، 12 / 115.
- (30) ابن حجر، تهذيب التهذيب، 1 / 152.
- (31) الذهبي، تذكرة، 1 / 303.
- (32) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه، 1 / 236.
- (33) ابن حجر، تقريب، 1 / 505.
- (34) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11 / 105.
- (35) تقريب، 2 / 173.
- (36) تقريب التهذيب، 1 / 326.
- (37) الجرح والتعديل، 8 / 494.
- (38) السلي، 312.

كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم

كلية العلوم الإسلامية – الجامعة العراقية/ الجمهورية العراقية

المقدمة

الحمد لله ذي الكرم والجود، يعطي دون قيود،
ويغني دون حدود، سبحانه من إله قادر قاهر ما أرحمه
وما أعظمه وما أكرمه، أحمدُه وأشكره واستغفره واتوب
أليه، وأعبدُه وهو خيرُ معبود، والصلاة والسلام على حبيب
رب العالمين، وخير خلق الله أجمعين، سيّد الأولين
والآخرين، سيدنا وحبيبنا وقائدنا وقدوتنا وإمامنا وأسوتنا
محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين
الذين جعلهم الله خزائن علمه وطهرهم الله تطهيراً وعلى
أصحابه صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

إنَّ الكرم والجود والسخاء والعطاء خصلة لازمة
لأهل بيت النبوة عليهم السلام ظاهرةً فيهم سارت سائر
الشمس في أقطار الأرض، فأهل الكساء عليهم السلام
غرس الإيمان ومعادن العلوم والمعارف والمناقب العلية
والمآثر الكريمة فقد جمعوا شرف النبوة والإمامة فضلاً
عن شرف الحسب والنسب فإن فضائلهم كثيرة ومناقبهم
غزيرة لا تعد ولا تحصى، فهم منبع الكرم والجود، وتطرقنا
في هذا الموضوع إلى كرم وجود سيدنا الإمام الحسن بن
علي بن أبي طالب عليه السلام سيد شباب أهل الجنة

وسبطه، الذي جمع كلَّ فضائل الكرم والسخاء والجود
والسماحة والشجاعة والحلم والصبر والمروءة والعدل
والنزاهة والحكمة والتواضع والزهد والورع والخصال
والصفات الحميدة الطيبة والأخلاق المحمودة، هذا ما
حكته لنا سيرته الطاهرة، نشأ في بيت النبوة ومعدن
الرسالة ومهبط الوحي وفي أحضان جده رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وأبيه الإمام علي الكرار وأمه فاطمة
الزهراء عليهما السلام، وسماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حسناً وأذن في أذنه عند ولادته وحنكه بريقه
الشريف وعق عنه؛ كان الإمام الحسن عليه السلام، فقيهاً
عالماً فاضلاً ورعاً حكيماً كثير الصيام والصلاة والحج
والصدقة والزكاة والإحسان وفعل الخيرات كريم النفس،
نقياً تقياً في طاعة الله، ذا بيان وإيمان، إذ جمع الأوصاف
الكاملة، ومن أبرز الصفات التي تميّز بها الإمام الحسن
(عليه السلام) بالجود والكرم والسخاء فكان المال عنده
غاية يسعى من خلالها إلى كسوة عريان، أو إغاثة ملهوف،
أو وفاء دين غريم، أو إشباع جوع جائع فقد كان الملاذ
للفقراء والمحرومين، والملجأ لمن جارت عليه الأيام، كان
قمةً في حُسن الأخلاق ويغني ذا الحاجة، وهذه
سجّية الجواد، فالكرم والجود من مكارم الأخلاق وهورابع

أهل الكساء عليهم السلام إنَّ سخاء أهل البيت عليهم السلام مقرون بالإكرام والتكريم.

فإن وفقت في عملي هذا فهو من الله، وهو ما كنت أبغيه وأسعى إليه، وإن أخطأت فمن نفسي وأستغفر الله، والله أسأل أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في صفحات أعمالي في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفع بها قارئها وكاتبها وأن يوفقي لما فيه خدمة أهل بيت النبي وعترته الطاهرة إنه نعم المولى ونعم النصير.

الأمثلة والشواهد

عرف عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان معدن الجود⁽¹⁾ والكرم⁽²⁾ سخياً⁽³⁾ كريم النفس لا يرد سائلاً فكان من أسخى أهل زمانه وأجودهم وكان كثير الانفاق في سبيل الله تعالى وكيف لا يكون وقد نشأ في بيت أكرم الكرماء وأجودهم في بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.⁽⁴⁾

فقد كان رضي الله عنه من أسخى أهل زمانه، وعد من الأجواد، وكان الإمام الحسن في سخائه وإيثاره لا يميز بين غني وفقير، أو صغير وكبير، أو قريب أو بعيد لأن النفس التي ترتاح للبذل والعطاء، وجبلت على الكرم والسخاء لذتها في إسعاد الناس ابتغاء مرضاة الله وطلباً للمثوبة والأجر تجد راحتها في ذلك.⁽⁵⁾

قال اليعقوبي⁽⁶⁾ عنه: ((وكان الحسن بن علي جواداً كريماً وأشبه برسول الله خلقاً وخلقاً)).⁽⁷⁾

ويروى أنه سمع رجل إلى جنبه يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف درهم فقام إلى منزله فبعث بها إليه.⁽⁸⁾

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه خطب الناس ثم قال: إن ابن أخيكم الحسن بن علي عليهما السلام قد جمع مالاً، وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس فقام الإمام الحسن عليه السلام فقال: إنما جمعته للفقراء فقام نصف الناس.⁽⁹⁾

وذكروا أنَّ الحسن عليه السلام رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحي من أن أكل ولا أطعمه فقال له الحسن عليه السلام: لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملكه الحائط، فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبني له.⁽¹⁰⁾

وعن أبي هارون العبيدي⁽¹¹⁾ قال: انطلقنا حجاجاً فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن عليه السلام فحدثناه بمسيرنا وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل رجل منا بأربع مئة فرجعنا فأخبرناه ببسارنا فقال: لا تردوا علي معروف، فلو كنت على غير هذه الحال، كان هذا لكم يسيراً أما أني مزودكم، إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة.⁽¹²⁾

جاء رجل إلى المدينة وكان يبغض الإمام علياً عليه السلام فانقطع ولم يبق معه زاد، ولا راحلة، فشكى حاله إلى بعض أهل المدينة فدلّه على الإمام الحسن عليه

السلام وقيل له: لا تجد خيراً منه فجاءه وشكى إليه أمره، فأمر له بزاز وراحلة فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وقيل للحسن عليه السلام أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاز وراحلة فقال: إلا اشتري عرضي منه بذلك.⁽¹³⁾

وعن محمد بن سيرين⁽¹⁴⁾ قال: إن الحسن بن علي عليه السلام كان يجيز الرجل الواحد بمئة ألف.⁽¹⁵⁾

وما روي عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان له دين على إنسان فطالب غريمه فقال للإمام الحسن عليه السلام: أحسن إلي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الإمام الحسن عليه السلام: وهبت لك النصف فليل له النصف كثير⁽¹⁶⁾ فقال وأين ذه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁷⁾.

وجاء رجل إلى الإمام الحسن عليه السلام يشكو إليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان ثرياً، فقال: يا هذا حق سؤالك يعظم لدي معرفتي بما يحب لك ويكبر علي ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشركك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتفال والاهتمام لما أتكفله فعلت فقال يا ابن بنت رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنح فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم وقال ما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفعها والخمسين ألفاً إلى الرجل واعتذر منه.⁽¹⁸⁾

وروى الإمام الغزالي⁽¹⁹⁾ رحمه الله قال: إنه خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر⁽²⁰⁾ حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاءوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأنأخوا إليها وليس لها إلا شوية في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتدقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدهم حتى أهىء لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإننا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلتا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا ويوم كذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك.⁽²¹⁾

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام⁽²²⁾: جاء رجل إلى الحسين بن علي عليه السلام فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن عليه السلام فاستعان به ففضى حاجته وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب الي من اعتكاف شهر⁽²³⁾.

قيل إلى الإمام الحسن عليه السلام: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً، وإن كنت على فاقة؟ فقال: إني لله سائل، وفيه رغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً، وأرد سائلاً، وإن الله تعالى عودني عادة: عودني أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة، وأنشد يقول:

إذا ما أتاني سائل قلتُ مرحباً

بمن فضله فرض عليّ معجل

ومن فضله فضلٌ على كل فاضلٍ

وأفضل أيام الفتى حين يُسأل⁽²⁴⁾

وقال جابر⁽²⁵⁾: سمعت الحسن يقول: مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافاة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء⁽²⁶⁾.

ثم إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سأل ابنه الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر المروءة: فقال يا بني، ما السداد؟ قال: يا أبة، السداد دفع المنكر بالمعروف.

قال فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

قال فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء ماله.

قال فما الدقة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقيق.

قال فما اللؤم؟ قال: احراز المرء نفسه وبذله عرسه من اللؤم.

قال فما السماحة؟ قال: البذل في اليسر والعسر.

قال فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يدك شرفاً وما أنفقتة تلفاً.

قال فما الاخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء.

قال فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

قال فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة.

قال فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ، وملك النفس.

قال فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء.

قال فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومقارعة اشد الناس.

قال فما النذل؟ قال: الفزع عند المصدوقية.

قال فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران.

قال فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنك.

قال فما المجد؟ قال: أن تعطي في الفرح، وأن تعفو عن الجرح.

قال فما العقل؟ قال: حفظ القلب كل ما استر عينه.

قال فما الخرق؟ قال: معاداتك أمامك ورفعك عليه كلامك.

قال فما السناء؟ قال: ايتان الجميل، وترك القبيح.

قال فما الحزم؟ قال: طول الاناة، والرفق بالولة والاحتباس من الناس بسوء الظن هو الحزم.

قال فما الشرف؟ قال: موافقة الإخوان وحفظ الجيران.

قال فما السفه؟ قال: ابتاع الدناءة ومصاحبة الغواة.

قال فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد، وطاعتك المفسد.

قال فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك.

قال فما السيد؟ قال: الأحمق في ماله المتهاون في عرضه يشتم فلا يجيب، المختزن بأمر عشيرته هو السيد.⁽²⁷⁾

قال القاضي أبو الفرج المعافي بن زكريا⁽²⁸⁾: ((ففي

هذا الخبر من جوابات الحسن أباه عما سألته عنه من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه وهذبها بالرجوع إليه وتتوافر فائدته بالوقوف عنده))⁽²⁹⁾.

وقيل للحسن: من أحسن الناس عيشاً؟ قال: من أشرك الناس في عيشه، وقيل: من شر الناس عيشاً؟ قال: من لا يعيش في عيشه أحد⁽³⁰⁾ دخل على أسامة بن زيد⁽³¹⁾ وهو يجود بنفسه ويقول: واكرباه واحزنه! فقال: وما الذي أحزنك يا عم؟ قال: يا ابن رسول الله ستون ألف درهم دين عليّ لا أجد لها قضاء. قال: هي عليّ، قال: فك الله رهائنك يا ابن النبي، صلى الله عليه وسلم، الله أعلم حيث يجعل رسالته⁽³²⁾.

وما روي عن الإمام الحسن عليه السلام كان يوم جالساً، فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه، فاستحيا أن يرده فقال: ألا أدلك على شيء يحصل منه البر؟ فقال: ماذا تدلني عليه؟ فقال: اذهب إلى الخليفة، فإن ابنته توفيت وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية، فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير، فقال: حفظني إياها، قال: لا له: الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولا هتكها بجلوسها على قبرك، فذهب إلى الخليفة، وعزاه بهذه التعزية، فسمعها فذهب عنه الحزن، فأمر له بجائزة وقال: بالله عليك أكلامك هذا؟ قال: لا بل كلام فلان، فقال: صدقت، فإنه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى⁽³³⁾.

وما روي عن الإمام الحسن عليه السلام قال: دخل رجل من أهل الشام⁽³⁴⁾ المدينة فرأى رجلاً راكباً، فقال: فلم أر أحسن منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه؟ فقيل لي: انه الحسن بن علي بن أبي طالب علمهما السلام، فامتألت قلبي غيظاً وحسداً أن يكون لعلي عليه السلام ولد مثله فقممت إليه فقلت أنت ابن علي بن أبي طالب؟ فقال: أنا ابنه، فقلت أنت ابن من ومن ومن؟ وجعلت أنال منه ومن أبيه، وهو ساكت حتى استحيت منه فلما انقضى كلامي ضحك وقال: أحسبك غريباً شامياً؟ فقلت أجل، فقال: فمل معي إن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإلى مال أرفدناك وإلى حاجة عاوناك، فاستحييت منه وعجبت من كرم أخلاقه فانصرفت وقد صرت أحبه ما لا أحب أحداً غيره⁽³⁵⁾.

وذكروا أن رجلين أحدهما من بني هاشم والآخر من بني أمية قال هذا: قومي أسمع، وقال هذا: قومي أسمع، قال: فسل أنت عشرة من قومك وأنا أسأل عشرة من قومي، فانطلق بني أمية فسأل عشرة فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي، رضي الله عنه، فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم، ثم أتى الحسين، عليه السلام، فقال: هل بدأت بأحد قبلي؟ قال: بدأت بالحسن، قال: ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدي شيئاً، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم، فجاء صاحب بني أمية فحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس، وجاء صاحب بني هاشم فحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين، فغضب صاحب بني أمية فردها عليهم فقبلوها، وجاء صاحب بني هاشم فردها عليهما فأبيا أن يقبلها وقالوا: ما كنا نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق⁽³⁶⁾.

ومن الشواهد على ورعه ودينه نظمه أبياتاً من السفر يقول فيها:

أغن عن المخلوق بالخالق
تغن عن الكاذب بالصديق
وأسترزق الرحمن من فضله
فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه
فليس بالرحمن من واثق
من ظن أن الرزق من كسب

زلت به الثقلان من خالق⁽³⁷⁾
روي عن أنس بن مالك⁽³⁸⁾ أنه قال: لم يكن في أهل بيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أحد أشبه به من الحسن، عليه السلام، وكان قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ابني هذا سيد لعل الله جل وعز أن يصلح

به بين فئتين من المسلمين، وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام، طهروا واحد، وكان أسخى أهل زمانه⁽³⁹⁾.

وخرج من ماله لله تعالى مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنه كان ليعطي نعلًا ويمسك نعلًا ويعطي خفًا⁽⁴⁰⁾ ويمسك خفًا⁽⁴¹⁾.

وذكروا أنه أتاه رجل في حاجة فقال: اذهب فاكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا نقضها لك، قال: فرفع إليه حاجته، فأضعفها له، فقال بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله، فقال: بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة؟ فأما من أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متملاً أرقاً يميل بين اليأس والرجاء لا يعلم لما يتوجه من حاجته أبكابة الرد أم بسرور النجح فيأتيك وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل لك من وجهه فإن ذلك أعظم مما نال من معروفك⁽⁴²⁾.

وأصلي وأسلم على قرة العيون سيدنا محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين وأسأله التوفيق والهداية والسداد إلى
سبيل الرشاد.

سجلت لنا كتب السيرة والتاريخ بعض الشواهد
والنواذر من جود وكرم وسخاء الإمام الحسن بن علي بن
أبي طالب عليه السلام وما تضمنته السيرة العطرة الطيبة
المباركة لسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد
شباب أهل الجنة وريحانته في الدنيا، تميزت سيرة
سيدنا الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام
بالكرم والجود والسخاء؛ لأنه نشأ في بيت جمع خصال
الكرم كلها وأتى بأعلاها وأحسنها، صلاح وعبادة ونقاء
وطهارة وكرم وسخاء وجود وضيافة، وبذلك جمع ذلك
البيت الطاهر كلَّ خصال الخير امتاز بها أهل بيت النبوة
عليهم السلام ظاهرةً فمهم بل ومعروفة عنهم، فهي أشهر
من أن تُذكر وأعرف من أن تُنكر، وأوضح الموضوع جانباً
من صور كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب
عليه السلام، إن أبرز الصفات التي تميّز بها الإمام الحسن
عليه السلام الكرم والجود وسخاء النفس والإنفاق في
وجوه الخير والهيئات والحلم، والإحسان إلى الناس، وقضاء
حوائجهم، والوقوف إلى جانبهم فكان المال عنده غاية
يسعى من خلالها إلى كسوة عريان، أو إغاثة ملهوف، أو
وفاء دين غريم، أو إشباع جوع جائع أو بذل على المحتاجين
والمعوزين والفقراء والمساكين، فإن سجايه امتازت
بالبذل والعطاء، والتضحية والفداء فكان على كل مؤمن
الافتداء والتأسي بهذا السيرة المباركة وأخلاقه الرفيعة،
حيث أعطى دروساً في العطاء والسخاء والكرم، فإن مآثره
ومناقبه لا تعد ولا تحصى.

(1) الجُود: المطر الغزير، وهو خلاف البخل، وجاد الرجل بماله يُجود جُودًا بالضم، فهو جَوَادٌ.

اصطلاحاً: صفةٌ تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي من الخير لغير. ينظر: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت، 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ/1986م)، ج1/202، إكمال الأعلام بتلخيص الكلام، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي جمال الدين (ت، 672هـ) المحقق: سعد بن حمدان الغامدي (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1404هـ/1984م)، ج1/126، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، (مصر، دار الدعوة، بلا)، ج1/146.

(2) الكَرَمُ: ضدُّ اللُّؤْم، وقد كَرُمَ الرجل بالضم فهو كَرِيمٌ، وقومٌ كِرَامٌ وكُرَمَاءٌ.

اصطلاحاً: إفادة ما ينبغي لا لغرض.

ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت، 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ/1987م)، ج5/2019، التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت، 1031هـ)، (القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990م)، ج1/281.

(3) السَّخَاءُ: الجود، وقيل هو إغطاء ما يَنْبَغِي ورجل سَخِيٌّ، وَسَخَا يَسْخُو سَخَاءً، وَسَخُو يَسْخُو سَخَاوَةً وَسَخِي يَسْخَى سَخِيًّا، وَسَخِيَّتٌ نفسي وبِنَفْسِي عن الشيء إذا تركته ولم تُنَازِعْكَ نفسك إليه، وسَخِي الشَّخْصُ: سخا، كان جواداً كريماً، وسَخِي بماله: سخا به، جاد به.

ينظر: العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت، 170هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (بيروت، دار ومكتبة الهلال، بلا)، ج4/289، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت، 911هـ) المحقق: أ.د. محمد إبراهيم

عبادة (القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ/2004م)، ص206، معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت، 1424هـ) بمساعدة فريق عمل (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م)، ج2/1047.

(4) أهل الكساء عليهم السلام فضلهم ومكانتهم في الإسلام، السيد أنس محمد جاسم حمادي الحسيني المشهَداني، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جمهورية العراق - معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا - بغداد - 1429هـ/2008م).

كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنس محمد جاسم الحسيني المشهَداني، مقال منشور في جريدة القضية العدد (52) لسنة 2005م.

(5) أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه شخصيته وعصره، علي محمد محمد الصلابي، (مصر، مكتبة الايمان بالمنصورة، 1425هـ) ص 304 - 305.

(6) أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد، كان جده من موالى المنصور العباسي رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية ودخل الهند وزار الأقطار العربية وصنف كتباً جيدة منها: تاريخ اليعقوبي انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب التاريخ كبير وكتاب أسماء البلدان وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير وكتاب مشاكلة الناس لزمانهم واختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ياقوت: سنة 284 ونقل غيره 282 وقيل 292هـ.

تنظر ترجمته: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت، 626هـ) المحقق: إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1414هـ/1993م)، ج2/557، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت، 1396هـ)، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، ج1/95.

(7) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب العباسي (ت، 292هـ)، (بيروت، دار صادر، بلا)، ص199.

خلافة عثمان رضي الله عنه رأى ثلاثين صحابياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى عن أنس بن مالك وأبي هريرة وعمران بن حصين وعدي بن حاتم وابن الزبير روى عنه الشعبي وقتادة وسليمان التيمي وخالد الحذاء قال يوسف بن عطية رأيت ابن سيرين قصيراً عظيم البطن له وفر يفرق شعره كثير المزاح والضحك يخصب بالحناء مات بالبصرة سنة 110هـ.

تنظر ترجمته: الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن أبو حاتم محمد بن إدريس التميمي الرازي (ت، 327هـ) الجرح والتعديل، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1271هـ / 1952م)، ج 7/280؛ مشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت، 354هـ) تحقيق: م. فلا يشهر، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1959م)، ج 88/1؛ تذكرة الحفاظ، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي القيسراني (ت، 507هـ) تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي (الرياض، دار الصميعي، ط 1، 1415هـ) ج 1/78؛ الوفيات للقسنطي، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطي (ت، 809هـ) تحقيق: عادل نويهض (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط 2، 1978م)، ج 1/108.

(15) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ج 6/234.

(16) المبسوط، أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت، 483هـ)، (بيروت، دار المعرفة، 1406هـ)، ج 14/91.

(17) سورة البقرة، من الآية (195).

(18) كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، تأليف: الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني (بغداد، مطبعة أنوار دجلة، ط 2، 1443هـ / 2021م)، ص 25.

(19) محمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي حجة الإسلام زين الدين الإمام البحر أعجوبة الزمان صاحب التصانيف والذكاء المفرد تفقه ببلدة أولا ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة فلازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين الناظرين وله مصنفات كثيرة نافعة منها إحياء علوم الدين وكتاب الأربعين ومحك النظر والحصن الحصين في التجريد والتوحيد والوجيز في فروع الفقه والمستقصى في أصول الفقه وغيرها من المصنفات النافعة مات سنة 505هـ.

(8) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت، 742هـ) تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1400هـ / 1980م)، ج 6/234، البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت، 774هـ)، (بيروت، مكتبة المعارف، بلا)، ج 8/38.

(9) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ج 6/234؛ البداية والنهاية، لابن كثير، ج 3/261.

(10) البداية والنهاية، لابن كثير، ج 8/38.

(11) عمارة بن جوين العبدي البصري أبو هارون، تابعي روى عن أبي سعيد الخدري.

تنظر ترجمته: الكنى للبخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت، 256هـ) تحقيق: السيد هاشم الندوي (بيروت، دار الفكر، بلا)، ج 1/78؛ الضعفاء والمتروكين، أحمد بن شعيب النسائي (ت، 301هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد (حلب، دار الوعي، ط 1، 1369هـ)، ج 1/84؛ ضعفاء العقيلي، ضعفاء العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي (ت، 322هـ) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1404هـ / 1984م)، ج 3/313؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ميزان، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت، 748هـ)، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1995م)، ج 5/209.

(12) سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت، 748هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي (بيروت مؤسسة الرسالة، ط 9، 1413هـ)، ج 3/261.

(13) تهذيب تاريخ دمشق الكبير، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر (ت، 571هـ)، هذبه ورتبه عبد القادر بدران (ت، 1346هـ)، (بيروت، دار الميسرة، ط 2، 1399هـ / 1979م)، ج 4/218.

(14) محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك البصري أبو بكر واصل سيرين من جرجيا بصري تابعي ثقة من أروع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبادهم وكان يعبر الرؤيا إماماً غزير العلم ثقة ثبتاً ورعاً كان حسن العلم بالقضاء حسن العلم بالفرائض ولد لسنتين من

أحمد القشغري (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط1، 1404هـ)، ج1/173، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي الدارقطني (ت، 385هـ) تحقيق: بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1985م)، ج1/314.

رجال صحيح البخاري، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين النجاري الكلاباوي (ت، 398هـ) تحقيق: عبد الله الليثي (بيروت، دار المعرفة، ط1، 1407هـ)، ج2/668-669.

التعديل والتجريح، أبو الوليد سليمان بن خلف بن أسعد الباجي (ت، 474هـ)، تحقيق: أبو لبابة حسين (الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط1، 1406هـ/1986م)، ج2/667.

تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي (ت، 852هـ)، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1404هـ/1984م)، ج9/312.

(23) البداية والنهاية، لابن كثير، ج8/38.

(24) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (ت، 1298هـ)، خرج أحاديثه ووضع حواشيه: عبد الواحد محمد علي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م)، ص188: كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني، ص32.

(25) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب السلمي الأنصاري يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن وقيل أبا محمد المدني الإمام الكبير الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقيه مفتي المدينة في زمانه كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الأنصار وحمل ن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثير نافعاً، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وكان والده من النقباء البدرين، استشهد يوم أحد، روى عن جابر بن أبي بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة ومعاذ بن جبل والزبير وطائفة، حدث عنه ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح، وسلم بن أبي الجعد والحسن البصري والحسن بن محمد بن الحنفية وأبو جعفر الباقر ومحمد بن المنذر وغيرهم، وشارك في تسع عشرة غزوة وطال عمره وذهب بصره بلغ 90 سنة وقيل 94 مات سنة 72هـ وقيل 78.

تنظر ترجمته: الجرح والتعديل، للرازي، ج2/492.

تنظر ترجمته: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت، 571هـ) تحقيق: عمرو بن عرامة العمري، (بيروت، دار الفكر، 1415هـ/1995م)، ج204/55.

وفيات الأعيان وأبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلي بن خلكان (ت، 681هـ) تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ط1، 1971م)، ج4/216.

(20) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، صحابي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها وهو أول من ولد بها من المسلمين وأتى البصرة والكوفة والشام وكان كريماً يسمى بحر الجود وللشعراء فيه مدائح توفي سنة 80هـ

تنظر ترجمته: جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت، 279هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي (بيروت، دار الفكر، ط1، 1417هـ/1996م)، ج2/45.

تاريخ الملوك والأمم المشهور بتاريخ الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر (ت، 310هـ)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ)، ج10/305.

(21) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت، 505هـ)، (بيروت، دار المعرفة، بلا)، ج3/249.

(22) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المدني يكنى أبا جعفر ويلقب بالباقر ومشهور أبو جعفر الباقر، وسمي الباقر لبقائه العلم أي شقه واستنباطه الحكم، ولد سنة سبع وخمسين للهجرة، أمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب روى عن أبيه وجابر بن عبد الله وجدته الحسين وجد أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام مرسل وأنس وسعيد بن المسيب وأم سلمة وعطاء بن ياسر وأبي سعيد الخدري وابن عباس وغيرهم روى عنه ابنه جعفر بن محمد وعمرو بن دينار والأعمش والأوزاعي وابن جريج وقرة بن خالد وخلق، كان فقيهاً فاضلاً ذا كراً خاشعاً صابراً تقياً من سلالة النبوة رفيع النسب عالي الحسب كثير البكاء والعبرات معرضاً عن الجدل والخصومات كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة وافر العلم والحلم توفي سنة 114هـ وهو ابن 73 سنة ودفن بالبقيع.

تنظر ترجمته: الكنى والأسماء، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت، 261هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد

(31) أسامة بن زيد بن حارثة ، صحابي جليل، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنيته أبو زيد وقد قيل أبو محمد ويقال أبو زيد وأمه أم أيمن اسمها بركة مولدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ونشأ على الإسلام كان أبوه من أول الناس إسلاما، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه حبا جما، هاجر إلى المدينة، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة رحل أسامة بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق ثم عاد إلى المدينة فأقام إلى أن توفي بالجرف سنة 54هـ.

تنظر ترجمته: المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري بن قتيبة (ت، 276هـ) تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، ج1/145، الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت، 354هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية (الهند، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1393هـ/1973م) ج2/3، رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنجُوْنَه (ت، 428هـ) تحقيق: عبد الله الليثي، (بيروت، دار المعرفة، ط1، 1407هـ)، ج1/70.

(32) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي (ت 320هـ)، (بيروت، دار صادر، 1970م)، ج1/25.

(33) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، ص188؛ كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني، ص4140.

(34) الشام: حدها من الفرات إلى العرش طولا وعرضها من جبلي طيء إلى بحر الروم وبها أمهات المدن وبسبب تسميتها بالشام قيل لأنها من شمال الكعبة وقيل لشامات في أرضها سود وبيض وقيل سميت بسام بن نوح لأنه أول من نزلها فتطير العرب كما سكنتها من أن تقول سام فقال شام وقيل غير ذلك في تسميتها وماؤها عذب وهوؤها طيب.

مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان ابن زبر الربيعي (ت، 397هـ)، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد (الرياض، دار العاصمة، ط1، 1410هـ)، ج1/191؛ تذكر الحفاظ، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي ابن القيسراني (ت، 507هـ) تذكر الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل (الرياض، دار الصميقي، ط1، 1415هـ)، ج1/43 – 44.

(26) تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي، ص199.

(27) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ج6/238 – 239؛ إجابات الإمام الحسن المجتبي عليه السلام لسيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام برواية الإمام المزي (ت، 742هـ) دراسة تاريخية، تأليف: الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني، (بغداد، أنوار دجلة، ط1، 1444هـ/2022م)، ص7268.

(28) المعافي بن زكريا بن يحيى بن حميد الحافظ القاضي ذي الفنون أبو الفرج النهرواني بن طراز الفقيه المفسر الجريري كان على مذهب ابن جرير محمد بن جرير الطبري سمع البغوي وابن أبي داود، وابن صاعد وأبا مد الحضرمي وأبا سعيد العدوي وخلاتق، حدث عنه أبو القاسم الأزهرى والقاضي أبو الطيب له كتاب تفسير كبير في ست مجلدات وله كتاب الجليس والانيس في مجلدين وكان ثقة من بحور العلم وكان أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة وانا ف الادب مات المعافي بالنهروان في العراق في سنة 390 هجرية وله من العمر 85 سنة.

تنظر ترجمته: تذكر الحفاظ، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي (ت، 507هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي (الرياض، دار الصميقي، ط1، 1415هـ)، ج3/1010؛ تكملة الإكمال، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت، 629هـ)، تحقيق: د.عبد القيوم عبد ريب النبي، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1410هـ)، ج4/17؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج16/544 – 546؛ طبقات الحفاظ، أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت، 911هـ)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ)، ج1/401.

(29) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج6/240؛ البداية والنهاية، لابن كثير، ج40/8.

(30) تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي، ص199.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ابن الأثير (ت، 630هـ)، (بيروت، دار الفكر، 1409هـ/ 1989م)، ج 1/151 – 152.

(39) المحاسن والمساوئ، للبيهقي ج 1/25.

(40) الخف: وخف الشيء يخفف بالكسر خفه صار خفيفاً واخف الرجل خفت حاله وهو ما يلبس بالرجل.

ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت، 721هـ)، تحقيق: محمود فاخر (بيروت، مكتبة لبنان 1415هـ/ 1995م)، ج 1/77.

(41) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، ج 6/233؛ المجموع، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي (ت، 676هـ) تحقيق: محمود مطرح (بيروت، دار الفكر، ط 1، 1417هـ/ 1996م)، ج 7/60.

(42) المحاسن والمساوئ، إبراهيم البيهقي، ج 1/25.

ينظر: المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت، 487هـ)، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م)، ج 1/460، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الجنبلي صفى الدين (ت، 739هـ)، (بيروت، دار الجيل، ط 1، 1412هـ)، ج 2/775.

(35) كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت، 693هـ)، (بيروت، دار الأضواء، بلا)، ج 2/183؛ كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني، ص 42.

(36) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، ج 1/25.

(37) الكشكول، بهاء الدين العاملي (ت، 953هـ) قدم له السيد محمد مهدي الخرساني، (النجف، المطبعة الحيدرية، 1393هـ/ 1973م)، ج 2/193؛ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي ص 122.

(38) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن جراح بن عامر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتسمى به ويفتخر بذلك، وأحد المكثرين في الرواية عنه، صح عنه أنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين سنة، وقيل خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات ثم شهد الفتوحات بعده وسمن البصرة وتوفي بها سنة تسعين وقيل سنة 93، وكان عمره مائة وثلاثة سنين، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة بمنطقة الطف على بعد فرسخين من البصرة ودفن بها.

تنظر ترجمته: تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت، 354هـ)، تحقيق: بوران الضناوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلا)، ص 28 – 29؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت، 463هـ) تحقيق: علي محمد الجاوي (بيروت، دار الجيل، ط 1، 1412هـ/ 1992م)، ج 1/71.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت، 505هـ)، (بيروت، دار المعرفة، بلا).
2. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت، 463هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـ/1992م).
3. أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ابن الأثير (ت، 630هـ)، (بيروت، دار الفكر، 1409هـ/1989م).
4. إكمال الأعمال بتلخيص الكلام: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي جمال الدين (ت، 672هـ) المحقق: سعد بن حمدان الغامدي (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1404هـ/1984م).
5. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت، 774هـ)، (بيروت، مكتبة المعارف، بلا).
6. تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت، 354هـ)، تحقيق: بوران الضناوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلا).
7. تاريخ الملوك والأمم المشهور بتاريخ الطبري: محمد بن جرير أبو جعفر (ت، 310هـ)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ).
8. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب العباسي (ت، 292هـ)، (بيروت، دار صادر، بلا).
9. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت، 571هـ) تحقيق: عمرو بن عرامة العمري، (بيروت، دار الفكر، 1415هـ/1995م).
10. تذكّر الحفاظ: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي ابن القيسراني (ت، 507هـ) تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل (الرياض، دار الصمعي، ط1، 1415هـ).
11. التعديل والتجريح: أبو الوليد سليمان بن خلف بن أسعد الباجي (ت، 474هـ)، تحقيق: أبو لبابة حسين (الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط1، 1406هـ/1986م).
12. تكملة الإكمال: أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت، 629هـ)، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1410هـ).
13. تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي (ت، 852هـ)، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1404هـ/1984م).
14. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت، 742هـ) تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ/1980م).
15. تهذيب تاريخ دمشق الكبير: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر (ت،

21. رجال صحيح البخاري: أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين النجاري الكلاباوي (ت، 398هـ) تحقيق: عبد الله الليثي (بيروت، دار المعرفة، ط1، 1407هـ).

22. رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنجُوِيَه (ت، 428هـ) تحقيق: عبد الله الليثي، (بيروت، دار المعرفة، ط1، 1407هـ).

23. سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت، 748هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي (بيروت مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ).

24. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت، 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ/ 1987م).

25. ضعفاء العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي (ت، 322هـ) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ/ 1984م).

26. الضعفاء والمتروكين: أحمد بن شعيب النسائي (ت، 301هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد (حلب، دار الوعي، ط1، 1369هـ).

27. طبقات الحفاظ: أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت، 911هـ)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ).

571هـ)، هذبه ورتبه عبد القادر بدران (ت، 1346هـ)، (بيروت، دار الميسرة، ط2، 1399هـ/ 1979م).

16. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت، 1031هـ)، (القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1410هـ/ 1990م).

17. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت، 354هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية (الهند، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1393هـ/ 1973م).

18. الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الرازي (ت، 327هـ)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1371هـ/ 1952م).

19. جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلْأَدْرِي (ت، 279هـ) تحقيق: سهيل زكارور رياض الزركلي (بيروت، دار الفكر، ط1، 1417هـ/ 1996م).

20. ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي الدار قطني (ت، 385هـ) تحقيق: بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1985م).

28. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت، 170هـ) المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (بيروت، دار ومكتبة الهلال، بلا).
29. كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت، 693هـ)، (بيروت، دار الأضواء، بلا).
30. الكشكول: بهاء الدين العاملي (ت، 953هـ) قدم له السيد محمد مهدي الخرساني (النجف، المطبعة الحيدرية، 1393هـ/1973م).
31. الكنى للبخاري: أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت، 256هـ) تحقيق: السيد هاشم الندوي (بيروت، دار الفكر، بلا).
32. الكنى والأسماء: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت، 261هـ/875م)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط1، 1404هـ).
33. المبسوط: أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت، 483هـ)، (بيروت، دار المعرفة، 1406هـ).
34. مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت، 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ/1986م).
35. المجموع: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي (ت، 676هـ) تحقيق: محمود مطرح (بيروت، دار الفكر، ط1، 1417هـ/1996م).
36. المحاسن والمساوي: إبراهيم بن محمد البيهقي (ت 320هـ)، (بيروت، دار صادر، 1970م).
37. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت، 721هـ)، تحقيق: محمود فاخر (بيروت، مكتبة لبنان، 1415هـ/1995م).
38. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي صفّي الدين (ت، 739هـ)، (بيروت، دار الجبل، ط1، 1412هـ).
39. المسالك والممالك: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت، 487هـ)، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م).
40. مشاهير علماء الأمصار: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت، 354هـ) تحقيق: م. فلا يشهر، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1959م).
41. المعارف: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري بن قتيبة (ت، 276هـ) تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م).
42. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت، 626هـ) المحقق: إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1414هـ/1993م).
43. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت، 911هـ) المحقق: أ.د. محمد إبراهيم عبادة

(القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ/م2004).

44. مولد العلماء ووفياتهم: محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان ابن زبر الربيعي (ت، 397هـ)، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد (الرياض، دار العاصمة، ط1، 1410هـ).

45. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ميزان: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت، 748هـ)، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م).

46. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (ت، 1298هـ)، خرج أحاديثه ووضع حواشيه: عبد الواحد محمد علي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/ 1997م).

47. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلي بن خلكان (ت، 681هـ) تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ط1، 1971م).

48. الوفيات للقسنطي: أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطي (ت، 809هـ) تحقيق: عادل نويهض (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1978م).

49. إجابات الإمام الحسن المجتبي عليه السلام لسيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام برواية الإمام المزي (ت، 742هـ) دراسة تأريخية، تأليف: الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم

المشهداني، (بغداد، أنوار دجلة، ط1، 1444هـ/م2022).

50. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت، 1396هـ)، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م).

51. أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه شخصيته وعصره: علي محمد محمد الصلابي (مصر، مكتبة الإيمان بالمنصورة، 1425هـ).

ثانياً: المراجع:

52. كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، تأليف: الأستاذ الدكتور أنس محمد جاسم المشهداني (بغداد، مطبعة انوار دجلة، ط2، 1443هـ/ 2021م).

ثالثاً: الرسائل العلمية:

53. أهل الكساء عليهم السلام فضلكم ومكانتهم في الإسلام: السيد أنس محمد جاسم حمادي الحسيني المشهداني، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جمهورية العراق - معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا - بغداد - 1429هـ/ 2008م).

رابعاً: المعاجم:

54. معجم اللغة العربية المعاصر: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت، 1424هـ) بمساعدة فريق

عمل (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1429هـ /
2008م).

55. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة
(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد
القادر/ محمد النجار)، (مصر، دار الدعوة، بلا).
خامساً: المقالات:

56. كرم وجود الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب
عليه السلام: أنس محمد جاسم الحسيني
المشهداني، مقال منشور في جريدة القضية
العدد (52) لسنة 2005م.

التوجهات العلمية لسيدات القصر العباسي وأثرها في الحضارة الإسلامية

132-656هـ / 749-1258م

الأستاذة الدكتورة أنيسة محمد جاسم

جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

المقدمة

دانت الحضارة الإسلامية بنصيب وافر إلى العصر العباسي، الذي شهد نهضة علمية واسعة النطاق بفضل جهود مختلف فئات المجتمع بدءاً من الخلفاء أنفسهم ورجال دولتهم في دعم تيار الحركة العلمية وانتهاءً بالفئات المتعففة مادياً وغنية معرفياً التي لم تبخل بخلاصة معارفها لخدمة طلاب العلم والمعرفة في ربوع الدولة العباسية، وكلا حسب قدراته وإمكاناته، وقد ارتأيت في بحثي هذا أن اسلط الضوء على العنصر النسوي في القصر العباسي، سيما سيدات القصر العباسي وأعني بهن زوجات الخلفاء العباسيين وحظاياهم، فضلاً عن بنات الخلفاء، والوقوف على طبيعة السبل والوسائل التي اعتمدتها لإثراء الجانب العلمي في الدولة العباسية تحت إطار عنوان (التوجهات العلمية لسيدات القصر العباسي وأثرها في الحضارة الإسلامية 132-656هـ / 749-1258م)، ولعل أهمية الموضوع تكمن في إبراز دور نساء الطبقة الحاكمة في خدمة الجانب العلمي، والتأكيد أن حياة الترف والرفاهية التي عشن في ظلها لم تشغلن عن جانب وفرض مهم وهو طلب العلم أو الإسهام في دعمه ونشره بين فئات المجتمع، من منطلق مكانتهن ونفوذهن في الدولة العباسية مادياً ومعنوياً، فكان أداة فاعلة في دعم النشاط

العلمي الذي خلد ذكراهن في سفر التاريخ، فبحثي المتواضع هذا يعد محاولة لتقصي اثر تلك السيدات للتعرف على طبيعة جهودهن الذاتية لتحصيل العلم لأنفسهن، والوقوف على المؤسسات التعليمية التي قمن بتشبيدها، سواء ماهيتها أو الإطار الجغرافي الذي امتدت له خطوة البناء للشواخص العلمية من قبل تلك السيدات، والتعرف على العلماء الذين تواصلوا معهن وموقفهن من حملة العلم وأسلوب تعاملهن مع العلماء، مما يقدم صورة واقعية عن دورهن في الحضارة الإسلامية ضمن شواهد من العصر ذاته.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن يقسم إلى مقدمة ومباحث ثلاث، استعرضت في المبحث الأول: الإمكانيات العلمية لسيدات القصر العباسي، وتناول المبحث الثاني: جهود سيدات القصر العباسي في تأسيس مراكز العلم التي منها المسجد ودور القرآن والممارسات والربط والمدارس، في حين ركز المبحث الثالث على: مبادرات سيدات القصر العباسي لإكرام حملة العلم.

ومما يجدر ذكره أن صعوبة البحث تكمن في أن المعلومات المتعلقة بحريم القصر العباسي موجزة عموماً، وتعد لمع متناثرة في المصادر المتنوعة سيما وأن المؤلفين ممن كتبوا عن أحداث العصر العباسي لم يبوبوا سوى

المعلومات أو الأحداث البارزة فيما يتعلق بإنجازات نساء الخلافة، الأمر الذي استلزم متابعة متأنية واستقصاء دقيق للمعلومات التي وردت عنهن فيما يتعلق بموضوع البحث على وجه الخصوص.

وعولت في بحثي هذا على عدد مهم من المصادر الأولية التي تنوعت ما بين كتب التاريخ العام التي أرخت لأحداث تتعلق بإنجازات مهمة للسيدات موضوع البحث، فضلاً عن كتب التراجم والطبقات التي ترجمت لهن ولغيرهن من الأعلام الذين وردوا في البحث، وكتب الأدب التي زخرت بمعلومات لا غنى لنا عنها سيما ما يتعلق بالجانب الأدبي الذي شغل حيزاً من البحث، وكتب المعاجم البلدانية وكتب اللغة، التي أثرت البحث بمعلوماتها، ولا تغفل أهمية بعض الدراسات الحديثة التي أثرت البحث بما ورد فيها من آراء وطروحات قيمة.

المبحث الأول: الإمكانيات العلمية لسيدات القصر

العباسي:

أثبتت سيدات القصر العباسي سواء كن زوجات الخلفاء العباسيين أو بناتهم إمكانياتهن العلمية بشكل جلي، عندما أقدمن على ترجمتها إلى واقع ملموس، لم يقتصر أثره العلمي علي البيت العباسي أو فئة خاصة بل استفادت من تلك الإمكانيات والتوجهات العلمية فئات مختلفة ونواح متعددة، تركت أثرها الملموس في حضارة العصر، وأثبتت أن حالة الترف والرخاء التي تعيشها العوائل الحاكمة بنسائها ورجالها لم تنهم أو تشغلهم عن إثبات حضورهم الفاعل في الميادين النافعة، بل والإسهام في تطويرها أيضاً بما يخدم حضارة العصر، فنجد التاريخ حافلاً بالشواهد التي تؤيد تلك الإمكانيات المتميزة، ومنها أن

(الخيزران)⁽¹⁾ زوجة الخليفة المهدي (158-169هـ / 774-785م)، كانت محدثة إذ روت أحاديث مسندة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽²⁾، كما أنها كان لها باع في علم الفقه، فقد كان شيخها في هذا الميدان الإمام الأوزاعي (ت، 157هـ / 774م)⁽³⁾ الذي نهلت العلم على يديه⁽⁴⁾، فضلاً عن ذلك عُرف عنها أنها كانت تجيد نظم الشعر الموزون المقفى، ومن ذلك قَدْ حَجَّتِ الْخَيْرُزَانُ مَرَّةً فِي حَيَاةِ الْمُهْدِيِّ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا وَهِيَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَفْتَقِدُهَا وَيَتَشَوَّقُ لَهَا، مِمَّا حَمَلَهُ عَلَى إِرْسَالِ أُبَيَاتٍ لَهَا قَالَ فِيهَا:

((نَحْنُ فِي غَايَةِ السُّرُورِ وَلَكِنْ
لَيْسَ إِلَّا بِكُمْ يَتِمُّ السُّرُورُ
عَيْبُ مَا نَحْنُ فِيهِ يَا أَهْلَ وَدِّي
أَنْكُمْ غُيِّبَ وَنَحْنُ حُضُورُ
فَأَجِدُوا فِي السَّيْرِ بَلْ إِنْ قَدَرْتُمْ
أَنْ تَطِيرُوا مَعَ الرِّيحِ فَطِيرُوا
فَأَجَابَتْهُ:

قَدْ أَتَانَا الَّذِي وَصَفْتَ مِنَ الشُّو
قِ فَكَدِينَا وَمَا فَعَلْنَا نَطِيرُ
لَيْتَ أَنَّ الرِّيحَ كُنَّ يُؤَدِّينَ
إِلَيْكُمْ مَا قَدْ يُجِنُّ الضَّمِيرُ
لَمْ أَزَلْ صَبَّةً فَإِنْ كُنْتَ بَعْدِي
فِي سُرُورٍ قَدَامَ ذَاكَ السُّرُورِ)⁽⁵⁾.

الأمر الذي عكس قدرة هذه السيدة على نظم إجابة بليغة، موزونة تليق برسالة الخليفة ولا تقل عنها في قيمة ومعاني الدلالات التي انطوت عليها.

ومن بنات الخليفة المهدي اللائي عرفن بإمكانياتهن العلمية نذكر ابنته (أسماء)⁽⁶⁾، التي كانت شاعرة تحرص على عقد المجالس الأدبية لفحول الشعراء في قصرها، للتباري في إنشاد الشعر في مواضيع شتى⁽⁷⁾، ولم

تقل عنها أختها (عُلية بنت المهدي)⁽⁸⁾ في إنشاد الشعر ونظمه، إذ كان لها ديوان شعر عرف باسمها⁽⁹⁾.

ونجد أن الدعم العلمي الذي قامت به زوجات الخلفاء العباسيين انطلق من داخل قصورهن، ومن ذلك السيدة (زبيدة)⁽¹⁰⁾ زوجة الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ / 786-808م) وجهودها في تعليم جوارى قصرها القرآن الكريم ذلك أنها كانت تمتلك مائة جارية يحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن الذ حد أن كان يسمع في قصرها كدوي النحل من الورد اليومي للقرآن الذي صدعت به حناجر جواربها عند تعليمها لهن⁽¹¹⁾.

ولم يقتصر الأمر على جواربها فحسب بل اختارت أن يكون لها دور في أشرف البقاع، وهي مكة المكرمة تحديداً إذ كانت لها دار تقع في الشق الغربي من المسجد الحرام، وكانت تلك الدار كبيرة، وعُرفت بدار زبيدة، ووصفت تلك الدار بأن لها بابين يؤديان إلى زقاق، وهو عبارة عن طريق مسلوكة يؤدي إلى المسجد الحرام وكانت تلك الدار قد شهدت حضور أهل العلم فيها للمذاكرة وعقد مجالس العلم في رحابها، ومن الذين عقدوا مجالس العلم في هذه الدار نذكر (علي بن حرب الموصلي)⁽¹²⁾ و(ابن وهب)⁽¹³⁾ اللذان استمتع واستفاد من علمهما طلبة العلم في الدار تلك، سيما سنة 188هـ / 804م⁽¹⁴⁾.

وعكست السيدة زبيدة إمكاناتها العلمية ومعرفتها باللغة العربية ومعانيها بجلاء، من خلال قدرتها على استدراك أخطاء من حولها، ومن بينهم الشعراء، فروي أن أحد الشعراء قد أخطأ في ألفاظ كان يسعى من خلالها إلى مدحها إلا أنه أساء التعبير، فقال:

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزازرك المثاب
تعطين من رجلك ما تعطى الأكف من الرغاب

الأمر الذي دفع بالخدم أن يوقعوا به لسوء أدبه، وعبارته، إلا أن زبيدة ببلاغتها وحلمها، قد أدركت ما كان يقصده، فبررت لهم بأنه إن أخطأ في خير أرادته أحسن ممن أراد شراً فأصابه، لأنه سمع الناس وهم يذكرون بأن شمالها أندى من يمين غيرها، فذكرت لهم أنه ربما قدر مثل هذا، وأمرت أن يعرفوه خطأه، ويغدقوا عليه بالعطاء دون أن يتعرض للمؤاخذه⁽¹⁵⁾، الأمر الذي برهن على إنسانيتها من جانب وعلى معرفتها من الجانب الآخر، كما برزت (حمدونة)⁽¹⁶⁾ بنت الرشيد في ميدان اهتمامها بالشعر والغناء⁽¹⁷⁾.

وكان لزوجة الخليفة الأمين (193-198هـ / 808-813م) التي عقد قرانها، وقتل قبل أن يعرس بها وهي (لبابة)⁽¹⁸⁾ تضلع وعناية بإنشاد الشعر، ومن ذلك شعرها في رثاء الأمين عندما بلغها خبر مقتله، فأنشدت قائلة:

((أبكيك لا للنعم والأنس
بل للمعالي والسيوف والترس
أبكي على سيد فُجِعْتُ به
أزْمَلَنِي قبل ليلة العرس
يا مالكا بالعراء مُطَرَحاً
خانتة أشراطه مع الحرس))⁽¹⁹⁾.

أما (بوران)⁽²⁰⁾ زوجة المأمون (198-218هـ / 813-833م) فلم تقل عن غيرها علماً ومعرفة، ومما قال فيها أحد المقربين منها بأنه: ((...لا شاهدت من النساء امرأة كبوران في عقلها، وأما معرفتها وأدبها فما أظن من يتهيأ له أن يقف من العلوم على ما وقفت عليه... ولقد عاشرت الظرفاء والملاح والأدباء أكثر من أن يقع عليه إحصاء، ولم يكن جرى بينها وبين أحد مكروه ولا كلمة قبيحة، ولم يكن مذهبا في ذلك إلا حب الأدب والمذاكرة، ومعاشرة الظرفاء

وأهل المروءة والأقدار والتبّل والأخطار، لا لريبة تظهر، ولا لحالة تنكر... فهذا خبر بوران صحيحاً على الحقيقة، وسبب تزوّج المأمون بها⁽²¹⁾، كما كانت تجيد نظم الشعر ومن شعرها في رثاء زوجها المأمون:

((أسعداني على البكا مقلتيا

صرت بعد الإمام لهم فيّا

كنت أسطو على الزمان فلما

مات صار الزمان يسطو عليّا))⁽²²⁾.

وبذلك نجد الحضور العلمي واضحاً في شخصية السيدة بوران من حيث ثناء المقربين عليها والشهادة لها بالمعرفة والعلم، الذي عد من بين المؤهلات التي دعت الخليفة المأمون للارتباط بها، وهي ذاتها المؤهلات التي أبرزتها عند وفاة زوجها فرثته بكلمات لها قيمتها المعنوية الواضحة والتي لا تصدر إلا عن امرأة تزن وتدرك معنى ما وصلت له من حال بعد وفاة زوجها الخليفة الذي كان يمثل السند الذي يعيّلها على نوائب الدهر.

واشتهرت السيدة (قطر الندى)⁽²³⁾ زوجة الخليفة المعتضد بالله (279-289هـ / 892-901م) باهتماماتها الأدبية حتى أنها وصفت بأنها ((...أديبة عاقلة...))⁽²⁴⁾.

ولعل الإمكانات العلمية التي تميزت بها أولئك السيدات كان لها أثرها الفاعل في تقديرهن للعلم ولحملته وإدراكهن أهمية المشاركة في رفد النشاط العلمي بمختلف توجهاته لما لذلك من أثر في خلق مجتمع واع مثقف يدرك قيمة العلم ويسهم في إيجاد جيل نافع في مختلف ميادين الحياة، وأضافت لهن تميزاً بين نساء العصر، لذا نجد بصمات سيدات القصور واضحة في دعم الجانب العلمي وحملة العلم فتركن أثراً إيجابياً مميزاً في الحركة العلمية

سواء في العراق الذي كان موطن الأسرة العباسية الحاكمة أو في نواح أخر امتدت لها سلطة الدولة.

المبحث الثاني: مبادرات سيدات القصر العباسي

لتأسيس مراكز الحركة الفكرية

1- المساجد ودور القرآن

كان لسيدات القصر التفاتة رائعة صوب تأسيس مراكز الحركة الفكرية في ربوع الخلافة العباسية والتي تنوعت في طبيعتها، وإن كانت جميعها انصب عملها ودورها لصالح تخريج جيل رائد من حملة العلم، أغنى الحضارة الإسلامية وأسهم في رفع شأنها عالياً، فنجد في هذا الميدان دور السيدة زبيدة زوجة الخليفة الرشيد، التي بادرت ببناء مسجد في الديار المقدسة في إحدى زياراتها المتكررة للحجاز لأداء مناسك الحج ويروى عن الموقع الذي بنت فيه زبيدة مسجدها ذلك، أنه كان بيت السيدة آمنة بنت وهب أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعندما حملت بالرسول الكريم، كانت تتمنى أن تضعه فيه، فبادرت زبيدة بشراء الدار من مالكها وقتذاك وكان موقعه عند الصفا وبنت فيه مسجداً ليصلي الناس فيه، وبطبيعة الحال فإن ذلك المسجد كان يرتاده شيوخ العلم وطلبته وتدار فيه حلقات العلم المتعددة⁽²⁵⁾.

وكان للسيدة (بنفشه)⁽²⁶⁾ زوجة الخليفة المستضي بالله (566 – 575هـ / 1170 – 1179م) أفضال ويد كريمة للعناية بالمساجد لما عُرف عنها من توجهات دينية وعلمية، فبنت هذه السيدة بموضع في (سوق الخبازين)⁽²⁷⁾ مسجداً كبيراً⁽²⁸⁾، فضلاً عن دورها في إعمار مساجد كثيرة قائمة في مواضع عدة⁽²⁹⁾. أسوة بزوجها

ال خليفة المستضيء بالله، الذي عمروصان مساجد كثيرة في غاية الأهمية، كالمسجد النبوي الشريف⁽³⁰⁾.

ولم تقل السيدة (زمرد خاتون)⁽³¹⁾ أم الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ / 1179-1226م) عن سابقاتها من سيدات البلاط العباسي في إظهار عنايتها بحملة العلم، ولا سيما أنها ترجمت ذلك إلى واقع عملي ملموس، إذ بلغ احترامها واعتزازها بالشيخ الزاهد (ابن نقطة)⁽³²⁾ أن أقبلت على بناء مسجد له ببغداد، فانقطع فيه للعبادة⁽³³⁾.

وكان لزوجة الخليفة المستعصم بالله (640 – 656هـ / 1242 – 1258م) المعروفة بـ (باب بشير)⁽³⁴⁾ الفضل في وقف دار للقرآن عام 652هـ / 1254م على شاطئ دجلة بغربي بغداد، وخصصت لتعليم أبناء العوائل المتعففة، وهي التفاتة طيبة من زوجة الخليفة لهذه الفئة من أبناء المجتمع لينالوا حظهم من التعلم أسوة بأقرانهم، الأمر الذي يتكفل بالقضاء على الجهل والامية⁽³⁵⁾.

2- الممارسات (المستشفيات)

كان للعلوم العقلية نصيبها من الاهتمام عند سيدات القصر، فنجد أن علم الطب قد حاز على اهتمامهن وتم تعليمه بشكل نظري وعملي على المرضى من خلال البيمارستانات التي بينت من قبلهن والتي أدت دور مؤسسات تعليمية لطلبة الطب فضلاً عن دورها العلاجي، الأمر الذي تكفل بارتقاء مهنة الطب في الدولة العباسية، فنجد أن السيدة (شغب)⁽³⁶⁾ أم الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ / 907-932م) أوعزت ببناء بيمارستان عرف ببيمارستان السيدة وكان موقعه (بسوق يحيى)⁽³⁷⁾ على دجلة، وقد احتفل بافتتاح هذا المشفى أول يوم من

المحرم من عام 306هـ إذ أوعزت إلى الطبيب (سنان بن ثابت)⁽³⁸⁾ إدارة هذا المارستان، ورتب المتطبين وكانت النفقة عليه كل شهر ستمائة دينار، وفي رواية كانت النفقة عليه سبعة آلاف دينار في العام⁽³⁹⁾.

فكان لهذه السيدة الفضل في الارتقاء بعلم الطب ومهنة الطب بفضل هذا الشاخص العلمي الذي شيدته وتكفلت برعايته.

3- الربط:

تعرف الربط بأنها: ((ما رُبطَ به، ومُلازِمَةٌ تُغَرِّ العَدُوَّ، كالمُرابطة، وواحدُ الرِّباطاتِ المَبْنِيَّةِ، أو المُرابطة: أن يَرُبطَ كُلٌّ منَ القَرِيْقَيْنِ خُيُولَهُم في ثَغْرِهِ، وكُلُّ مُعِدٍّ لِصاحِبِهِ، فَسَيَّيَ المَقَامُ في الثَّغْرِ رِباطاً))⁽⁴⁰⁾ إلا أن الربط أدت وظيفة أخرى وهي اتخاذها كمراكز لنشر العلم الذي درس في رحابها، ولم تكن فقط مأوى للصوفية، فنجد أن بعض نساء الخلفاء أقدمن على بناء ربط عهدن إدارتها إلى مشايخ أهل العلم، وهذا ما نحت نحوه زوجة الخليفة (المستظهر بالله 487 – 512هـ / 1094 – 1118م)، المعروفة (عصمة خاتون)⁽⁴¹⁾ التي كانت قد بنت رباطاً بـ (باب الازج)⁽⁴²⁾ للعالم (علي الغزنوي)⁽⁴³⁾، وأذنت له بعقد حلقات العلم في رحابه، وكان يحضر ذلك الرباط أعداد كثيرة لسعة الرباط الذي كان يستوعبهم، والأهم من هذا لجزالة ألفاظ هذا العالم وحسن صيته وجمال وعظه وحسن تأثيره في سامعيه، ولنا أن نلمس جهود زوجة الخليفة على هذا الرباط أنها كانت قد أوقفت أوقافاً كثيرة عليه من جملتها قرية اشترتها خصيصاً لذلك الرباط، الذي انتفع الناس بعلم شيخه، وجاهه ومكانته عند هذه السيدة لمكانته العلمية، إذ أفاد الناس بمعرفته بالفقه، والتفسير،

والحديث، الذي أخذ ينشره من موقعه في ذلك الرباط، لمن قصده من طالبي العلم، الذين لم يكونوا من عامة الناس فحسب بل كبار المسؤولين في دولة الخلافة⁽⁴⁴⁾.

وبادرت بعض زوجات الخلفاء للقيام بالتفاتته رائدة صوب النساء عندما خصصن بعض الربط للنساء المتصوفات وعهدهن إدارة الربط للنساء حصراً، وذلك لإبراز دورهن في المجتمع وأنهن لا يقلن مكانة علمية عن الرجال، وكانت رائدة هذا التوجه السيدة بنفسه زوجة الخليفة المستضيء بالله (566 - 575هـ / 1170 - 1179م)، إذ باشرت بتشيد رباط في (سوق المدرسة)⁽⁴⁵⁾، وأوقفته على الصوفيات، وكان يوم افتتاح الرباط في الأول من رجب عام 572هـ / 1176م، وأعربت السيدة بنفسه عن فرحتها بافتتاح ذلك الرباط فعملت دعوة بالمناسبة، كما أكلت بمشيخة ذلك الرباط إلى امرأة من ذوي العلم، والكفاءة، والدين، وأكرمت النساء المقيمات في ذلك الرباط فأغدقت عليهن بالأموال⁽⁴⁶⁾.

ولم تنفك زوجات الخليفة المستضيء عن رعاية حملة العلم ومريديه، فنجد أن السيدة (زمرد خاتون) زوجة المستضيء برز دورها جلياً في الميدان العلمي ابان عهد ولدها الخليفة الناصر لدين الله سيما في تشييدها الربط، فنجد في أحداث عام 577هـ / 1181م إقدامها على تشييد (رباط المأمونية)⁽⁴⁷⁾، وكان هذا الرباط مأوى للعلماء من المتصوفة، ومن بينهم العالم الصوفي (ابن الرأس)⁽⁴⁸⁾ الذي اشتهر بروايته الحديث النبوي الشريف⁽⁴⁹⁾.

مما يرحج بأن الربط كانت تقوم بمهمة تعليم الحديث النبوي الشريف على يد علماء الحديث الذين هيأت لهم الأماكن والأجواء المناسبة للقيام بمهمة التعليم بفضل جهود سيدات القصر العباسي وبدعم من الخلفاء

أنفسهم، سيما ديوان الأبنية الذي يمثل مؤسسة رسمية تولى مهمة الإشراف على بناء هذا الرباط⁽⁵⁰⁾.

ويبدو أن ذكر السيدة زمرد خاتون تكرر في عام 579هـ / 1183م ضمن جهودها بوقف رباطاً آخر في مكة المكرمة عُرف (بالعطيفية)⁽⁵¹⁾ على الفقراء، والصوفية، وذوي التقى، والعبادة والصلاح والرشاد⁽⁵²⁾.

وفضلاً عن ذلك أقدمت أم الخليفة الناصر 580هـ / 1184م على بناء رباط عند تربة مشهد العالم (علي بن الهيثمي)⁽⁵³⁾، على اثر عمارتها لتربيته وأوقفت على هذا الرباط قرية بلغ واردها خمس مائة دينار⁽⁵⁴⁾.

ولم تقل عنها السيدة (سلجوقة خاتون)⁽⁵⁵⁾ زوجة الخليفة الناصر لدين الله في ميدان بناء الربط، ومنها (رباط الاخلاطية)⁽⁵⁶⁾ الذي عرف بـ (الرباط السلجوقي) نسبة إليها، إذ شرع العمل ببناء هذا الربط بناءً على طلبها من زوجها الخليفة الناصر لدين الله بناء ذلك الرباط عام 584هـ / 1188م، لكنها توفيت قبل اتمامه، فأتمه الخليفة وفاءً لها ولرغبتها في هذا الرباط، الذي كان يقع إلى جوار تربتها، وتم افتتاحه عام 585هـ / 1189م، وحضر الخليفة الافتتاح بنفسه، وأقام الولائم بالمناسبة⁽⁵⁷⁾، ويبدو أن الخليفة الناصر كان قد خصص أوقافاً كثيرة لأجل هذا الرباط، من بينها بستان على نهر دجلة⁽⁵⁸⁾، الأمر الذي يؤكد سعة مساحة هذا الرباط الذي كان إلى جواره دار أعدها الخليفة لسكن شيوخ الرباط ومدرسيه⁽⁵⁹⁾.

4- المدارس:

ترجمت سيدات القصر العباسي توجهاتهن العلمية ودعمهن للحضارة الإسلامية بأجمل وأبهى الصور، فقد خلد التاريخ ذكرهن في ميدان الارتقاء بتشيد

المدارس، التي تعد من المؤسسات التعليمية الرائدة في الدولة العباسية.

وكانت للسيدة (عصمة خاتون) زوجة الخليفة المستظهر بالله (487 – 512هـ/1094 – 1118م) التفاتة طيبة في الجانب العلمي، تمثلت بخطوتها في تشييد المدارس لطلبة العلم، التي أوقفها على بعض المذاهب الإسلامية نذكر منها المدارس التي بنتها في الجانب الشرقي من بغداد سيما في الرصافة على نهر دجلة، ومنها مدرسة خاتون المستظهيرية التي عرفت باسمها، وكانت قد اختارت أفاضل علماء العصر للتدريس في مدرستها تلك، نذكر منهم العلامة (المنبجي)⁽⁶⁰⁾ الذي كان أحد أعمدة تلك المدرسة التي أوقفها على الحنابلة⁽⁶¹⁾.

ويبدو أن للسيدة بنفشة بصمات لا تنسى صوب بناء المدارس التي خدمت من خلالها طلبة العلم والعلماء الذين فتحت لهم الأبواب واسعة لنشر علمهم في رحاب تلك المؤسسات العلمية الرائدة في نشر العلم، فنجد أن هذه السيدة ترجمت ميلها للمذهب الحنبلي إلى واقع ملموس من خلال إقبالها على تشييد مدرسة أوقفها على الحنابلة في محلة باب الانج ببغداد، وأوقفت لها قرية، وعهد الإشراف على هذه المدرسة للعالم (ابن الصباغ)⁽⁶²⁾، ومن مشاهير العلماء الذين سمح لهم التدريس في هذه المدرسة العلامة (ابن الجوزي)⁽⁶³⁾ الذي أسند له التدريس بهذه المدرسة عند افتتاحها، لا سيما أن يوم افتتاحها من عام 571هـ/1175م كان يوما بهيجا حضر الافتتاح كل من القضاة وفقهاء بغداد وآلاف الناس، وكان قد أخرج كتاب الوقف الذي قرئ على الحاضرين، في أجواء علمية أعربت عن رعاية هذه السيدة للحركة العلمية في العراق، وأبت إلا أن تخلد ذلك الشاخص العلمي الذي شيده عندما

نقشت اسمها على جدران تلك المدرسة التي كتب عليها: ((وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة... في أيام... المستضيء بأمر الله... على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل))⁽⁶⁴⁾.

وكان للسيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله دور مهم في هذا الصدد، إذ أشارت النصوص أنها أوعزت ببناء مدرسة عند مرقد الصوفي (معروف الكرخي)⁽⁶⁵⁾ بجانب بغداد الغربي، وتم افتتاحها عام 589هـ/1193م، وكان يوم الافتتاح قد نمَّ عن فرح الخلافة الغامر بفتح آفاق جديدة للمعرفة، من خلال تلك المدرسة، التي دُعي إليها كبار الشخصيات في الدولة، وعملت لهم وليمة كبيرة، وكانت تلك المدرسة قد أوقفت على علماء الشافعية، فعرفت بمسميات عدة منها مدرسة (زمرد خاتون) وعُرفت بمدرسة الأصحاب أي أصحاب (الشافعي)⁽⁶⁶⁾، كما سميت أيضاً بمدرسة أم الخليفة، أو بالمدرسة الغربية⁽⁶⁷⁾، ويبدو أن السيدة زمرد خاتون كانت تشرف بنفسها على المهمة التعليمية في مدرستها تلك والتي أسستها وقفاً على المذهب الشافعي، الذي كان يوافق توجهات هذه السيدة العقدية، وكانت السيدة زمرد تختار الهيئة التدريسية في مدرستها تلك ومن بين الشخصيات الذين اختارهم للتدريس فيها نذكر العالم (النوقاني)⁽⁶⁸⁾، ولعل سبب اختيارها له، ذلك لأنه كان بارعاً في المذهب والخلاف، وكان فقيهاً مفتياً، له دراية بعلم التفسير، كما عرف بالتزامه الأخلاقي، وسجايه الطيبة من حيث الكرم والمروءة والقناعة، والصلاح، والهيبة، الأمر الذي جعله جديراً للتدريس في تلك المدرسة، وكانت أم الخليفة تتابع هذا الشيخ ودوره التعليمي، الأمر الذي على ما يبدو أنه حاز على رضاها مما حملها على إكرامه والإغداق عليه

بالخلع⁽⁶⁹⁾، التي استحقها وبجدارة لا سيما أنه عرف عنه بأنه تتلمذ على يديه أكثر الفقهاء والمدرسين في بغداد سواء من الشافعية وكذلك الحنابلة مما يعكس سعة علمه وإلمامه بمذاهب متعددة⁽⁷⁰⁾. وهذا العالم يمثل أنموذجاً لشيوخ مدرسة أم الخليفة الناصر لدين الله، تلك السيدة الفاضلة التي هي زوجة خليفة رائد في رعاية العلماء وهو الخليفة المستضيء بالله، وأم خليفة مضطلع في العناية بالمعرفة، فمن الطبيعي أن تكون قد تأثرت بزوجها، وأثرت في ابنها مما خلق تفاعلاً قوياً بين أفراد تلك العائلة لخدمة الحركة العلمية بكل مفاصلها، وظهر ذلك جلياً من النصوص التي أشادت بإنجازاتها، فاستحقت كل الثناء والإطراء الحسن، ولنا أن نقف على قول المنذري بها: ((كانت كثيرة الرغبة في أفعال البر، عمّرت المدارس و...وقفت وقوفاً كثيرة))⁽⁷¹⁾، وأضاف الأربلي قائلاً: ((...كانت أرغب النساء في فعل الخير، وأكثرهن له فعلاً، ولها بر وأفضال، فضلت به أمثالها في الصدقات الجارية وعمارة... المدارس، وغير ذلك مما لا خفاء فيه عن نظر متأمل))⁽⁷²⁾.

ولا بد من القول أنه بفضل جهود هذه السيدة وغيرها من سيدات القصر العباسي في دعم وإسناد طلبه العلم ومريديه، بمختلف السبل والوسائل أن انتشرت الثقافة وحب العلم والرغبة في طلبه على نطاق واسع بحيث فسح المجال للفئات المحدودة الدخل أن تأخذ نصيبها من التعلم والتضلع في ميادين المعرفة، إذ نجد أن حتى البوابين والفراشين ومناولي الكتب في المؤسسات التعليمية كانوا من العناصر المتعلمة، لما أتيح لهم من فرصة التعلم في رحاب المؤسسات التعليمية التي كانوا يعملون بها، بل أصبحوا ذائعي الصيت في علمهم ومنحوا بدورهم الإجازات لطلبة العلم الآخرين الذين تتلمذوا على

أيديهم، ومن هؤلاء نذكر (ابن ملاح الشط)⁽⁷³⁾ الذي كان بواب مدرسة السيدة زمرد خاتون، وكان قد سمع خلقاً من العلماء وأخذ عنه الكثير من أهل العلم ومنهم (ابن الديبشي)⁽⁷⁴⁾ وغيره، مما يؤكد سعة المجال الذي منح للعاملين في مؤسسات الدولة لأخذ العلم ونشره في ربوع البلاد⁽⁷⁵⁾.

وخلد التاريخ في سفره خطوة رائدة انطلقت من داخل قصر الخليفة المستعصم بالله (640 – 656هـ/ 1242-1258م) قامت بها زوجته (باب بشير) التي أقدمت على تشييد مدرسة في قطفتا بالجانب الغربي من بغداد، وأوقفها على المذاهب الأربعة، وشرع بالبناء عام 649هـ/ 1251م، فأقبلت زوجة الخليفة المستعصم بالله على الاستعانة بأهل العلم كقاضي القضاة، ونائبه، والعدول، وأخذت خطوطهم على كتاب الوقف الذي أثبتت فيه الكثير من الأوقاف التي أوقفت على تلك المدرسة، إلا أنه مما يؤسف له أن زوجة الخليفة قد توفيت قبل إتمام بناء مدرستها تلك، إلا أن الخليفة واصل إتمام مشروعها في بناء المدرسة التي افتتحت في 13 جمادي الآخرة، الموافق يوم الخميس من عام 653هـ/ 1255م، بحضور الخليفة وأولاده الذين احتفلوا بذلك اليوم، الذي توج به مشروع زوجته بالنجاح، وقد عمل وليمة كالمعتاد بالمناسبة، زينها العلماء، ووجوه الدولة بالحضور، وخلع الخليفة على مدرسيها، ونواب العمارة، وحتى الفراشين والخدم، وانشدت القصائد في ثناء الخليفة ومدحه لجهوده الخيرة في رعاية العلم ومؤسساته⁽⁷⁶⁾، ونقل إليها في ذلك اليوم من الكتب ما قدر حملة بستة وثلاثين صندوقاً، بالخطوط المنسوبة، والنسخ المضبوطة بيد أصحابها، فضلاً عن

مصاحف كريمة كتبت بيد بعض الخلفاء الراشدين،
وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)⁽⁷⁷⁾.

وهكذا نلمس مما تقدم جهود سيدات القصر
العباسي في تشييد مراكز الحركة العلمية التي كان لها أثر
كبير في وضع خلاصة علوم أصحابها ومعارفهم المتنوعة
بين أيدي الناس من طلبة العلم، وتنوير أذهانهم، وتوسيع
أفق تفكيرهم، الأمر الذي أسهم في الارتقاء بالمستوى
العلمي وبمختلف أرجاء الدولة العباسية.

المبحث الثالث: مبادرات سيدات القصر العباسي لإكرام

حملة العلم:

ان إمكانات سيدات القصر العلمية، ومعرفتهن
قيمة العلم، ودور حملته جعلهن لا يستغنين عن أحدهم
لا سيما أعلام الأمة وأئمتها في العلم، إذ كن يدركن أهمية
دورهم في المجتمع، لذلك لم يفوتن فرصة لإكرام عالم
تميز بكل ما يحمله الإكرام من المفاهيم سواء أكانت
معنوية أم مادية الأمر الذي عكس مكانة حملة العلم
وصناع الحضارة عند الطبقة العليا في المجتمع الإسلامي
ابان العصر العباسي وبمختلف الفئات رجالاً في موقع
السلطة أو سيدات القصور، ونورد في هذا الصدد
الشواهد التاريخية، إذ كانت زوجة الخليفة المنصور
(136-158هـ / 753-774م) المعروفة (بأم موسى
الحميرية)⁽⁷⁸⁾ ذات نفقات دارة على فقهاء العصر، لا سيما
من استعانت بهم في بعض المسائل الخاصة التي كانت
تعرض لها⁽⁷⁹⁾.

ولم تنس الخيزران زوجة الخليفة المهدي
(158-169هـ / 774-785م) دور حملة العلم وفضلهم،
سيما عندما نجحوا في إصلاح ذات البين بينها وبين

الخليفة بفضل ما قدموه من العلم النافع، الذي عالجوا
به تأزم العلاقة بينهما، على نحو ما أقبل عليه العالم
الجليل (الواقدي)⁽⁸⁰⁾ الذي كان موضع ثقة الخليفة المهدي
الذي اطلعه على أسرار بيته وسبب توتر العلاقة مع زوجته
الخيزران، مما حدا بالواقدي إلى معالجة الموضوع
بالاستعانة بوصايا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله
وسلم) فيما يتعلق بالنساء، الأمر الذي أسكن غضب
الخليفة عليها، وهذا من روعه فأغدق عليه بالعتاء، كما
أكرمه الخيزران لموقفه ذلك وهذا ما صرح به الواقدي
مثنياً لموقف الخليفة وزوجته قائلاً: ((...فسكن غضبه
وأسفر وجهه وأمر لي بألفي دينارٍ، وَقَالَ: أَصْلَحَ بِهِذِهِ مِنْ
حَالِكَ وَانصَرَفْتُ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَاقَانِي رَسُولُ
الخيزران، فَقَالَ: تَفَرَّأَ عَلَيْكَ سَيِّ السَّلَامُ، وَتَقُولُ لَكَ: يَا
عَمِّ قَدْ سَمِعْتَ جَمِيعَ مَا كَلَمْتُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَحْسَنَ
اللَّهُ جَزَاءَكَ، وَهَذِهِ أَلْفَا دِينَارٍ إِلَّا عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ بَعَثْتُ بِهَا
إِلَيْكَ لِأَنِّي لَمْ أُحِبَّ أَنْ أُسَاوِيَ صَلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَجَّهَتْ
إِلَيَّ بِأَنْثَوَابٍ))⁽⁸¹⁾ وبذلك أثبتت أسرة الخليفة المهدي بأنها لا
يضيع عندها احسان محسن من حملة العلم.

ولم تنس زوجات الخلفاء العباسيين فضل
معلي أولادهم وشيوخهم، وما بذلوه من جهود حثيثة في
تربية وإعداد أبنائهم، لذلك كان لهن نصيب ومشاركة
للخلفاء في الإنعام والهيبة التي قُدمت إلى العلماء، الذين
علموا أبناءهم من منطلق الإقرار بالفضل ومجازاة
الإحسان بالإحسان، ومن أولئك مكافأة أم اولاد الخليفة
الهادي (169-170هـ / 785-786م) المسماة ب(أمة العزيز)⁽⁸²⁾
للعالم (عبد الله الطيفوري)⁽⁸³⁾ الذي تنعم بعطايا الخليفة
فضلاً عن عطايا زوجته، وهذا ما أقره هذا العالم بقوله:
((...خلع علي وحملني على دابة من دواب رحله بسرجه

ولجامه، وأمر لي بمائة ألف حملت إلى منزلي، وقال... أنت أنبل الناس لأنك توليت تربية ابن خليفة... وبلغ أمة العزيز الخبر ففعلت بي مثل الذي فعل الهادي من الصلة، وحملت إلى منزلي ثياب صحاح...⁽⁸⁴⁾.

وعرفت السيدة زبيدة زوجة الخليفة الرشيد (170-193هـ / 786-808م) فضل ومكانة العلماء إدراكاً منها أهمية دورهم في إصلاح المجتمع لذلك استعانت بهم في حياتها الخاصة، فلم تستغن عن فتواهم سيما الفقهاء المتميزين كالـ (الليث بن سعد)⁽⁸⁵⁾ الذي تم استدعاه من مصر إلى العراق، لتستفتيه مع زوجها الرشيد في أمر شرعي عرض لها، أوشك أن يحدث انفصالها عن الخليفة وعندما حصلت منه على إجابة وافية أقدمت على إكرامه بالمنح والعطايا الدارة، التي أسهمت في رفع مستوى معيشته وخففت عن كاهله عناء السفر ومشقة القجوم من مصر إلى العراق تلبية لدعوة الخلافة له، سيما أن الخليفة الرشيد أغدق عليه بجوائز عدة، وولاه النظر في ضياعه، وضياع زبيدة في مصر، كما أمرت له السيدة زبيدة بضعف ما أمر به الرشيد من الخلع والجوائز، وعاد معززاً مكرماً إلى مصر⁽⁸⁶⁾.

ونؤكد من خلال تتبع النصوص التاريخية أن السيدة زبيدة وزوجها الخليفة هارون لم يضع عندهما إحسان محسن من حملة العلم لا سيما فقهاء الأمة، الذين اتصلوا بزبيدة وزوجها، ومنهم فقهاء العراق الذين حظوا بوجاهة لا تقل عما حظي به الفقهاء الوافدون إلى قصور الخلافة العباسية، ومن ذلك الفقيه (أبا يوسف)⁽⁸⁷⁾، إذ كثيراً ما كانا يستعينان به، فنجد ذات مرة اختلف كل من زبيدة وهارون في الحكم على الفالوذ⁽⁸⁸⁾ واللوزبيج⁽⁸⁹⁾، وأيهما أطيب، وأكثر قبولاً للنفس فتحاكما

إلى أبي يوسف القاضي، إلا أن أبا يوسف اشترط أن يأكل من كلا الصنفين ليحكم، فعندما أكل ذكر للخليفة وزوجته أنه ما رأى أطيب منهما ولا ألد، مبيناً أنه كلما أراد أن يحكم لأحدهما جاءه الآخر بحجته، الأمر الذي أثار ضحك الرشيد، فأمر له بألف دينار، وأمرت له زبيدة بألف دينار إلا ديناراً⁽⁹⁰⁾. وهذا الموقف الطريف كان له الأثر في إغناء القاضي أبي يوسف، الذي تصرف بذلك، مما كان مدعاة لإكرامه من قبل الخليفة الرشيد وزوجته. هذه نماذج من التكريمات التي أغدقت بها زبيدة على أهل الفقه والفتوى، لكن عطاياها لم تكن قاصرة على فقهاء الأمة، بل نال من ندى عطاياها فئة أخرى من أهل العلم وهم الأطباء، إذ خصصت المرتبات الشهرية لبعض العناصر لا سيما المتميزين منهم كالطبيب (جبرائيل بن بختيشوع)⁽⁹¹⁾، الذي انهالت عليه بالعطايا في مرات عدة سيما أنها كانت تثق به وبِعلاجه لها عندما كانت تمرض⁽⁹²⁾. وهذا بدوره يعد تشجيعاً لبقية الأطباء للأجتهاد والمثابرة والتميز للحصول على ما حصل عليه اقرانهم من المتميزين في مهنة الطب، الأمر الذي انعكس إيجاباً على تطور مهنة الطب في العراق.

وبلغت ثقة السيدة زبيدة بأهل العلم والدين حداً كبيراً إذ اشركتهم معها في فضيلة مد يد العون والمساعدة للمحتاجين والفقراء، لأنها وجدت منهم اجدر من يقوم بهذه المهمة على نحو إرسالها أموال إلى الشيخ الصالح الزاهد (معروف الكرخي) ليفرقها على أهل الحاجة والعوز⁽⁹³⁾، وهذا أمر ليس بالغريب عن امرأة اشتهرت وأذيع عنها بأنها: ((كانت معروفة بالخير والأفضال... والبر للفقراء والمساكين...))⁽⁹⁴⁾.

ولم تنفك زبيدة عن مسائلة أهل العلم باللغة
عن بعض المفردات، ومعرفة معاني بعض الألفاظ المهمة
فمثلاً استدعت العالم (الأصمعي)⁽⁹⁵⁾، وذكرت له أن
الرشيد قال لها يا أم نهر، فلم تعرف معنى قصده، فأكد
لها الأصمعي بأن الرشيد يقصد بذلك أم جعفر، لأن
جعفر في اللغة هو النهر الصغير، وهي تكنى بأم جعفر⁽⁹⁶⁾.
وهذا يؤكد لنا دقتها، وحذقها، وأنها لم ترد أن
تفوتها شاردة أو واردة تزيد وتعزز من معرفتها، وكفاءتها
العلمية فيما عرض لها.

ويبدو أن صيت كرم السيدة زبيدة لأهل العلم
قد ذاع واشتهر الأمر الذي كان مدعاة وحافزاً للتقرب منها
والقدوم إليها ضمن مجالس علم ثرة عمّ نفعها من
حضرها، ومن ذلك نجد أن فحول الشعراء قدموا لها من
مختلف الأنحاء، ليضعوا بين يديها مزيداً من النظم
الشعري الذي تغنوا من خلاله بحميد سجايها، والفوز
بجوائزها وعطاياها، التي انهالت عليهم فمثلاً عندما نظم
الشاعر (مروان بن أبي حفصة)⁽⁹⁷⁾ أبياتاً في مدحها وابنها
الأمين قائلاً:

((لله درك يا عقيلة جعفرٍ

ماذا ولدت من العلا والسوددِ

إن الخلافة قد تبين نورها

ل لناظرين على جبين محمدٍ

فأمرت أن يملأ فمه دراً⁽⁹⁸⁾، وكانت قيمته عشرة

آلاف دينار ذهبي⁽⁹⁹⁾.

وحرص الشعراء دوماً على انتهاز الفرص

والمناسبات لتوجيه المدح والتغني بفضائل السيدة زبيدة

فمثلاً عندما ذهبت لأداء فريضة الحج، ترجل إليها الشاعر
(النصيب)⁽¹⁰⁰⁾ عن فرسه، وأنشدها أبياتاً، قال فيها:

((سيستبشر البيت الحرام

بأم ولي العهد زين المواسمِ

بنو هاشم زين البرية كلها

وأم ولي العهد زين لهاشمِ

سليلة أفلاك تفرغت الذرى

كرام لأبناء الملوك الأكارم

يظن الذي أعطته منها زغيبه

يقص عليه الناس أحلام نائمِ

فأمرت له بعشرة آلاف درهم، وفرس، فأعطته بلا سرج،

فتلقاها لما رحلت، وقال:

لقد سادت زبيدة كل حي

وميت ما خلا الملك الهماما

تقىً وسماحةً وخلوصً مجيد

إذا الأنساب أخلصت الكراما

إذا نزلت منازلها قريش

نزلت الأنف منها والسناما

بلغت من المفاخر كل فخرٍ

وجاوزت الكلام فلا كلاما

وأعطيت اللهى لكن طرفي

يريد السرج منك واللعاما

فأمرت له بسرج ولجام⁽¹⁰¹⁾.

ولم يقتصر إكرام زبيدة للشعراء الذين بادروا

بمدحها والتغني بحميد صفاتها، بل في بعض الأحيان كانت

تطلب من الشعراء أن ينظموا الأبيات التي تخدم أهدافها،

وما تنوي القيام به، فمثلاً عندما أراد الخليفة الرشيد أن

يترك بغداد وينتقل إلى الرافقة⁽¹⁰²⁾، لم يرق لها ذلك،

فعزمت على تغيير رأيه، ووجدت أن خير من يتبنى ذلك هم

الشعراء ومنهم (منصور النمري)⁽¹⁰³⁾، إذ ((قالت زبيدة

لمنصور النمري قل شعراً تحبب فيه بغداد إلى أمير

المؤمنين الرشيد، فقد اختار عليها الرافقة، فقال:

ماذا ببغداد من طيب الأفانين
ومن منارة للدنيا والدين
تحبي الرياح بها المرضى إذا
وجوشن بين أغصان الرياحين

فأعطته ألفي دينار⁽¹⁰⁴⁾.

ولعل تلك الأبيات وقعت الموقع الحسن في نفس
الرشيد، وحقت ما كانت تصبو إليه زبيدة من أهداف،
مما دفعها إلى إكرام شاعرها بتلك المكرمة السخية.

وفي بعض الأحيان أدى الشعر والشعراء دوراً
مهماً في حل بعض الخلافات التي كانت تحدث بين الرشيد
وزبيدة التي قدرت وحفظت لهم ذلك الجميل، ومن ذلك
تشير النصوص أن خلافاً وقع بين زبيدة والرشيد إلى حد
أن تهاجرا، فبادر الشاعر (داوود بن رزين)⁽¹⁰⁵⁾ إلى نظم
أبيات من الشعر حث فيها الرشيد إلى مصالحة زبيدة،
ويبدو أن أبياته تلك كان لها وقع مؤثر عند الخليفة،
عندما وصلت إلى مسامعه، إلى حد أن بادراً بالاعتذار إليها
ومصالحتها، فعندما عرفت زبيدة بمبادرة شاعرها تلك،
أغدقت عليه بمائة ألف درهم في وقتها، وأضعافها فيما
بعد⁽¹⁰⁶⁾.

وكذلك حصل الشاعر (سلم الخاسر)⁽¹⁰⁷⁾ على
مكافأة زبيدة عندما نظم أبياتاً في ولدها، إذ أعطته مائة
ألف درهم⁽¹⁰⁸⁾ وفي رواية أنها حشت فاهه دراً، باعه
بعشرين ألف دينار⁽¹⁰⁹⁾.

ويبدو من استقراء النصوص كان للسيدة زبيدة
عناية كبيرة بالشعر، وقائليه، وبفضل ذلك حصل
الشعراء الشيء الكثير من هباتها، وتنعموا بحنوها عليهم
ودفاعها عنهم، ومنهم (أبو العتاهية)⁽¹¹⁰⁾، الذي استنجد
بها لتطلقه من حبس أحد أولاد الخليفة الرشيد الذي

سجنه مما حدا بها أن تتوسط له بحرمتها ومكانتها عند
زوجها الرشيد، الذي أمر بإطلاقه، وأعطاه صلة، وأمر
ولده أن يعتذر له ويقربه إليه⁽¹¹¹⁾.

وبذلك أدت زبيدة دوراً مهماً في تحقيق الإصلاح،
 وإنهاء الخصام بين الشاعر وابن الخليفة، وجبرت خاطره،
وردت حقه إليه، فكانت ملاذاً لحملة العلم المستنجدين
بها.

ولم تفوت هذه السيدة فرصة لدعم أهل العلم،
والمساهمة في سطوع نجمهم، وتقريبهم من زوجها الخليفة
كالشاعر (أشجع)⁽¹¹²⁾، الذي كان خصيصاً بأبيها، وعندما
توفي والدها وصلته بزوجها، فأغدق عليه بالجوائز،
وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء⁽¹¹³⁾.

وإقراراً بفضل السيدة زبيدة أقدم أشجع على نظم أبيات
من الشعر تغني بها وبابنها الأمين قائلًا

((ملك أبوه وأمه من نبعه
منها سراج الأمة الوهاج
شربت بمكة في رُبَا بطائحه
ماء النبوة ليس فيه مزاج

...فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم⁽¹¹⁴⁾).

وتوالت عطايا سيدات القصر على العلماء وفي
مختلف المناسبات، كقيام زوجة الخليفة القائم بأمر الله
(422-467هـ/ 1030 - 1074م) بخلع خلعة تشريف على
الشيخ (أبي اسماعيل الهروي)⁽¹¹⁵⁾، وذلك لأنه كان
((...الفقيه، المفسر، الحافظ، الصوفي، شيخ الإسلام...
سيداً، عظيماً، إماماً، عالماً، عارفاً، وعابداً، زاهداً، ذا
أحوال ومقامات، وكرامات، ومجاهدات... آية في التفسير
وحفظ الحديث، ومعرفته باللغة والأدب، وكان يفسر
القرآن في مجالس التذكير...))⁽¹¹⁶⁾، ويمكننا أن نعد خلعة

زوجة الخليفة القائم على ذلك العالم الجليل، هي من باب التبجيل والإعظام لمكانته.

وكان لسيدات القصر مواقف مساندة لحملة العلم، فوقفن إلى جانبهم في الأزمات والمواقف الصعبة التي أملت بهم، ثقة منهن بهم وإكراماً لما يحملونه من العلم وهذا ما أثبتته زوجة الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/ 907-932م) في عهد ولدها الخليفة الراضي بالله (322-329هـ/ 934-940م) ذلك أن الأمير (هارون ابن المقتدر) توفي عام 324هـ واغتتم عليه أخوه الخليفة الراضي بالله غمّاً شديداً، وكان قد اتهم الطبيب (بُخْتِيشوع بن يحيى)⁽¹¹⁷⁾ بتعمد الخطأ في معالجته من مرضه الذي توفي فيه، الأمر الذي حمل الخليفة الراضي إلى معاقبة هذا الطبيب لتقصيره في علاج الأمير فأمر بنفيه من بغداد، فأخرج إلى الأنبار، إلا أن السيدة أم الخليفة الراضي شَفَعَتْ فيه، فعفى عنه الخليفة. وأمر برده إلى منزله فرُدَّ⁽¹¹⁸⁾. مما يعكس مكانتها عند ولدها الخليفة ووجاهتها التي كان لها الأثر في رفع العقوبة عن هذا الطبيب وردّه إلى أهله.

وحق بعض المناسبات الشخصية الخاصة بالعلماء، كانت تعقد في قصور الخلفاء أنفسهم، ولم يقف الأمر عند هذا، بل تحمل الخلفاء وعوائلهم تكاليف النفقة عليها، فمثلاً عندما خطبت ابنة العالم (ابن الجوزي) تم عقد عقربانها عام 571هـ/ 1175م في قصر الخليفة المستضيء بالله (566-575هـ/ 1170-1179م)، وتحديدًا عند باب حجرة الخليفة نفسه، وحضر عقد القرآن قاضي القضاة، والعدول، سيما أنها زفت إلى أحد رجال العلم، ولم يكتف الخليفة بذلك، بل عندما حدد موعد الزفاف عام 572هـ/ 1176م أُقيمت المناسبة

في قصر (بنفشه) زوجة الخليفة المستضيء بالله، وسيدة داره، التي اضطلعت بتجهيز العروس بمال كثير⁽¹¹⁹⁾. الأمر الذي عكس المواقف الإنسانية لزوجات الخلفاء العباسيين ازاء حملة العلم، واسرهم فأبين إلا أن تنطلق أفراح العلماء من داخل قصورهن .

ومن المبادرات الطيبة التي اضطلعت بها بعض سيدات القصر أنهن كن يتفقدن حملة العلم المتعفين، وينعمن عليهم بالمساعدات وهذا ما قامت به السيدة بنفشه مع الفقيه (ابن الحداد البغدادي)⁽¹²⁰⁾، الذي كان فقير الحال فكانت تتفقدّه بين الحين والآخر، حاملة إليه بعض الأطعمة الفاخرة والحلوى ليتقوت بها⁽¹²¹⁾.

كما بادرت السيدة زمرد خاتون زوجة المستضيء وأم الخليفة الناصر لدين الله إلى تقديم العون إلى العلامة (ابن نقطة) عندما قرر الزواج بادرت أم الخليفة إلى اختيار إحدى جوارمها لتزويجه لها كما قامت بإعطاء مبلغ عشرة آلاف دينار لزوجته كجهاز لعرسها⁽¹²²⁾.

ووقفت السيدة زمرد خاتون إلى صف العلامة (ابن الشهرزوري)⁽¹²³⁾ عندما أصر الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/ 1179-1226م) أن يبقى في العراق بعد أن قلده قضاء القضاة بمدينة بغداد، ورفض طلبه بالعودة إلى وطنه بلاد الشام، إلا أن اعتزاز هذا العالم بموطنه وحنينه له دفعه أن يوسط زوجته لدى السيدة زمرد خاتون لتتدخل في إقناع الخليفة بالسماح له بالعودة إلى الشام ومن منطلق احترام السيدة زمرد للعلامة ابن الشهرزوري واستجابة لطلبه تمكنت من إقناع ولدها الناصر لدين الله بما تمتعت به من الخطوة

والكلمة المسموعة أن يسمح لابن الشهرزوري بالعودة إلى الشام عندئذ وافق الخليفة على طلبها فعاد ابن الشهرزوري إلى بلاده وتقلد قضاء حماة بوساطة أم الخليفة شخصياً⁽¹²⁴⁾. الأمر الذي سجل مواقف رائدة لسيدات القصر العباسي اللاتي دعمن حملة العلم بمختلف الظروف والمواقف التي عكست تقديرهن للعلم وحملته وإكرامهن للعلماء مما سجل التاريخ لهن مواقف مشهودة في الارتقاء بالمستوى العلمي في ربوع الخلافة العباسية.

الخلاصة

من خلال استعراضنا لموضوع (التوجهات العلمية لسيدات القصر العباسي وأثرها على الحضارة الإسلامية 132-656هـ/749-1258م) تبين لنا ما يأتي:

- أن مبادرة دعم الحركة العلمية والنشاط المعرفي في ربوع الدولة العباسية كان لسيدات القصر العباسي وهن زوجات الخلفاء العباسيين وحظاياهم وبناتهم دوراً ريادياً في هذا الصدد من خلال جهودهن الفاعلة للتطور العلمي انطلاقاً من إمكاناتهن العلمية التي اكتسبها من خلال حرصهن على طلب العلم فبرز منهن راويات للحديث، وفقهات، وحاذقات باللغة العربية، وشاعرات سيما بنات الخلفاء العباسيين اللاتي أُرِدُنَّ المكتبة الإسلامية ببعض النظم الشعري كديوان عليّة بنت المهدي.
- حرص زوجات الخلفاء على تعليم حاشيتهن وجواريتهن فكانت مبادرة دعم طالبي العلم قد انطلقت من داخل قصورهن وكانت رائدة هذا التوجه السيدة زبيدة زوجة الخليفة الرشيد.
- خلد التاريخ في سفره بعض المراكز العلمية التي تدين بتأسيسها أو إعمارها إلى زوجات الخلفاء العباسيين، اللاتي أوقفن الوقوف عليها، وسمحن لخيرة العلماء عقد حلقات العلم وإلقاء الدروس في رحابها، فأسهمن في تنظيم العملية التعليمية في مؤسسات متخصصة بها، ووفقاً لنظام ومنهج علمي رصين كفل التعليم والتعلم في رحابها على خير وجه وأكمله ومن تلك المؤسسات المساجد التي بنتها السيدة زبيدة في الحجاز، ومارستان السيدة أم الخليفة المقتدر بالله الذي بنته في بغداد والذي كفل

تعليم مهنة الطب في رحابه، فضلا عن الربط التي كانت أماكن للصوفية ومراكز علمية عقدت فيها مجالس العلم ومنها الرباط الذي بنته السيدة بنفسه زوجة المستضيء بالله في بغداد، والرباط الذي بنته السيدة زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله في مكة المكرمة، فضلا عن المدارس التي كان لهن نصيب في تأسيسها وفقا لمذاهب مختلفة انتشرت في أنحاء متعددة ومنها مدرسة السيدة زمرد خاتون في الجانب الغربي من بغداد، والمدرسة التي بنتها زوجة الخليفة المستعصم بالله باب بشير في بغداد، فضلا عن بنائها دار القرآن أيضا، كبادرة طيبة وجهود معطاءة من قبلهن لتفعيل النشاط العلمي في الدولة العباسية وإن كان أغلب تلك المؤسسات في العراق كونه مقر الحكم العباسي.

- برهنت سيدات القصر تقديرهن للمكانة العلمية التي تمتع بها العلماء، فلم يفوتن فرصة إكرام عالم متميز بكل معاني التكريم المادي والمعنوي، إذ كانت نفقاتهن دارة على حملة العلم، فضلا عن مساعدتهن للمتعففين منهم، وتكفلن بالمناسبات الاجتماعية لبعض حملة العلم من منطلق مساعدتهن لهم، الأمر الذي عكس صورة إيجابية لمواقف إنسانية طيبة ومبادرات قيمة لأولئك النسوة تجاه العلم وحملته، والذي أكد للباحث روعة الحضارة الإسلامية ابان العصر العباسي وبأن المرأة أسهمت إلى جانب الرجل في صنع تاريخ وحضارة المسلمين بأجمل وأبهى صورة نعتز ونفخر بها.

(4) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت، 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1417هـ / 1997م)، ج 5 ص 267.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 174.

(6) لم نقف على تفاصيل تتعلق بهذه الاميرة العباسية في ضوء ما اطلعنا عليه من مصادر.

(7) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مزوان الكاتب البغدادي (ت، 356هـ / 966م)، الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، بلا، ت)، ص 122.

(8) ولدت عام 160هـ / 776 عرفت بقدرتها على نظم الشعر، وكان لها صنعة في الغناء، امرأة عاقلة، متدينة زهية، مشغولة بالصلاة، ودرس القرآن، ولزوم المحراب، حظيت بمكانة مميزة عند أخها الرشيد، توفيت سنة 210هـ / 825م في بغداد عن عمر ناهز الخمسون عاماً في خلافة ابن اخيها المأمون. (ينظر: ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245هـ / 859م)، المحبر، تحقيق: ايلزه ليختن شتير، (بيروت، دار الافاق الجديدة، بلا، ت)، ص 61؛ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، 597هـ / 1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ / 1992م)، ج 10، ص 320؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 549 وللمزيد عنها ينظر كتابنا بنات الخلفاء العباسيين سيرهن وأثرهن في العصر العباسي، (بغداد، مكتب الغفران للطباعة، 2016م)، ص 40، 46، 50.

(9) ينظر: ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير، ط 1 (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1418هـ / 1997م)، ص 359.

(1) هي الخيزران بنت عطاء، وأصلها أمة جرشية حسب بعض الروايات، كان المهدي قد أعتقها وتزوجها، فأنجبت له البانوقة، وموسى الهادي، وهارون الرشيد، وكانت واسعة النفوذ ابان حكم ابنها الرشيد، توفيت عام 173هـ / 199م ودفنت في جانب الرصافة. (ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ / 892م)، كتاب جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له: سهيل زكارو رياض زركلي، ط 1 (بيروت، دار الفكر، 1417هـ / 1996م)، ج 4، ص 277، الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ / 922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط 2 (القاهرة، دار المعارف، 1387هـ / 1967م)، ج 8، ص 186؛ الخطيب البغدادي، ابو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ / 1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (بيروت، دار الكتاب العربي، بلا، ت)، ج 14، ص 431؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ / 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م)، ج 11، ص 9.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 14، ص 431.

(3) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، وَالْأَوْرَاعُ بَطْنٌ مِنْ جَمَيْرٍ، وَلِدَ بِبَغْلَبَكْ وَنَشَأَ بِالبِقَاعِ يَتِيمًا فِي جُحْرِ أُمِّهِ، وَكَانَتْ تَنْتَقِلُ بِهِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَتَأَذَّبَ بِنَفْسِهِ، كَانَ مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ، عَرَفَ عَنْهُ الْوَرَعُ وَالْعِلْمُ وَالْفَصَاحَةُ وَالْحِلْمُ وَكَثْرَةُ الصِّمْتِ، جَاءَ فَتَزَلَّ دِمَشْقَ بِمَحَلَّةِ الْأَوْرَاعِ خَارِجَ بَابِ الْفَرَادِيسِ مِنْ قَرْيَ دِمَشْقَ، وَسَادَ أَهْلَهَا فِي زَمَانِهِ وَسَائِرِ الْبِلَادِ فِي الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْمَغَازِي وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلُومِ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ أَذْرَكَ خُلُقًا مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ. (ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ / 1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار احياء التراث، 1408هـ / 1988م)، ج 10، ص 123.

(ت، 911هـ/1505م)، طبقات الحفاظ (بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م)، ص132).

(14) ينظر: الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس (ت217هـ/832م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ط2 (بيروت، دار خضر، 1414هـ/1993م)، ج2، ص196.

(15) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص315.

(16) كنيها أم محمد، أمها أم ولد اسمها غضيض، كان قد تزوجها جعفر ابن الخليفة الهادي، فولدت له ولد اسمه محمد، عرفت حمدونة بمساعدتها للمحتجين. (ينظر: ابن حبيب، المحبر، ص61؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص89؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص222).

(17) السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، اعتناء: عبد اللطيف عاشور، (القاهرة، مكتبة القران، بلا.ت)، ص48.

(18) لم نقف على معلومات تتعلق بلبابة سوى رواية مغلطة وردت عند ابن الجوزي اشارت ان لبابة هي ابنة الخليفة المهدي وقد عقد قرانها على الخليفة الأمين، الا انه توفي قبل ان يدخل بها، الأمر الذي دعاها إلى نظم شعر في رثائه، وهذا النص غير صحيح، إذ اخطأ ابن الجوزي، وسبب ذلك يكمن في أن لبابة بنت المهدي هي عمه الأمين، ويحرم عليه شرعاً الاقتران بها، فكيف يقدم على الاقتران بها وهي عمته، ومن المؤكد انه تشابه في الأسماء بين من عقد عليها الخليفة وبين لبابة عمته. (ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص230).

(19) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص70.

(20) اسمها خديجة، وهي بنت الحسن بن سهل، كان والدها قد ولي امرة العراق عندما كان المأمون في خراسان، ولما رجع المأمون إلى العراق جعله وزيراً له، وتزوج بابنته بوران، التي ولدت سنة اثنتين وتسعين ومائة، وتوفيت في سنة إحدى وسبعين ومائتين ببغداد، وقد بلغت من السن ثمانين سنة. (ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج5، ص170؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص331، ج21، ص203).

(10) اسمها امة العزيز وهي بنت جعفر ابن الخليفة المنصور، تكنى بأُم جعفر، وبأُم الواحد، ولدت في مدينة الموصل، تزوجها ابن عمها الرشيد ابن المهدي ابن المنصور عام خمس وستين ومائة للهجرة، ولم تنجب سوى ولد واحد هو الخليفة الأمين، عرفت بجمالها وجاهاها

وكثرة برها وصدقائها، توفيت عام 210هـ/826م وقيل عام 216هـ/831م ودفنت في مقابر قریش ببغداد. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص433؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص276؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، (القاهرة، دار الحديث، 1427هـ/2006م)، ج10، ص241، بحثنا المعنون ((السيدة زبيدة وانجازاتها في الخلافة العباسية))، مجلة الاستاذ، تصدر عن جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، العدد 156 (بغداد، 1432هـ/2011م).

(11) ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربلي (ت681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1388هـ/1968م)، ج2، ص314؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص241

(12) هو علي بن حرب بن محمد بن علي بن حبان، أبو الحسن الطائي الموصللي، أحد من رحل في طلب الحديث إلى الحجاز وبغداد، والكوفة، والبصرة، قدم بغداد بآخرة، وحدث بها، فروى عنه بعض أهلها، كان ثقة، عالماً بأخبار العرب وانسابها، وأيامها، أديباً، شاعراً، أكرم من قبل الخليفة المعز بالله، مولده عام 175هـ/792م، ووفاته عام 265هـ/879م. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج11، ص418).

(13) هو أبو محمد عبد الله بن وهب، تفقه على الامام مالك بن أنس، كان من جلة الناس وثقاتهم، توفي سنة سبع وتسعين ومائة. (ينظر: الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت، 476هـ/1084م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، (بيروت، دار القلم، بلا.ت)، ص155؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن

جهات الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق: مصطفى جواد، (القاهرة، دار المعارف، بلا.ت)، ص113).

(27) كان يقع هذا السوق في جانب الرصافة المعروفة ببغداد الشرقية. (ينظر: الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق بغداد، (بغداد، دار الحرية للطباعة، 1399هـ/1979م)، صص172-173.

(28) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص113.

(29) المنذري، التكملة، م1، ص422.

(30) ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت، 902هـ/1496م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1414هـ/1993م)، ص288.

(31) هي أم الخليفة الناصر لدين الله، كانت تركية الأصل، أدركت خلافة ولدها، وهي من أرغب الناس في أعمال البر، ومكثرة من فعله، وكانت صدقاتها جارية. (ينظر: الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت، 717هـ/1317م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تصحيح: مكي السيد جاسم، (بغداد، مكتبة المثنى، بلا.ت)، ص280).

(32) هو أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، الحنبلي البغدادي، من أهل بغداد كان عالماً بالأنساب، من طلبة الحديث المشهورين به المكثرين من سماعه وكتابه والراجلين في تحصيله، له مؤلفات عدة، مولده عام 579هـ/1184م ووفاته عام 629هـ/1232م. (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص392).

(33) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي (ت، 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1 (بيروت، دار الفكر، 1399هـ/1979)، ج4، ص278.

(34) وهي عتيقة الخليفة المستعصم بالله وزوجته، وأم ولده الأمير أبي نصر محمد، بنت دار للقران على شاطيء دجلة غربي بغداد، وتوفيت سنة اثنتين وخمسين وستمائة، ودفنت تحت القبة التي أعدتها بجانب تلك المدرسة. (ينظر: ابن الفوطي، أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد البغدادي (ت، 723هـ/1323م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصحيح

(21) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه

ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت 328هـ/940م)،

العقد الفريد، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1404هـ)، ج8، ص167.

(22) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج21/ ص204.

(23) اسمها اسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون، صاحب مصر

ولما مات المعتمد وتولى المعتضد الخلافة، بادر إليه خمارويه بالهدايا والتحف، فأقره المعتضد على عمله، وسأله خمارويه أن يزوج ابنته قطر الندى لعلّي المكتفي بالله بن المعتضد بالله، وكان ولي العهد، فقال المعتضد بالله: بل أتزوجها أنا، فتزوجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين، ودخل بها في آخر هذه السنة، وقيل في سنة اثنتين وثمانين، وكان صداقها ألف ألف درهم، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل، وتوفيت لسبع خلون من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين، ودفنت داخل قصر الرصافة. (ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص413؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص249)

(24) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت،

764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الزناؤوط وتركلي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث، 1421هـ/2000م)، ج24، ص187.

(25) الشاكري، حسين، هاشم وعبد شمس، (قم، مطبعة ستارة، بلا.ت)، ص81.

(26) ترد مرة بهذا الرسم، ومرة يرسم بنفشاة، ابنة عبد الله، كانت

من أحظى جهات المستضي بأمر الله لديه، وكانت إمراة صالحة، كثيرة الرغبة في أفعال الخير، وقفت مدرسة على اصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وعمرت على دجلة جسراً للسابلة، توفيت سنة ثمان وتسعين وخمس مائة. (ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص250؛ المنذري، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت، 656هـ/1258م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، ط2 (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ/1981م)، م1، ص422؛ ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب الخازن البغدادي (ت، 674هـ/1275م)، نساء الخلفاء المسى

الأعيان، ط1 (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1370هـ/ 1951م)، ج16، ص454

(40) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ/ 2005)، ج1، ص667.

(41) هي عصمة خاتون بنت السلطان ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي، وصفت بانها من اعقل النساء، كما عرفت بالحزم والسداد، تزوجها الخليفة المستظهر بالله باصفهان وانتقلت معه إلى بغداد، وولدت للخليفة ولدا هو ابو اسحاق ابراهيم، وعندما توفي المستظهر بالله عادت إلى اصفهان وتوفيت ودفنت في مدرستها التي بنتها في اصفهان. (ينظر: ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص108).

(42) هي محلة تقع شرقي بغداد، بها سوق ومحال كثيرة. (ينظر: ابن عبد الحق البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن (ت 739هـ/ 1338م، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد الجاوي، ط1 (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1373هـ/ 1954م)، م1، ص65.

(43) أبو الحسن الغزنوي، الواعظ، سمع بغزنة، ومرو والعراق، كان يتكلم بالعربي والأعجمي، جيد الكلام، مليح الوعظ، توفي سنة إحدى وخمسين وخمس مائة للهجرة. (ينظر: ابن كثير: البداية، ج12، ص620: الداودي محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين المالكي (ت 945هـ/ 1539م)، طبقات المفسرين، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلا، ت)، ج1، ص404.

(44) ابن كثير، البداية، ج12، ص620

(45) ويقصد به سوق المدرسة النظامية التي شيدها الوزير السلجوقي نظام الملك. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص340: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص232).

(46) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص271.

(47) سمي الرباط بالمأمونية نسبة إلى المحلة التي شُيد فيها وهي المأمونية، التي تنسب إلى الخليفة المأمون العباسي، وكانت محلة كبيرة تقع في الجانب الشرقي من بغداد. (ينظر: ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، م3، ص1222).

وتعليق ومقابلة: مصطفى جواد، (بغداد، 1351هـ/ 1932م)، ص272-276).

(35) المصدر نفسه، ص275: الغساني، إسماعيل بن العباس (ت 803هـ/ 1400م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، (بغداد، دار البيان، 1395هـ/ 1975م)، ص608.

(36) وهي أم ولد، صقلية اشتراها المعتضد وَكَانَ الْأَمْرُ لَهَا فِي خَلَاةِ ابْنِهَا وَهُوَ يَتَدَبَّرُ بِتَدْيِيرِهَا وَمَاتَتْ بَعْدَ قَتْلِهِ فِي الْعَذَابِ وَالْمَطَالِبَةِ فِي يَدِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ (ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج11، ص400: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص74).

(37) كان يقع هذا السوق ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ودار المملكة، التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي وكانت إقطاعاً له من الرشيد ثم صارت بعد البرامكة لأم جعفر ثم أقطعها المأمون إلى قائده طاهر بن الحسين، بعد الفتنة بينه وبين أخيه الأمين، ثم خرب عند ورود السلاجقة إلى بغداد. (ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا، ت)، ج3، ص284.

(38) هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني، كَانَ طَبِيبَ الْمُقْتَدِرِ خَصِيصاً بِهِ ثُمَّ خَدَمَ الْقَاهِرَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ وَعَلَى وَصْفِهِ يَعْتَمِدُ قَدْ سَكَنَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَوُثِقَ بِعَنَائِيَّتِهِ، وَلِكثْرَةِ اغْتِبَاطِ الْقَاهِرِ بِهِ أَرَادَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَامْتَنَعَ امْتِنَاعاً كَثِيراً فَتَهَدَّدَهُ الْقَاهِرُ فَخَافَهُ لَشِدَّةِ سَطْوَتِهِ، فَاسْلَمَ وَأَقَامَ مَدَّةً ثُمَّ رَأَى مِنَ الْقَاهِرِ أَنَّهُ إِذَا أَمَرَهُ أَمراً أَخَافَهُ فَانْهَزَمَ إِلَى خِرَاسَانَ وَعَادَ وَتَوَفَّى بِبَغْدَادٍ مُسْلِماً فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَكَانَ أَمْرُهُ قَدْ ظَهَرَ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ وَعَظُمَتْ مَنَزَلَتُهُ حَتَّى صَارَ رَئِيساً عَلَى الْأَطْبَاءِ. (ينظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ/ 1248م)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ/ 2005م)، ص148).

(39) سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلو بن عبد الله البغدادي (ت 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تاريخ

(48) هو أبو العلاء محمد بن علي بن الحسين بن الراس الصوفي، اليميني المولود، البغدادي الدار، سمع ببغداد من علماء عدة، وصحب الصوفية، وأقام في الربط سنين كثيرة، مولده سنة خمس وعشرين وخمس مائة، ووفاته سنة تسع وست مائة، فصلي عليه مرتين أولهما بالمدرسة، والثانية بجامع المنصور. (ينظر: ابن الديبني، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت 637هـ/ 1239م)، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، (بغداد، مطبعة دار السلام، 1394هـ/ 1974م)، م2، صص145 - 146).

(49) المصدر نفسه، م2، ص145.

(50) ينظر: الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت، 617هـ/ 1220م)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة، عالم الكتب، بلا.ت)، ص179، ص92.170؛ الرحيم، عبد الحسين، الخدمات العامة في بغداد 400-656هـ/ 1009-1258م، ط1 (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1407هـ/ 1987م)، ص352.

(51) سمي بهذا الاسم، لأن الشريف عطيفة صاحب مكة كان يسكنه. (ينظر: الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي المالكي (ت 832هـ/ 1492م)، شفاء الغرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق وفهرسة: عمر عبد السلام تدمري، ط2 (بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ/ 1985م)، ج1، ص528).

(52) المصدر نفسه، ج1، ص528؛ ابن فهد، عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد (ت، 885هـ/ 1480م)، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهم محمد شلتوت، (مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1375هـ/ 1938م)، ج2، ص552.

(53) وهو رجل صالح، صاحب معرفة ودين، وله كرامات ظاهرة، بلغ التسعينيات من العمر، وكان لأم الخليفة فيه اعتقاد، وعندما مات عملت على قبره صندوقاً من الساج، وأنفقت عليه جملة كبيرة، وكتبت اسمها حول الصندوق. (ينظر: ابن شاهنشاه الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت 617هـ/ 1220م)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة، عالم الكتب، بلا.ت)، ص179).

(55) وهي سلجوقي أو سلجوقية خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، كانت قبل أن يتزوجها الخليفة الناصر لدين الله، عند نور الدين قرا أرسلان، فلما توفي عنها، تزوجت الخليفة، وكانت ذات مكانة كبيرة عنده، وعندما توفيت عام 584هـ/ 1188م حزن عليها الخليفة حزناً شديداً، وبني على قبرها تربة بالجانب الغربي. (ينظر: ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص117؛ الأريلي، خلاصة الذهب، ص282).

(56) يقع هذا الرباط عند مشهد عون ومعين بالجانب الغربي من بغداد، وكان موقعه في الرملة، وهي محلة الخضر الياس الحالية. (ينظر: جواد، مصطفى وسوسة، أحمد، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1378هـ/ 1958م)، ص169، ص185).

(57) ينظر: ابن الأثير، الكامل، م12، ص440، ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص117؛ الأريلي، خلاصة الذهب، ص282.

(58) ينظر: ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص117.

(59) ينظر: ابن الفوطي، أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد البغدادي (ت، 723هـ/ 1323م)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1382هـ/ 1962م)، ج4، ق2، ص839.

(60) هو أبو علي الحسن بن سلامة بن صاعد، قدم من منبج إلى بغداد وعاش فيها إلى أن وافاه الأجل، انجب ثلاثة أبناء كلهم علماء بالفقه كأبهم، تولى المنبجي القضاء بنهر عيسى الهاشمي لامكاناته العلمية، إذ كان إماماً، فقيهاً مفتياً، توفي عام ثلاث وثلاثين وخمس مائة (ينظر: القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء (ت، 775هـ/ 1374م)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، (كراتشي، مير محمد كتب خانة، بلا.ت)، ص149).

(61) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص9؛ القرشي، الجواهر المضيئة، ص194.

(62) هو أبو منصور شمس الدين المبارك بن المبارك بن عمر الأواني، طبيب المدرسة المستنصرية ببغداد، له الكثير من المصنفات الطبية، لازم الكتابة والنسخ وكان يكتب خطأ حسناً، محافظاً على

وتوفي سنة اثنتين وخمس مائة، وسي بالنوقاني نسبة إلى محل مولده نوقان، وهي قصبة في طوس. (ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج21، ص248؛ ابن عبد الحق البغدادي، مرآة الاطلاع، ج3، ص1396).

(69) ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج21، ص248؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص198؛ السيوطي، طبقات المفسرين، صص114-115.

(70) ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص198.

(71) التكملة، م10، ص451.

(72) خلاصة الذهب، ص280؛ ينظر: ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بلا.ت)، ج6، ص182.

(73) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد القصري، كان شيخاً صالحاً، ولقب بالقصري لأنه سكن قصر عيسى بن موسى الهاشمي، كان محباً للرواية، حسن الاخلاق، لا يسأم ولا يضجر، مات سنة سبع وتسعين وخمس مائة. (ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج21، ص310).

(74) هو أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب، ولقب بالديلمي نسبة إلى ديبثي قرية بنواحي واسط، كان فقيهاً شافعيًا، ومؤرخاً، سمع الحديث، وصنف كتاباً ذيلاً على تاريخ ابن السمعاني المذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، كما صنف تاريخ لواسط، توفي عام سبع وثلاثين وستمائة ببغداد (ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص394؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج5، ص26).

(75) ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج21، ص310.

(76) ينظر: ابن الفوطي، الحوادث، صص307-308.

(77) ينظر: الغساني، العسجد، صص609-610.

(78) هي ان موسى الحميرية بنت منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري، تزوجها أبو جعفر بالقيروان في دولة بني أمية، وكانت قبله عند فتى خلع من ولد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان قد وقع إلى إفريقية، فولدت له ابنة، ومات فاتصل موته بقومه،

صحته وقواه، على الرغم من انه ناهز المائة عام ونيف، توفي سنة 683هـ/1284م. (ينظر: ابن الفوطي، الحوادث، ص433؛ معروف، ناجي، تاريخ علماء المستنصرية، ط1 (بغداد، مطبعة العاني، 1379هـ/1959م)، صص245 - 246).

(63) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجوزي القرشي التبيي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة، وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة، وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان، وقيل عشروخمسمائة، توفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب، (ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، ص142 وما بعدها).

(64) ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص258.

(65) هو أبو محفوظ، معروف بن الفيرزان، الكرخي، وهو منسوب إلى كرخ بغداد، من عباد أهل العراق، واحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، وكان صاحب كرامات، مجاب الدعوة، اسند احاديث كثيرة، توفي سنة مائتين. (ينظر: ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت، 354هـ/965م)، كتاب الثقات، تصحيح: عزيز بيك ومحمد عمران الأعظمي العمري، ط1 (حيدرآباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1395هـ/1975م)، ج9، ص206؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص199).

(66) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، إمام في المذهب، وعلماً بارزاً في علمه، الذي انتشر في الافاق، نشأ بمكة، وبها طلب العلم، كما رحل إلى المدينة المنورة، وزار بغداد مرتين وحدث بها، واستقر به المقام في مصر إلى حين وفاته، سنة اربع ومائتين. (ينظر: السبكي، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2 (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بلا.ت)، ج1، ص100).

(67) معروف، المدارس الشراعية، ص133.

(68) أبو المفاخر محمد بن أبي علي بن أبي نصر الشافعي، كان علامة، سكن بغداد، أثنى عليه علماء زمانه، ووصفوا خلقه وبذله لتلامذته، وغزارة علمه، وسعة فهمه، مولده سنة ست عشرة وخمس مائة،

بن خليفة بن يونس (ت 668هـ / 1269م)، عيون الإنبياء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلا.ت)، ص220).

(84) م.ن، ص221.

(85) هو أبو الحارث، فقيه مصري، ثقة ثبت، كثير الحديث، رجلاً. نبياً، سخيّاً ولد عام ثلاث أو أربع وتسعين، وتوفي عام خمس وستون ومائة، وقيل سنة خمس وسبعون ومائة للهجرة. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13، ص4؛ الذهبي، سير أعلام، ج8، ص122).

(86) ابو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت، 430هـ / 1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط4 (بيروت، دار الفكر، 1405هـ / 1985م)، ج7، ص723؛ القاضي عياض، أبو الفضل عياض البحصي (ت، 544هـ / 1149م)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (بيروت، دار الفكر، 1409هـ / 1989م)، ج1، ص143؛ الذهبي، سير أعلام، ج8، ص145.

(87) هو يعقوب بن إبراهيم، صاحب الامام أبي حنيفة النعمان، ممن اشتهر بالفقه والعلم، والحكمة، والرياسة، وهو أول من تولى منصب قاضي القضاة، من قبل الخليفة هارون الرشيد، كان ثقة، صدوقاً، مولده سنة ثلاث عشرة ومائة، ووفاته سنة احدى وثمانون ومائة، ووفاته سنة احدى وثمانون ومائة، وقيل سنة اثنان وثمانون ومائة للهجرة. (ينظر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت، 241هـ / 855م)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، (بيروت، المكتب الإسلامي، 1408هـ / 1988م)، ج3، ص300؛ ابن حبان، كتاب مشاهير علماء الأمصار، عني بتصحيحه: م.فلايشهمر، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1370هـ / 1959م)، ص171؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج14، ص242.

(88) الفالودج: هو لباب القمح بلعاب النحل. (ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت170هـ / 786م، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (القاهرة، دار ومكتبة الهلال، بلا.ت)، ج8، ص317.

فنهض أبو جعفر بنفسه فوجدها قد تزوجت رجلاً خياطاً، وولدت منه ابناً، ومات الخياط، فتزوجها أبو جعفر لجمالها، وسقى ابن الخياط طيفور، فلما صارت إليهم الخلافة، قالوا: طيفور مولى المهدي، وإنما هو أخوه لأمه. (ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ / 1995م)، ج53، ص413؛ ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت، 456هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1403/1983)، ص21).

(79) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني بالولاء الليثي (ت، 255هـ / 869م)، المحاسن والأضداد، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423هـ)، ص213.

(80) وهو من اهل المدينة كان عالماً بالمغازي والسير واختلاف الناس في الحديث والفقه والاحكام والاخبار، قدم بغداد سنة ثمانين ومائة فولاه الخليفة المأمون القضاء بعسكر المهدي، فلم يزل قاضياً حتى مات ببغداد سنة سبع ومائتين اما مولده سنة ثلاثين ومائة. (ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230هـ / 844م)، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، 1388هـ / 1844م)، ج7، صص334-335؛ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت، 385هـ / 995م)، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (طهران، 1391هـ / 1971م)، ص111؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص3).

(81) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص347.

(82) وهي جارية فائقة الجمال اهديت للخليفة المهدي فأهداها إلى ولده الهادي كانت أحب الخلق إليه، وولدت له بنيه الأكابر، تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادي، فأولدها على بن الرشيد. (ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج8، ص228).

(83) لقب بالطيفوري لانه كان متطرب لطيفور اخو الخيزران زوجة المهدي وام الهادي والرشيد، وقيل انه مولى لها، عرف بطبيب الحديث، وحسن العقل، وكان ذو حظوة عند الخليفة الهادي. (ينظر: ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين احمد بن القاسم

واقطعه ضيعة بالسواد، وعمر بعده، ومدح الخلفاء وحصل على جوائزهم. (ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج 23، ص 5 وما بعده).

(101) المصدر نفسه، ج 23، ص 18.

(102) مدينة تقع على نهر الفرات بناها الخليفة المنصور وأتمها المهدي والرشيد، وهي متصلة البناء بالرقعة، كان المنصور قد شحنها بالجند من أهل خراسان، وللرشيد دور في إعمار أسواقها. (ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 15).

(103) هو منصور بن سلمة بن الزبرقان، وقيل بل هو منصور بن الزبرقان بن سلمة، أبو القاسم النمري، شاعر من أهل الجزيرة، قدم إلى بغداد، ومدح الخليفة الرشيد، وحصل على عطايه، توفي سنة سبع، وقيل سنة تسع أو سنة عشر ومائتين. (ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج 13، ص 157: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص 66).

(104) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 1، ص 355.

(105) هو أبو حيي داود بن رزين الواسطي، كان مولى عبد القيس، شاعراً محسناً، ورد بغداد، وعاش بها مشاهير الشعراء. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 8، ص 359).

(106) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 315.

(107) هو شاعر بصري، كان من الشعراء المطبوعين المحسنين، مدح الخلفاء العباسيين سيما المهدي والهادي، وحصل على الأموال الكثيرة، إلا أنه أنفقها فلقب بالخاسر. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 9، ص 136).

(108) الأصفهاني، الأغاني، ج 19، ص 293-294.

(109) ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ/ 1166 م)، الأنساب، ط 1 (بيروت، دار الجنان، 1308 هـ/ 1988 م)، ج 2، ص 308-309: ابن الجوزي، المنتظم، ج 9، ص 122-123.

(110) هو اسماعيل بن القاسم، كنيته أبو القاسم، سكن بغداد بعد أن قدم من الكوفة، وله عدد من النظم الشعري سيما في الوعظ، ولد عام ثلاثين ومائة للهجرة، وتوفي عام عشر ومائتين، وقيل إحدى عشرة ومائتين. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 6، ص 250).

(89) هو ضرب من الحلواء، تشبه القطائف، تؤدم بدهن اللوز.

(90) للمزيد ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت، 711 هـ/ 1311 م)، لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، (بيروت، دار لسان العرب، بلا.ت)، ج 5، ص 407.

(91) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 315: الألبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح المحلي (ت، 850 هـ/ 1446 م)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط 2 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1406 هـ/ 1986 م)، ج 2، ص 517.

(92) أحد الأطباء المتمكنين في علم الطب، وتطب لعدد من الخلفاء العباسيين سيما الخليفة الرشيد الذي أكرمه وأغدق عليه بالعطاء، وكانت له مؤلفات عدة في علم الطب. (ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 187).

(93) ينظر: المصدر نفسه، ص 208.

(94) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص 205.

(95) م.ن، ج 14، ص 433: ينظر: ابن كثير، البداية، ج 10، ص 271.

(96) هو أبو سعيد، عبد الملك بن قريب، والأصمعي لقب لقب به نسبة إلى جده أصمع، كان عالماً باللغة والنحو، والغريب، والأخبار، له مصنفات عدة، توفي سنة سبع عشرة ومائتين، وقيل سنة خمس عشرة ومائتين للهجرة. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10، ص 410: الذهبي، سير أعلام، ج 10، ص 175).

(97) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 315.

(98) كنيته أبو السمط، شاعر من اليمامة، قدم على الخليفة المهدي وولديه الهادي والرشيد، ومدحهم بشعره، فقربوه اليهم وأغدقوا عليه بالعطايا، ولد عام خمس ومائة للهجرة، وتوفي عام اثنين وثمانين ومائة للهجرة. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 13، ص 142، ابن كثير، البداية، ج 10، ص 179).

(99) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1، ص 170.

(100) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 316.

(101) يعرف بنصيب الأصغر، وهو مولى الخليفة المهدي، كان قد نشأ باليمامة، فأشترى للمهدي في حياة المنصور، الذي أعجب بنظمه للشعر، فأعتقه وزوجه أمه يقال لها جعفر، وكانه أبا الحنناء،

(120) وهو رجل صالح، صاحب معرفة ودين، وله كرامات ظاهرة، بلغ التسعينيات من العمر، وكان لأُم الخليفة فيه اعتقاد، وعندما مات عملت على قبره صندوقاً من الساج، وأنفقت عليه جملة كبيرة، وكتبت اسمها حول الصندوق. (ينظر: الأيوبي، مضممار الحقائق، ص179).

(121) م.ن

(122) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص278.

(123) هو أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري، قدم بغداد في صباه، وسكن المدرسة النظامية متفقاً، وعاد إلى الشام وهو ابن أخ قاضي قضاة دمشق كمال الدين الشهرزوري أيام نور الدين، وتولى قضاء دمشق بعد وفاة عمه عام 576هـ/1180م ثم عزل، كانت لديه فضائل وله معرفة بالادب والشعر، وكان جميلاً مهيباً، ذا ثروة وتجمال ظاهر، توفي سنة ثمان وتسعين، وقيل سنة تسع وتسعين وخمسائة للهجرة بحماة. (ينظر: ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، عني بنشره وتعليق حواشيه: مصطفى جواد، (بغداد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، 1353هـ/1934م)، ج9، ص103؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص34).

(124) ينظر: ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص301؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص34.

(111) الاصفهاني، الاغانى، ج4، ص70.

(112) هو أبو الوليد، وقيل ابو عمرو، أشجع بن عمرو السلمي، كان شاعراً من اهل الرقة، قدم البصرة، فتأدب بها، ثم ورد بغداد، واتصل بالبرامكة، فأوصل بالرشيد، الذي أكرمه كثيراً لمداينته، وشعره الظريف. (ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7، ص45).

(113) الاصفهاني، الاغانى، ج18، ص420-421.

(114) الاصفهاني، الاغانى، ج18، ص234-235.

(115) هو عبد الله بن محمد الانصاري من ذرية الصحابي ابي ايوب الانصاري (رضي الله عنه) ولد عام ست وتسعين وثلاثمائة للهجرة وتوفي عام واحد وثمانين واربعمائة للهجرة. (ينظر: الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، ط1 (عمان، دار الفرقان، 1404هـ/1984م)، ص139؛ ابن رجب، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت 795هـ/1393)، الذيل على طبقات الحنابلة، (بيروت، دار المعرفة، بلا ت)، ج1، ص50.

(116) ابن رجب، الذيل، ج1، ص50.

(117) بختيشوع بن يحيى من بني بختيشوع كَانَ طبيباً حاذقاً خدم المقتدر الخليفة واختص به وارتفعت منزلته لديه واشترك في طبه هو وسنان بن ثابت بن قرة الصابي والد ثابت بن سنان صاحب التاريخ وَلَمْ يكن في أطباء المقتدر أخص به من هذين. (ينظر: القفطي، أخبار العلماء، ص84).

(118) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص106.

(119) ينظر: م.ن، ج8، ص331-332.

نظام حصانة وحماية المبعوث الدبلوماسي في ظل الشريعة الإسلامية والقانون الدولي

دراسة تاريخية في ضوء كتب الشريعة والقانون والسياسة والإدارة

الأستاذة الدكتورة عائشة بنت مرشود حميد الحربي

أستاذة التاريخ الوسيط كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

المملكة العربية السعودية

الملخص:

يعتبر التمثيل الدبلوماسي أحد مظاهر تطور العلاقات الدولية، حيث أنها وسيلة للتواصل الدولي، حيث تقوم بتنظيم أمور المصالح المتبادلة بينهم، ويعد المبعوث الدبلوماسي قناة الاتصال بين الدول التي تعمل على تحقيق التعاون فيما بينها، ولذا أعطت الدول البعثة الدبلوماسية حق الحماية والحصانة الكاملة، وذلك حتى تقوم بدورها بشكل ناجح وبعيدا عن أي تهديد أو ضغط، ومن ذلك الحصانة البشرية والمادية، وقد أقرت الشريعة الإسلامية هذه الحصانة. وفي القوانين الدولية الحديثة أقر ذلك في اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية المبرمة في 18 أبريل 1961م إذ صادقت الدول عليها، واعتبرت الوثيقة الدولية الأولى التي قننت الأعراف الدولية الخاصة بالحصانات الدبلوماسية.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء حول حماية وحصانة المبعوث الدبلوماسي وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية ثم الوقوف على ما أقرته القوانين الدولية الحديثة من حصانات للمبعوثين.

ويشمل نطاق البحث التعريف بمصطلحي المبعوث والدبلوماسية، ثم بيان دلالات الحماية والحصانة للمبعوث الدبلوماسي، وأخيرا بيان سريان حصانة المبعوث الدبلوماسي حتى في القوانين الدولية الحديثة. ثم

خاتمة اشتملت على العديد من النتائج ومنها شهدت الأحداث التاريخية للنظام الإسلامي بالسبق والسمو الفكري في تنظيم العلاقات الدولية، وأهمية الالتزام بقوانين الحصانة للمبعوث الدبلوماسي، وأخيرا قائمة بمصادر ومراجع البحث.

الكلمات المفتاحية: التمثيل الدبلوماسي، العلاقات الدولية، الشريعة الإسلامية، اتفاقية فينا، الحصانة الدبلوماسية.

Summary:

Diplomatic representation is considered one of the manifestations of the development of international relations, as it is a means of international communication, as it organizes matters of mutual interests between them, and the diplomatic envoy is the channel of communication between countries that work to achieve cooperation among them, and therefore countries have given the diplomatic mission the right to full protection and immunity, so that It carries out its role successfully and away from any threat or pressure, including human and material immunity. Islamic law has approved this immunity. In modern international laws, this was approved in the Vienna Convention on Diplomatic Relations in 1961, which was ratified by countries.

أهداف الموضوع:

تكمّن أهداف البحث في النقاط التالية:

- التعرف على مدلول مصطلحي الدبلوماسية والمبعوث الدبلوماسي

- إلقاء الضوء على النصوص الشرعية الدالة على حماية المبعوث الدبلوماسي

- بيان الجذور التاريخية لحصانة المبعوثين.

- الوقوف على أهمية اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية 1961م.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

- الكشف عن أهمية الدور الذي يقوم به المبعوث الدبلوماسي في تنظيم المصالح الدولية المشتركة.

- تأصيل حماية المبعوث الدبلوماسي في الشريعة الإسلامية.

- معرفة الأساس الدولي الذي تكفل بالحماية للمبعوث الدبلوماسي.

منهج البحث

المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل بعد جمع المادة العلمية من مواردها المختلفة.

الدراسات السابقة:

لقد تنوعت الدراسات التي تناولت الحصانات الدبلوماسية عبر مراحل تاريخية مختلفة ومن عدة جوانب كالشرعية والسياسية والقانونية والإدارية ومنها:

- دراسة الشيباني (1971م): السير الكبير، وقد أشار فيه إلى أمان الرسل، وأن الممثل السياسي آمن وإن لم يستأمن.

- دراسة أبي يوسف (1981م): الخراج، ذكر فيه أن المسلمين يمنحون الأمان لرسل الملوك ويكون هذا الأمان شاملاً للنفس والمرافقين والمال والمتاع.

and it was considered the first international document that codified international norms regarding diplomatic immunities.

Keywords: diplomatic representation, international relations, Islamic law, Vienna Convention, diplomatic immunity.

المقدمة

منحت البعثات الدبلوماسية حصانة دولية، تحترمها وتلتزم بها كل دول العالم، وذلك لأنها من المتطلبات الضرورية للدبلوماسي؛ حتى يقوم بأداء المهام الموكلة إليه بكل نجاح وبعبدا عن نطاق أي ضغوطات. وقد أقرت الشريعة الإسلامية الحماية والحصانة الشاملة للمبعوث الدبلوماسي أثناء تأديته لمهمة، سواء في أوقات السلم أو في الحرب. وفي ظل القانون الدولي أقرت اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية 1961م\ 1380هـ العديد من الحصانات والامتيازات التي تكفل للمبعوث سهولة العمل بكل طمأنينة. وتطلق تسمية المبعوث على كل الأشخاص الذين يمثلون دولهم عند الدول الأخرى. ويعتبر المبعوث الدبلوماسي بمثابة حلقة الوصل بين الدولة الموفدة والدولة الموفد لديها، ويقوم المبعوث الدبلوماسي بتمثيل الدولة الموفدة. ونظرا لأهمية مهام المبعوث فإن القانون الدولي يفرض الاعتداء عليه حتى في أوقات الحرب.

إشكالية الدراسة:

تظهر في الإجابة على التساؤلات التالية:

ما المقصود بمصطلح الدبلوماسية؟

ما المقصود بمصطلح المبعوث الدبلوماسي؟

ما المقصود بمصطلح الحصانة والحماية؟

هل الشريعة الإسلامية والقانون الدولي أقرت نظام

حصانة المبعوث الدبلوماسي في السلم والحرب؟

ما هي الحصانة المكفولة للمبعوث الدبلوماسي؟

- قطيشات، ياسر (2016م): البعثات الدبلوماسية بين الضمانات ومقتضيات الأمن الوطني. وردت فيه تفاصيل وحيثيات العلاقة الجدلية بين الامتيازات والحصانات الدبلوماسية والأمن الوطني.

- راضي، علي (2016م): العلاقات الدبلوماسية والقنصلية (نشأتها وتطورها - أسسها ومبادئها - مستقبلها)، تحدث عن تطور النشأة التاريخية للدبلوماسية، وتعرض في الفصل الثاني للحصانة الدبلوماسية.

وتفترق الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها جاءت لتجمع الجذور التاريخية لحصانة المبعوث الدبلوماسي وتأصيلها في الشريعة من خلال ما ورد في السنة النبوية ومادون من أحكام في كتب الفقه الإسلامي. ثم ربطها بالدراسات الحديثة سواء في علوم السياسة أو القانون أو الإدارة والتي أجمعت بمختلف مواردها على تأكيد مبدأ حصانة وحماية المبعوث الدبلوماسي.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث بالإضافة إلى الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

اشتملت المقدمة على التعريف بالموضوع وإشكالياته وأهداف البحث والدراسات السابقة وأهميته ومنهجه وتقسيماته، وأما عن المبحث الأول فهو عن التعريف بالمبعوث الدبلوماسي، ثم جاء المبحث الثاني لتوضيح دلالة مصطلح الدبلوماسية، وأخيراً المبحث الثالث شمل حصانة وحماية المبعوث الدبلوماسي. تلاه الخاتمة والتي اشتملت على جملة من نتائج وتوصيات البحث ثم المصادر والمراجع.

تعريف المبعوث:

عرّف العرب المبعوث: المبعوث مصدر من الفعل بَعَثَ، وبَعَثَهُ بَعَثًا بمعنى أرسله وحده. وقد وردت كلمة

المبعوث في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94]. وقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41].

ويتولى هذا المبعوث محاورة الآخرين في الحرب والسلم فيطلق عليه لقب مفاوض، وسميت مهمته مفاوضة⁽¹⁾.

ويطلق مصطلح المبعوث في الوقت الحاضر على الأشخاص الذين ترسلهم دولهم لمهمة خاصة كحمل رسالة من رئيس دولة إلى رئيس دولة أخرى، كما ترسل الأمم المتحدة والمنظمات الدولية مبعوثاً في مهمة خاصة⁽²⁾.
الدبلوماسية:

إن مصطلح الدبلوماسية في التاريخ يعود إلى تلك الأزمنة الغابرة. واستخدمته البشرية طوال مراحل تطورها كوسيلة للاتصال والتفاهم بين القبائل والدول⁽³⁾.
ويعود أصل اشتقاق كلمة الدبلوماسية إلى كلمة (Diplun) (دبلون) اليونانية ومعناها يطوي، وقد كان الرومان في البداية يسمون وثيقة السفر المعدنية المختومة بالدبلوما "Diploma"⁽⁴⁾.

وانتقل اللفظ إلى اللغة اللاتينية ليستعمل في معنيين:
الأول بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي يبعث بها الملوك والحكام إلى بعضهم في علاقاتهم الرسمية، والتي تجعل لحاملها امتيازاً معيناً.
وتتضمن صفات المبعوث والمهمة الموفد من أجلها: والتوصيات الصادرة من أجل تيسير وسائل انتقاله في الأقاليم والبلاد المختلفة، وحسن استقباله واحترامه.
أما المعنى الثاني: فهو يتعلق باستعمال الرومان كلمة دبلوماسية بما يفيد طباع هذا المبعوث أو السفير⁽⁵⁾.

وما تقضي به التعليمات الصادرة من وجوب التزام الأدب، واصطناع المودة، وتجنب أسباب النقد⁽⁶⁾.

وهكذا أخذت كلمة دبلوما هذه تتسع بمرور الزمن في معناها حتى شملت الوثائق الرسمية والاتفاقيات والمعاهدات. وقد ظل الموظفون الذين يعملون في تحقيق هذه الوثائق وحل رموزها يسمون بالموظفين الدبلوماسيين.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "دبلوماسية" لم تستعمل لكي تشير إلى العمل الذي يشمل توجيه العلاقات الدولية - أي المعنى الحديث - إلا في القرن الخامس عشر الميلادي⁽⁷⁾.

إذ يطلق لفظ دبلوماسي (Diplomate) على الشخص الذي يمارس الدبلوماسية كمهنة رسمية، سواء بصفة دائمة بحكم مركزه، أو وظيفته، أو بصفة مؤقتة بحكم تكليفه بمهمة خاصة مما يدخل في نطاق الأعمال الدبلوماسية، ويطلق على مبعوثي الدولة الذين يتولون مهمات ذات صفة دبلوماسية في الخارج وصف المبعوثين أو الممثلين الدبلوماسيين⁽⁸⁾.

وقد عُرِفَت الدبلوماسية عند الشعوب القديمة بمعنى المفاوضات والحلول للمشاكل المعلقة بين جماعتين من البشر عن طريق الاتفاق. ومنهم من عرّفها بأنها علم يهتم بوصف تطور العلاقات بين الدول⁽⁹⁾. ومن أهم هذه الشعوب بداية مصر القديمة، واليونان، والرومان، وفي العصر البيزنطي، وكذلك عرف العرب الدبلوماسية في الجاهلية والإسلام.

وفي العصور الحديثة حددت قواعد الدبلوماسية⁽¹⁰⁾. ففي اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1355هـ / 1961م⁽¹¹⁾. وعند تعريب هذه الاتفاقية أضيفت كلمة المبعوث إلى الدبلوماسي، ومصطلح المبعوث هو مقارب لمصطلح الدبلوماسي. ويقابل مصطلح

الدبلوماسي الوارد في اللغة اليونانية مصطلح "الرسول"⁽¹²⁾ في اللغة العربية. وهو أكثر انسجاماً ودقة من مصطلح الدبلوماسي⁽¹³⁾.

وبذلك أصبح مصطلح الدبلوماسية من الألفاظ الشائعة والمتداولة في الوقت الحاضر على المستويات السياسية المحلية والدولية، وأحياناً كثيرة في استخدامات العامة⁽¹⁴⁾.

ومن خلال العرض السابق نستطيع أن نستخلص معنى الدبلوماسية "فهي علم علاقات الدول ومصالح كل منها، أو فن التوفيق بين مصالح الشعوب، وبشكل أدق علم وفن المفاوضات، وعلم معالجة الشؤون الخارجية الدولية"⁽¹⁵⁾.

كما يطلق أيضاً مفهوم الدبلوماسية على المزايا التي يتحلى بها الإنسان الفطن في علاقاته الاجتماعية لحل المنازعات الطارئة، أو القضايا المستعصية كاللباقة والحكمة، وحسن التصرف وغيرها. ويقال عن مثل ذلك الشخص أنه يتصرف بدبلوماسية، أو هي المفاوضات الدبلوماسية التي يقوم بها رؤساء الدول أو وزراء الخارجية⁽¹⁶⁾.

وكذلك الدبلوماسية هي علم وفن تمثيل دولة ما لدى دولة أخرى، ورعاية مصالحها، والقيام بالمفاوضات المقتضية، وهذا هو المعنى الأساسي للدبلوماسية⁽¹⁷⁾.

أيضاً هي ممارسة الدولة لسياستها الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية دونما حاجة إلى تنفيذ سياستها في المحيط الدولي عن طريق الالتجاء إلى الحرب⁽¹⁸⁾.

وفي الحقيقة فإن المسلمين كانوا من السابقين بين الأمم في معرفة مفهوم الدبلوماسية وتطبيقها وإن لم يستخدموا اللفظة ذاتها. واتبعوا نظام السفارات غير

الدائمة، وشابه السفراء المسلمون السفراء فوق العادة المعروفين حالياً حيث تنتهي مهامهم بانتهاء أعمالهم⁽¹⁹⁾.

أما عن نظام الدبلوماسية (السفارات) في العصر الحديث فإن مؤتمر فيينا وما أقره من قواعد ثابتة يعتبر حجر الأساس في بناء الدبلوماسية الحديثة؛ فقد اكتسبت بعده الخدمة الدبلوماسية أبعادها الخاصة كمهنة مميزة لها قواعدها وإجراءاتها ومراسمها الخاصة بها⁽²⁰⁾.

المقصود بحصانة وحماية المبعوث الدبلوماسي ودلالاتها: يعود مدلول الحصانة في معاجم اللغة إلى الجذر ح ص ن : الْحِصْنُ (وَاحِدٌ) الْحَصُونِ (يُقَالُ) : حِصْنٌ حَصِينٌ (يَبْنِي) الْحَصَانَةَ⁽²¹⁾، والحصانة معناها المنع، وتحصن أي اتخذ له حصناً ووقاية⁽²²⁾.

وندرك من الدلالات السابقة أن مادة حصن في كل معانيها تدل على الوقاية من الأذى، والمنع من إلحاق الضرر بالمُحصَّن.

وللحصانة الدبلوماسية عدة تعريفات ومنها : الحصانة التي يتمتع بها ذلك الشخص الذي يمارس النشاط الدبلوماسي بصورة رسمية، بحيث يكون محمياً من الأضرار التي قد تلحق بالشخص العادي من جراء التقييد بضوابط أو إجراءات معينة⁽²³⁾.

وهي "تمتع الدبلوماسي بقسط وافر من الحرية أثناء أدائه لعمله، وعلى نحو يرتفع به عن مستوى ما يتمتع به الإنسان العادي من حرية فيما يقوم به من تصرفات"⁽²⁴⁾.

وهي "إعفاء بعض الأشخاص أو الهيئات من ولاية القضاء في الدولة التي يعتمدون لديها، كما يشمل هذا الاستثناء الهيئات الدولية والمنظمات الإقليمية المعترف بها في نطاق عضويتها"⁽²⁵⁾.

الحماية : لغة من الفعل (حى) فيقال حى الشيء فلاناً، حياً وحماية : منعه ودفع عنه ويقال حماه من الشيء وحماه الشيء⁽²⁶⁾.

والحماية : احتياط يرتكز، إذ يتجاوب مع من يحميه أو ما يحميه وينظر عموماً واجباً لمن يؤمنه على وقاية شخص أو مال ضد المخاطر وضمان أمنه وسلامته عن طريق وسائل قانونية أو مادية، تدل كذلك على عمل الحماية ونظامها على حد سواء (تدبير، نظام) ومرادفها الوقاية⁽²⁷⁾. ويقال حى الشيء يحميه حماية أي منعه، وحى المريض ما يضره: منعه إياه، واحتى هو من ذلك وتحى : امتنع، وحى أهله في القتال حماية⁽²⁸⁾. ويقال حميت القوم حماية أي: نصرتهم⁽²⁹⁾، ويقال حميت المكان: منعته أن يقرب، واحتى الرجل من كذا: أي اتقاه⁽³⁰⁾.

كانت معاملة المبعوث قبل الإسلام تخضع لالتزامات حاكم الدولة التي يوفد لها المبعوث، ولذا فهو عرضة للتعذيب والاضطهاد والسجن، وأحياناً يقتل غدراً إن غضب عليه الحاكم كما كان يحدث عند الفرس أو الرومان قديماً⁽³¹⁾. حظي المبعوثين والرسل في الدولة الإسلامية بموфор التقدير والاحترام ؛ ووفر له قدراً من الحماية، فحرمت الاعتداء عليه، ومنحته حرية العبادة، وحق ممارسة الطقوس الدينية على أرض الإسلام، كما أفرد له حكام المسلمين محل إقامة خاص له يليق بمكانته، وتقدم له الهدايا إن كان من دولة صديقة، أو إذا قدم لهم ببشرى⁽³²⁾.

لقد كان للرسل من الجانبين الحق في التمتع بالحصانة والحرمة والأمان⁽³³⁾، فلا يجوز قتلهم أو حبسهم؛ وذلك حتى يتمكنوا من أداء عملهم على خير وجه. ولذا أصبحت الحصانة أولى قواعد الدبلوماسية كما عرفها القانون الدولي الحديث⁽³⁴⁾.

وفي الحقيقة إن كلمة "الأمان" هي ما يقابل في الدبلوماسية الغربية الحديثة كلمة "الحصانة" ومعناها أن يكون السفير آمناً هو وزوجه وأولاده، وأتباعه الدبلوماسيون مصونين من كل أذى وضرر.

وقد أعطى الرسول - عليه السلام - القادم إلى دار الإسلام الأمان هو ومن يكون معه طوال إقامته في بلاد المرسل إليه، حتى يعود سالماً مطمئناً إلى بلاده وأهليه.

وخير ما يدل على هذا الأمر أن الرسول - عليه السلام - أتته رسل مسيلمة⁽³⁵⁾، وقالوا: نشهد أن مسيلمة رسول الله⁽³⁶⁾؛ فقال النبي - عليه السلام -: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم»⁽³⁷⁾. وهذا العرف كان جارياً حتى في أيام الجاهلية وامتد لعصر الإسلام، إذ لا بد من أن يكون الرسول آمناً ليتمكن من أداء الرسالة، فلما تكلم رسول قوم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي أن يتكلم به قال: «لولا أنك رسول لقتلتك»⁽³⁸⁾. وللحديث السابق فوائد لموضوع الدراسة وهي:

- الرسول لا يقتل، وإنما يؤمن حتى يرجع إلى الجهة التي جاء منها.

- تحريم قتل السفراء الكفار.

- يظهر مما سبق الصورة الدبلوماسية للرسول صلى الله عليه وسلم والتي برزت في حسن تعامله مع الرسل المبعوثين إليه، بغض النظر عن كلامهم المخالف لعقيدة المسلمين، وبهذا يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم قانون حصانة الرسل والمبعوثين وذلك عند دخول الرسل حدود الدولة الإسلامية، وعلم إنهم جاءوا لإنجاز مهمة رسمية فهم في أمان إلى حين انتهاء مهمتهم⁽³⁹⁾.

وبناء عليه يرى الإسلام أن قتل الرسل غدر لا يجوز للمسلمين أن يتصفوا به بأي حال؛ ذلك أن الرسول أو

المبعوث يدخل بلاد المسلمين بالأمان، والأمان عهد لا يصح نقضه. ونقضه غدر نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنه بقوله "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ"⁽⁴⁰⁾.

كذلك نجد مثلاً آخر لوفدين أحدهما كان خاصاً بملك أهل حمير⁽⁴¹⁾ المشركين، أما الآخر فكان خاصاً بأهل كندة⁽⁴²⁾، والذي حضر أعضاؤه في ثمانين فارساً مدججين بالسلاح، ودخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو بالمسجد، فعاملهم باحترام على الرغم من المظهر الهجومي الذي دخلوا به عليه.

وهكذا فإن أفعال وأقوال الرسول - عليه السلام - كلها جاءت مؤكدة مبدأ الحصانة الدبلوماسية دون أن تضع عليها أي حد أو قيد وذلك تمشياً مع القرآن الكريم. ولقد حذر الرسول عليه السلام أهل أيلة⁽⁴³⁾ حين طالبهم بأن يطيعوا الله ورسوله ويطيعوا الرسل الذين أرسلهم إليهم، وألا يمسوهم بسوء. فإن فعلوا فلن يحول شيء بينه وبين حربهم⁽⁴⁴⁾.

واعتبر صلى الله عليه وسلم الاعتداء على الرسل والمستأمنين جرماً يوجب العقوبة، وأمر لا يسكت عليه، بل لا بد من اتخاذ عقوبة رادعة؛ حتى تحفظ هيبة الدولة، وكذلك القوانين والمبادئ العامة التي تحفظ أمن الرسل والسفراء، ومما يدل على ذلك في السنة السادسة للهجرة عندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه للمفاوضة لما منعهم قريش من دخول مكة - وكانوا قد قدموا للعمرة لا للقتال -: ليستأذن نيابة عنه وعن المسلمين بأداء العمرة وتقديم الهدى ونحر الأضاحي⁽⁴⁵⁾، وأمره بالذهاب إلى الأشراف من قريش ليبين لهم أنه لم يقدم للقتال، بل هو زائرًا لبيت الله الحرام ومعظماً لحرمة⁽⁴⁶⁾، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوفده لما يتمتع به من مكانة رفيعة ومرموقة عند أهل

مكة، وقد تمت بيعة الرضوان بعد ذهاب عثمان⁽⁴⁷⁾؛ وذلك لما أشيع أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قُتل ووصلت هذه الأخبار إلى النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس للبيعة⁽⁴⁸⁾، ويعتبر هذا الأمر هو السبب الرئيسي وراء إقامة بيعة الرضوان تحت الشجرة، حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين، ولكن بعد ذلك تبين أن عثمان لم يمت⁽⁴⁹⁾، ولذلك قيل إن سبب بيعة الرضوان كان بسبب تداول أخبار مقتل عثمان وعزم قريش على حرب المسلمين، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على دفع الأعداء وليس على مبادرة قتالهم⁽⁵⁰⁾، وكانت البيعة في ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة⁽⁵¹⁾ في منطقة الحديبية⁽⁵²⁾.

ويمكن تحليل ما سبق أن خبر قتل الرسول هو الذي دفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى إعلان الحرب، ومقاتلة كفار قريش، وذلك استوجب من رسول الله أن يعلن حرباً على من اعتدى على أمن رسوله، وماله من حصانة وحماية.

واهتمت السنة النبوية بمبدأ الأمان اهتماماً خاصاً، ووضعت ضوابط وأحكاماً تشريعية وسياسية في التعامل به يخضع لها جميع الأفراد والمجتمع؛ حماية لحقوق المبعوثين وتسهيلاً لمهامهم.

وقد أُعطي الأمان لمن أراد دخول دار الإسلام، وهو كافر، وإن كان من الأعداء لحاجة له كتبليغ رسالة أو تجارة أو عمل⁽⁵³⁾، وقد منحت الشريعة الإسلامية الرسل الأمان، فأمنتهم على أنفسهم وأموالهم ماداموا مستقرين تحت حكم الإسلام⁽⁵⁴⁾.

وفي الحقيقة إن كتابات عدد من العلماء والفقهاء المشهورين تبين أن الرسل والسفراء والمبعوثين كانت سفاراتهم كثيرة عبر التاريخ، كما تؤكد أيضاً أن جميعهم

قد استمتعوا بالحصانة الدبلوماسية لأنفسهم ولعائلاتهم، بل حتى وللعاملين معهم، بل وحتى لخدمهم⁽⁵⁵⁾. وبذلك تكون الدولة الإسلامية قد بسطت حصانتها على سائر أتباع السفراء. واعتبرت أية إهانة تلحق بأحدهم كأنما هي إهانة موجهة إلى شخص السفير نفسه. وبذلك وقف قواعد (البروتوكول)⁽⁵⁶⁾ الإسلامي، على قدم المساواة مع أرقى المبادئ والعرف الدبلوماسي الحديث، والتي تقرر اشتمال الحصانة الدبلوماسية على جميع أفراد السفارة حتى الخدم والسعاة فيها⁽⁵⁷⁾.

حتى قيل "إن الرسل والمبعوثين ومن صحبهم قد استمتعوا بحصانة شخصية كاملة، إذ إنه لم يكن يحل قتلهم على الإطلاق، بل إنه لم يكن يسمح لأحد بأن يسيء معاملتهم أو حتى يتحرش بهم"⁽⁵⁸⁾.

وكما أسلفنا فقد شهد الفقه الإسلامي أحكاماً مختلفة تبحث في شؤون الرسل والسفراء وأقر حق الحصانة لهم⁽⁵⁹⁾، وبذلك حصنت أنفسهم وأموالهم ودورهم، وهذا ما يتيح لهم حرية التنقل⁽⁶⁰⁾.

فقد ذكر الفقهاء المسلمون "إن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه، فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب، وهذا كتابه معي، وما معي من الدواب والمتاع فهدية له، فإنه يصدق ولا سبيل عليه ولا يتعرض له، ولا لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال"⁽⁶¹⁾، وكذلك لو أن المسلمين أسروا مركباً في البحر، وقال نفر من ركبها: (نحن رسل بعثنا الملك) فلا يتعرض لهم⁽⁶²⁾.

هذا بالإضافة إلى أنه كانت هناك حدود للحصانة الدبلوماسية بالنسبة للأشخاص⁽⁶³⁾. فقد كان يفرض على الرسل وجوب التصرف بأمانة وإخلاص وعدم العودة إلى بلاده بشيء من السلاح أو العتاد الذي يكون فيه قوة العدو.

وظلت الدولة الإسلامية حريصة طوال عهدها على مبدأ أمان السفراء، ولم يذكر التاريخ حادثة عاملت بها السفراء والرسول معاملة شذت فيها عن هذه القاعدة، رغم انتهاك الصليبيين حرمة هذا المبدأ الجليل في مناسبات كثيرة⁽⁶⁴⁾، فقد كانوا يقتلون رسل العرب، على حين كان السلطان صلاح الدين الأيوبي يرفض معاملتهم بالمثل⁽⁶⁵⁾.

وقد أعطيت هذه الحصانة للسفراء كافة وذلك من أجل توفير الحرية الكافية واللازمة لهم في أداء واجباتهم، واحتراماً لاستقلال الدولة التي يمثلونها⁽⁶⁶⁾.

وكذلك ذكر بعض الفقهاء بأن للرسول الأجنبي أن يقوم بالاتصال بالجماعة الإسلامية وإجراء التفاوض، دون أن يمنح الأمان مسبقاً، كما ذهب بعضهم أن الأمان ينتقض حتى ولو ارتكب المبعوث جريمة⁽⁶⁷⁾.

ويترتب على ضمان حرمة شخص الرسول وحماية أمواله في دار الإسلام، عدم جواز اعتباره أسيراً، وإن وافقت دولته على ذلك. أيضاً يعفى السفير من الضرائب، وكذلك يعفى من الاختصاص القضائي⁽⁶⁸⁾، فهو يتمتع بحصانة قضائية. فقد ذكر (أبي يوسف) في إقامة الحدود على أهل الحرب "ولو أن هذا الداخل إلينا بأمان أو الرسول زنى أو سرق، فإن بعض فقهاءنا قال: لا أقيم عليه الحد، فإن كان استهلك المتاع في السرقة ضمنته. وقال: لم يدخل إلينا ليكون ذمياً تجري عليه أحكامنا"⁽⁶⁹⁾.

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن جرائم الحدود لا يخضع لها الرسول، وكذلك فقد ذهب بعض فقهاء الإسلام إلى أن الرسول غير ملزم بإعطاء الشهادة أمام القضاء⁽⁷⁰⁾. وكذلك عدم جواز التبليغ بالمحاضر القضائية مدنية أو جنائية، أو بأوامر الاستدعاء أو المثل أمام المحاكم أو الدوائر الأخرى⁽⁷¹⁾.

كما أشار الإمام أبو زهرة إلى "إن الممثلين السياسيين لا يخضعون في العقوبات إلا لقوانين بلادهم، وبقضائهم، وذلك عرف دولي أقرته أكثر الدول وارتضته"⁽⁷²⁾.

وقد أقر أمان السفراء؛ لما له من أهمية تفاوضية قد يترتب عليها إنهاء الحرب بعقد الهدنة أو الجزية، وربما دخولهم في الإسلام، ويلزم لإثبات الأمان للسفير أو الرسول أن يحمل معه ما يثبت أنه أوفد من قبل رئيسه بأن يحمل رسالة عليها خاتمه ونحو ذلك⁽⁷³⁾.

وأشار الأوزاعي إلى أنه يجوز عقد الأمان للرسول؛ لأن النبي - عليه السلام - «كان يؤمن رسل المشركين. ولما جاءه رسولاً مسيلم قال: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما».

ولأن الحاجة تدعو إلى ذلك فإننا لو قتلنا رسلهم لقتلوا رسلنا فتفوت مصلحة المراسلة، والحديث يدل على تحريم قتل الرسل الواصلين من الكفار وإن تكلموا بكلمة الكفر في حضرة الإمام أو سائر المسلمين⁽⁷⁴⁾.

وتعليقاً على ذلك يقرر الإمام ابن القيم الجوزي أيضاً: أن السنة جرت إذن على أن «الرسول لا يقتل ولو كان مرتداً».

وعن أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: بعثني قريش إلى النبي فلما رأيته وقع الإيمان في قلبي فقلت يا رسول الله لا أرجع إليهم وأبقى معكم مسلماً، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إني لا أخيس بالعهد، فارجع إليهم آمناً، فإن وجدت بعد ذلك في قلبك ما فيه الآن فارجع إلينا»⁽⁷⁵⁾.

وهذه الحادثة تدل على أن النبي لم يُقرر رسول قريش على رغبته في البقاء بدار الإسلام بعد أن أسلم؛ خشية أن تظن قريش أنه حبس رسولها، وأن إسلامه كان لخوفه على حياته⁽⁷⁶⁾.

وهكذا أخضع الإسلام حصانة السفراء الأجانب للعرف الدولي العام الذي فهمه الملك الظاهر بيبرس (658-675هـ/1260-1277م) فهماً جيداً حين كتب إلى ملوك الفرنجة الصليبيين: «الوفاء أحد أركان الملك، وجرت عادة الرسل أنها لا تؤذى»⁽⁷⁷⁾.

وقد ذكر الفقهاء سبب تقرير حق الأمان للسفراء والعلة الموجبة له. فقالوا: فإذا لم يكونوا آمنين لا يستطيعون تأدية الرسالة، فالأمان لهم بغير شرط، وإن شرط لهم ذلك وكتبت به وثيقة فهو أحوط⁽⁷⁸⁾.

وقد حافظت الدول الإسلامية في مختلف عهودها على هذه القاعدة، فكانوا يؤمنون الرسل جميعاً. مسلمين كانوا أو نصارى أو مغولا وغيرهم⁽⁷⁹⁾.

اتفاقية (فيينا) للعلاقات الدبلوماسية المبرمة في 18/أبريل/1961م

هي معاهدة دولية وقعت عام 1961م وتحدد إطاراً للعلاقات الدبلوماسية بين الدول المستقلة، وتحدد امتيازات البعثة الدبلوماسية التي تمكن الدبلوماسيين من أداء وظيفتهم دون خوف من الإكراه أو المضايقات من قبل البلد المضيف، وتشكل الأساس القانوني للحصانة الدبلوماسية وتعتبر مواده حجر الزاوية في العلاقات الدولية الحديثة. اعتباراً من 18 أبريل 2014، تم التصديق عليها من قبل 190 دولة⁽⁸⁰⁾.

وفي العصر الحديث تم التأكيد على الحصانة للسفراء الدبلوماسيين في اتفاقيتي فيينا للعلاقات الدبلوماسية 1961م المذكورة آنفاً، ثم القنصلية 1963م⁽⁸¹⁾.

وبالإضافة إلى أمان السفراء فإنه ينبغي أن يعاملوا معاملة حسنة لأنهم يقومون مقام الملك الذي أرسلهم فكل حرمة لهم تكون موجهة له.

وقد تعارفت الملوك على أن يتبادلوا حسن المعاملة، وأن يكرموا الرسل الذين يأتونهم إكراماً شديداً⁽⁸²⁾.

كما ينبغي أن تهيأ للرسل الضيافة والقرى في كل مرحلة وتحسن وفادته، وأن يرتحلوا فرحين مسرورين، فإذا عادوا

على هذا النحو أيضاً؛ لأنه ما نالهم من خير أو شر إلا كان كأنما هو قد نال سلطانهم⁽⁸³⁾، وكان إنزال السفراء بمساكن الاستقبال بحسب أقدارهم، وأقدار مرسلهم⁽⁸⁴⁾ ومن الرسل ممن يعتبر حاله وإن لم يُمكن الملك يلتقيه بنفسه بعث إليه أحداً من أركان دولته على مقدار الرسول ومرسله حسب ما يليق بحاله⁽⁸⁵⁾.

الخاتمة

-يعد تبادل البعثات الدبلوماسية إحدى أقدم صور العلاقات الدولية.

-أهمية التزام الدول بقانون الحصانة الدبلوماسية وفقا لما أقرته أحكام الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية الحديثة.

-تظهر أهمية ضمان حماية البعثات وذلك حتى تؤدي مهامها بنجاح واستقلال.

-تضمنت اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية 1961م و1963م كل الضمانات لحصانة السفراء والمبعوثين.

-أعطت الشريعة الإسلامية حقوقا للسفراء وأجريت تلك الحقوق على كل سفير مسلم أو غير مسلم على حد سواء.

- شهدت الأحداث التاريخية للنظام الإسلامي بالسبق والسمو الفكري في تنظيم العلاقات الدولية.

- كان الرسول من المؤسسين لنظام الدبلوماسية؛ فقد تعامل بها وأرسى معالمها ووضح طرائقها وبين مقاصدها.

- يعتبر المبعوث في النظام الإسلامي هي وسيلة للسلام والمهادنة وبوابة للتعاون الدولي وحسن إدارة للسياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية.

- يعد نظام التمثيل الدبلوماسي، والعمل به من أقدم المبادئ السياسية التي عرفتها الأمم.

-يتمتع الدبلوماسيون والمبعوثون بالحصانة والحماية، وتصان شخصيتهم من أي أذى.

-حرم الإسلام قتل الرسل الوافدين من غير المسلمين.

التوصيات:

-أهمية تحديث القوانين الدولية الخاصة بحصانة البعثات الدبلوماسية خاصة في أوقات الحرب.

-التأكيد على احترام التمثيل الدبلوماسي وضمان تمتع كل المبعوثين بالحصانات الدبلوماسية التي كفلها لهم القانون الدولي.

- (1) الرحيلي، سليمان ضفيدع (1994م): السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، الرياض: مكتبة التوبة، ص 23.
- (2) الفتلاوي، سهيل حسين (2002م): تاريخ العلاقات الدبلوماسية في الوطن العربي، ط 1، بيروت: دار الفكر العربي، ص 112 – 113.
- (3) باعمر، أحمد سالم (2001م): الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي: دراسة مقارنة، ط 1، الأردن: دار النفائس، ص 57.
- (4) فياض، عطية السيد (2003م): دور الدبلوماسية في الاتصال بين الدول، ط 1، مصر: دار الكلمة، ص 8.
- (5) السفير في القانون الدبلوماسي هو الشخص الذي يتولى رئاسة البعثة الدبلوماسية وهو ممثل لدولته في الدول الأجنبية. وكل دولة تعتمد سفيرًا واحدًا في الدولة المعتمد لديها. الفتلاوي، سهيل: تاريخ العلاقات، ص 11.
- (6) فودة، عز الدين (1971م): ما الدبلوماسية، ط 1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ص 9 – 10.
- (7) محمد، فاضل زكي (1968م): الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط 2، بغداد: دار الجمهورية، ص 9.
- (8) أبو هيف، علي صادق (1987م): القانون الدبلوماسي، ط 1، الإسكندرية: منشأة المعارف، ص 14.
- (9) دوللو، لويس (1983م): التاريخ الدبلوماسي، ترجمة سموحي فوق العادة، ط 2، بيروت: منشورات عويدات، ص 5.
- (10) البكري، عدنان (1986م): العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، ط 1، بيروت: المؤسسة الجامعية، ص 19 – 29.
- (11) خلف، محمود (1997م): النظرية والممارسة الدبلوماسية، ط 2، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 77.
- (12) عرّف الرسول في اللغة بأنه هو: الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض. الجرجاني، علي بن محمد (1985م):
- التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 148.
- (13) الفتلاوي، سهيل: تاريخ العلاقات، ص 108.
- (14) فياض، عطية السيد: دور الدبلوماسية، ص 8.
- (15) مقبول، علي (2000م): الحصانات الدبلوماسية والقنصلية والمعاهدات، ط 1، صنعاء، ص 18؛ سلطان، حامد & راتب، عائشة (1987م): القانون الدولي العام، ط 4، القاهرة: دار النهضة العربية، ص 163.
- (16) سرحان، عبد العزيز محمد (1991م): القانون الدولي العام، القاهرة: دار النهضة العربية، ص 83.
- (17) فوق العادة، سموحي: الدبلوماسية الحديثة، ص 4 – 5.
- (18) فتح الباب، حسن (1970م): مقومات السفراء في الإسلام، مجلة دراسات في الإسلام، القاهرة، العدد 114، السنة 10، ص 8.
- (19) الرحيلي، سليمان: السفارات، ص 24.
- (20) مقبول، علي: الحصانات الدبلوماسية، ص 23.
- (21) الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (1999م): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط 5، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ص 75.
- (22) مصطفى، إبراهيم وآخرون (1989م): المعجم الوسيط، تركيا: دار الدعوة، ج 1، ص 180.
- (23) مصباح، زايد عبيد الله (1999م): الدبلوماسية، بيروت: دار الجيل، ص 157.
- (24) زهرة، عطا محمد صالح (1994م): أصول العمل الدبلوماسي والقنصلي، ط 5، بنغازي: مركز بحوث العلوم الاقتصادية، ص 51.
- (25) عطية الله، أحمد (1980م): القاموس السياسي، ط 4، القاهرة: دار النهضة العربية، ص 580.
- (26) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1، ص 200.

(35) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي أبو شامة.

متنبي من المعمرين، ولد نشأ في اليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعرف برحمان اليمامة، وقد قتل مسيلمة في السنة 12هـ الزركلي، خير الدين بن محمود (1995م):
الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ج7، ص226؛ سلم، أحمد سعيد (1994م): حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، ط1، القاهرة: دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ص 92 – 93.

(36) ابن شبة، أبو زيد عمر (1979م): تاريخ المدينة، ج4، تحقيق فهد شلتوت، جدة: دار الأصفهاني، ج2، ص 272 – 274: ابن قدامة، عبد الله بن أحمد (د.ت): المغني، ج15، الرياض: مكتبة دار الرياض، ج8، ص400: الشوكاني، محمد بن علي (1993م):
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من سيد الأخيار، ط1، تحقيق عصام الدين الصباطي، ج8، القاهرة: دار الحديث، ج8، ص35 – 37؛ القاسمي، ظافر (1982م): الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، ص 453.

(37) أبي داود (2009م): سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة العالمية، ج4، ص 389 حديث رقم (2761).

(38) الشيباني، محمد بن الحسن (1971م): شرح كتاب السير الكبير ط1، ج5، تحقيق صلاح الدين المنجد، مصر: مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ج1، ص296: الزحيلي، وهبة مصطفى (1981م): العلاقات الدولية في الإسلام: مقارنة بالقانون الدولي الحديث، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص 152.

(39) الشيباني: شرح السير الكبير، ج1، ص 296.

(40) البخاري (1422هـ)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة، الحديث رقم (33)، ج1، ص16؛ مسلم (1955م)، أبو الحسين الحجاج القشيري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي

(27) كورتو، جيرار (2009 م): معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، ط2، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ج1، ص 726.

(28) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1993م): لسان العرب، ط3، دار صادر: بيروت، ج14، ص198؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (1998م): القاموس المحيط، ط6، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص 1276.

(29) ابن القطاع، علي بن جعفر السعدي (1983م): كتاب الأفعال، ط1، بيروت: عالم الكتب ج1، ص 260.

(30) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1998م): أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، ط1، لبنان، دار المعرفة، ص 96.

(31) سرحان، عبد العزيز محمد (1974م): قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية: دراسة تحليلية في الفقه والقضاء الدوليين وأحكام إتفاقيتي فيينا عام 1961-1963، القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس، ص 49.

(32) خدوري، مجيد (1973 م): الحرب والسلام في شرعة الإسلام، ط1، بيروت: الدار المتحدة للنشر، ص 326.

(33) الأمان: من الأمن وهو: ضد الخوف، والأمان: إعطاء الأمانة، واستأمن إليه: دخل في أمانه، وقد أمنه وأمنه. ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص22-23: الجوهري، إسماعيل بن حماد (1987م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ج5، ص 2071.

(34) فودة، عز الدين (1971م): ما الدبلوماسية، ط1، القاهرة:

الهيئة المصرية العامة، ص32: الحسن، محمد علي (1982م): العلاقات الدولية في القرآن والسنة، ط2، عمان: مكتبة النهضة الإسلامية، ص293: عبد السلام، جعفر (1981م): قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية، ط1، القاهرة، مكتبة السلام العالمية، ص253: الزيد، صالح عبد الكريم (1986م): أحكام عقد الأمان والمستأمنين في الإسلام، ط1، الرياض، الدار الوطنية، ص 52 – 53.

النظر في شؤونهم وشؤون المسلمين، دون الخروج عن إطار شرعية الإسلام وقوانينه، وفي هذا السياق، فإن عملية المبايعة تتم عن طريق مصافحة الأيدي كتأكيد للالتزام المبايعين بالعهد، وهو ما يشبه عملية الشراء والبيع في الحياة اليومية، وقد أطلق على هذا النوع بالبيعة المشتقة من مصدر باع، ويتضح هذا المفهوم من الحديث النبوي في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة، حيث أدلى المسلمون بالبيعة للنبي صلى الله عليه وسلم بمصافحة الأيدي كتأكيد للالتزامهم بالعهد. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (1981م): العبروديان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط1، بيروت: دار الفكر، ج1، ص 261.

(49) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص 315؛ ابن سعد، محمد بن سعد (1997م) : الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، ص 74؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1992م) : المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 162؛ الطبري، محمد بن جرير (د.ت.): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ج22، ص 225-226.

(50) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (1964م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، ج3، ص 43؛ الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (1994م): شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج14، ص 481.

(51) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (1999م): الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج14، ص 110.

(52) الحديبية: قرية متوسطة، وقد سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع الرسول عليه السلام تحتها، وسميت الحديبية بشجرة حذاء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة

الحلي وشركاه، توزيع بيروت: دار الكتب العلمية، حديث رقم (59)، ج1، ص 78.

(41) حمير: موضع يقال له حمير غربي صنعاء. انظر: الحموي، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (د.ت): معجم البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج8، ج3، ص 185؛ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق (1954م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي البيجاوي، ج3، بيروت، دار المعرفة، ج1، ص 428.

(42) كندة: بالكسر مخلاف كندة باليمن اسم القبيلة. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج8، ص 154؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج3، ص 1181.

(43) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وسميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 232.

(44) بيسيوني، محمد شريف (1982م): "حماية الدبلوماسيين في ظل القانون الإسلامي"، ترجمة محمد عبد العليم مرسى، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد السادس، ص 708.

(45) الطبري، محمد بن جرير (1967م): تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الرسل والملوك، ط2، القاهرة: دار المعارف، ج2، ص 121؛ ابن شبة، تاريخ المدينة، ج3، ص 1032.

(46) ابن هشام: عبد الملك الحميري (1955م): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلي، ط2، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج2، ص 315.

(47) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (1983م): فضائل الصحابة، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج1، ص 456، (رقم: 737)؛

(48) البيعة: هي العهد الذي يتعهد به المسلمون بالطاعة والولاء للأمير، حيث يتفق المبايعون مع الأمير على أن يطيعوه ويسلموا له

- (61) البكري، عدنان: العلاقات، ص 32: الأبيض، أنيس (1994م): بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، لبنان: جروس برس، ص 172.
- (62) العدوي، إبراهيم: السفارات، ص 48.
- (63) أبي يوسف، يعقوب إبراهيم الأنصاري (1981م): كتاب الخراج، تحقيق محمد البناء، القاهرة: دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، ص 365: فاضل زكي، الدبلوماسية، ص 165.
- (64) فوق العادة، سموحي: الدبلوماسية الحديثة، ص 25 – 26.
- (65) المحمصاني، صبيح (1972م): القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، ص 132.
- (66) المحمصاني، صبيح: القانون، ص 131.
- (67) سفر، حسن محمد (1990م): "السفارات في النظام الإسلامي"، الرياض، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة 3، العدد 9، ص 122.
- (68) مصطفى، عبد التواب (1994م): العلاقات الدولية والسياسية الخارجية في الإسلام، القاهرة، شركة الملتقى، ص 57: أبو الوفا، أحمد (1992م): القانون الدبلوماسي الإسلامي، ط 1، القاهرة، دار النهضة العربية، ص 285.
- (69) أبي يوسف: كتاب الخراج، ص 367: أبي يوسف، يعقوب إبراهيم الأنصاري (د.ت.): الرد على سيرا الأوزاعي، ط 1، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، حيدرآباد، الهند: لجنة إحياء المعارف النعمانية، ص 94.
- (70) الفتلاوي، سهيل: تاريخ، ص 340 – 341.
- (71) البكري، عدنان: العلاقات، ص 105.
- (72) أبو زهرة، محمد (د.ت.): الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، ص 296.
- (73) شومان، عباس (1999م): العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية: دراسة فقهية مقارنة، ط 1، القاهرة: الدار الثقافية، ص 78.
- (74) ابن قدامة: المغني، ص 400: الشوكاني: نيل الأوطار، ص 37: كلزيه، عبد الوهاب (1984م): الشرع الدولي في عهد الرسول، ط
- وبينها وبين المدينة تسع مراحل. الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 126.
- (53) الشريبي، محمد بن محمد (1994م): مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، حققه وعلّق عليه: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 4، ص 234.
- (54) الحطاب، محمد بن محمد (1992م): مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط 3، د.م: دار الفكر، ج 3، ص 36.
- (55) فودة، عز الدين (1989م): النظم الدبلوماسية، ط 2، القاهرة: مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ص 156: نيكلسون، السير هارولد (1957م): الدبلوماسية، ترجمة محمد مختار الزقزوقي، ط 1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 47: مصطفى، محمد & الشاذلي، حسن (1979م): العلاقات الدولية، مصر: دار الهدى، ص 96 – 97: عثمان، محمد وأفت (1975م): الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، ط 2، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ص 159.
- (56) بروتوكول: لفظ فرنسي معناه: نظام، سجل، ميثاق. وقيل لاتيني معناه الحرفي: قواعد المجاملة. وهو لفظ يستعمل في المصطلح الدبلوماسي للوثائق الرسمية أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة. انظر: نجم، زين العابدين شمس الدين (2006م): معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة: دار الكتب المصرية، ص 122 – 123.
- (57) العدوي، إبراهيم أحمد (1957م): السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة: دار المعارف، ص 49.
- (58) بسيوني، محمد شريف: حماية الدبلوماسيين، ص 708.
- (59) باعمر، أحمد سالم: الدبلوماسية، ص 55.
- (60) النواوي، عبد الخالق (1974م): العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية، بيروت: دار الكتاب، ص 158: التابعي، محمد التابعي (1988م): السفارات في الإسلام، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص 137.

- 1، بيروت: دار العلم للملايين، ص33: الحسن، محمد: العلاقات الدولية، ص394 – 395.
- (75) أبي داود: كتاب سنن أبي داود، الحديث رقم (2758)، ج 4، ص387.
- (76) منصور، علي (د.ت): الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، دمشق: دار القلم، ص 336 – 337: النواوي، عبد الخالق: العلاقات، ص 157.
- (77) العدوي، إبراهيم: السفارات، ص 48.
- (78) الأرمنازي، نجيب (1994م): الشرع الدولي في الإسلام، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ص213؛ الصالح، صبيح (1983م): "مفهوم السيادة بين الاقتصاد والسياسة"، بيروت، دار الفتوى، مجلة الفكر الإسلامي، العدد السابع، المجلد 12، ص 36.
- (79) سفر، حسن: السفارات، ص122.
- (80) الفتلاوي، سهيل حسين (2010): القانون الدبلوماسي، عمان الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 20.
- (81) سليمان، محمود عبد الحميد (يوليو 2003): "البعد القانوني للعمل الدبلوماسي"، مصر، مؤسسة الأهرام، مجلة السياسة الدولية، العدد 153، المجلد 39، ص 41.
- (82) الأرمنازي، نجيب: الشرع الدولي، ص 214 – 215.
- (83) الطوسي، نظام الملك (1975م): سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوي، بيروت: دار الرائد العربي، ص 129.
- (84) شلي، أحمد (1987م): العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، ط 5، ج 12، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ج9، ص31.
- (85) العباسي، الحسن (1989م): آثار الأول في ترتيب الدول، بيروت: دار الجيل، ص 193 – 194.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

البخاري (1422هـ)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/870م): صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة.

البغدادى (1954م)، صفى الدين عبد المؤمن عبد الحق، ت739هـ/1338م : مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3ج، تحقيق علي محمد الجاوي، بيروت: دار المعرفة .

الجرجاني (1985م)، علي بن محمد، ت810هـ/1407م: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي.

الجوهري (1987م)، إسماعيل بن حماد الفارابي، ت393هـ/1003م: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 6ج، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.

الخطاب (د.ت)، محمد بن محمد الطرابلسي، ت954هـ/1547م: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، د.م: دار الفكر.

الحموي (د.ت)، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت، ت621هـ/1228م : معجم البلدان، 8ج، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن حنبل (1983م)، أبو عبد الله أحمد بن محمد، ت241هـ/855م: فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله محمد عباس، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن خلدون (1981م)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ت808هـ/1406م: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ

العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،

تحقيق: خليل شحادة، ط1، بيروت: دار الفكر.

أبي داود (2009)، سليمان بن الأشعث الأزدي، ت275هـ/888م: سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة العالمية.

الرازي (1999م)، محمد بن أبي بكر عبد القادر، ت666هـ/1267م: مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية: بيروت، صيدا.

الزمخشري (1998م)، أبو القاسم محمود بن عمر، ت538هـ/1143م: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، ط1، لبنان: دار المعرفة.

ابن سعد (1997م)، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، ت230هـ/845م: الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن شبة (1979م)، أبو زيد عمر بن شبة البصري، ت262هـ/876م : تاريخ المدينة، 4ج، تحقيق فهد محمد شلتوت، جدة : دار الأصفهاني.

الشربيني (1994م)، محمد بن محمد الخطيب، ت977هـ/1569م: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، حققه وعَلَّقَ عليه علي محمد معوض & عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشوكاني (1978م)، محمد بن علي محمد، ت1255هـ/1849م : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، تحقيق عصام الدين الصبابي، ط1، 9ج، القاهرة: دار الحديث.

الشيباني (1971م)، محمد بن الحسن، ت239هـ/853م: شرح كتاب السير الكبير، 5ج، تحقيق

صلاح الدين المنجد، ط 1، مصر، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ج1.

الطبري (1967م)، محمد بن جرير بن يزيد، ت310هـ/923م: تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الرسل والملوك، ط2، القاهرة: دار المعارف.

الطبري (د.ت): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

الطحاوي (1994م)، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، ت321هـ/933م: شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطوسي (1975م)، نظام الملك، ت485هـ/1092م: سياست نامه، ترجمة السيد محمد العزاوي، بيروت، دار الرائد العربي.

العباسي (1989م)، الحسن بن عبد الله، ت710هـ/1310م: آثار الأول في ترتيب الدول، بيروت: دار الجيل.

الفيروز آبادي (1998م)، محمد بن يعقوب، ت817هـ/1414م: القاموس المحيط، ط6، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة (1992م)، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت276هـ/889م: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن قدامه (د.ت)، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد، ت620هـ/1222م: المغني، ج15، الرياض: مكتبة الرياض.

القرطبي (1964م)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت671هـ/1273م: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن القطاع (1983م)، علي بن جعفر السعدي، ت515هـ/1121م، كتاب الأفعال، ط1، عالم الكتب: بيروت.

الماوردي (1999م)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، ت450هـ/1058م: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت.

مسلم (1955م)، أبو الحسين الحجاج القشيري (ت261هـ/875م): صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور (1993م)، محمد بن مكرم بن علي ت711هـ/1311م: لسان العرب، ط3، دار صادر: بيروت.

ابن هشام (1955م): عبد الملك بن هشام بن أيوب ت213هـ/828م: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

أبي يوسف (1981م)، يعقوب إبراهيم الأنصاري، ت182هـ/794م: كتاب الخراج، تحقيق محمد البناء، القاهرة، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع.

أبي يوسف (د.ت): الرد على سير الأوزاعي، ط1، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، حيدر آباد الهند، لجنة إحياء المعارف النعمانية.

ثانياً: المراجع العربية

الأبيض، أنيس (1994م): بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، طرابلس، لبنان: جروس برس .

الزحيلي، وهبة مصطفى (1981م): العلاقات الدولية في الإسلام : مقارنة بالقانون الدولي الحديث، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الزركلي : خير الله (1995م): الأعلام، 8 ج، ط11، بيروت: دار العلم للملايين.

زهرة، عطا محمد صالح (1994 م) : أصول العمل الدبلوماسي والقنصلي، ط5، بنغازي: مركز بحوث العلوم الاقتصادية .

الزبد، صالح عبد الكريم (1986م): أحكام عقد الأمان والمستأمنين في الإسلام، ط1، الرياض، الدار الوطنية لنشر الكتب .

أبو زهرة، محمد (1998م): الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي.

سرحان، عبد العزيز محمد (1974م): قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية : دراسة تحليلية في الفقه والقضاء الدوليين وأحكام إتفاقيتي فينا عام 1961-1963، القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس.

سرحان، عبد العزيز محمد (1991م): القانون الدولي العام، القاهرة: دار النهضة العربية.

سفر، حسن محمد (1990م): السفارات في النظام الإسلامي، الرياض، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، السنة 3، العدد9.

سلطان، حامد و راتب، عائشة (1987م): القانون الدولي العام، ط4، القاهرة: دار النهضة العربية.

سلم، أحمد سعيد (1994م): حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية، ط1، القاهرة، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع.

سليمان، محمود عبد الحميد (يوليو 2003م): "البعد القانوني للعمل الدبلوماسي"، مصر، مؤسسة

الأرمناسي، نجيب (1990م): الشرع الدولي في الإسلام، لندن: رياض الريس للكتب.

باعمر، أحمد سالم (2001م): الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي: دراسة مقارنة، ط1، الأردن: دار النفائس.

بسيوني، محمد شريف (1982م): "حماية الدبلوماسيين في ظل القانون الإسلامي" ترجمة محمد عبد العليم مرسي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد السادس.

البكري، عدنان (1986م): العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية.

التابعي، محمد (1988م) : السفارات في الإسلام، القاهرة: مكتبة مدبولي.

الحسن، محمد علي (1982 م) : العلاقات الدولية في القرآن والسنة ، ط 2 ، عمان: مكتبة النهضة الإسلامية.

خدوري، مجيد (1973 م) : الحرب والسلم في شرعة الإسلام، ط1، بيروت : الدار المتحدة للنشر.

خلف، محمود (1997م): النظرية والممارسة الدبلوماسية، ط2، بيروت :المركز الثقافي العربي.

دوللو، لويس (1983م) : التاريخ الدبلوماسي، ترجمة سموحي فوق العادة، ط2، بيروت: منشورات عويدات.

الرحيلي، سليمان ضفيدع (1994م): السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، الرياض: مكتبة التوبة.

راضي، علي رحيم (2016م): العلاقات الدبلوماسية والقنصلية (نشأتها وتطورها -أسسها ومبادئها - مستقبلها)، مصر: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.

الأهرام، مجلة السياسة الدولية، العدد 153، السنة 39، المجلد 38.

شليبي، أحمد (1987م): العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، 12 ج، ج 9، ط 5، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شومان، عباس (1999م): العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية: دراسة فقهية مقارنة، ط 1، القاهرة: الدار الثقافية.

الصالح، صبحي (1983م): "مفهوم السيادة بين الاقتصاد والسياسة"، بيروت، دار الفتوى، مجلة الفكر الإسلامي، العدد السابع، السنة 12.

عبد السلام، جعفر (1981م): قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي في الشريعة الإسلامية، ط 1، القاهرة: مكتبة السلام العالمية.

عثمان، محمد رأفت (1975م): الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، ط 2، القاهرة: دار الكتاب الجامعي.

العدوي، إبراهيم أحمد (1957م): السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة: دار المعارف.

عطية الله، أحمد (1980م)، القاموس السياسي، ط 4، القاهرة، دار النهضة العربية.

فتح الباب، حسن (1970م): مقومات السفراء في الإسلام، القاهرة، مجلة دراسات في الإسلام، العدد 114، السنة 10.

الفتلاوي، سهيل حسين (2002م): تاريخ العلاقات الدبلوماسية في الوطن العربي، ط 1، بيروت: دار الفكر العربي.

الفتلاوي، سهيل حسين (2010): القانون الدبلوماسي، عمان الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

فودة، عز الدين (1971م): ما الدبلوماسية، ط 1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

فودة، عز الدين (1989م): النظم الدبلوماسية، ط 2، القاهرة: مكتبة الآداب للنشر والتوزيع.

فياض، عطية السيد (2003م): دور الدبلوماسية في الاتصال بين الدول، ط 1، مصر: دار الكلمة.

فوق العادة، سموحي (1973م): الدبلوماسية الحديثة، ط 1، بيروت: دار اليقظة العربية.

القاسمي، ظافر (1982م): الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين.

قطيشات، ياسر نايف (2016م): البعثات الدبلوماسية بين الضمانات ومقتضيات الأمن الوطني، عمان: دار أمانة للنشر والتوزيع.

كلزيه، عبد الوهاب (1984م): الشرع الدولي في عهد الرسول، ط 1، بيروت: دار العلم للملايين.

كورتو، جيرار (2009م): معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، ط 2، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

محمد، فاضل زكي (1968م): الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط 2، بغداد، دار الجمهورية.

المحمصاني، صبحي (1972م): القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين.

مصباح، زايد عبيد الله (1999م): الدبلوماسية، بيروت: دار الجيل.

مصطفى، إبراهيم وآخرون (1989م): المعجم الوسيط، تركيا: دار الدعوة.

مصطفى، عبد التواب(1994م): العلاقات الدولية والسياسية الخارجية في الإسلام، القاهرة : شركة الملتقى.

مصطفى، محمد و الشاذلي، حسن(1979م): العلاقات الدولية، مصر: دار الهدى.

مقبول، علي (2000م): الحصانات الدبلوماسية والقنصلية والمعاهدات، ط1، صنعاء:(دن) .

منصور، علي علي(1971 م): الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، دمشق: دار القلم.

نجم، زين العابدين شمس الدين(2006م):معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة: دار الكتب المصرية.

النواوي، عبد الخالق(1974م): العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية، بيروت: دار الكتاب العربي.

نيكلسون، السير هارولد(1957م): الدبلوماسية ترجمة محمد مختار الزقزوقي، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

أبوهيف، علي صادق(1987م) : القانون الدبلوماسي، ط1، الإسكندرية: منشأة المعارف.

أبو الوفا، أحمد (1992م): القانون الدبلوماسي الإسلامي، ط1، القاهرة: دار النهضة العربية.

المصادر التاريخية الأندلسية المفقودة

الأستاذ الدكتور عبد السلام الجعماطي

جامعة عبد المالك السعدي – المملكة المغربية

توطئة:

اكتسب مؤرخو الأندلس تجارب وقواعد منهجية عريقة في الكتابة التاريخية، وذلك بفضل اشتغال الأندلسيين بعلم التاريخ والتراجم خلال مختلف عصور الوجود الإسلامي بشبه الجزيرة الإيبيرية، بل إن التراث المفقود من تواريخهم ليعدّ بالعشرات، وتنوع بين تواريخ البلدان وتواريخ المدن والأمصار، وتواريخ الخلفاء والسلطين والرؤساء المتغلبين على الكور والأنحاء، والثوار المنتزين على أئمة الأندلس وخلفائها. ومن الطريف أن استفحال التأليف في التاريخ شكّل مفخرة لأهل الأندلس، حتى أن علمها وأديها أبا محمد علي ابن حزم القرطبي (ت. 456هـ) الذائع الصيت، وجد في هذه العناية بتدوين أخبار الأندلس، والحرص على تخليد أيام دولها، مفخرة يفاخر بها أنداده بمشرق دار الإسلام. ومن بين الشهادات الأخرى التي تلخص في عبارات بليغة عناية أهل الأندلس بعلم التاريخ، شهادة المقرئ التي جاء في مضمونها ما نصه: "وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يقترب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مُستثقل"⁽¹⁾.

لقد تبلورت معالم المدرسة التاريخية الأندلسية منذ القرن الثالث الهجري، وتوسع إشعاعها على المستويين المنهجي والإخباري، وبلغ تأثيرها وامتداداتها إلى أقطار أخرى

بعيدة جغرافياً عن الأندلس، فيما يمكن نعتة تاريخياً بمدرسة المؤرخين الأندلسيين المغتربين أو الطائرين على بلدان المشرق والمغرب الإسلاميين؛ وخاصة مع ظهور نواة لمدرسة أندلسية مغتربة بعدوة المغرب الأقصى، وثانية بإفريقية، وثالثة بمصر، ورابعة بالشام، وخامسة بالعراق، واندماجها في عملية تأثير وتأثر بنظيراتها المحلية، مع العلم أن نقاط التشابه في سمات وخصائص التأليف بين هذه المدارس كثيرة جداً؛ كما أن مواطن مؤرخي المدرستين الأندلسية والإفريقية على الخصوص كانت في كثير من الأحيان متبادلة، إذ إن رؤاد المدرسة الأندلسية الأوائل كان عدد منهم إفريقي الأصل، مثل مُعَارِك بن مروان، حفيد موسى بن نصير (ق. 2هـ)، ومحمد بن عبد السلام بن أسد بن حارث الخشني (ت. 361هـ)، وأبي الفضل ابن شرف القيرواني (ت. 460هـ)؛ في حين كانت أصول بعض المؤرخين الإفريقيين أندلسية، أمثال أبي مروان محمد بن يوسف الوراق القيرواني، الذي يذكر عنه ابن حزم أنه من وادي الحجرة، وأمّية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (ت. 528هـ) مؤرخ الزيريين، الذي يرجع موطنه الأصلي إلى مدينة إشبيلية، وأبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم البياسي (ت. 653هـ)، الذي وفد على إفريقية عقب سقوط بلدته بياسة في قبضة القشتاليين؛ كما أن عبد الرحمن ابن خلدون (ت. 808هـ) قد انحدر جدّه من إشبيلية نحو تونس.

ونسوق مثالا على هذه القواسم المشتركة بين مدرستي إفريقية والأندلس التاريخيتين، وهو أننا نقف على ظاهرة أصيلة تَجَدَّرت عبر الزمن وهي التذييل على التواريخ، فقد سبق للإفريقيين في هذا الصدد، أن ذيلوا على أوائل مؤرخيهم، على غرار صنيع ابن شرف في تاريخه الذي وضعه ذيلًا على تاريخ إفريقية والمغرب للرفيق القيرواني؛ كما جاء كتاب تاريخ ابن مزين الأندلسي، كذيل على تاريخ الرازي، وتاريخ البياسي كتذييل على كتاب "المتين" لابن حيان، وتاريخ "المغرب في أخبار المغرب" لأبي التقى طاهر الأريوي، كتتممة وذيل على تاريخ ابن علقمة البلنسي المسمى "المللم الفادح".

لقد ظهر التأليف التاريخي أول ظهوره بالقطر الأندلسي منذ النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، في لون الأرجوزات التاريخية، وهي منظومات وضعها أدباء الأندلس ومؤرخوها لتدوين أخبار بلدهم، مقدمين لها بصدر لتاريخ الإسلام، وذاكرين في أبياتها أشهر ملوكهم وولاتهم وقادتهم ومعاركهم وإنجازاتهم السياسية، ويرى بعض الدارسين أن أهل الأندلس كانوا سباقين إلى هذا الصنف من التدوين التاريخي، مقارنة بمؤرخي مشرق دار الإسلام، على اعتبار أن الشاعريحي الغزال كان سباقا إلى وضع أرجوزة في تاريخ الأندلس منذ القرن الثالث للهجرة، وهو تاريخ متقدم بالمقارنة مع الأراجيز التاريخية التي ألفها المشارقة، والتي تعود أقدمها للنصف الثاني من القرن الثالث، وهي أرجوزة عبد الله بن المعتز، التي ألفها في عهد الخليفة المعتضد العباسي (279-289هـ).

1. "تاريخ الأندلس"، لمعارك بن مروان بن عبد الملك بن

مروان بن موسى بن نصير (من أهل القرن 2هـ):

يبدو أن هذا المؤرخ من أحفاد الفاتح العربي موسى بن نصير، وكان يعيش بالأندلس ضمن من تبقى من ذرية مروان بن موسى بن نصير. ويعدّ الكتاب أقدم ما أُلّف من تواريخ الأندلس في تقديرنا، فهو سابق لتاريخ عبد الملك بن حبيب الإلييري (ت. 238هـ). كما أنه صادر عن شخصية ساهم أسلافها في صنع الأحداث التاريخية الحاسمة ببلاد المغرب والأندلس، ومما لا شك فيه أن مُعارك قد دَوّن روايات شفوية عن أبيه وجده⁽²⁾، وأنه كان أقرب مؤرخي الأندلس إلى الأحداث الكبرى التي شهدتها منذ افتتاحها وإقامة حكم المسلمين بها، والتقسيم الإداري والعسكري للأندلس، فضلا عن وضعية الأراضي المفتوحة بها وكيفية توزيعها بين الفاتحين الأوائل، وكذلك وضعية الأملاك التي لبثت بأيدي أعقاب الملك القوطي غيطشة.

وقد ترجم ابن كثير للفاتح موسى بن نصير، فذكر كتاب أخبار مغازيه الذي ألفه حفيده معارك بن مروان، فقال: "وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح في بلاد المغرب، وقتيبة يفتح في بلاد المشرق، فجزاها الله خيرا، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئا كثيرا، ولكن موسى بن نصير حظي بأشياء لم يحظ بها قتيبة، حتى قيل: إنه لما فتح الأندلس جاءه رجل فقال: ابعث معي رجالا حتى أدلك على كنز عظيم، فبعث معه رجالا فأتى بهم إلى مكان، فقال: احفروا. فحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواوين حسنة، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهرتهم، وأما الذهب فشيء لا يعبر عنه، ووجدوا في ذلك الموضع الطنافس، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب، منظومة باللؤلؤ الغالي المفتخر، والطنفسة منظومة بالجواهر المثلث، واليواقيت التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصفاتها. ولقد سمع

يومئذ مناد ينادي لا يرون شخصه: أيها الناس، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذرکم. وقيل: إنهم وجدوا في هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها. وقد جمع أخباره وما جرى له في حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له: أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصبيري⁽³⁾.

2. "أرجوزة في تاريخ الأندلس"، ليحيى بن الحكم البكري الجياني المعروف بالغزال (ت. 250هـ/864م)⁽⁴⁾:

قال ابن حيان في "المقتبس": كان الغزال حكيم الأندلس، وشاعرها، وعرفها، عمراً أربعاً وتسعين سنة، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس: أولهم عبد الرحمن بن معاوية، وآخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم⁽⁵⁾؛ فهو شاعر وسفير أندلسي من عصر الإمارة، أوفده الأمير عبد الرحمن الأوسط في سفارة إلى بلاد النورمان، والتي دون عنها معطيات وملاحظات ينفرد بها عن طبائع ملوكهم ورعيّتهم، وعلاقاتهم العائلية والاجتماعية وطرائف أرضهم، ومن المحتمل جداً أنّ الغزال قام برحلته نحو الشمال الغربي لفرنسا (بلاد غالة)، ولم يزد أراضي إسكندنافيا شمال أوروبا، فالنورمان كان قد استقروا منذ القرن الثامن بهذه المنطقة والتي ما زالت تطلق عليها تسمية نورمانديا (La Normandie) إلى يوم الناس هذا. وذكر المقرئ أنّ "ليحيى بن حكم الغزال تاريخ ألفه كله منظوماً"⁽⁶⁾؛ ويعتبر أحد الدارسين أنّ أرجوزة الغزال أقدم أرجوزة تاريخية، ويذهب إلى تحديد تاريخ تأليفها في حدود عام 238هـ أو بعدها بسنوات، على اعتبار أنه يشير فيها إلى عهد خامس أمراء

بني أمية بالأندلس وهو الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (238-272هـ/853-886م)؛ وهو قوله: أدركت بالمصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحن معه. وهو ما جعله يفند ما ذهب إليه كارل بروكلمان حين اعتقد أن الأرجوزة نظمها الغزال في حدود عام 225هـ/845م، بعد عودته من سفارته إلى بلاد النورمان⁽⁷⁾. وذكر الحميدي في ترجمته ما نصه: "يحيى بن حكم المعروف بالغزال بتخفيف الزاي، رئيس، كثير القول، مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل، وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده، أرسله بعض ملوك بني أمية بالأندلس رسولا إلى ملك الروم، وفي ذلك يقول عند ركوبه البحر من قصيدة أنشدنيها أبو محمد علي بن أحمد، قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مضا للغزال:

قال لي يحيى وصرنا	بين موج كالجبال
وتولتنا عصوف	من جنوب وشمال
شقت القلعين وانبتت	عري تلك الجبال
وتمطى ملك الموت	إلينا عن حيال
لم يكن للقوم فينا	يا رفيقي رأس مال ⁽⁸⁾

3. "كتاب في أخبار بني أمية بالأندلس"، لمعاوية بن هشام الشبانسي (ت. 316هـ):

والشبانسي، هو سليل الأسرة المروانية الحاكمة بالأندلس، فجده هو هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الداخل أمير الأندلس بعد والده مجدد ملك بني أمية بها؛ أما عن تفسير ابن الشبانسي ففيه إشكال كبير، حيث ذهب المؤرخ الإسباني كلاوديو سانثيث ألبونوث إلى أنه مشتق من الكلمة الإسبانية Sepientia والتي تعني العلم، في حين ذهب حسين مؤنس إلى كون الاسم منسوباً إلى

موضع يسمى "شبانس"⁽⁹⁾. بينما نرى أن اسم الشبانسي أو الشبينسي، منسوب إلى شجر الشبانس أو الشبينس أو شجر الصنوبر (التنوب) المنتشر بشبه جزيرة إيبيريا وجزر البليار، وخاصة بجزيرة يابسة، والذي كان يسمى بلغة عجمية أهل الأندلس (Romance) "سبينوس" (Sapinus)⁽¹⁰⁾.

وقد ألف ابن الشبانسي ثلاثة كتب على الأقل وهي الآتية:

- كتاب التاج السني في نسب آل علي.
 - كتاب دولة بني مروان في الأندلس.
 - كتاب الداخلين إلى الأندلس من بني مروان.
- وما يهمنا بالأساس هو الكتاب الذي ألفه الشبانسي في أخبار دولة قومه، وكان مُعَوَّل شيخ مؤرخي الأندلس أبي مروان حيان بن خلف ابن حيان القرطبي عليه في كتابه الجامع أخبار الأندلس منذ فتحها وهو الموسوم بـ"المقتبس، في تاريخ أخبار بني أمية بالأندلس" إلى حدود سنة 316هـ، وهو تاريخ إعلان الخلافة الأموية بالأندلس. والكتاب وإن كان يعرض لأخبار الأندلس، فإنه يتضمن نصوصاً وإشارات إلى تاريخ المغرب الأقصى وأخباره، خصوصاً إبان الفترات التي تداخلت خلالها حوادث العدوتين⁽¹¹⁾. وقد اعتمد ابن حيان هذا التاريخ المتقدم عليه زمنياً في تأليف المقتبس، وأخذ عنه شذرات أصلية مطولة أحياناً، ونصوصاً وروايات مجتزأة، ومقتضبة، ومتداخلة أحياناً أخرى مع نصوص من تواريخ جزئية أندلسية معاصرة له كابن حزم وابن عبد البر وسابقة لعصره، كالرازي والقبشي والقيني.

ومن بين النصوص الأصلية من كتاب الشبينسي، ما أثبتته ابن حيان عن أعيان الداخلين من بني مروان إلى

الأندلس، زمن مؤسس دولتهم الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ)، حيث قال: "وفي كتاب معاوية بن هشام الشبينسي: من وجوه من دخل إلى الأندلس من بني مروان أبو القاسم بكار بن عبد الواحد بن داود بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، دخلها أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ودخل معه ابن أخيه أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن عبد الواحد بن داود بن سليمان بن عبد الملك فكرمهما الأمير عبد الرحمن، ورحب بهما وأنزلهما وأحسن إليهما وأقطعهما، وأجرى لكل واحد من الرزق بالمشاهرة ثلاثين ديناراً"⁽¹²⁾.

وتدل بعض نصوص الشبينسي على أنه كان مطلعاً على أحوال البلاط الأموي بقرطبة، فكانت حوادثه ونوادره تفضي إليه من مصادر موثوقة من داخل القصر؛ كقوله في إحدى نوادر الأمير عبد الرحمن: "قرأت في كتاب معاوية بن هشام الشبينسي قال: من أبدع مكارم الأمير عبد الرحمن بن الحكم الدالة على سروه ورفعة نفسه وفرط استحيائه ورقة وجهه التي لم يكن يعدله فيمن أحد من أهل بيته أن أحضر يوماً مالاً كثيراً أتاه من بعض النواحي جلس لإيعابه في بدره، وقد أمر خدمه الصقالبة بتولي ذلك ونضده بين يديه إلى أن يأمر برفعه إلى بيت المال، فأخذوا في ذلك على عينه، واعترتة سِنَّة غَضَّ لها من طرفه، خالها بعض شرهائم نعاساً، فمد يده إلى بدرة من ذلك المال، اختلسها حين غفلة من أصحابه، فصيرها في حضنه، والأمير ينظر إليه، فلما أكملوا نضد البدر أمرهم بإعادة عدها، فأصابوها تنقص تلك البدرة المختلسة، فتراموا بسرقتها، واشتد بينهم التنازع فيها، فلما أكثروا قال لهم الأمير: حسبتم! كفوا عن ذكرها، فقد أخذها من لا يردّها، ورآه من لا يفضّحه. فإياه وإياكم من

العود لمثلها، فإن كبير الذنب يهجم عن استنفاد العفو! ارفعوا المال وأقلوا المقال، فاشتد عجب من سمع به من سعة كرمه وشدة حيائه"⁽¹³⁾.

وهنا لا بد أن نطرح تساؤلاً سبقتنا إليه إحدى الدراسات⁽¹⁴⁾ التي قاربت قيمة تاريخ بني أمية للشبانسي ومدى استثماره من قبل ابن حيان وهو الآتي:

- هل أعاد ابن حيان صياغة ما نقله من روايات عن ابن الشبانسي بأسلوبه الخاص، أم أثبت النصوص الأصلية كما هي عند ابن الشبانسي؟ ويرى صاحب الدراسة أن ابن حيان لم يكن بحاجة إلى التدخل كثيراً في الروايات التي نقلها عن ابن الشبانسي، لكونه أعرف بقومه وبأنسابهم وأخبارهم من ابن حيان نفسه. غير أننا نرى ضرورة إجراء مقارنات بين النقول المتبقية من تاريخ ابن الشبانسي لدى باقي المؤرخين الناقلين عنه خاصة ابن الأبار وابن الخطيب.

4. كتاب في "أخبار الأندلس"، لأبي عبد الحميد إسحاق بن سلمة القيبي (من أهل القرن الرابع الهجري):

والقيبي، هو أبو عبد الحميد إسحاق بن سلمة القيبي من أهل رية (مالقة)، مؤرخ عالم أخباري، سمع من القرشي الحبيبي والمحدث وهب بن مسرة الحجاري، وكان حافظاً لأخبار الأندلس معنياً بها، وجمع كتاباً في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهاءها وشعرائها، وأثنى ابن حزم كثيراً على هذا الكتاب في رسالته في فضل الأندلس، ويقول ابن الفرضي إنه جمع كتاباً في أخبار الأندلس أمره بجمعه الحكم المستنصر، ولسنا نعرف ما إذا كان هذا هو نفس الكتاب الذي يشير إليه ابن حزم، أو هو شيء غيره، وأما نسبته القيبي فأنها ترجع

إلى بطن من بطون قضاة ينتمون إلى القين وهو النعمان بن جسر القضاعي، ونص ابن حزم على أن دار بني قين بالأندلس رية (مالقة)، فلم يبق بها عدد عظيم"⁽¹⁵⁾. وهو مؤرخ وعالم إخباري يعود نسبه إلى دار بني قين بكورة رية (مالقة)، سمع من أحمد بن عبد الله بن مبارك القرشي، ومن المحدث وهب بن مسرة، وقد أثنى عليه ابن حزم، وقال عنه ابن الفرضي إنه جمع كتاباً في أخبار الأندلس بأمر الحكم المستنصر⁽¹⁶⁾.

5. "كتاب أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهاءها وشعرائها"، لأبي عبد الحميد إسحاق بن سلمة القيبي السالف ذكره:

ذكر الحميدي بأن كتابه في أخبار رية يشتمل على أجزاء كثيرة⁽¹⁷⁾. ونوه المقرئ بهذا الكتاب في سياق حديثه عن مؤلفات الأندلسيين في أخبار بلدهم ومدنهم وتراجم أعلامهم، فقال: "رأيت من ذلك كتباً مصنفة في غاية الحسن، وكتاب مجزاً في أجزاء كثيرة في "أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهاءها وشعرائها" تأليف إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيبي"⁽¹⁸⁾.

6. "أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم"، لأبي محمد عبد الله بن عبيد الله الأزدي الملقب بالحكيم (ت. 341هـ):

وهو مؤرخ وشاعر وعالم لغة أندلسي، له أصول عربية صريحة تبعاً لما يشتمل عليه اسمه من نسب إلى الأزدية. وقد ذكر في كتابه "الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس، وقريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرف، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا الأندلس"⁽¹⁹⁾.

7. "أخبار ملوك الأندلس"، لمحمد بن عيسى الرازي الملقب بالتاريخي (ت. 344هـ):

وهو من التواريخ المتقدمة التي ألفها الجيل الثاني من أفراد أسرة آل الرازي الداخل جدهم إلى الأندلس منذ إمارة الإمام عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ)، والذين كان من بينهم أشهر مؤرخي الأندلس وجغرافيتها ونسابتها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهذا التاريخ هو الذي ذيل عليه ابن مزين في القرن الخامس. كما تتناثر شذرات نقول كثيرة من الكتاب في المصادر المغربية والأندلسية إلى حدود القرن الحادي عشر الهجري، حيث نقل عنه المقري (ت. 1041هـ) طائفة جمّة من الروايات نقلاً حرفياً أو بشكل مختصر.

8. "كتاب صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها"، لأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت. 344هـ)⁽²⁰⁾.

ترجم به معاصره ابن الفرضي فقال: "أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حمّاد بن لقيط الرازي الكناني: من أنفُسِهِمْ، من أهل قرطبة: يُكْنَى: أبا بكر. وفد أبوه على الإمام محمد. وكان: من أهل اللسان والخطابة. وُلِدَ أحمد بالأندلس وسمع من أحمد بن خالد، وقاسم بن أصبَغ وغيرهما، وكان: كثير الرواية؟، حافظاً للأخبار؛ وله مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها. كان أديباً شاعراً تُوفِّي (رحمه الله): يوم الخميس لاثني عشرة ليلة خلت من رَجَب سنة أربع وأربعين وثلاث مائة. وكان مولده: يوم الاثنين في عشر ذي الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين: ذكر ذلك مُحَمَّدُ بن حسن"⁽²¹⁾

وذكر الحميدي عدداً من مؤلفات هذا المؤرخ، عن شيخه أبي محمد بن حزم (ت. 456هـ)، وذلك في موضعين من كتابه، وقد التبست عليه هوية المؤلف، فهل

يتعلق الأمر بشخص واحد أم بعلمين اثنين من آل الرازي، فقال في الترجمة الأولى: "أحمد بن محمد التاريخي، عالم بالأخبار، ألف في مآثر المغرب كتباً جمّة، منها كتاب ضخّم ذكر فيه "مسالك الأندلس، ومراسمها، وأمّهات مدنها، وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره"، ذكره أبو محمد علي ابن أحمد وأثنى عليه". وقال في ترجمة أخرى: "أحمد بن محمد بن موسى الرازي، أندلسي، أصله من الري، له في "أخبار ملوك الأندلس، وخدمتهم، وركبانهم وغزواتهم" كتاب كبير، وألف في "صفة قرطبة، وخططها، ومنازل العظماء بها"، كتاباً على نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكره لمنازل العظماء بها، وذكره لمنازل صحابة المنصور بها"⁽²²⁾.

9. كتاب "الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس"، لأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت. 344هـ)⁽²³⁾.

وذكر ابن حزم أنّ الكتاب كان يقع في خمسة مجلدات كبيرة⁽²⁴⁾، وتتصف روايات أحمد الرازي في هذا الكتاب بالدقة في إيراد الأخبار عن أنساب القبائل العربية التي دخلت الأندلس ومواضع استقرارها، والمناطق التي انتقلت إليها بعض هذه العشائر والبيوتات؛ فعلى سبيل المثال، عندما ذكر أحد بيوتات العرب البلديين بإشبيلية، وهو بيت زيد الغافقي، قال عنه في "الاستيعاب" ما نصه: إنهم "هناك جماعة كبيرة، فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا في الخدمة، بلديون، ثم انتقلوا إلى طليطلة، ثم قرطبة، ثم غرناطة"⁽²⁵⁾.

وترجم له الحميدي - نقلاً عن ابن حزم - فقال إنّ "لأحمد بن محمد ابن موسى كتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس" في خمس مجلدات ضخمة، من أحسن كتاب وأوسعها، كذا قال أبو محمد؛ ولم يبين إن كان هو

الأول أو غيره، لأنه ذكر ذلك في موضعين؛ وأنا أظنه الذي قبله، والله أعلم⁽²⁶⁾. كما ذكر الضبي هذا التأليف فقال: "ولأحمد بن موسى كتاب في أنساب مشاهير الأندلس في خمس مجلدات ضخمة من أحسن كتاب وأوسع"⁽²⁷⁾.

واقتبس ابن حيان أخبار أمراء بني أمية بالأندلس عن الرازي، ومن بين هذه النقول، أورد صفة الأمير عبد الرحمن، قائلاً: "عن أحمد بن محمد الرازي: كان أشم أقنى أعين أسود العينين، طوال فخم، مسبل، عظيم اللحية، يخضب بالحناء، نقش خاتمه "عبد الرحمن بقضاء الله راض"، وهو أول من استنقشه"⁽²⁸⁾.

وكان اعتماد ابن حيان على أحمد الرازي انتقائياً يخضع لترجيح رواياته أحياناً إذا توافقت مع معاصري الحدث نفسه الوارد فيها، كما كان يختار رواية آخرين غير الرازي، حين يرى أن رواياتهم أوثق وأقرب للترجيح من غيرها؛ وكان هذا فعله حين قبل رواية الرازي في أسماء حجاب عبد الرحمن الأوسط: "وافق الرازي فيما ذكره من أسماء هؤلاء الحجاب الحسن بن محمد بن مفرج في كتابه، وذكر سفيان بن عبد ربه فقال: كان من أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة المستقلين بأعبائها ممن جمع إلى الغناء والكفاية العفة والأمانة، قد تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام الأمير الحكم، وهو أول من استخزن بالأندلس، وحمل هذا الاسم الذي اعتور من علم عمله إلى اليوم، شركه في ذلك مرتيل المعروف بابن عفان جد هؤلاء الباقيين اليوم إلى جانب باب القصر الأكبر المدعو باب السدة ولم يزل يتنقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة ومن ولده الأديب أبو الأسود، وكان ذا وجهة عند الناس، حدثاً مؤنس الجليس ممتعاً، توفي في أيام الخليفة الناصر لدين الله رحمه الله تعالى"⁽²⁹⁾.

ونوه المقرئ بالمصنفات التي وضعها أحمد الرازي فقال: "ومن الأخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم، وذلك كثير جداً، وكتاب له في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعياد بها، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها"⁽³⁰⁾.

إنّ ما يُخَفَّفُ من حسرة ضياع تاريخ أحمد الرازي لدى الباحثين، أن شذرات كثيرة منه احتفظت بها مصادر أندلسية متأخرة، مثل كتاب فتح الاندلس، وذكر بلاد الاندلس، وابن حيان، وابن الابار، وابن الأثير وابن عذاري، وياقوت الحموي، وابن الخطيب، والحميري، والمقرئ⁽³¹⁾.

10. تاريخ ابن النّظام، لأبي بكر عبد الله بن عبد الحكم بن النّظام الأخباري التاريخي (من أهل القرن الرابع للهجرة):

كتاب ألقه ابن النّظام عن تاريخ الأندلس وخططها، وقد نقل عنه ابن حيان في "المقتبس"، كما نقل عنه محمد بن أيوب بن غالب الأنصاري صاحب "نزهة الأنفس، في تاريخ الأندلس"⁽³²⁾.

ونقل عنه المقرئ نصاً جغرافياً عن حدود بلد الأندلس قال فيه: "قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام: بلد الأندلس عند علماء أهل أندلساً: فالأندلس الشرقي منه ما صبّت أوديته إلى البحر الرومي المتوسط المتصاعد من أسفل أرض الأندلس إلى المشرق، وذلك ما بين مدينة تدمير إلى سرقسطة، والأندلس الغربي ما صبّت أوديته إلى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل ذلك الحدّ إلى ساحل المغرب، فالشرقي

منهما يمسر بالريح الشرقية، ويصلح عليها، والغبري يمسر بالريح الغربية وبها صلاحه، وحباله هابطة إلى الغرب جبلاً بعد جبل. وإنما قسمته الأوائل جزأين لاختلافهما في حال أمطارهما، وذلك أنه مهما استحكمت الريح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي وقحط الأندلس الشرقي، ومتى استحكمت الريح الشرقية مطر الأندلس الشرقي وقحط الغربي؛ وأودية هذا القسم تجري من الشرق إلى الغرب بين هذه الجبال. وحبال الأندلس الغربي تمتد إلى الشرق جبلاً بعد جبل تقطع من الجوف إلى القبلة، والأودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها إلى القبلة وبعضها إلى الشرق، وتنصب كلها إلى البحر المتوسط للأندلس القاطع إلى الشام، وهو البحر الرومي، وما كان من بلاد جوفي الأندلس من بلاد جليقية وما يليها فإن أوديته تنصب إلى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف. وصفة الأندلس شكل مركب على مثال الشكل المثلث: ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادم، وركن الثاني في بلد جليقية حيث الصنم المشبه صنم قادم مقابل جزيرة برطانية، وركن الثالث بين مدينة نربونة ومدينة برذيل من بلد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط، فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع، فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة، لولا أنه يبقى بينهما برزخ برية صحراء وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب، منه المدخل إلى الأرض الكبيرة التي يقال لها الأبواب، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ذات الألسن المختلفة⁽³³⁾.

11. تأليف في "أخبار تهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة"، لأبي مروان محمد بن يوسف بن

الوراق القيرواني (ت. 362هـ):

لقبه ابن حيان القرطبي (ت. 469هـ) بـ"حافظ أخبار المغرب"؛ وقد ألف للحكم المستنصر بالله الأموي بالأندلس كتاب "المسالك والممالك"، وهو مفقود، إلا أن البكري نقل عنه نقولاً جمّة في كتابه الموسوم بالعنوان نفسه. ويذكر ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس، أن الوراق القيرواني قد ألف للحكم تصانيف كثيرة في أخبار المغبرين الأقصى والأوسط وحواضرهما الكبرى⁽³⁴⁾. وينقل الحميدي عن شيخه ابن حزم في هذا الصدد، تأليف الوراق عن بلاد إفريقية والمغرب بقوله: "ألف بالأندلس للحكم المستنصر كتاباً ضخماً في مسالك إفريقية وممالكها، وألف في أخبار ملوكها، وحروبهم، والغالبين عليهم، كتباً جمّة؛ وكذلك ألف أيضاً في أخبار تهرت، ووهران، وتنس، وسجلماسة، ونكور، والبصرة هنالك، وغيرها تواليف حسناً"⁽³⁵⁾.

وتفيد نصوص الوراق المتبقية، في معرفة معطيات عظيمة الأهمية عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، في القرن الرابع الهجري؛ كما أنه يقدم معلومات دقيقة عن الطرق والمسالك البرية والبحرية الرابطة بين حواضر المغرب، ثم بين ضفتي مضيق جبل طارق.

12. كتاب "أنساب البربر"، لأبي مروان محمد بن يوسف

بن الوراق القيرواني (ت. 362هـ):

هو في واقع الأمر كتاب أنساب وأخبار القبائل البرية التي كانت تستوطن أرض المغرب، مثل مطماطة وسطفورة، ومن دخلت منها بلاد الأندلس عقب فتحها. وقد عول البيذق كثيراً على المعطيات التي يقدمها كتاب الوراق في تأليفه "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب"⁽³⁶⁾ لتحديد أصول القبائل الأمازيغية المستقرة

بالمغرب الأقصى خلال عصر الموحدين

13. تاريخ محمد بن وضاح:

وهو من أجلّ مصادر ابن حيان في المقتبس،
لقربه زمنيا من الأحداث التي يرويها عن أمراء الأندلس
وخلفائها، كقوله عن احتجاج عبد الرحمن الأوسط قبل
موته عن الناس: "قال الفقيه محمد بن وضاح: احتجب
الأمير عبد الرحمن بن الحكم عن الناس قبل موته مدة
من ثلاثة أعوام أو نحوها من أجل علة أصابته طالت به
واشتدت عليه، فحمته الحركة، وهدت قوته، وأحدثت
عليه رقة في نفسه، ووحشة في خاطره، وشدة أسف على
ما نغص عليه من عصارة ملكه" (37).

14. كتاب أخبار القائمين بالأندلس"، لأحمد بن محمد بن فرج الجياني (توفي في سجن الخليفة الحكم المستنصر: 350-366هـ):

ألف هذا الكتاب عن دويلات الطوائف الأولى التي شهدتها
الأندلس، عقب ضعف الإمارة الأموية بها في منتصف
القرن الثالث الهجري، فظهرت بعض الزعامات القبلية
والطائفية بأنحاءها وثغورها، أمثال ابن حفصون ببشتر،
وابن سعدون برية، ومروان الجليقي ببطليوس، وبني
حجاج بإشبيلية، وابن لب بسرقسطة. وقد ترجم له
الحافظ الذهبي وذكر أن "له كتاب القائمين بالأندلس" (38).

15. كتاب "تاريخ إفريقية والأندلس"، لعريب بن سعد القرطبي (ت. 370هـ):

وضعه هذا الطبيب الأندلسي ذيلًا على تاريخ الأمم
والمملوك لأبي جعفر الطبري (ت. 310هـ)، وعن هذا الذيل
نقل ابن خلدون في كتابه العبر أخبار سعيد بن واسول جد
بني مدرار، ملوك سجلماسة. وهو أيضا من مصادر ابن
الشباط، ويجري ابن عذاري النقل عنه في "البيان
المغرب"، خير انتظام مدينة سبتة في سلك الخلافة

المروانية بالأندلس، ووصفه لموقعها الاستراتيجي ولدورها
الهام في الجواز بين ضفتي مضيق جبل طارق (39)، وهو
قوله: "فشكّها أمير المؤمنين الناصر بالرجال، وأتقنها
بالبنيان، وبني سورها بالكذّان، وألزم فيها من رضىه من
قوّاده وأجناده؛ وصارت مفتاحاً إلى العدو، قال عريب:
وباباً إليها، وثقافاً على المراسي في ذلك الجانب؛ وقامت
الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر؛ وذلك يوم
الجمعة لثلاث خلون من ربيع الأول من العام المؤرخ
[319هـ]" (40).

وقد عثر المستشرق الإسباني فرانثيسكو كوديرا على قطعة
من الكتاب تشتمل على أخبار العبيدين بإفريقية، بيد أن
الأجزاء المشتملة على أخبار الأندلس لا نعلم من أمرها
شيئا سوى ما تناقلته كتب الحوليات المغربية والأندلسية
من شذرات عنها، والتي تتصف بمعاصرة رواياتها لأحداث
قيام الخلافة الأموية وامتداد سلطانها إلى عدوة المغرب
الأقصى.

16. "تاريخ أهل الأندلس"، لأبي عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري (ت. 379هـ):

ترجم له معاصره ابن الفرضي فقال: "سمع بقرطبة من:
قاسم بن أصبغ وغيره، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من:
ابن الأعرابي ومن غيره من المكّيّين ودخل العراق فكتب بها
عن كثير من محدّثيها. وكان كتابه للحديث، ورحل إلى
خراسان فتزوّد بها، واستوطن بخارى ولم يزل مقيماً فيها
إلى أن توفّي (رحمه الله): سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة
فيما ذكره عبد الرحمن بن عبد الله التّاجر" (41)، فهو
معدود في علماء الأندلس الراحلين إلى المشرق، حيث سمع
بالشام والعراق والحجاز، عن جلة علماء عصره، وسمع

بالمغرب عن بكر بن حمّاد التاهرتي ومحمد بن وضّاح وقاسم بن أصبغ، وبمصر عن جماعة من أصحاب ابن يونس والمزنيّ، وروى عنه أبو عبد الله الحاكم بهمدان، وكان فقيهاً حافظاً، وقال عنه أبو سعيد الإدريسي إنه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم، وقد ألقى عصا تسياره ببخارى، حيث وافته المنية⁽⁴²⁾.

17. تاريخ عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن جنّاد بن لقيط الكناني القرطبي، المشرقي الأصل، الرازي (ت. 379هـ):

والمؤلف هو ابن أحمد بن محمد بن موسى السالف ذكره؛ روى عن أبيه أبي بكر، وكان عالماً بالأدب، تاريخياً ذاكرة للأخبار، وجده محمد هو الداخل إلى الأندلس، وقد عرف بلقب التاريخي، لاشتغاله بتدوين الأخبار. ألّف تاريخه للحكم المستنصر خليفة الأندلس، وألّف للمنصور بن أبي عامر كتاباً "في الوزراء والوزارة"، وكتاباً آخر "في الحجاب"، وهما التأليفين اللذين ذكرهما له ابن الأبار وابن عبد الملك المراكشي⁽⁴³⁾. ويجري ابن الأبار النقل عن كتاب الحجاب لعيسى الرازي، حيث قال: "وَحكى عيسى بن أحمد بن مُحَمَّد الرّازي في كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس من تأليفه، أن المُنذر بن مُحَمَّد استخلف يَوْم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين بعد وفاة أبيه بِأَرْبع لَيَالٍ، إِذْ كَانَ غَازِياً بِنَاحِيَةِ رِيّة، فَأَغذ السَّيْر ودخل القصر يَوْم الأحد وَصلى على أبيه، وَكَانَتْ وَفاته لَيْلَةَ الْخَميس ليلّة بقيت من صفر وَدُفِن، وبويع للمُنذر بِقِيّة الأحد وَيَوْم الاثنين بعده، واستحجب هَاشم بن عبد العزّيز إلى أن قَتله"⁽⁴⁴⁾

18. كتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال"، لأبي بكر الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري المعروف بالقبشي (ت. 430هـ):

ينسب القبشي إلى عين قبش، وهو رِبض كان يقع غرب قرطبة، ويعتبر هذا الكتاب من أوثق المصادر التاريخية الأندلسية التي اشتملت على تراجم الخلفاء والأمراء والقضاة والفقهاء، منذ الفتح العربي وإلى حدود مستهل القرن الخامس بالأندلس، وينقل عنه ابن حيان أخبار الأمير عبد الرحمن الأوسط، كما ينقل عنه البناهي في ترجمة الفقيه القاضي محمد بن زرب، أخبار المنصور بن أبي عامر مع عامة قرطبة. ويشتمل الكتاب إلى جانب ذلك أخباراً سياسية وعسكرية واجتماعية عن بلاد الأندلس والمغرب⁽⁴⁵⁾

وقد تأخر القبشي إلى أوائل القرن الرابع الهجري، فأدرك من عصر الخلافة آخره وعاش في كنف الحجابة العامرية ومبتدأ الفتنة القاصمة لعصا الجماعة بالأندلس، وكان القبشي ينقل عن مؤرخين سابقين لعصره، خاصة من المخضرمين بين الإمارة والخلافة كابن عبد ربه، فقد ذكر رواية عن تعداد قضاة الجماعة بالأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وعن سبب كثرة توليتهم جاء فيها: "وقال الحسن بن محمد بن مفرج: قال ابن عبد البر في تاريخه: لما ولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم استقضى على قرطبة مسرور بن محمد سنة سبع ومائتين؛ ثم سعيد بن سليمان سنة ثمان ومائتين، ثم يحيى بن معمر الألهاني سنة تسع ومائتين، ثم الأسوار بن عقبة سنة عشر ومائتين وما بعدها؛ ثم إبراهيم بن العباس القرشي المرواني جد بني أبي صفوان هؤلاء القرشيين الوجوه بقرطبة سنة ثلاث عشرة ومائتين؛ ثم

محمد بن سعيد سنة أربع عشرة وما بعدها؛ ثم يخامر بن عثمان سنة عشرين ومائتين أيضاً، فقضى أعواماً؛ ثم علي بن أبي بكر سنة سبع وعشرين ومائتين وما بعدها؛ ثم معاذ بن عثمان الشعباني سنة إحدى وثلاثين ومائتين؛ ثم محمد بن زياد اللخمي سنة أربع وثلاثين ومائتين؛ فبلغت عدة قضاته عشرة رجال، وإنما كان سبب استكثار عبد الرحمن بن الحكم من القضاة وكثرة توليته وعزله لهم إتباعه فيهم رضاً كبير الفقهاء المشاورين الأثير عنده يحيى بن يحيى، إذ كان لا يزال يشير عليه بقاض، فيوليه الأمير عبد الرحمن مقتصراً فيه على رأيه، فإذا أنكر عليه يحيى شيئاً رفع عليه إلى الأمير، فلا يؤخر عزله، ولا يحيد عن مشورته، وكان يحيى الذي يُؤلى مكانه⁽⁴⁶⁾.

ونقل عن القبشي خبر وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط ومدة حكمه، فقال: "وفيها توفي الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان ليلة الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر من هذه السنة، فدفن يوم الخميس في تربة الخلفاء بقصر قرطبة. وأدلاه في قبره أخواه المغيرة وأميه، وصلى عليه ابنه الخليفة محمد بن عبد الرحمن. مولده بطليطلة في شعبان سنة ست وسبعين ومائة، وأبوه الحكم يومئذ واليها لوالده الأمير هشام، فكانت سنة اثنتين وستين سنة. وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام. وقال الحسن بن محمد بن مفرج: قال ابن عبد البر: توفي الأمير عبد الرحمن ليلة الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين"⁽⁴⁷⁾.

19. كتاب "البيان الواضح عن الملم الفادح" لأبي عبد

الله محمد بن الخلف بن علقمة البلنسي:

وهو مؤرخ معاصر للمرابطين، وكتابه يروي أطوار المحنة التي حلت بأهل بلنسية، أثناء حصارها من قبل قوات الفارس القشتالي رودريغو دياث (Rodrigo Diaz)، الشهير في الحوليات العربية باسم السيد القمبيطور (El Cid Campeador)، أي صاحب الفحص، والذي انتهى باحتلال المدينة وإخضاع قاضيها ابن جحاف وطائفة من أهلها لصنوف من العذاب وألوان من المهانة قرابة عشر سنوات (486-495هـ)، إلى أن استنقذها القائد المرابطي محمد بن مزدلي، بعد كفاح مرير مع زوجة السيد القمبيطور شيميننا (Chimena)، مؤازرة بقوات ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، ولم يغادر النصراري مدينة بلنسية إلا بعد إضرام النيران فيها وتخريبها جملة.

وكتاب تاريخ ابن علقمة على الرغم من طابعه المحلي المحدود، فقد احتفظ بطائفة من الأخبار التي يتعذر الوقوف عليها في باقي الحوليات المغربية والأندلسية، بحكم معاصرته المباشرة لهذه المحنة، ومعرفته الجيدة بتفاصيل الصراع المرابطي المسيحي، وباقي الأطراف التي انخرطت إلى جانب أحد الفريقين المتصارعين. وقد نقل ابن عذاري المراكشي عددا لا بأس به من الاقتباسات عن هذا الكتاب، غير أنه ولسوء الحظ، فقد وقع خُرمٌ كبير في الجزء الرابع من كتابه "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، بحيث فوت عدة وقائع لا نشك أن ابن عذاري قد اعتمد فيها بشكل أساسي على تاريخ ابن علقمة. ويروي صاحب "الحلل الموشية" شهادته عن مغادرة ابن تاشفين للأندلس عقب معركة الزلاقة، كما يشيد في اقتباس آخر عنه بتولية علي بن يوسف بن تاشفين عهد أبيه من بعده⁽⁴⁸⁾.

ويجري صاحب "الحلل الموشية" النقل عنه بمناسبة دخول المهدي بن تومرت إلى المسجد الجامع بمراكش، وقصته مع علي بن يوسف بن تاشفين⁽⁴⁹⁾. كما ينقل عنه خبر هزيمة المرابطين بقيادة سير اللمتوني بن مزدلي أمام هنتاة⁽⁵⁰⁾.

20. كتاب "العبر"، أو "كتاب العبرة"، تأليف أبي العباس أو أبي بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض (375-459هـ):

يُعرف هذا المؤرخ الذي ينحدر من مدينة استجة (Ecija) - حسب المؤرخ ابن الأثير - أيضاً بابن الفشاء⁽⁵¹⁾؛ كما أشار إليه كل من ابن الشباط وابن بشكوال وابن أبي زرع الفاسي، بينما يكتنيه ابن الشباط بأبي العباس، ويسمي كتابه بـ "العبرة". وأياً كان عنوان الكتاب، فإن المؤرخين يجمعون على كون موضوعه هو تاريخ الأندلس ونبذ من جغرافيتها ووصف حواضرها وأمصارها، فابن الشباط السالف الذكر يقول عنه: "له تأليف في أخبار الأندلس سمّاه بكتاب العبرة"⁽⁵²⁾. ويسميه المراكشي بابن فياض، دون ذكر عنوان كتابه بنصه، ومع ذلك فقد اقتبس منه في "المعجب"⁽⁵³⁾، نصّاً عن الحركة العلمية النشيطة بقرطبة إبان عصر الخلافة، وهو قوله: "حكى ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة قال: كان بالرّيب الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي؛ هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها"⁽⁵⁴⁾. وقد عثر الدكتور عبد الواحد ذنون طه على قطعة من هذا التأليف، تتضمن معطيات عن أولية المسلمين بالأندلس، يعزّ الوقوف عليها في غيره من المصادر الأندلسية، بيد أن القطعة المتبقية من الكتاب، التي أورد حسين مؤنس نتفا منها، وأعاد الباحث

العراقي ذنون طه نشرها كاملة⁽⁵⁵⁾، اعتماداً على ثلاث ورقات اندرجت خطأ في نهاية مخطوط "الحلة السيرة" المسجل تحت رقم: 1654، تبين أن الكتاب به استطرادات في غاية من الأهمية عن ذكر افتتاح الأندلس على يد طارق ابن زياد انطلاقاً من المغرب، وعن الحواضر الأندلسية الكبرى التي افتتحها المسلمون، كما يتضمن بعض المعطيات ذات الصبغة المعمارية، وأخرى لها طابع تقني تتعلق بكيفية نقل المسلمين لمحارب جامع سرقسطة الذي اختطه الفاتحون الأوائل بواسطة الأفلاك (العجلات)⁽⁵⁶⁾.

21. "كتاب القبس"، لابن أبي الفياض السالف الذكر: يذكره ابن أبي زرع الفاسي بهذا العنوان وينسبه لابن الفياض⁽⁵⁷⁾. كما يحصيه المؤرخ عبد الواحد المراكشي ضمن ما ألفه الأندلسيون عن جغرافية قطره، فهو يعتبر الكتاب مندرجاً في الأدب الجغرافي، وهو قوله: "باب المسالك والممالك. وقد وضع الناس فيه كتباً كثيرة؛ ككتاب أبي عبيد البكري الأندلسي، وكتاب ابن فياض الأندلسي أيضاً"⁽⁵⁸⁾؛ ويتبين من خلال هذه الإحالة، أن ابن أبي الفياض ألف كتاباً يجمع بين الجغرافيا والتاريخ على غرار الرازي وابن مزين والعذري واليسع الغافقي ومحمد بن أيوب بن غالب⁽⁵⁹⁾. فهو على هذا النحو ووصف للقطر الأندلسي وتفصيل لكوره وأقاليمه وأمصاره، وذكر خطط حاضرتة الكبرى قرطبة.

22. كتاب "التبيين في خلفاء بني أمية في الأندلس"، لأبي الوليد ابن زيدون (ت. 463هـ):

وأصل بيت بني زيدون ومحتده من قرطبة، وكان ممن عاصر أواخر عصر الخلافة وعامة زمن الفتنة الناجمة عن انفصام عروة الخلافة الأموية بالأندلس، وممن فرّ عنها في

عهد بني جهور، نحو إشبيلية، وتقلد منصب الوزارة للمعتضد والمعتمد من بني عبّاد بهذه الإمارة الطائفية، وقد امتد بابن زيدون العمر معظم عصر الدول الطائفية، حيث كان من فحول شعراء هذا العصر، وقد ترجم له ابن بسام فقال: "كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء مخزوم، أحد من جر الأيام جراً، وفات الأنام طراً، وصرف السلطان نفعاً وضراً، ووسع البيان نظماً ونثراً؛ إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه. وشعر ليس للسحر بيانه، وللنجوم الزهر اقتترانه، وحظ من النثر غريب المباني، شعري الألفاظ والمعاني"⁽⁶⁰⁾؛ ويذكر المقرئ عنه ما نصه: "وقد صنف أبو الوليد ابن زيدون كتاب "التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس" على منزع كتاب "التعيين في خلفاء المشرق" للمسعودي". فالكتاب جاء على هذا النحو معارضاً لكتاب ألف في خلفاء بني أمية وبني العباس، وضعه المؤرخ والجغرافي المسعودي (ت. 340هـ)، ولعل ما تحفل به كتب الأدب والتاريخ الأندلسية من روايات، وما يأتي من أخبارها على لسان ابن زيدون هي في تقديرنا نقول نصية من كتابه "التبيين".

23. كتاب "صلة المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لأبي بكر محمد بن عيسى بن مزين الأزدي (كان حياً سنة 471هـ):

يعدّ هذا الكتاب ذيلًا على كتاب "أخبار ملوك الأندلس" لمحمد بن عيسى الرازي الأندلسي الملقب بالتاريخي (ت. 344هـ)، وقد وسمه مؤلف "ذكر بلاد الأندلس" بعنوان "صلة المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"⁽⁶¹⁾، مع أن الرازي يقتصر في اعتقادنا على التأريخ لبلاد الأندلس. وتاريخ ابن مزين يعد من المصادر التي عول عليها كل من ابن الشباط في "صلة السمط"، وابن الأبار في

"الحلة السيرة" وابن عذاري في "البيان المغرب"، ومجهول "ذكر بلاد الأندلس"، والمقرئ في "نفع الطيب". والملاحظ أن هذا الكتاب هو مزيج بين الجغرافيا الوصفية والتاريخ، حجتنا في ذلك أن كتاب "أخبار ملوك الأندلس" للرازي صدره صاحبه بمقدمة جغرافية "فصارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلس بعد ذلك، وهي التقديم للتاريخ بالجغرافية، أي وصف الميدان قبل ذكر الوقائع، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد"⁽⁶²⁾. لذلك نجد أثراً واضحاً لهذا المؤرخ الكبير في كتاب الذيل الذين وضعه ابن مزين على تاريخه، والذي يقدم من خلال شذراته المتبقية معطيات جغرافية عن حواضر الأندلس خلال عصره.

وينقل الوزير محمد الغساني فقرات عن وقائع فتح الأندلس من كتاب ابن مزين، الذي يبدو أنه ناقل بدوره لهذه الفقرات من "كتاب الرايات" لمحمد بن موسى الرازي⁽⁶³⁾.

24. "تاريخ الأندلس"، لابن مفلح:

كتاب يجمع بين تاريخ الأندلس ووصف أمصارها وكورها، وذكر خيراتها ومحاسنها، كما يبدو ذلك من نقول المصادر المتأخرة عنه؛ فمجهول "ذكر بلاد الأندلس"، ينقل عنه نصاً جغرافياً عن وصف حاضرة إشبيلية وأحوالها المعروفة بالشرف⁽⁶⁴⁾.

25. "كتاب الملح العصرية من شعراء أهل الأندلس والطارئين عليها"، لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي الأندلسي (ت. 528هـ):

جاء ذكره في ترجمة المؤلف ضمن مؤلفاته⁽⁶⁵⁾. ويتضح من عنوانه أنه كتاب جامع لتراجم الشعراء الأصليين والطارئين عليها من برّ العدو ومن باقي أنحاء دار الإسلام؛

ومن المعلوم أنّ عددا من المغاربة رحلوا إلى بر العدو، إمّا بغرض طلب العلم أو الاستزادة من الرواية، وفي بعض الحالات كانوا يتولون الخطط السلطانية كقيادة الجيوش والوزارة والحجاجة، والولايات الدينية كالإمامة والقضاء والشورى والحسبة والخطابة، أمثال ابن الأصيلي والقاضي عياض، والبعض من هؤلاء الراحلين إلى ديار الأندلس كانوا يتكسبون بالكتابة الديوانية والشعر، وينتظمون ضمن حاشية السلطان نظير المراكشي وابن خلدون.

26. "كتاب تاريخ أمية بن أبي الصلت" السالف الذكر:

صاحبه هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي. حاله المقري بقوله: "أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الأندلس العلماء الحكماء"⁽⁶⁶⁾. ويقال: إنّ عمره ستون سنة، منها عشرون في بلده إشبيلية، وعشرون في إفريقية عند ملوكها الصّنهاجيين، وعشرون في مصر محبوساً في خزانة الكتب، وكان وجّهه صاحب المهدية إلى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة في خزانة الكتب، فخرج في فنون العلم إماماً، وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين، وله في ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته، وكان يكنى بالأديب الحكيم، وهو الذي لحن الأغاني الإفريقية؛ قال ابن سعيد: وإليه تنسب إلى الآن. وذكره العماد في الخريدة. وله كتاب "الحديقة" على أسلوب "يتيمة الدهر" للثعالبي، وتوفي سنة 520، وقيل: سنة 528، بالمهدية، وقيل: مستهل السنة بعدها، ودفن بها⁽⁶⁷⁾.

ويفيد التجاني أثناء إجراء النقل عن تاريخ أبي الصلت، أنّه ذيل على تاريخ الرقيق القيرواني، إذ يقول ما نصه: "قال أبو الصلت في كتابه الذي ذيل به على كتاب

الرقيق"⁽⁶⁸⁾.

وقد أشاد بكتابه كل من صاحب "مفاخر البربر"، واعتبره أوثق مصادر ملوك صنهاجة بإفريقية والمغرب؛ إذ يقول: "ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسيرهم، فليطالع "كتاب الديباجة"، وكتاب "النبد المحتاجة في أخبار صنهاجة" و"كتاب أبي الصلت" الذي ألفه للحسن صاحب المهدية"⁽⁶⁹⁾.

وقد نقل عن ابن أبي الصلت عدد من المؤرخين من بينهم ابن خلدون: "قال ابن أبي الصلت: دول الثلاثة الأخماس من قبائل العرب الذين هم: سعيد ومحمد ونحبة، وأضاف إليهم من الخمس الرابع أكابر بني مقدم فوافي من كان منهم بفحص القيروان. وفرافع إلى القيروان وامتنع عليه أهلها. ثم اجتمع شيوخ دهمان، واقتسموا البلاد وعينوا القيروان لرافع وأمكنوه. وبعث علي بن يحيى عساكره والعرب المدونة على منازل رافع بالقيروان وخرج إلى محاربتهم فهلك بالطريق في بعض حروبه مع أشياع رافع"⁽⁷⁰⁾.

27. "أرجوزة في تاريخ الدول" لأبي طالب (أبي الوليد) عبد

الجبار المعروف بالمتنبي:

وقد اشتملت أرجوزته على أخبار الدول الإسلامية، وخص منها دولة الملتمين المعاصر لهم بعدد من الأبيات، ومن الواضح أنه تقرب بها إلى علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين بمراكش. ويدل على هذا التخمين، ما جاء في ترجمة المؤلف التي خصه بها الأصفهاني وهو قوله: "أبو طالب عبد الجبار المعروف بالمتنبي: من شعراء الأندلس، وجدت كنيته في تاريخ الأندلسيين بمصر: أبا طالب. ووجدت في مجموع ابن الصيرفي المصري كنيته أبا الوليد. وعاش بعد سنة خمسمائة فإنه ذكر علي بن يوسف بن

تاشفين وهو أمير المسلمين في أرجوزته المحتوية على فنون من العلوم والمحيط بتاريخ الدول⁽⁷¹⁾.

وأورد منها الأصفهاني مجموعة من الأبيات التي تؤرخ للأندلس منذ قيام دول الطوائف بها، فيذكر أشهر ملوكهم ونبذاً من أخبارهم؛ كما يؤرخ لدولة المرابطين، فيشيد بعظمة سلطانهم ويذكر انتصارهم على ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون في موقعة الزلاقة (12 رجب 479هـ/23 أكتوبر 1086م)، ثم خلع ملوك الطوائف على أيدي المرابطين، وينتهي عند خلافة علي بن يوسف لأبيه في إمارة المسلمين وهو قوله:

وإذ أراد الله نصر الدين
استصرخ الناس ابن تاشفين
فجاءهم كالصبح في إثر غسق
مبتدراً كالماء ينفي في رنق
وإلى أبو يعقوب كالعقاب
فجرد السيف عن القرباب
وواصل السير إلى الزلاقة
وساقه ليومها ما ساقه
لله در مثلها من وقعه
قامت بنصر الدين يوم الجمعة
وثلّ للشرك هناك عرشه
لم يغني عنه يومه إذ فوئشه
فوجب الخلع لذي الجماعة
وصرحوا ليوسف بالطاعة
فأصل الأمر على النظام
وامتد ظلّ الله للإسلام
ثم ولي علي ابن يوسف
مقتدياً بحكم أبيه يقتفي⁽⁷²⁾

"كتاب نزهة الأنفس في أخبار أهل الأندلس"، أو "تاريخ الأندلسيين"، لمحمد بن أيوب بن غالب الأنصاري (من أهل القرن السادس الهجري):

ويضيف ابن الخطيب إلى اسم هذا المؤرخ شهرته بلقب ابن حمامة، ويحيل عليه بهذا الاسم في ترجمة إبراهيم بن مُقَرِّج بن همشك⁽⁷³⁾؛ وكتابه هذا يأتي بعنوانين، وقد صنفه للسلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر سنة 568هـ، حسب إفادة الأصفهاني في الخريدة، حيث يقول: "قرأت في تاريخ الأندلس الذي صنفه بعض أهل العصر، وهو محمد بن أيوب بن غالب الأنصاري للملك الناصر بمصر في سنة ثمان وستين وخمسائة، يذكر أن أبا يحيى محمد بن معن بن محمد بن صمادح لما حوَصِر بالمرية، وحاصره جيش أمير المسلمين كان مريضاً، واشتدت حاله، فسمع يوماً صيحة ففتح عينيه وقال: نغص علينا حتى الموت، ومات في إثر ذلك عند طلوع الشمس من يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة"⁽⁷⁴⁾.

ويتضح من هذه الرواية، أن الكتاب قد اشتمل على أخبار التدخل المرابطي بالأندلس لإسقاط دول الطوائف بها، وهو ما يشكل جزءاً مفقوداً من تاريخ المرابطين الذي صنعوه بعدوة الأندلس، وفقد بضائع هذا المصنف التاريخي القريب نسبياً من زمن وقوع الحوادث التي أرخ لها.

وينقل عنه في موضع آخر من الخريدة ترجمة الكاتب الأندلسي ابن أبي الخصال، الذي عمل في خدمة الدولة المرابطية، واتخذ مراكش منزلاً له لبعض الوقت؛ ونص ترجمته: "ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد ابن أبي الخصال الكاتب الغافقي ثم القرطبي: ذكره مصنف "تاريخ

الأندلسيين" وقال: مات في أول وهلة من الفتنة الثانية بالأندلس في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة. لقيته طائفة من عبيد لمتونة المتغلبين على قرطبة، وهو يخرج من داره للفرار إلى موضع يتحصن فيه، فذبح عند بابه، ولم يعرفوا قدره ولا علموا مكانه".

وعلى غرار الرواية السالفة، فقد أُرّخ في هذه الترجمة لخبر يتصل بانتفاض الأندلس على ولايتها المرابطين خلال أواخر عهود هذه الدولة، فيما عرف لدى المؤرخين بالفتنة الثانية. والحادثة المذكورة في ترجمة ابن أبي الخصال هذه تدور مجرياتها قبيل ثورة القاضي ابن حمدين على المرابطين بقرطبة وتنصيبه حاكماً عليها لبعض الوقت. وتكشف الترجمة باللموس أجواء الاضطراب والخوف التي سادت بين أهل حاضرة الأندلس خلال هذه المدة، ووقوع بعض الضحايا من بين أعلامها. 28. "كتاب الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية" لأبي بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري المعروف

بابن الصيرفي (ت. 557هـ):*

ذكر ابن الخطيب كتاب ابن الصيرفي، بمناسبة حديثه عن نسب بني صمادح ملوك المرية، حيث قال: "كان جدّهم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة بن شريح بن حرملة بن تميم بن المخضب بن شبيب بن الدعان بن سعد بن أشرس الواقع والده على تجيب؛ عرفوا بأهمهم. كذا أثبت نسبهم ابن الصيرفي" (75)

وابن الصيرفي من المؤرخين المبرزين، والشعراء المطبوعين بالأندلس خلال القرن السادس للهجرة، وقد ترجم به كل من ابن بشكوال وابن الأبار وابن الخطيب،

وحلّوه بأوصاف تشفّ عن مكانته في التاريخ، كما أشاد بعضهم إلى تدوينه لأخبار الدولة المرابطين إلى أجل قريب من وفاته، وهو ما جعله دون شك يؤرخ الحوادث التي جاءت بعضهم، مثل فتنة الطوائف الأندلسية وثورة المريدين، وامتلاك النصاري لأهمّيات الحواضر الأندلسية، ثم لبداية امتداد سلطان الموحيدين بأرض العدو والتمكين لدعوتهم على أيدي وفودها التي جاءت مباحية مطيعة.

وتعتبر الترجمة الحافلة التي خصّه بها لسان الدين ابن الخطيب، أوفى ما لدينا عنه، وبالنظر إلى أهميتها نورد منها هذه الشهادة في حقه، وهو قوله: "كان نسيج وحده في البلاغة والجزالة، والتبريز في أسلوب التاريخ، والتملؤ من الأدب، والمعرفة باللغة والخبر [...] تواليفه: ألف في تاريخ الأندلس كتاباً سمّاه "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية" ضمّنه العُجّاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة، ثم وصله إلى قرب وفاته، وكتاباً آخر سماه "تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء" (76).

وقد أشاد بعض مؤرخي المغرب بتاريخ ابن الصيرفي، مثل مؤلف "مفاخر البربر" الذي أحال قراءه على هذا الكتاب القيم عن دولة المرابطين، قائلاً: "ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسيرهم، فليطالع كتاب ابن الصيرفي الذي ألفه في دولتهم، وسماه بـ "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"، وهو كتاب ممتع مفيد" (77).

اعتمد على ابن الصيرفي عدد من المؤرخين المغاربة والأندلسيين، أمثال ابن الأبار (ت. 658هـ) ابن عذاري المراكشي (كان حياً سنة 712هـ)، وصاحب "مفاخر البربر"؛ ولسان الدين ابن الخطيب (ت. 776هـ) وصاحب "الحلل

الموشية " (كان حيا سنة 783هـ): وأفادوا من كتابه الذي يبدو أنه ظلّ بأيدي العلماء والوزّاقين إلى حدود القرن التاسع عشر، حسب إفادة المؤرخ الإسباني بونس بويجيس. وتعتبر نصوصه المتبقية لدى هؤلاء في غاية الأهمية بالنسبة لتاريخ المرابطين، خاصة خلال حكمهم للأندلس الذي اتّسم في أخرياته بالاضطرابات وحركات التمرد ضد سلطانهم بها.

ومن النقول النصية التي احتفظ بها ابن عذاري من كتاب *"الأنوار الجلية"*، ما يتصل منها بوقائع سياسية وعسكرية شهدتها الأندلس خلال العقدين الثالث والرابع من القرن السادس الهجري، وهي آخر عهد حكم المرابطين بها، وتعتبر رواية ابن الصير في لهذه الأحداث أصيلة بوصفه شاهد عيان على عصره، حيث يقول في إحداها ما نصه: "وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ولى أمير المسلمين علي بن يوسف ولده عمر في مدينة غرناطة واحتلّها في شهر جمادى الأولى، وكان في جملته رجل زيه التلثيم نشأ بمدينة طنجة وتأدب بإشبيلية، يعرف بموسى بن مفروح، له خطّ بارع وأدب صالح ونفوذ في الحساب، وكانت له نفس ذكية وهمة عالية، ألقى إليه الأمير أبو حفص جميع الأعمال وأوطأه عقب الرجال، فاستبدّ بالأمر واستقل.. فدنس إليه يهودي ينتحل الطب سقاه يوم أربعاء ودفن يوم جمعة.

ولحق الأمير أبو بكر والي إشبيلية بغرناطة متوجّها إلى شرق الأندلس، فسار إليه الأمير أبو حفص أخوه فدخلوا المدينة في أجمل هيئة وأتقن زينة...

فاجتمع بأخيه وأقبلا مقترنين والجيش تحقّهما، وكان مضطرب محلة الأمير أبي بكر بالمصلّى فتلّوم أياما ثم تحرك إلى وجهته، فقصد حصنا كان للروم قد تملكوه

غدرا، فنصب عليه الحرب ودخله عنوة، وامتلأت أيدي المسلمين بكثير من الأسلحة والآلات والزي والمتاع، وثقّف الأمير أبو بكر الحصن بالرجال والرماة، وصدر فبرز له بغرناطة أحفل تبريز، ثم أغد السير إلى إشبيلية⁽⁷⁸⁾.

"وقد نفذ كتاب أمير المسلمين إلى ولده صاحب اغرناطة بوصوله إليه وأقام واجدي بن سير مع أخيه عمر والي إشبيلية وعبد الرحمن بن أبي بكر والي قرطبة وصدر أبو عمر يناله عن الشرق إلى اغرناطة، ثم توجه إلى الجزيرة وجاوز البحر، فلما وصل إلى حضرة أمير المسلمين علي بن يوسف أشار بذكره إليه معاهدة اغرناطة، فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره، فأدلّوا بحجج في ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلاماتهم، ثم بعد ذلك أصابه طاعون كان سبب حتفه؛ وكان هذا يناله إذا عاقب الجاني اعتدى عليه، وإذا أتى بالبريء لم يسمع منه، وكان له كاتب يهودي الأعراق والأخلاق يبغض الناس ويبغضونه، أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به، فبدأ بشؤمه أميره يناله، فجرّ إليه العزل وأورده السجن وأداه إلى الهلكة، وغدا شؤمه عليه فاستوصل ماله ونهبت داره وطلب ليوقع به ففرّ وهلك بعد ذلك، وكان أشقر أزرق دميم الخلق في وجهه خال.

وفي رمضان المعظم من هذه السنة، صرف الأمير أبو حفص عمر بن أمير المسلمين علي بن يوسف عن اغرناطة، وكانت ولايته بها أربعة أشهر وولمها عبد الله بن أبي بكر اللمتوني، وكان في شرق الأندلس بجيش العدو، فلما وصلته الولاية أورد كتاباً على أبي يحيى بن رودة يستنيبه في الأمور المختصة فتولى ذلك.

وفي هذه السنة استمرت عزمة علي بن يوسف اقتداء بأبيه في إشارتهم إلى من يقوم بالأمر من بعده،

فاستدعى من نواب القبائل من وثق بدينه ونظره وفاوضهم في مذهبه، فكل شيخ ورد على تهممه، وأشار بالأمير أبي محمد سير ابنه، فأمر كتبتة بإنشاء البيعة له، فنزع كل سهمه إلى غرض طبعه وعلمه، فلما وقف عليه أعرض عنه، وأمر بنقل البيعة المتعبدة في قرطبة باسمه، فألزم نفسه ما التزم وقلده ما تقلده، وأنفذ الكتب إلى عمّاله وقضااته بالأندلس، حتى أخذ البيعة في كل بلدة، فانعقدت في كل قاعدة بيعة يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى... هكذا ذكر [ابن] الصيرفي في كتابه⁽⁷⁹⁾.

ومن جملة المؤرخين الذين نقلوا عن ابن الصيرفي، لسان الدين ابن الخطيب الذي أثبت في "الإحاطة" شذرات عديدة من كتاب "الأنوار الجلية"، تعدّ أوفى ما لدينا من نقول عنه، ومن بينها ترجمة يوسف بن تاشفين⁽⁸⁰⁾، كما ينقل عنه أخبار معاهدة الأندلس وتواطؤهم مع ألفونسو المحارب ضد مسلمي غرناطة:

"قال صاحب كتاب الأنوار الجلية: فبدأ بحث المعاهدة بغرناطة في استدعائه، فافتضح تدبيرهم باجتلابه، وهمّ أميرها بتثقيفهم، فأعياه ذلك، وجعلوا يتسللون إلى محلته على كل طريق، وقد أحذقت جيوش المسلمين من أهل العدو والأندلس بغرناطة، حتى صارت كالدائرة، وهي في وسطها كالنقطة، لما أئذروا بغرضه، وتحرك من وادي آش فزل بقرية دجمة، وصلى الناس بغرناطة صلاة الخوف، يوم عيد النحر من هذه السنة في الأسلحة والأهبة،

29. كتاب "تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء"، لابن الصيرفي السالف ذكره:

وهو كتاب لا نعلم من أمره إلا القليل، ومن المحتمل أنه يندرج ضمن صنف السير السلطانية، التي تتخللها أخبار الملوك والأمراء، والقضاة والفقهاء، وبعض أمور

الرعية، وقد تأتي بعض الروايات للاعتبار والتنبية على حسن تدبير السلاطين لأمر ممالكهم، وسياسة رعيّتهم، أكثر مما يراد بها العلم والإخبار بها على نحو ما هو كائن في كتب الأخبار وتواريخ الدول والحواليات. والظاهر مع ذلك أن الكتاب رتب على السنين على شاكلة الحوليات التاريخية، والدليل على ذلك ما ينقله ابن عذاري عنه ونصه: "قال ابن الصيرفي: وجرت في هذا العام أحداث، ذكر في كتاب "تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء": وفي هذا العام انبرى أبو العلاء بن زهر إلى مطالبة القاضي ابن منظور بإشبيلية وخبر ذلك أن ابن زهر اعتلّ، فذكر ذلك للقاضي فقال: "وطبيب ماهر يمرض!!" فنبه ذلك إلى الوزير أبي العلاء ابن زهر فحرك منه وقال:

إن ابن منظور تعجّب هازلاً
لما مرضت، فقلت: يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائماً
فمن الفقيه المرتضى أكل الرشا

فأنفذ أمير المسلمين علي كتاب عزلته⁽⁸¹⁾..

ومن النقول التي أوردها ابن عذاري عن ابن الصيرفي، روايته عن غزوة المرابطين بقيادة الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، والتي كللت بفتح المسلمين لحصن أقلش (Ucles) عام 501هـ/1107م، وتتقارب هذه الرواية في مضمونها مع رواية أخرى لابن الصيرفي نقلها كل من ابن الخطيب وابن عذاري عن كتابه الأول "الأنوار الجلية"، في أخبار الدولة المرابطية، وهي تختلف في نصها عن هذه، حيث قال: [...] وفي سنة إحدى وخمسمائة ورد الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بغرناطة واليا عليها، فاطمأنت النفوس وهجدت العيون... بمملكته، وظهر به جمال دولته، ونظر الأمير أبو الطاهر في أسباب الغزو وأحسن إلى

الجند، وخرج منسلخ شعبان المكرم من العام، فلما احتل الجيش مدينة جيان تلّوم بها الأمير أبو الطاهر أياما حتى وفدت عليه الجيوش والعساكر من قرطبة وغيرها. واستقبل على حصن أقليمش، فاضطربت المحلات بإزائه وانتشرت الحروب عليه إلى أن دخله عنوة وامتنع أهله في قصبته والحروب محدقة به، وفي خلال ذلك وصل إليه ولد أذفونش شانجه، من زوج المأمون. التي كانت تنصرت، بنحو سبعة آلاف فارس فكانت بينه وبين جيوش المسلمين حروب يطول ذكرها، كانت الدائرة فيها على الروم، فمات فيها شانجه بن الفنش أخاهما الله، ورجع الأمير أبو الطاهر إلى اغرناطة. قال ابن الصيرفي: فكان ذلك دليل اليمن والبركة بولاية علي بن يوسف في أول دولته وكانت الواقعة على الروم وموت شانجه المذكور في ... شوال. وفي آخر هذا العام مات أذفونش لعنه الله تعالى⁽⁸²⁾.

والملاحظ أن ابن الصيرفي كان حريصا في كتابه على جمع معطيات دقيقة عن أصول المرابطين القبلية، وعن شجرة أنساب ملوكهم. غير أنه عجز عن تتبعها، وانتهى به المطاف إلى التوقف عند الجد الأكبر الذي تفرعت منه أفخاذ لمتونة. ويقول المؤرخ الغرناطي في هذا الصدد ما نصه: "نسبه: هو مزدي بن بولنكان بن حسن بن محمد بن تورجوت. قال ابن الصيرفي: لم أزل أطلب نسب لمتونة حتى لم أجد منه، إلا أن الجد الذي تفرق منه أفخاذهم تورجوت"⁽⁸³⁾.

وبإمكاننا القول إن خطة تأليف كتاب "تقصي الأنبياء في سياسة الرؤساء" كانت تجمع مزيجا من الألوان الأدبية، حيث اشتملت فصولها على مضامين من الآداب السلطانية أو نصائح الملوك، ومن الأخبار المتسلسلة زمنيا على طريقة الحوليات، ومن المعطيات التاريخية المتصلة

بشجرة أنساب بعض السلالات الحاكمة، خاصة من المرابطين.

30. كتاب "بستان الأنفس، في نظم أعياد الأندلس"، لأبي عامر البلوي السالمي (ت. 559هـ):
وأبو عامر السالمي هذا مؤرخ أندلسي مشهور، منسوب إلى قبيلة بلي ذات الأصل العربي الصريح، وقد هاجر جم غفير من أفراد هذه القبيلة من جزيرة العرب إلى الأندلس منذ الفتح الأول على عهد طارق بن زياد وموسى بن نصير، وبلج بن بشر القشيري الذي عاصر ثورة الخوارج بالمغرب عام 122هـ وانتقل من سبتة إلى الأندلس مع عدد كبير من أبناء العرب، ويعود موطن السالمي إلى مدينة سالم (Medinaceli) بالشغر الأعلى الأندلسي.

وقد أورد ابن دحية عنوان هذا الكتاب ضمن مؤلفات السالمي⁽⁸⁴⁾، ولم نقف على نقول منه؛ والظاهر أن كتاب "بستان الأنفس" وضع على شاكلة منظومة شعرية يذكر فيها السالمي الأعياد الكثيرة التي كان الأندلسيون يحتفلون بها، على تعدد أعراقهم، سواء كانوا عربا أو بربرا أو مولدين، وعلى اختلاف نحلهم، من مسلمين ونصارى ويهود، فمن المعلوم أن الأعياد والمواسم المحتفى بها من قبل أهل الأندلس تعود الكثير منها إلى عصور ضاربة في القدم، وقد ذكر معظمها عريب بن سعد القرطبي (ت. 366هـ) في مؤلفه الفريد "تقويم قرطبة"، ولم يكن لدى ساكنتها تعصب تجاه مناسبات غيرهم من الأعراق والنحل، فكانت احتفالاتهم بمناسبة معينة يشترك فيها أهل الحواضر والقرى والضيعات، سواء تعلق الأمر بالأعياد الدينية الإسلامية والمسيحية، أو بالمواسم الفلاحية والاجتماع.

وقد نقل عن السالمي عدد من المؤرخين، أبرزهم ابن الأبار، وابن عذاري؛ حيث أورد الأول منهما روايته في ترجمة المعتصم ابن صمادح - صاحب المرية - قائلا: "قال: ولم يكن من فحولة ملوك الأندلس، بل أخلد إلى الدعة، واكتفى بالضيق من السعة، واقتصر على قصر يبنيه، وعلق يقتنيه"⁽⁸⁵⁾. والذي نرجح أنه وضع في نخب من أشعار أعلام الأندلس من الرجال والنساء من أصحاب السلطان وأهل الأدب والحسب والمال، والراجح لدينا أنها نظمت في مناسبات معلومة لدى أهلها، خاصة الأعياد.

31. كتاب "درر القلائد وغرر الفوائد"، للسالمي نفسه: وهو كتاب في جغرافية الأندلس وتاريخها منذ الفتح الإسلامي وعصر ولائها الأوائل، وإلى غاية عصر المؤلف، وتدل نقول المصادر عنه أنه سجل أحداث الأندلس في زمن متقدم، يندر أن نقع على نصوص تاريخية أندلسية تغطيه، ومن هذه الروايات ما أورده ابن عذاري نقلا عن السالمي إذ قال: "لما ملك بلج الأندلس، واستولى عليها، طلب منه الجند أن يعطيهم ابن قطن في الغساني المذكور؛ فتوقف بلج؛ فألح الجند، وثار اليمن كلها على كلمة واحدة. وكان ابن قطن شيخا هرما، قد بلغ التسعين؛ وكان قد حضر يوم الحرّة، ومنها فرّ إلى إفريقية؛ وكان يومئذ بداره بقرطبة؛ فأخرجه الجند منها، كأنه فرخ نعامة من الكبر، وهم ينادونه: "أفلت من سيوفنا يوم الحرّة؛ فطلبنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود! ثم أردت إخراجنا إلى القتل!"، ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيرا عن يمينه، وكلبا عن شماله.

ثم إن أمية وقطنا ابني عبد الملك بن قطن حشدا في جهة سرقسطة، وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها، وجاء إلى بلج طالبين بثأرهما، وهما في نيف على مائة

ألف من العرب القدماء والحدث؛ فخرج إليهما بلج، وهو في أقل من خمس عددهما؛ فاقتتلوا قتالا شديدا. ثم انهزم ابنا عبد الملك ومن معهما هزيمة عظيمة؛ وانصرف أصحاب بلج ظافرين، وقد امتلأت أيديهم وأنفُسهم غنما ونصرا وسرورا، إلا أن بلجا أميرهم توفي من جراحة أصابته في المعركة، ومات بعد أيام، وكانت مدة إمارته اثني عشر شهرا، واختلف في ذلك، فقال أبو عمر السالمي: إن تلك المعركة انجلت عن أحد عشر ألف قتيل، وإن عبد الرحمن بن علقمة فوّق سهما إلى بلج؛ فأصاب مقتله. قال هذا في "كتاب درر القلائد وغرر الفوائد"، وقال في "كتاب بهجة النفس": إن عبد الرحمن ابن علقمة المذكور قتله بالسيف، وإن ولايته ستة أشهر، والأول أصح"⁽⁸⁶⁾.

وذكر المقرئ للسالمي هذا الكتاب، ونصّ على أنه من تأليفه فقال: "قال أبو عامر السالمي، في كتابه المسمى "بدرر القلائد وغرر الفوائد": الأندلس من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواءً وتراباً، وأعذبها ماءً وأطيبها هواءً وحيواناً ونباتاً، وهو أوسط الأقاليم، وخير الأمور أوسطها"⁽⁸⁷⁾.

كما أورد له ترجمة لغاية المنى جارية المعتصم صاحب المرية فقال: "غاية المنى، وهي جارية أندلسية متأدبة، قدمت إلى المعتصم بن صمادح، فأراد اختبارها فقال لها: ما اسمك؟

ف قالت: غاية المنى،

ف قال لها: أجيّزي: اسألوها غاية المنى

ف قالت: من كسا جسمي الضنى، وأراني مولهاً سيقول الهوى أنا

هكذا أورد السالمي هذه الحكاية في تاريخه"⁽⁸⁸⁾. ولعل المقرئ كان ينقل عن ذات التأليف، والذي نرجح أنه كان

يشتمل على مقدمة جغرافية عن الأندلس، ثم تليها فصول القسم التاريخي من الكتاب حسب الخطة التي وضعها في ترتيبها، إما حسب السنين أو وفق طريقة كتب التراجم، وهو ما نرجحه.

32. كتاب "الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس"، أو كتاب "أخبار الفتنة الثانية بالأندلس" أو كتاب "عبرة العبر، وعجائب القدر، في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية، بعد فساد الدولة المرابطية"، لأبي عامر السالمي السالف الذكر:

وكان هذا الكتاب من تأليفه الجمّة التي أَرخ فيها لبلاد الأندلس ورجالاتها، ولعله أشهرها على الإطلاق، وقد أورده المؤرخون بعناوين متباينة، من قبيل كتاب "الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس"، أو كتاب "أخبار الفتنة الثانية بالأندلس" أو كتاب "عبرة العبر، وعجائب القدر، في ذكر الفتن الأندلسية والعدوية، بعد فساد الدولة المرابطية"، ومن خلال رواياته، تأتي الكثير من المعطيات التاريخية العظيمة الأهمية عن العصرين المرابطي والموحدي بشبه جزيرة إيبيريا. وقد ذكر هذا الكتاب لدى المقرئ بالعنوان الثاني، وأضاف بعض المعطيات بشأن الإطار الزمني الذي يشملها، والمنهج الذي اتبعه في ترتيب الحوادث على السنين، حيث يذكر "أن أبا الحسن السالمي له كتاب "في أخبار الفتنة الثانية بالأندلس"، بدأ من سنة 539، ورتبه على السنين، وبلغ به سنة 547" (89).

وهو كتاب جمع فيه صاحبه بين أخبار المغرب والأندلس، إبان فترة نهاية المرابطين ومستهل الموحدين. ويبدو من عنوانه أنه قد اشتمل على أخبار الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس، وضمّ إليه أخبار حركة ابن تومرت بعدوة المغرب الأقصى، وهي المقصودة بلفظة "العدوية".

ولا نستبعد أن يكون الكتاب نفسه قد جاء بعنوانين متباينين في الترجمة ومتفقين في المضمون، إلا أن يكون أبو الحسن السالمي الذي ذكره المقرئ في "نفح الطيب" (90) شخصا آخر غير أبي عامر السالمي، أو أن يكون أحد أبنائه قام بالتذييل على كتاب أبيه أو زوّده وأتمّه.

33. كتاب "المغرب عن محاسن أهل المغرب"، للمؤرخ الأندلسي أبي يحيى اليسع بن حزم الغافقي الجباني (ت. 575هـ):

وهو اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عمر الغافقي؛ بينما يترجم به ابن الزبير في "صلة الصلة" (91) باسم فيه بعض الاختلاف، فهو اليسع بن عيسى بن حزم بن عون الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي. ويختلف عنه المقرئ في الاسم الرابع من سلسلة نسبه، فهو عنده اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله (92).

وقد رحل هذا المؤرخ الأندلسي إلى مراكش في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي، ثم غادر عاصمة الموحدين متجها صوب المشرق سنة 543هـ، حيث انتظم في حاشية السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي. ونستطيع من خلال بعض النقول عنه بالمصادر المتأخرة أن نكشف عن مضامين كتابه، فقد نقل عنه ابن الأحمر أخبار بيعة المهدي بن تومرت وأولى مواجهاته مع المرابطين (93). ويذكر المترجمون لليسع أنه حظي لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر، ونال مكانة رفيعة بين أفراد حاشيته. ومَرَدُّ هذا الأمر دُونَ رَيْبٍ، إلى الموقف الذي وَقَفَهُ اليسع حين قرَّر أن يصعد المنبر ويخطب أول خطبة للعباسية بمصر، بعد أن ظَلَّتْ منابرُها تُقِيمُ الخطبة باسم الخلفاء الفاطميين، منذ انتظام الديار

المصرية في سلك خلافتهم سنة 358هـ/969م.⁽⁹⁴⁾ وقد عُدَّت هذه السابقة حسنةً في سِجِلِّ اليسع، فَتَحَتْ أَمَامَهُ سَبِيلَ الحُظُوءِ لدى صلاح الدين، فنالَ ثِقَتَهُ وإعجابه.

ومن حيث قيمة كتاب *"المغرب في محاسن المغرب"*، يمكن القول إنَّ مؤلفه اتصف بقدر كبير من المصداقية في ذكر الأخبار؛ ويضاف إلى هذه الميزة عدم تلبّس صاحبه بمذهب الموحدين الذين عاصروهم، ولا بنعرتهم الطائفية. وتكاد تكون سمات الواقعية غالبية على منهاج التأليف لدى اليسع، إلّا في بعض مبالغاته بشأن الخصائص الطبيعية والموارد الاقتصادية للأندلس.⁽⁹⁵⁾ ومع ذلك فإنه يلتزم الحياد التامّ عند ذكره لأخبار المواجهات العسكرية الدائرة بين المرابطين والموحدين، حيث إن المؤلف لم يخضع لتأثير أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر، كما أنّه أَجْمَلَ القول في ذكر محاسن الطرفين، وحتى مثالهما في بعض الأحيان.

وقد دوّن اليسع غير كتابه السالف، كتابين آخرين في تاريخ الأندلس وتراجم أعلامها، لم نقف لحد الآن على آثار لأي واحد منهما، ولعلهما لم يعرفا ذلك الانتشار الذي حظي به كتاب المغرب، إذ لا نجد نقولا عن الكتابين في المصادر اللاحقة والمتأخرة عن عصر تأليفهما⁽⁹⁶⁾.

34. "أخبار ابن مردنيش" لليسع بن عيسى بن حزم السالف ذكره:

لقد جاء في ترجمة ابن مردنيش، أنّ اليسع تواريخ في أيامه.⁽⁹⁷⁾ وقد يكون القصد من ذلك أنه وضع كتابا في تاريخ إمارة شرق الأندلس، خلال تغلب ابن مردنيش عليها، طول الفترة الزمنية التي تغطي مرحلة أقول نجم المرابطين

بالأندلس، وثورة رؤسائها عليهم، واستقلالهم بحكم معظم مناطق الأندلس التي كانت خاضعة لسلطانهم، إلى حين التمكين للموحدين بها. والغريب أننا لا نعثر على ذكر لهذا الكتاب في التراث الأندلسي، ومما لا شك فيه أنّ اليسع قد ضَمَّنَ كتابه *"المغرب"*، طائفة من الروايات التي اشتمل عليها كتاب *"أخبار ابن مردنيش"*.

35. "كتاب فقهاء الأندلس" لليسع بن عيسى بن حزم السالف ذكره:

ولا نعلم من أمره شيئا غير موضوعه، وهو على ما يبدو مُصَنَّفٌ يشتمل على تراجم فقهاء الأندلس، وتُبَذُّ من أخبارهم. وقد ذكره ابن الزبير في جملة التصانيف التي ألفها اليسع، بعد انتقاله إلى الديار المصرية حسب ما أفاد في ترجمة المؤلف⁽⁹⁸⁾، والثابت لدينا أن كتاب *"فقهاء الأندلس"* أسبق في التأليف من *"المغرب في محاسن المغرب"* نفسه، على اعتبار أن ابن الزبير ذكر الكتاب الأول اعتماداً على النسخة الخطية المبتورة من تاريخ ابن اليسع، التي تحصّلت بين يديه بالأندلس. ولعل اليسع قد استفاد كثيرا من كتابه في تراجم فقهاء الأندلس وسيرهم، في باب الترجمة لأعلامها من *"كتاب المغرب"*، ومن المحتمل كذلك أن كتاب المغرب قد استوعب بين دفتيه معظم تراجم كتابه عن فقهاء الأندلس.

36. "كتاب ثورة المرينيين بالأندلس" لأبي مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد الباجي الإشبيلي

المعروف بابن صاحب الصلاة (ت. 594هـ):

والمقصود بها ثورة المرينيين على دولة المرابطين بغرب الأندلس، التي تزعمها ابن قسي بمارتلة (Mertola)، وادعائه المهدوية، قبل أن ينحلّ أمره ويسارع إلى الدخول

في بيعة الموحدين والانقياد لسلطانهم. وابن صاحب الصلاة من المعاصرين للأحداث التي يرويها عن هذه الثورة⁽⁹⁹⁾، لذلك فشهادته تعدّ في غاية الأهمية لدراسة الحوادث التي عاشتها الأندلس والمغرب خلال هذا العصر، بحكم أن هذه الحركة قد فتّت في عضُد دولة المرابطين وهي في أواخر أيامها، وزادت من معاناتها، خاصة وأنها كانت تتلقى ضربات قوية على أيدي عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين. ويمكن القول إنّ ابن صاحب الصلاة هو أحد المؤرخين المبرّزين في علم التاريخ خلال هذا العصر، وبالتالي فمما لا شك فيه أنه سجل حوادث هذه الثورة بنظرة فاحصة، ونسجها بأسلوب قوي وسلس، على غرار ما تركه بين أيدينا فيما تبقى من كتابه "المن بالامامة"، الذي يحيل فيه على كتابه المسمى "تاريخ المريدن"، بمناسبة المواجهات الحربية بين الموحدين والثائر الأندلسي ابن همشك بظاهر قرمونة سنة 555هـ⁽¹⁰⁰⁾.

كما ينقل عنه ابن الأبار نبذاً من أخبار محمد بن عمر بن المنذر، أحد القادة الأندلسيين المتلبسين بحركة ابن قسي، قبل أن يدبر قتله مع جماعة من أصحابه وينتصب في مكانه قائماً بدعوة الموحدين، الذين توقعوا غائلته فنقلوه إلى سلا، حيث قضى نحبه بعد ذلك⁽¹⁰¹⁾.

وينقل عنه ابن الخطيب أخبار محمد بن سعد بن مردنيش الثائر على الموحدين بشرق الأندلس: "وقال في مختصر ثورة المريدن": كان عظيم القوة في جسمه، ذا أيد في عظمتة، جزار في لحمه، وكان له فروسية وشجاعة، وشهامة ورياسة"⁽¹⁰²⁾. ومن المعلوم أنّ هذا المختصر المنوّه به لكتاب "ثورة المريدن"، كان قد وضعه

مؤرخ أندلسي لاحق لعصره هو أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (ت. 658هـ)، وقد وسمه بعنوان "اقتضاب من تاريخ المريدن"، وهو من المؤلفات التاريخية الأندلسية المفقودة⁽¹⁰³⁾.

37. "تاريخ الأندلس لابن فرحون" لمؤرخ أندلسي من أهل القرن السادس الهجري:

هو تاريخ لدولة الإسلام بالأندلس منذ فتحها في تقديرنا، فأقدم ما وصلنا من رواياته تعود إلى عصر الخلافة الأموية والحجابه العامرية، وكاتبه هو أحد المعاصرين لدولة الموحدين، إذ يدل سياق حديثه على أنه عاش بالأندلس على وجه اليقين، لأنه يتحدث عن وقائع تاريخية شهدتها شبه جزيرة إيبيريا في أواسط القرن السادس للهجرة على وجه التقريب، حيث أجرى ابن أبي زرع النقل عنه بمناسبة أول دخول للموحدين إلى الأندلس سنة 539هـ، حيث يقول: "وقال ابن فرحون: دخل الموحدون الأندلس في شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسماية، فنزلوا بجزيرة طريف، وكان الأمير عليهم الشيخ موسى بن سعيد، فدخل طريفا طوعاً من أهلها، ثم أرسل إليه أهل الجزيرة الخضراء، فدخلها عليهم يوم النحر، وهرب عنها المرابطون إلى إشبيلية"⁽¹⁰⁴⁾. كما ينقل عنه مجهول "ذكر بلاد الأندلس"، أخبار أولية تمكّن الحاجب المنصور بن أبي عامر من زمام الأمور بالأندلس⁽¹⁰⁵⁾.

38. "تاريخ ابن مطروح القيسي":

ألّف ابن مطروح كتابه في تاريخ الأندلس على ما يبدو، فقد نقل عنه مجهول "ذكر بلاد الأندلس" حديثاً نبوياً عن فضل الرباط بجزيرة الأندلس⁽¹⁰⁶⁾؛ والغالب على

الظن أنه جاء بهذا الحديث في سياق الدعوة التي رفعها الموحدون للجهاد بالأندلس منذ أول خلفائهم عبد المؤمن بن علي، والتي أضحت بعد ذلك أحد الثوابت السياسية والعسكرية للدولة الموحدية؛ ويتضح من النقول الكثيرة عنه في "روض القرطاس" أنه من أهل القرن السادس الهجري، وأنه أحد المؤرخين المعاصرين ليعقوب المنصور الموحي على وجه التقريب، فأخر النقول عنه تؤرخ لوفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة 580هـ/1184م، متأثراً بجراحه من غزوة شنتين⁽¹⁰⁷⁾.

39. "تاريخ يعقوب المنصور"، المسمى "تاريخ يوسف بن عمر"، لأبي الحجاج يوسف بن عمر الأموي الإشبيلي (توفي في صدر المائة السابعة للهجرة):

يعتبر من أبرز تواريخ الموحدين التي دونها أحد الأندلسيين، العاملين في خدمة الخليفة يعقوب المنصور (580-595هـ). وقد جعله مؤلف "مفاخر البربر" من بين المصادر التاريخية الأساسية لمن أراد الاطلاع على أخبار الدولة الموحدية⁽¹⁰⁸⁾. كما ينقل عنه ابن الأبار وابن سعيد وابن عذاري⁽¹⁰⁹⁾ وابن أبي زرع⁽¹¹⁰⁾.

وتتضمن المصادر التاريخية مزيداً من المعطيات عن هذا المؤرخ وعلاقته بخلافة الموحدين، فقد شغل منصب "صاحب الأشغال" في عهد الخليفة يعقوب المنصور، وكان تأليفه لسيرة هذا الخليفة سبباً في منجاته من العقاب الذي أنزله الخليفة الناصر الموحدي بجباة الدولة على إثر حملة لمحاسبة جميعهم كانت شديدة الوطأة على ولاية الجبايات المفسدين، وكان يوسف بن عمر على وشك الوقوع ضحية بعض التقصير في أداء مهامه، وهو ما جعله

ضمن من وقع استدعاؤهم إلى مراكش من قبل الأمر العالي قصد امتحانهم،

ومن أكثر الروايات أصالة من كتاب تاريخ المنصور، روايته بصفته شاهد عيان على معركة الأرك (9 شعبان من عام 591هـ): "قال يوسف بن عمر الكاتب في تاريخه: كان عدد القتلى في هذه الغزاة زهاء ثلاثين ألفاً عبرة للناظرين وآية للسائلين، قال: واستشهد من المسلمين نحو الخمس مائة، وأفلت أذفونش اللعين تحت حد السنان، واجتاز على طليطلة لا يعرج على مكان في نحو عشرين فارساً قد اتخذوا الليل جملاً، وإن رأوا غير شيء ظنوه رجلاً، واعتصم معظم الفلّ وكل من نجا من المعترك بحصن الأرك، فأحرق بهم المسلمون حتى أشرفوا على الهلاك، فصالح عليهم بيطره بن فراندس اللعين الموالي للمسلمين بفداء عددهم أسارى من المسلمين وإخراجهم من دار الحرب، وبلغ عدد حصراء الأرك المذكورين خمسة آلاف شخص بين صغير وكبير ذكراً وأنثى، فأسعف في ذلك المنصور إشفاقاً وحرصاً على استنقاذ أسرى المسلمين، وأخذت منهم رهائن وجه بهم إلى إشبيلية، ثم إلى رباط الفتح، وسرح الجميع منهم، فكانت أعظم مكاييد الكافرين وخدع المشركين"⁽¹¹¹⁾.

ونقل عنه خبر السيل العارم الذي خرب قسماً كبيراً من مدينة إشبيلية عام 597هـ: "وفيها [597هـ] كان السيل الشنيع بوادي إشبيلية، هلك فيه أمم لا يحصهم إلا الله، وذلك بجفن إشبيلية وبكل من كان بضفتي الوادي من قرطبة إلى جزيرة قادس. وقيل إن الذي ذهب من دور إشبيلية بهذا السيل ستة آلاف دار، وذكر التجار الواصلون من غرب الأندلس أنهم عثروا بالرمال الكبار على سبعمائة شخص من الغرق، قال ذلك يوسف بن

عمر في تاريخه، وقال الراوي إن هذا السيل بإشبيلية تقدمته سيول كثيرة حتى قال الشاعر:

لله حمص أيما بلدة
لو أننا نأمن ثعبانها
طاف لها والريح روح له
فابتلع الأرض وسكانها⁽¹¹²⁾.

وأجرى النقل عنه كذلك بمناسبة استدعائه إلى حضرة مراكش ومثوله أمام الخليفة محمد الناصر، وهي أحداث يرويها ابن عذاري على لسان المؤلف عن تجربة شخصية عاشها بنفسه وأوشك فيها على الهلاك لولا لطف الله به وبسبب تأليفه تاريخ المنصور: "ولما قضى الناصر لدين الله من الاستراحة لنصب الأسفار ما قضاه، وأمضى أثناء ذلك من الأوامر والأحكام ما أمضاه، شرع في الإشراف على الوجوه السلطانية والأشغال العملية، فقد أو محمد عبد العزيز بن عمر بن أبي يزد على إشراف البرين، وضمّ الأعمال وتفقد الأشغال، والنظر في وصول العمال إلى الحضرة بأعمالهم وكتابهم المقيدين لأشغالهم، فبادر من عين الوصول لما أمر به، ووصلوا مستعدين على ما جد به، فشرع في تصفح بعضها تصفحاً لم يقصد فيه إلى تحقيق، ولا سلك فيه نهج الطريق، ووصل في جملة من وصل من مشغلين الأندلس يوسف بن عمر الكاتب، المؤرخ لدولة المنصور رحمه الله، وكان بإشبيلية ينظر في بعض الأشغال المخزنية والسهام السلطانية، فأول ما صرف بأبي الحسن بن واجاج عن ولاية إشبيلية إلى ولاية مرسية، وأمر لمحمد بن عبد الله بالهبوط إلى إشبيلية، رجاء أن يكون أشد من أبي الحسن شكيمة في امتحان يوسف بن عمر الكاتب، وأشد نكاية في جانبه، وكان أول

من قلّد النظر في أعماله لم يزل متعطّشاً للإيقاع به، وحاشداً للأسباب التي يعلم أنها تقدر عند الخليفة في جانبه، فجعل يرتاد الأنبياء ممن يصل إلى الحضرة، من باغ يبغي شيئاً عليه من سفلة الأسواق أو خونة العمال الفارين بالحقوق المرتبة عليهم، أو المؤدبين على ما اقترفوه وجنوه تؤخذ منهم الأرقام، وتقبل منهم الأقوال، التي تجري مجرى الأحلام، وتشنع وتقام مقام اليقين، ومثى ذلك كله فوصل وذكر، ومما قال فيه من يغير به:

يا رابع الخلفاء أنت الأول
والكل منكم في الفضيلة أكمل
أمن السوية أن عدلك مشرق
والظلم عندي منه ليل أليل
ويد ابن عمرو أصبحت لعلية
ترمي وبيت المال بئس المعتل
وله أمور ليس يمكن شرحها
أنت الحسام لها وهذا المفصل

قال يوسف بن عمر المذكور عن نفسه: لما وصلت إلى موضع تقطين لقيني أحد ثقات الأمير بجملة من خيل ورجل وأحيط بي وبكل من كان معي من كل الجهات، ونيل جميع ما وصل من الأحمال للسلطان وقيد ما كان لي رجاء أن يكون فيها شيء ينكر عليّ من أسباب تدلّ على مصانعة أو مال أو غير ذلك، مما يخالف ما هو بسبيلي، وأخذ ما وجد لي وثقّف ما كان بيدي وما ركب عليه عيالي من أوعية وكتب وضروب وغير ذلك، ووصلت مترقباً بذلك كله إلى دار الإشراف، وبقيت محبوساً بها، ولما كان ثالث وصولي أحضر الشهود وفتحت الشدود، وكتبت الشهود ذلك كله مفسراً، وعرض على المقام الإمامي، فنظر بنور الله وما جبل عليه من العدل والامتنان، وطبيعة الفضل

والإحسان، فأمر بصرف ذلك كله علي وإسلامه لي، وذلك بسبب تأليفه الذي ألف في محاسن والده المنصور⁽¹¹³⁾.

40. كتاب "تاريخ الفتنة التي انقضت بها دولة المثلثين"، لأبي عمرو حمزة بن علي الغرناطي المؤرخ (من أهل القرن السادس للهجرة):

ذكره ابن سعيد المغربي في "المغرب"، رواية عن والده "أن له كتاباً في تاريخ الفتنة التي انقضت بها دولة المثلثين"⁽¹¹⁴⁾، وهو في أغلب الظن من المعاصرين للأحداث التي أرخ لها في كتابه هذا.

41. "كتاب المغرب في أخبار المغرب"، لأبي التقي طاهر بن عبد الرحمن الأرنؤولي (كان حيا بعد سنة 637هـ):

يعدّ من مصادر "مفاخر البربر"⁽¹¹⁵⁾، الذي يقدم عنه معظم ما ثبتته عنه من معطيات في هذه الدراسة، بيد أن عنوان الكتاب اختلف بين طبعتي مدريد والرباط للكتاب ذاته، وقد أجرى النقل عنه فيما يتعلق بأواخر خلفاء الموحدين بالمغرب. بيد أن النص المنشور بطبعة مدريد ليس من صلب الكتاب وإنما من ملاحق المخطوطة حسب اعتقادنا⁽¹¹⁶⁾. وعموماً، فإن جملة بيانات وقرائن تحصّلت لدينا تؤكد أنّ المؤلف من أصل أندلسي، حسب المصدر المنوّه به، وهو قوله: "ثم الأديب الفقيه، البارع المجيد، الأنبل، أبو التقي طاهر بن عبد الرحمن، فإنه أجاد في كتابه الذي سماه بـ "المغرب في أخبار المغرب"، ألفه لأمر بلده أبي جعفر بن عاصم، صاحب مدينة أريولة من شرق الأندلس، وصل به كتاب ابن علقمة في التاريخ، واقتصر طاهر بن عبد الرحمن على تاريخ الموحدين من عهد مهديهم إلى مدة رشيدهم، وذكر من ثار في مغربهم كابن هود وابن الأحمر وابن مردنيش وغيرهم، ممن ثار في زمانهم

إلى آخر مدة الرشيد"⁽¹¹⁷⁾؛ وقد أخبرني الأستاذ المحقق عبد العزيز السائوري - حفظه الله - أنّه اكتشف نسخة مخطوطة للكتاب في الوقت الذي كنت أحرر فيه هذه الدراسة، وأنه يعمل على تحقيقها بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد مفتاح⁽¹¹⁸⁾.

42. "ذيل على تاريخ ابن حيان" لمؤرخ الأندلس أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي (ت. 653هـ):

والكتاب - حسب قول ابن سعيد - وضع ذيلاً على كتاب "المقتبس من أنباء أهل الأندلس" لشيخ مؤرخها أبي مروان ابن حيان (ت. 469هـ) إلى غاية أيام المؤلف⁽¹¹⁹⁾. وقد نقل ابن خلكان عن البياسي روايات عن معركة الزلاقة الدائرة رحاها بين روم الأندلس من جهة وبين ملوك الطوائف مؤازرين بالمرابطين من جهة أخرى؛ ونصّها: "قال البياسي: بين المكانين أربعة فراسخ. وقال أيضاً إنّ يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الحرب أو الجزية ومن فصول كتابه: "وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك ﴿ومادعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (غافر: 50)". فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وأقسم أنه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه. ثم إنّ ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها فاخترار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولاً وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد

بعسكره بين أيديهم وتبعوه، يميل عليهم بعساكره وتتألف معه عساكر الأندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه، خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين واستحرّ القتل فيهم فلم يفلت منهم غير الأذفونش في دون الثلاثين من أصحابه، فلحق ببلده على أسوأ حال فغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ أيديهم خيراً".

كما جاء في سياق الرواية ذاتها قوله: "وقال البياسي: كان حلول العساكر الإسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة، فحكي أن موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أودم. وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين وأثر بها ملوك الأندلس وعرفهم أن مقصوده إنما كان الغزو لا النهب. فلما رأت ملوك الأندلس إيثاريوسف ابن تاشفين لهم بالمغانم، استكرموه وأحبوه وشكروا له. ثم إن يوسف بن تاشفين أزمع الرجوع إلى بلاده وكان عند قصده ملاقة الأذفونش تحرى المسير بالعراء من غير أن يمر بمدينة أو رستاق، حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش، وهناك اجتمع بعساكر الأندلس" (120).

ويمكن القول إن رواية البياسي لموقعة الزلاقة، كانت عمدة المؤرخين المشاركة في تاريخ دولة المرابطين وأعمالها بالأندلس، بالنظر إلى هلاك معظم ما دونه الأخباريون الأندلسيون بعد ابن حيان الذي لم يمتد به العمر لإدراك هذه الأحداث، مثل تلك التواريخ التي صنفها عدد من المعاصرين لها كابن علقمة والخزرجي وابن الصيرفي وأبي عامر السامي والقاضي عياض وابن حمادوه البرنسي.

43. "كتاب تذكير الغافل"، لأبي الحجاج البياسي السالف الذكر:

يسميه الحافظ الذهبي "تذكير الغافل"؛ بينما يسميه ابن خلكان "تذكير العاقل وتنبيه الغافل" (121)؛ وقد أجرى الذهبي النقل عنه، في ترجمة يوسف بن تاشفين (122)، وهو ما يدل يقينا على تضمين كتابه هذا لطائفة من أخبار المغرب الأقصى وسير أعلامه المشاهير. كما ينقل عنه ابن خلكان، بعض التفاصيل المتصلة بموقعة الزلاقة.

44. "كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق"، لأبي العباس أحمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي نزيل تونس والمتوفى بها سنة 692هـ/1293م: أخذ عنه الغبريني بالجامع الأعظم في بلده بجاية، وترجم له في "عنوان الدرية"، كما ذكر استفادة علماء بجاية وطلبة العلم بها منه، وتعرض لذكر تاريخه الموضوع في تراجم الرجال، وكيفية جمعه للمادة التاريخية التي ضمها إلى تأليفه، حيث يقول: "فظهر من كلامه ما دلّ على حفظه وإتقانه في نقله، وهو على طريقة جمهور المعبرين، له اعتناء بالرواية وبالبحث عن الأخبار ومعرفة الرجال، من أهل العصر ومن المتقدمين، وله تأليف وتصانيف، [...] وكان له اعتناء بأهل العصر، شرع في تأليف ذكر فيه المصنفين من أهل العصر من أهل المشرق والمغرب، وكتب إلى بلاد المشرق للتطلع على ذلك، وبذل في ذلك وسعه وجده، وبالع في جهده" (123). ومن نافلة القول إن أهل القلم بالأندلس كانوا يطلقون لفظ المغرب على عامة أقطار الغرب الإسلامي، على غرار كتاب "المغرب في محاسن المغرب" لليسع بن حزم الغافقي، و"المغرب عن بعض عجائب المغرب" لأبي حامد الغرناطي، و"المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد المغربي.

45. "اختصار تاريخ الشريف الغرناطي"، للفقهاء المؤرخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن عبد البر التنوخي، المتوفى بتونس سنة 737هـ/1337م:

ترجم له الزركشي في تاريخه، ونوّه بمكانته في علم التاريخ، كما ذكر تأليفه الضخم على طريقة الطبري في تاريخه الرسل والملوك، أي على طريقة الحوليات وترتيب الحوادث التاريخية على السنين، وهو قوله: "وفي التاسع والعشرين من جمادى الأخرى من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، توفي بتونس الفقيه المؤرخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن عبد البر التنوخي، كان إماماً بجامع الزيتونة، وخطيباً بجامع القصبه، عدلاً ذا سمت حسن، له عناية بالتاريخ والرواية، اختصر ذيل السمعاني، واقتضب تاريخ الغرناطي، وألف تاريخاً على طريقة الطبري مرتباً على السنين من سنة البعثة المحمدية إلى زمنه، أجاد فيه وتجزئته من ستة أسفار..."⁽¹²⁴⁾. ويمكن القول إنّ تاريخ أبي محمد بن عبد البر التنوخي الأندلسي المفقود كان بمثابة إحدى الموسوعات التاريخية الكبرى التي وضعها أهل الأندلس، والتي جمعت في تقديرنا أخبار ما يربو على سبعة قرون من التاريخ الإسلامي مرتبة على السنين، ومشملة على أخبار الدول القائمة بدار الإسلام مشرقاً ومغرباً.

46. "مختصر في ممالك المغرب الأقصى ومسالكتها"، لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت. 808هـ):

أثرنا ضمّ ابن خلدون لمؤرخي الأندلس في هذا المقام، لأصله الأندلسي الصريح، فهو سليل أسرة أندلسية من كورة إشبيلية، انتقلت إلى إفريقية عقب سقوط المدينة في قبضة الملك القشتالي فرناندو الثالث عام

643هـ/1245م، ويفتخر ابن خلدون بانتسابه إلى موطن أجداده، كما يذكر أنه تلقى عرضاً مغرباً من ملك قشتالة حين أوفده ابن الأحمر سفيراً إلى إشبيلية، حيث عرض عليه رد أملاك أسرته عليه بشرف إشبيلية وكانت عقارات وضياء كثيرة الغلة وواسعة، مقابل الإقامة بها، فلم يجب الملك النصراني إلى بغيته، والتي كان يروم من خلالها ضمّه إلى حاشيته ورجال بلاطه وأهل مشورته، ولعله كان الغرض نفسه الذي طمحت إليه همة الإمبراطور المغولي تيمورلنك، حين أمر بجلب ابن خلدون من دمشق إلى معسكره بظاهرها، وطلب منه أن يصنّف له هذا التاريخ المفقود، الذي هو في واقع الأمر ضرب من التصنيف الجغرافي التاريخي الذي يجمع إلى وصف البلدان، وذكر ممالكها وحواضرها، وقدر جبايتها وخيراتها، نبذا من تاريخها وسير ملوكها، ألفه للإمبراطور المغولي، حسب إفادة المؤلف نفسه في سيرته الذاتية "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً". ولم نقف فيما رجعنا إليه من تأليف معاصرة ولا حقة لابن خلدون على نقول من الكتاب، ويرجح أنه ظل نسخة فريدة في خزائن الملك التتري إلى أجل غير معلوم؛ فموضوع الكتاب والظروف التي أحاطت بتأليفه جعلته من خصوصيات الشخص الذي دعا ابن خلدون إلى تصنيفه، فهو يذكر أنّ المختصر قد وضعه بناء على أمر من تيمورلنك مباشرة إليه، عبر وسيط وحيد هو ترجمانه الخاص عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم، وعبارة ابن خلدون في هذا السياق تنبئ عن حاجة تيمورلنك الملحة إلى معرفة تفاصيل دقيقة عن بلاد المغرب، يقول ابن خلدون في هذا الصدد، ما نصه: "فقال لي: وأين لديك؟ فقلت: بالمغرب الجوّاني كاتب للملك الأعظم هناك. فقال: وما معنى

الاقتصادية مثل فاس كرسى المملكة المرينية وقتئذ،
وسجلماصة بوابة الذهب الإفريقي.

خاتمة:

صفوة القول، إن الشذرات المتبقية من تواريخ أهل
الأندلس المفقودة، تختزن معطيات على قدر كبير من
الأهمية، عن تاريخ دول الغرب الإسلامي وجغرافيته
وعمرانه وأجناسه، وعلمائه وأدبائه وفقهائه، وهو ما
يتطلب أخذها بعين الاعتبار في أية دراسة إسـطـوـغـرـافـية
مستقبلية، تتوخى تأصيل نشأة الكتابة التاريخية بالجنـاح
الغربي لدار الإسلام، من خلال الكشف عن بداياتها
ومدارسها وإشكالاتها، وتقصي آثار تدل على مكانها في
كتب المتأخرين، في أفق إعادة جمعها ومحاولة تركيب ما
تبقي منها، بوصفها لبنة أساسية ضمن المصادر التاريخية
التي ينبغي التعويل عليها في التأريـخ لبلاد الغرب الإسلامي.

الجواني في وصف المغرب؟ فقلت: هو في عرف خطابهم
معناه الداخلي، أي الأبعد، لأن المغرب كله على ساحل
البحر الشامي من جنوبه، فالأقرب إلى هنا برقة وإفريقية،
والمغرب الأوسط: تلمسان وبلاد زناتة؛ والأقصى: فاس
ومراكش، وهو معنى الجواني. فقال لي: وأين مكان طنجة
من ذلك المغرب؟ فقلت: في الزاوية التي بين البحر المحيط،
والخليج المسمى بالزقاق، وهو خليج البحر الشامي، فقال:
وسبته؟ فقلت: على مسافة من طنجة على ساحل الزقاق،
ومنها التعدية إلى الأندلس، لقرب مسافته، لأنها هناك نحو
العشرين ميلا. فقال: وفاس؟ فقلت: ليست على البحر،
وهي في وسط التلّول، وكرسي ملوك المغرب من بني مرين.
فقال: وسجلماصة؟ قلت: في الحدّ ما بين الأرياف والرمال
من جهة الجنوب. فقال: لا يُقنعني هذا، وأُحِبُّ أن تكتب
لي بلاد المغرب كلها، أقاصمها وأدانمها وجبالها وأنهاره وقراه
وأمصاره، حتى كأني أشاهده. فقلت: يحصل ذلك
بسعادتك، وكتبْتُ له بعد انصرافي من المجلس لما طلب
من ذلك، وأوعبْتُ الغرض فيه في مختصر وجيز يكون قدر
اثني عشرة من الكرايس المنصّفة القطع⁽¹²⁵⁾.

ولا نتوقع أن يحتوي الكتاب على روايات تتسع لما
ذكره المؤلف في "كتاب العبر" عن بلاد المغرب، بل على
العكس من ذلك، فمن المحتمل أنه اختزل أخبار تاريخه
وأوصاف ممالكه ومسالكه، في قالب جديد كان الغرض
منه تلبية فضول الملك التتري، ومن المتوقع كذلك أن
تيمورلنك كان بطلبه تأليف الكتاب إنما يودّ استطلاع
أخبار الممالك المغربية ومعرفة مسالك البلاد وحواضرها
الكبرى، في أفق غزوها، ويدلّ على هذا التخمين كون
تيمورلنك قد سأله عن حواضر المغرب المعروفة بأهميتها

- (1) - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني،
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين
بن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1997:
222/1.
- (2) - أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح
بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية
الأندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966: 338.
- (3) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية
والنهاية، تحقيق علي شيري، ط. 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي،
1408هـ-1988م، ج 12؛ وطبعة أخرى حديثة، تحقيق عبد الله بن
عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، 1419هـ/1998م: 626/12-627.
- (4) - ترجمة الغزال في المطرب: 133؛ والجذوة: 351؛ أبو جعفر أحمد
بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال
أهل الأندلس، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1967: رقم: 1467؛
والمغرب: 57/2؛ وأورد ابن دحية خبر رحلة له إلى بلاد المجوس، وقد
شك فيها بروفنسال وذهب إلى أنها كانت إلى القسطنطينية، راجع
تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة ص: 111-127.
- (5) - نفح الطيب: 254/2-255.
- (6) - نفح الطيب: 182/3.
- (7) - خالد بن عبد الكريم البكر، "الأراجيز التاريخية الأندلسية:
دراسة وتقييم"، ضمن الكتاب التذكاري: بحوث مهداة إلى الدكتور
عبد الله بن فهد الفهيد، منشورات جامعة الملك سعود، عمادة
البحث العلمي، مركز بحوث كلية الآداب، 1430هـ، رقم: 142: 62-64.
- (8) - جذوة المقتبس: 374-375.
- (9) - خالد بن علي النجعي، "ابن الشبانسي مؤرخ أسرة الأمويين
بالأندلس (كان حيا سنة 341هـ/952م): دراسة في نصوص مؤلفاته
الباقية"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، العدد
الثالث، يناير 2023: 1255.
- (10) - أورد الحميدي في ترجمة إدريس بن اليمان الشبيني أن اسمه
اشتق من الشبانس لغلبة هذه الشجرة على موطنه الأصلي يابسة؛
وهو قوله: إدريس بن اليمان أبو علي، شاعر جليل عالم، ينتجع
الملوك فينفق عليهم، ذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده
فقال: اليابسي، وينسبه آخرون، فيقولون: الشبيني بالباء المعجمة
لأن الغالب على بلده شجرة الشبين وهي شجرة الصنوبر؛ أبو عبد
الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي
الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة: الدار
المصرية للتأليف والنشر، 1966: 170.
- (11) - أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان القرطبي، المقتبس من
أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، منشورات المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة:
مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، 1415هـ/1994م: 262، التعليق
رقم: 93.
- (12) - المقتبس، قطعة الأمير عبد الرحمن الأوسط: 183-184.
- (13) - المقتبس: 223.
- (14) - خالد بن علي النجعي، "ابن الشبانسي مؤرخ أسرة الأمويين
بالأندلس (كان حيا سنة 341هـ/952م): دراسة في نصوص مؤلفاته
الباقية"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، العدد
الثالث، يناير 2023: 1255.
- (15) - ابن حيان، المقتبس - قطعة عبد الرحمن الأوسط: 349/349.
- (16) - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: 454؛ انظر ترجمته في: ابن
الفرضي، رقم الترجمة: 236؛ الحميدي، رقم: 309؛ المقرئ، نفح:
166/4.
- (17) - ابن حيان، المقتبس - قطعة عبد الرحمن الأوسط: 349/349:
جذوة المقتبس: 159.
- (18) - نفح الطيب: 174/3.

- (19) - د.عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004: 17.
- (20) - جذوة المقتبس: 97.
- (21) - أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدى المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة: الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ/1988م: 54-55.
- (22) - أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدى الميورقي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكرؤلاة الأندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966م: 104.
- (23) - جذوة المقتبس: 97.
- (24) - رسالة فضل الأندلس، واردة في: نفح الطيب: 174/3.
- (25) - لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلماني اللوشي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق د. يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003: 133/2.
- (26) - جذوة المقتبس: 97؛ نفح الطيب: 174/3.
- (27) - الضبي، بغية الملتبس: 151.
- (28) - المقتبس، قطعة الأمير عبد الرحمن الأوسط: 163-164.
- (29) - المقتبس: 165.
- (30) - نفح الطيب: 173/3.
- (31) - لميس ليث مهدي، "دور أحمد بن محمد بن موسى الرازي في التدوين والكتابة التاريخية في الأندلس"، بحث منشور في مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة واسط، المجلد 3 العدد 30 الجزء الثاني 2018: 176-177.
- (32) - الضبي، بغية الملتبس: ترجمة رقم: 1070؛ ابن الأبار، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق فرانسيسكو كوديرا، مدريد: مطبعة روخس، 1887م، ترجمة رقم: 1270؛ بونس بويجس: 124؛ قطعة من كتاب ابن غالب، محمد بن أيوب الأندلسي، نص أندلسي جديد: قطعة من فرحة الأنفس، لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق د.لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، مطبعة مصر، 1955: 296.
- (33) - نفح الطيب: 131-133.
- (34) - نفح الطيب: 163/3.
- (35) - جذوة المقتبس: 90.
- (36) - أبو بكر بن علي البيذق الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971: 14.
- (37) - المقتبس: 158-159.
- (38) - الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط. 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م: 174/8.
- (39) - الذيل والتكملة: 142/5؛ محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: 1404هـ - 1983م: 25/1.
- (40) - أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق كولان وبروفنسال، والجزء الرابع، تحقيق د. إحسان عباس، ط. 3، بيروت: دار الثقافة، 1983: 201/1.
- (41) - تاريخ علماء الأندلس: 91-92.
- (42) - نفح الطيب: 142/2.
- (43) - الذيل والتكملة: 491/5.
- (44) - الحلة السيرة: 138/1.
- (45) - ابن حيان، المقتبس: 254/تعليق (59).
- (46) - المقتبس: 177-180.
- (47) - المقتبس: 158.
- (48) - مؤلف أندلسي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكاروعبد القادر زمامة، ط. 1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1399-1979: 66، 83.
- (49) - الحلل الموشية: 100.

- (65) - أبو العباس حمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الطبعة الثالثة، بيروت: 1401هـ-1981م: 100/3؛ مفاخر البربر: 144.
- (66) - نفح الطيب: 323/3.
- (67) - نفح الطيب: 106-105/2.
- (68) - أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا — تونس: الدار العربية للكتاب، 1981: 125.
- (69) - مفاخر البربر: 144.
- (70) - العبر: 222/6.
- (71) - العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر: الجزء الثاني، تحقيق عمر دسوقي وعلي عبد العظيم، القاهرة: دار نهضة مصر، 1969م: 1803-1802/2.
- (72) - خريدة القصر: 1803-1802/2.
- (73) - الإحاطة في أخبار غرناطة: 298/1.
- (74) - خريدة القصر: 1728/2.
- * أخبرني الأستاذ الدكتور حماد الله ولد السالم، الأستاذ الجامعي بنواكشوط ورئيس الجمعية التاريخية الموريتانية، في رسالة إلكترونية حديثة، أنه عثر على مخطوطة لكتاب "الأنوار الجليلة في أخبار الدولة المرابطية": بيد أن زلة لسان منه في إحدى محاضراته بمركز الدراسات التاريخية في بنغازي بليبيا، أمام أحد المقربين من الرئيس السابق معمر القذافي، جعلت المخطوطة تسقط في يد المسؤول الليبي، فكان آخر العهد بها، وبالتالي ضاعت فرصة ثمينة لنشر الكتاب ومعرفة ما يحفل به من تفاصيل عن أصول المرابطين وأخبارهم بالمغرب والأندلس.
- (75) - ابن الخطيب، أعمال الأعلام: 189.
- (76) - الإحاطة: 357-348/4.
- (77) - مؤلف مجهول، مفاخر البربر: 152.
- (78) - البيان المغرب: 77-76/4.
- (79) - البيان المغرب: 78/4.
- (80) - الإحاطة: 350-349/4.
- (50) - الحلل الموشية: 111-110.
- (51) - الحلة السيرة: 10/2، 312.
- (52) - محمد بن علي بن محمد ابن الشباط، المصري التوزري، وصف الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدرسد، مج. XIV، 1967-1968: 136.
- (53) - المعجب: 490، 520.
- (54) - المعجب: 520.
- (55) - د. عبد الواحد ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، الطبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004: 158-125.
- (56) - الحلة السيرة: 10/2، 312؛ وصف الأندلس: 136؛ دراسات في التاريخ الأندلسي: 158-125.
- (57) - روض القرطاس: 117، 145.
- (58) - المعجب في تلخيص أخبار المغرب: 490.
- (59) - عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، مرجع سابق: 35.
- (60) - أبو الحسن علي بن بسام الشنتريفي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط. 2، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1399هـ-1979م: 336/1.
- (61) - مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس: 54/1.
- (62) - د. عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، الطبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004: 35.
- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: 55-54.
- (63) - الوزير محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691)، تحرير وتقديم نوري الجراح، ط. 1، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع — بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002: 140-139.
- (64) - مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل أسين، مدريد، 1983: 62/1.

- (98) - صلة الصلة: 307/5.
- (81) - البيان المغرب: 49/4-50.
- (99) - الذيل والتكملة: 32/5.
- (82) - نفسه: 50/4.
- (100) - عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987: 91-92.
- (83) - البيان المغرب: 60/4.
- (101) - الحلة السيرة: 207/2-208.
- (84) - المطرب من أشعار أهل المغرب: 77.
- (102) - الإحاطة: 122/2.
- (85) - الحلة السيرة، 82/2.
- (86) - البيان المغرب: 32/2.
- (87) - نفح الطيب: 126/1.
- (88) - نفح الطيب: 286/4.
- (89) - نفح الطيب: 181/3.
- (90) - نفح الطيب: 181/3.
- (91) - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، كتاب صلة الصلة، القسم الخامس، تحقيق د. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، 1416هـ - 1995م: 306-307؛ ولعل اسم عون الله محض تصحيف عبد الله، حسب ما جاء في ترجمة والد المؤلف؛ الذيل والتكملة: س. 5، ق. 1: 493.
- (92) - نفح الطيب: 379/2.
- (93) - إسماعيل ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972: 35.
- (94) - تعددت المحاولات الفاطمية الهادفة إلى السيطرة على مصر، غير أن مسألة ضم أرض الكنانة إلى خلافة العبيديين حسمت حسماً نهائياً على يد قائدهم جوهر في شعبان سنة 358هـ/969م، ثم أقيمت عقب ذلك أول خطبة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي بالجامع العتيق، في شوال من السنة المؤرخة؛ راجع في هذا الصدد: الكامل في التاريخ: 309/7؛ البيان المغرب: 228/1؛ تاريخ ابن خلدون: 61/4؛ اتعاط الحنفا: 173/1؛ في التاريخ العباسي والفاطمي: 247-250.
- (95) - تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: 292.
- (96) - قمنا بإعادة جمع كتاب "المغرب في محاسن المغرب" وتوثيقه، ونشر في دار الأمان بالرباط عام 2015.
- (97) - سير أعلام النبلاء: 241/20.
- (103) - أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، بغية المستطرف وغنية المستطرف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، أو رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية (مقدمة التحقيق)، جمعه أبو عبد الله محمد بن هاني اللخي السبتي، تحقيق محمد بن معمر، بيروت: دار الكتب العلمية، 2014: 11-12.
- (104) - روض القرطاس: 242-243.
- (105) - مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل أسين، مدريد، 1983: 176/1.
- (106) - مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل أسين، مدريد، 1983: 18/1.
- (107) - روض القرطاس: 283.
- (108) - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، الطبعة الأولى، الرباط: دار أبي رقراق، 2004: 207.
- (109) - البيان المغرب: قسم الموحدين: 220، 239، 252.
- (110) - المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب: 64/1.
- (111) - البيان المغرب، قسم الموحدين: 220.
- (112) - نفسه: 239.
- (113) - نفسه: 251-252.
- (114) - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب (10)، ط. 4، القاهرة: دار المعارف، 1995: 118/2.
- (115) - نفسه: 197، 207.

- (116) - ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي: كتاب الأنساب لابن عبد الحليم، كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول، وكتاب شواهد الجلة لأبي بكر ابن العربي، تحقيق محمد يعلى، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد: 1996: 352.
- (117) - مفاخر البربر: 197.
- (118) - الأستاذ العلامة محمد مفتاح الخمسي وافته المنية رحمه الله تعالى بعد شروعه في تحقيق هذا المخطوط بمدة يسيرة، في شتنبر عام 2019،
- (119) - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب (10)، ط. 4، القاهرة: دار المعارف، 1995: 73/2.
- (120) - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د. ت: 238-244.
- (121) - وفيات الأعيان: 117/7.
- (122) - الذهبي، تاريخ الإسلام: 836-837/10.
- (123) - أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979: 347.
- (124) - الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس: المكتبة العتيقة، د. ت: 74.
- (125) - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون (1352-1401)، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، تحرير نوري الجراح، أبو ظبي: دار السويدي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003: 404-405.

أولاً: المصادر العربية

1. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيرة، تحقيق د. حسين مؤنس، ط. 2، سلسلة ذخائر العرب (رقم: 58)، القاهرة: دار المعارف، 1985.
2. ابن الأبار، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق فرانثيسكو كوديرا، مدريد: مطبعة روخس، 1887م، 2 مج.
3. ابن أبي أصيبعة، أبو العباس حمد بن القاسم السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الطبعة الثالثة، بيروت: 1401هـ- 1981م، 3 ج.
4. ابن الأحمر، إسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972.
5. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، 1415هـ/1994م.
6. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون (1352-1401)، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، تحرير نوري الجراح، أبو ظبي: دار السويدي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.
7. الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط. 2، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1399هـ- 1979م، 8 مج.
8. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني اللوشي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق د. يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2003م، 4 مج.
9. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ت، 8 مج.
10. ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي، كتاب صلة الصلة، القسم الخامس، تحقيق د. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية، 1416هـ- 1995م.
11. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب (10)، ط. 4، القاهرة: دار المعارف، 1995، 2 ج.
12. ابن الشباط، محمد بن علي بن محمد المصري التوزري، وصف الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمadrid، مج. XIV، 1967- 1968.
13. ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، المن بالإمامة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د. عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987.
14. ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق كولان وبروفنسال، والجزء الرابع، تحقيق د. إحسان عباس، ط. 3، بيروت: دار الثقافة، 1983.
15. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزد، تاريخ علماء الأندلس،

- معروف، ط. 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م.
22. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس: المكتبة العتيقة، د. ت.
23. الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1967.
24. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر: الجزء الثاني، تحقيق عمر دسوقي وعلي عبد العظيم، القاهرة: دار نهضة مصر، 1969م.
25. ابن غالب، محمد بن أيوب الأندلسي، نص أندلسي جديد: قطعة من فرحة الأنفس، لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق د. لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، مطبعة مصر، 1955، ص. 272-310.
26. الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979.
27. الغساني، الوزير محمد الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691)، تحرير وتقديم نوري الجراح، ط. 1، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع — بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002.
28. مؤلف أندلسي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط. 1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة: الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ/1988م.
16. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط. 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ-1988م، ج 12؛ وطبعة أخرى حديثة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، 1419هـ/1998م.
17. البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971.
18. التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا — تونس: الدار العربية للكتاب، 1981.
19. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميوري، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، 1966.
20. ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي: كتاب الأنساب لابن عبد الحليم، كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول، وكتاب شواهد الجلة لأبي بكر ابن العربي، تحقيق محمد يعلى، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد: 1996.
21. الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد

35. مؤنس، د.حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط. 2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، 1986.

36. المنوني، محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: 1404هـ - 1983م، الجزء الأول.

37. مهدي، لميس ليث، "دور أحمد بن محمد بن موسى الرازي في التدوين والكتابة التاريخية في الأندلس"، بحث منشور في مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة واسط، المجلد 3 العدد 30 الجزء الثاني 2018، ص ص. 172-185.

38. النجفي، خالد بن علي، "ابن الشبانسي مؤرخ أسرة الأمويين بالأندلس (كان حيا سنة 341هـ/952م): دراسة في نصوص مؤلفاته الباقية"، بحث منشور في مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، العدد الثالث، يناير 2023.

ثالثا: المراجع الأجنبية

39. W. Allen, The Poet and the Spay – Wife, London, 1960.

1399-1979؛ وللإشارة، فقد أثبت الدكتور محمد مفتاح نسبة الكتاب إلى ابن سمالك العاملي (عاش خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري).

29. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل أسين، مدريد، 1983، ج2.

30. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادربوباية، الطبعة الأولى، الرباط: دار أبي رقراق، 2004.

31. المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1997، 8 مج.

ثانيا: المراجع العربية والمعرية

32. البكر، خالد بن عبد الكريم، "الأراجيز التاريخية الأندلسية: دراسة وتقييم"، ضمن الكتاب التذكاري: بحوث مهداة إلى الدكتور عبد الله بن فهد الفهيد، منشورات جامعة الملك سعود، عمادة البحث العلمي، مركز بحوث كلية الآداب، 1430هـ، رقم: 142.

33. ذنون طه، د.عبد الواحد، دراسات في التاريخ الأندلسي، الطبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004.

34. ذنون طه، د.عبد الواحد، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، الطبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004.

المفاوضات والمعاهدات بين الأيوبيين – خلفاء صلاح الدين- والصليبيين

الأستاذ الدكتور غسان محمود وشاح

رئيس مجلس إدارة جامعة الأمة بغزة

رئيس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية بغزة

دولة فلسطين

ملخص:

الخلافة العباسية للإصلاح بينهما لاستطاع لويس عبر المفاوضات انتزاع ما لم يستطع انتزاعه بالحرب.

Abstract:

The Ayyubid-Crusader conflict did not end with the death of Nasser Salah al-Din, But continued with his successors after him from the kings of the family to Ayyubia, but his successors were not like him, the Islamic negotiating performance has witnessed a significant decline in their era, the negotiations of the just was closer to the policy of keeping the situation as it is, The achievements of the previous Islamic leaders were lost, and in the reign of Saleh Najmuddin Ayoub, the Islamic negotiating performance restored its original objectives to the interests of the nation. Most of Turan Shah negotiated with Louis IX at the top of his victory, especially after Louis IX was captured. Muslims, after being raped The Toran was a lamb at the hands of the Mamluks. A division took place between Egypt and al-Sham. Egypt was subjected to Mamluk rule, and Syria was ruled by the Ayyubid princes who ruled

لم ينتهِ الصراع الأيوبي-الصليبي بوفاة الناصر صلاح الدين، بل استمر مع خلفائه من بعده من ملوك الأسرة الأيوبية، إلا أن خلفائه لم يكونوا على نفس المستوى، فقد شهد الأداء التفاوضي الإسلامي تراجعاً كبيراً في عهدهم، فمفاوضات العادل كانت أقرب إلى سياسة إبقاء الوضع على ما هو عليه، أما مفاوضات الملك الكامل فقد شهدت تنازلات عميقة أضاعت ما أنجزته القيادات الإسلامية السابقة، وفي عهد الصالح نجم الدين أيوب استعاد الأداء التفاوضي الإسلامي أهدافه الأصلية لتحقيق مصالح الأمة، وأما المعظم توران شاه فقد فاض لويس التاسع وهو في قمة انتصاره عليه خاصة بعد أن وقع لويس التاسع في الأسر، فكانت هذه المفاوضات في صالح الدولة الأيوبية، وبعد اغتيال توران شاه على يد المماليك، حدث انقسام بين مصر والشام، حيث خضعت مصر للسلطة المملوكية، وخضعت الشام لحكم الأمراء الأيوبيين الذين التفوا حول الناصر يوسف، وحدثت صراعات بين مماليك مصر وأيوبي الشام، استفاد لويس التاسع منها، فدخل في مفاوضات مع كلا الطرفين كلاً على حدة واستطاع انتزاع تنازلات منهما ولولا تدخل مؤسسة

- 2- قياس مستوى أداء الأيوبيين بعد صلاح الدين في ساحات التفاوض وعقد المعاهدات.
- 3- تحليل بنود بعض المعاهدات وتفسير موافقة الطرف الإسلامي عليها.
- 4- قياس مدى تأثير القوة العسكرية في الميدان وتماسك الجبهة الداخلية على المفاوضات وبنودها.
- 5- تسليط الضوء على استراتيجية الأيوبيين والصليبيين في المفاوضات في مرحلة الدراسة.

منهج الدراسة:

- استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي النقدي.

المبحث الأول/ المفاوضات بين الأيوبيين والصليبيين:

أولاً: المفاوضات الأيوبية الصليبية في عهد العادل:

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي⁽¹⁾ سنة 589هـ/1193م دب الصراع بين ورثة حكمه، وحُسم الصراع في النهاية لصالح أخيه الملك العادل⁽²⁾، وقد أثر العادل الهدوء والسلام مع الصليبيين، وذلك بسبب الرواسب والتوترات التي كانت بين القادة الأيوبيين بعد حسم العادل الصراع لصالحه،⁽³⁾ ولقد اعتمد العادل سياسة المفاوضات مع الصليبيين والتي نتج عنها عدد من المعاهدات:

1. معاهدة صلح 589هـ/1198م بين العادل وصليبي عكا:

اندلعت الكثير من المعارك بين الطرفين الإسلامي والصليبي في السنوات الأولى عهد العادل، تكبد خلالها الطرفان خسائر ليست بالهينة، في الوقت الذي لم يستطع أي منهما حسم الحرب لصالحه،⁽⁴⁾ فأصبح كلاهما يتوق إلى إبرام معاهدة صلح للتمكن من التقاط الأنفاس وإراحة

around Nasser Yusuf. There were conflicts between the Mamelukes of Egypt and Ayyubid in al-Sham. Separately and was able to extract concessions from them and without intervention of the Abbasid caliphate for reform between them, Lewis was able through the negotiations to grab what he could not win the war.

مقدمة:

شهد الصراع الإسلامي-الصليبي بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي توجهاً كبيراً نحو السلام، وكان للمفاوضات دور كبير في هذا التوجه، وقد بلغت أقصاها في عهد الكامل الأيوبي وعقده معاهدة يافا مع الامبراطور الألماني فردريك الثاني وتنازله عن بيت المقدس للصليبيين، وكان التوجه الأيوبي للسلام ينبع من عدم الاستقرار السياسي التي عاشته الدولة الأيوبية، وكان الأيوبيون يلجؤون للحرب عند تجيش الصليبيين للعدوان على المسلمين وبعد انقطاع الأمل في التوصل لمعاهدة مع الصليبيين، فلقد كان خيار المواجهة مع المحتل الصليبي هو آخر الخيارات، بل تستطيع أن تزعم أن معظم المواجهات التي حدثت مع الصليبيين في عهد خلفاء صلاح الدين كانت قد فرضت على الأيوبيين فلم يكن خيار المواجهة حاضراً عندهم، ونستطيع القول أن عهد الصالح نجم الدين أيوب كان أفضل عهود بني أيوب بعد موت صلاح الدين، وذلك لما تميز به من: حسن سيرة وأخلاق؛ وحب للجهاد؛ واتباعه أساليب إدارية سليمة في قيادة الدولة؛ واعداد الجيش؛ وإجراء المفاوضات مع أعدائه.

أهمية الدراسة:

1- قلة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت الموضوع على الرغم من أهميته.

المقاتلين ولتحقيق شيء من الاستقرار النسبي في المنطقة،⁽⁵⁾ فعقدت مفاوضات بين الطرفين في سنة 594هـ/1198م، أبرم الملك العادل على إثرها معاهدة صلح مع مملكة عكا⁽⁶⁾ مدتها ثلاث سنوات، وكان الصليبيون قد استولوا على بيروت⁽⁷⁾ وجبيل⁽⁸⁾ فبقيت بأيديهم، واحتفظ العادل بيافا⁽⁹⁾ التي انتزعها من الصليبيين، أما صيدا⁽¹⁰⁾ فاتفقوا على مناصفتها،⁽¹¹⁾ وكانت ظروف العادل وصراعات البيت الأيوبي الداخلية تملئ عليه أن يقبل بهذا الصلح.⁽¹²⁾

2. معاهدة صلح 600هـ/1203م بين صاحب حماة والصليبيين:

في سنة 599هـ/1202م هاجم صليبيو طرابلس⁽¹³⁾ وحصن الأكراد⁽¹⁴⁾ حماة⁽¹⁵⁾، فدافع عنها صاحبها الملك المنصور⁽¹⁶⁾، واستنجد بالملك العادل الذي كتب إلى صاحبي بعلبك⁽¹⁷⁾ وحمص⁽¹⁸⁾ لينجده، ووقعت معركة بين الطرفين في بعين⁽¹⁹⁾، وكان النصر فيها حليفا للمسلمين، وتطورت الأحداث بينهما أكثر، ثم لجأ الطرفان للمفاوضات، واستشار الملك المنصور قائده الملك العادل حل عقد صلح معهم، فأخبره العادل أنه يملك تقارير تؤكد ضعف الصليبيين، وترك للمنصور الحرية في مهادنتهم أو محاربتهم،⁽²⁰⁾ وفي سنة 600هـ/1203م انتهت المفاوضات بعقد الملك المنصور هدنة مع الفرنج على الصلح.⁽²¹⁾

ويتضح من مفاوضات الملك المنصور مع الصليبيين مدى الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها أمراء المدن والمناطق الأيوبية، فقد كان للأمراء صلاحية عقد المفاوضات وإبرام المعاهدات، بينما تكون سلطة الملك

العادل عليهم في التوجيه والنصح وإبداء التوصيات، ويعود ذلك إلى حالة الانقسام والتشتت التي كان يعاني منها البيت الأيوبي منذ وفاة السلطان الناصر صلاح الدين، فعندما يضعف الرأس تبدأ الأطراف بالخروج عن السياق.

3. معاهدة صلح 601هـ/1204م بين العادل وصليبي عكا:

في سنة (601هـ/1204م) توترت العلاقات بين الطرفين بسبب مهاجمة الأسطول الإسلامي سفينتين صليبيتين من سفن قبرص بالقرب من صيدا، فأدى ذلك إلى نقض المسلمين لمعاهدة 594هـ/1198م، فتجددت الاشتباكات بين الطرفين،⁽²²⁾ حيث طالب الملك الصليبي عموري⁽²³⁾ الملك العادل بالتدخل لوقف هذه الهجمات فلم يجبه، فهاجم الصليبيون سفن المسلمين، واقتادوها إلى عكا، ثم هاجموا مدينة رشيد⁽²⁴⁾ المصرية ونهبوها، ثم خشي عموري من ردة الفعل الإسلامية خصوصا وقد انحرفت الحملة الصليبية الرابعة⁽²⁵⁾ إلى القسطنطينية ولم تتوجه إلى الشام، فأسرع عموري إلى طلب الصلح، واشترط الصليبيون أن تكون يافا لهم، واستنزلوا العادل عن مناصفات اللد⁽²⁶⁾ والرملة⁽²⁷⁾ وصيدا وغير ذلك من المناطق، فأجابهم إلى ذلك وعقد الهدنة، بينهم وبينه،⁽²⁸⁾ ويرى أبو محسن أن المعاهدات التي عقدها العادل، كانت نتيجة تخطيط جيد منه، لمواجهة فئات من الصليبيين دون أخرى، فيسهل عليه التعامل معها⁽²⁹⁾.

وقد أرسل البابا أنوسنت الثالث⁽³⁰⁾ رسائل إلى الملك العادل يحثه على قبول الهدنة، وذلك بسبب توجه الحملة الصليبية الرابعة (601هـ/1204م) إلى القسطنطينية⁽³¹⁾ بدلا من القدس، ونبيه إلى احتمال

تقوية صليبي الشام بمؤازرة كيان لاتيني يحكم القسطنطينية. وكانت فحوى رسائله أن صلاح الدين انتزع بيت المقدس ليس لقوته، بل لارتكاب الصليبيين الذنوب، وكان البابا يطلب معلومات من صليبي الشام عن أوضاع المسلمين من حولهم ليتمكن من التفاوض معهم من منطلق معرفة الواقع.⁽³²⁾

ويبدو أن هجوم الأسطول الصليبي على السفينتين القبرصيتين كان اجتهدا من قادة الأسطول، وليس بقرار من العادل الأيوبي، لأنه عُرف عن العادل ميله للسلم والهدنة أكثر من ميله للحرب والتصعيد مع الصليبيين، وذلك بسبب الظروف التي كانت تعاني منها دولته، ويتضح أيضا أن حجم التنازلات التي قدمها العادل الأيوبي في مفاوضات معاهدة صلح 601هـ/1204م كان لخشيته من قدوم حملات أخرى نظير الحملة الصليبية الرابعة، فتقلب موازين القوى وتغير معادلات الصراع الإسلامي-الصليبي.

4. معاهدة صلح 603هـ/1207م بين العادل وصليبي طرابلس وأنطاكية:

وفي سنة 603هـ/1207م أبرم الملك العادل صلحا مع بوهمند الرابع⁽³³⁾، وكان العادل قد حاصرها وضيق عليها بسبب اعتداءاتهم على مدن الشام، فطلب بوهمند الصلح، وأرسل له أموالا وهدايا وأسرى مسلمين كانوا في قبضته، فقبل العادل بالصلح بسبب فتور عساكره،⁽³⁴⁾ وقد ذكر حامد أبو السعيد عن بعض المؤرخين أن مفاوضاتهم هذه لم تنته بصلح.⁽³⁵⁾

وفي الفترة 603-607هـ/1207-1210م حدثت مناوشات بين القوات الإسلامية والصليبية، ومن ثم

ترددت الرسل بين الطرفين، حيث تقرر عقد هدنة بينهما إلى مدة معلومة،⁽³⁶⁾ حيث كانت لغة المفاوضات في هذه المناوشات هي الأساس في تعامل العادل مع الصليبيين.⁽³⁷⁾ وقد دافع ابن واصل عن العادل في مصالحته للصليبيين، وإقامته علاقات دبلوماسية معهم، وبرر ذلك من أجل مصلحة المسلمين، ويتضح ذلك من رده على الملك المنصور محمد⁽³⁸⁾ صاحب حماة سنة 600هـ/1203م، عندما استشار العادل في عقد صلح مع الصليبيين، فأخبره العادل أنه يملك تقارير تؤكد ضعف الصليبيين، وترك للمنصور الحرية في مهادنتهم أو محاربتهم.⁽³⁹⁾

والملاحظ أن خسارة المسلمين في المفاوضات تكون أكبر عندما يكونوا هم الطرف الأضعف فتُملَى عليهم الشروط، وعندما يكونون الطرف الأقوى لا يخسرون بل يفرضون على عدوهم ما يريدونه لا ما يريد العدو، لذلك لا يمكن إهمال أهمية الإعداد العسكري والتهيئة الميدانية الدائمة، لأن هذا الإعداد وهذه التهيئة هي التي تعين القائد المسلم على فرض ما يريد في المفاوضات مع أعدائه، فالمفاوضات الناجحة هي التي تسندها القوة العسكرية في الميدان لذلك نستطيع القول أن المفاوضات هي انعكاس طبيعي للميدان.

ثانيا: المفاوضات الأيوبية-الصليبية في عهد الكامل:

تولى الملك الكامل محمد⁽⁴⁰⁾ الحكم بعد وفاة والده الملك العادل، حيث أجرى مفاوضات مع الصليبيين في عدة محطات من تاريخه، وأهم هذه المحطات الحملتين الصليبيتين الخامسة والسادسة، ونذكر أهم تفاصيلهما:

1. مفاوضات الحملة الصليبية الخامسة:

حطت قوات صليبية في عكا سنة 615هـ/1217م، قادمة من غرب أوروبا من بلاد فرنسا وهنغاريا⁽⁴¹⁾ ثم انضم لهم أناس من قبرص⁽⁴²⁾، في ذلك الوقت كان هناك هدنة ما زالت سارية المفعول بين الصليبيين والأيوبيين، وكان الصليبيون لا يرغبون في مواجهة مع الدولة الأيوبية، وذلك لحالة الهدوء القائمة مع حكومة العادل الأيوبي، ولازدهار التجارة بين الطرفين، هذا الوضع لم يعجب أصحاب الحملة، ولم يستطع ملك عكا ثنيهم عن مهاجمة المسلمين،⁽⁴³⁾ فهاجموا بيسان⁽⁴⁴⁾ ونهبوها، ولم يحققوا انتصارا واضحا سوى أنهم خرقوا هدنة الصليبيين مع العادل، ثم هاجمت هذه القوات مصر في 615هـ/1218م في الأيام الأخيرة من حكم العادل، وتوفي العادل أثناء هذه المحنة، وخلفه في حكم دولته ابنه الملك الكامل محمد، وحطت القوات الصليبية في دمياط⁽⁴⁵⁾ وسيطرت عليها.⁽⁴⁶⁾

ثم ترددت الرسل بين المسلمين والصليبيين في تقرير قواعد الصلح، واستعد الكامل للتنازل للصليبيين عن بيت المقدس وكل ما فتحه صلاح الدين من الساحل ما عدا الكرك⁽⁴⁷⁾ والشوبك⁽⁴⁸⁾ وعقد هدنة مدتها ثلاثين عاما، ليسلموا دمياط ويرحلوا عن الديار المصرية، رفض الصليبيون ذلك وطلبوا ثلاثمائة ألف دينار عوضا عن الأسوار التي خربت بالقدس ليعمرها بها، وكان الملك المعظم عيسى⁽⁴⁹⁾ بن العادل صاحب دمشق⁽⁵⁰⁾ قد خربها، خشية من سيطرة الصليبيين عليها بعد احتلالهم دمياط، وأصر الصليبيون على تسليم الكرك والشوبك لهم، هذا التعنت أفشل المفاوضات بين الطرفين، وحقق الكامل انتصارا كبيرا عليهم في 29 جماد أول/29 أغسطس، وفتح باب

المفاوضات من جديد عارضا عليهم مبادرته السابقة، زائدا عليها استعدادا: إعادة صليب الصليبيات⁽⁵¹⁾؛ وإعادة تعمير تحصينات وقلاع وأسوار بيت المقدس، وكان معظم قادة الحملة مع قبول العرض؛ إلا أن المندوب البابوي بلاغيوس⁽⁵²⁾ رفض، مجددا تمسكه بالكرك والشوبك وشرق الأردن⁽⁵³⁾، ثم أرسل بلاغيوس وفدا إلى الكامل يعرض عليه اعتناق الدين النصراني، وفشل هذا الوفد في مهمته، واصطدم الطرفان في معركة حاسمة؛ وعندما شعر الصليبيون بالخطر راسلوا الملك الكامل للتفاوض من جديد، يطلبون منه الأمان لأنفسهم، ويسلموا لهم دمياط من غير عوض، فوافق على ذلك، رغم معارضة أخويه الذين كانوا يرفضون الصلح قبل إنزال الهزيمة التامة بهم، فجرت المفاوضات بينهما، واحتفظ كلا الفريقين بعدد من الرهائن لضمان تنفيذ بنود الصلح، وتم النصر للمسلمين، ورحلت القوات الصليبية سنة 618هـ/1221م.⁽⁵⁴⁾

ويذكر اليوناني أن فريق التفاوض الصليبي لم يكن هدفه في التردد على البلاد التوصل إلى صلح ولكن كان هدفهم هو كشف البلاد واستطلاعها ومعرفة مداخلها ومخارجها وأيسر الطرق لغزوها، فلم يكونوا معنيين بالتوصل لاتفاق،⁽⁵⁵⁾ وعندما عرف الملك الفرنسي فيليب الثاني⁽⁵⁶⁾ بما حدث وصف بلاغيوس والمفاوضين الصليبيين بالأغبياء والسذج، لأنهم أضاعوا فرصة أن ينالوا "مملكة مقابل مدينة".⁽⁵⁷⁾

ويبدو أن تعنت بلاغيوس في المفاوضات ومطالبه غير الواقعية تدل أن هدفه هو احتلال مصر، وليس استعادة بيت المقدس فقط.⁽⁵⁸⁾ ويذكر بعض المؤرخين أن سبب رفض بلاغيوس لعروض الكامل هو وجود خلافات

داخل المعسكر الصليبي أدت لفشل الحملة، وليس فشل المفاوضات فقط.⁽⁵⁹⁾ وقد هال الأوساط الأوروبية والصليبية خسارتهم لدمياط بعد نجاحهم في احتلالها، ورفض قادة الحملة الخامسة عروض الكامل الأيوبي بتسليم بيت المقدس، وتندر المتندرون بغفلة قادة الحملة.⁽⁶⁰⁾ وقد اختلف المؤرخون الغربيون في تقييم التجربة التفاوضية لبلاغوس: بين معارض ومحمل إياه مسئولية فشل الحملة؛ وبين مؤيد له مختلق للتبريرات دفاعا عنه وعن مواقفه.⁽⁶¹⁾

2. مفاوضات الحملة الصليبية السادسة ومعاهدة يافا:

تجدد الصراع بين أبناء البيت الأيوبي، بل وأضيف لهذا الصراع خاصية الاستقواء بالخارج،⁽⁶²⁾ حيث تحالف المعظم عيسى صاحب دمشق مع حاكم الدولة الخوارزمية⁽⁶³⁾، وتحالف الملك الكامل مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة⁽⁶⁴⁾ فأرسل إلى امبراطورها فردريك الثاني⁽⁶⁵⁾ يطلب منه القدوم للمنطقة ومساعدته ضد أخيه المعظم بعد أن أرسل له الرسل والسفارات المحملة بالهدايا الثمينة، ووعده بأن يعطيه بيت المقدس وما بيد المسلمين من الساحل.⁽⁶⁶⁾

حطت قوات فردريك في عكا سنة (625هـ/1227م)، وفي السنة نفسها توفي المعظم، وانتهت الخلافات، وأصبح استنجد الكامل بفردريك لا معنى له، وترددت الرسل بين الكامل وفردريك، حيث طالب الأخير وفاء الكامل بوعوده، وكان فردريك قد أنزل به البابا جريجوري التاسع⁽⁶⁷⁾ حرمان من الجنة، وكان يتوق لتحقيق أي انتصار حتى أنه كان يستعطف الكامل، ويبكي له أثناء المفاوضات، وبعد تشدد من قبل الطرفين، اتفقا على الصلح سنة

(626هـ/1229م)، فيما عرف باتفاقية يافا مدتها عشر سنوات، وتقرر بينهما ما يلي: تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين على أن يبقى خرابا ولا يجدد سورته ولا يكون شيء للصليبيين من ظاهره البتة؛ جميع القرى التابعة للقدس تبقى للمسلمين ولا يدخلها الفرنج إلا للزيارة فقط وللمسلمين وإل عليها مقامه البيرة⁽⁶⁸⁾؛ يكون الحرم الشريف -بما حواه من الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى- بيد المسلمين وشعار المسلمين فيه ظاهر ولا يدخلهما الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوَّام المسلمين؛ تكون الناصرة⁽⁶⁹⁾ وبيت لحم⁽⁷⁰⁾ وتبنين⁽⁷¹⁾ واللد والقرى الممتدة على طول الطريق بين القدس وعكا بيد الصليبيين وهي عشر ضياع؛ التوقيع على اتفاقيات تجارية بين الطرفين؛ يتعهد فردريك بعدم القيام بأي هجوم على مصر أو حتى المساعدة فيه، وأن يسعى بنفوذه بالقضاء على أية محاولة صليبية للهجوم على أملاك الكامل، وتسلم الصليبيون بيت المقدس، وحزن المسلمون لذلك، وأنكروا هذا العمل على الكامل. وعلى الرغم من خضوع العشر ضياع -الواقعة بين القدس وعكا- للصليبيين، إلا أن إدارتها ظلت مشتركة مع الحكومة الأيوبية.⁽⁷²⁾

وقد حاولت البابوية عرقلت مساعي فردريك الثاني استعادة بيت المقدس لغضب الكنيسة عليه، فبعثت الرسل إلى الكامل لتحثه على عدم تسليم بيت المقدس لفردريك،⁽⁷³⁾ حيث كان الغرب الأوروبي غير راضٍ عن اتفاقية يافا على الرغم من استعادة الصليبيين لبيت المقدس -بدون إراقة دماء- لوقوع حرمان الكنيسة على الامبراطور فريدريك، ولأنهم يرون أن بيت المقدس لن تأسر إلا باحتلال مصر.⁽⁷⁴⁾

فهذه المعاهدة لاقت سخطا واسعا من الصليبيين والمسلمين، فرأس الصليبية العالمية المتمثلة في بابوية روما رفضت المعاهدة لكونها سببا في استعادة بيت المقدس بدون قتال، ولأن المعاهدة عقدت مع امبراطور محروم من الكنيسة،⁽⁷⁵⁾ إلا أن البابا جريجوري التاسع بعد تصالحه مع فردريك الثاني سنة 627هـ/1230م: ألغى الحرمان عن فردريك؛ وصادق على معاهداته مع الأيوبيين، وأمر جميع الأخبار ورجال الدين بمراعاة الصلح مع الملك الكامل وعدم نقضه، فقد أدرك البابا أن ما أنجزته هذه المعاهدة السلمية لم تنجزه الحملات العسكرية السابقة، وأما المسلمون فقد سخطوا على الكامل، واستعظموا فعلته بتسليم بيت المقدس للصليبيين.⁽⁷⁶⁾

حاول بعض المؤرخين المعاصرين إيجاد أعذار للملك الكامل على تسليمه بيت المقدس للصليبيين، واصفين بأنه سلم لهم خرابا، وأنه يستطيع استردادها متى شاء، وركزوا على التسامح الديني عند الأيوبيين⁽⁷⁷⁾، وهذا شيء مرفوض جملة وتفصيلا، لأن هذه أرض إسلامية لها قدسيتهما عند المسلمين، ولم يستطع الصليبيون انتزاعها بالقوة منذ نصر حطين من خلال ثلاث حملات صليبية -الثالثة والرابعة والخامسة- فالتنازل عنها سلما جريمة لا تغتفر ولا يبرر لها.⁽⁷⁸⁾

وقد تمت مراسلات بين بابا روما جريجوري التاسع والملك الكامل، تتضمن المطالبة بإطلاق سراح تجار إيطاليين وإعادة بضائعهم، وكان الكامل قد اعتقلهم وصادر بضائعهم، ولم تتضمن مراسلاته أي مطلب يخص صليبي الشام⁽⁷⁹⁾، ويفسر حسين عطية ذلك بأن العلاقات الأيوبية - الصليبية بدأت تحسمها وتشكلها اتفاقية يافا.

استمرت العلاقات الدبلوماسية بين الكامل وفردريك حتى وفاة الكامل سنة (635هـ/1238م)، فدب النزاع بين أبناء البيت الأيوبي: الصالح نجم الدين أيوب⁽⁸⁰⁾ حاكم مصر، والصالح إسماعيل⁽⁸¹⁾ حاكم دمشق، والناصر داود⁽⁸²⁾ حاكم الكرك، إلا أن العلاقات الأيوبية- الصليبية استمرت مع ابني الكامل: العادل سيف الدين⁽⁸³⁾ ثم الصالح نجم الدين أيوب،⁽⁸⁴⁾ وأرسل فردريك ابنه (منفرد) سرا إلى الصالح نجم الدين أيوب على هيئة تاجر يحذره من مسير لويس التاسع⁽⁸⁵⁾ لغزو مصر.⁽⁸⁶⁾

ثالثا: مفاوضات استرداد الناصر داود لبيت المقدس: لم يلتزم الفرنج بعهدهم مع الكامل، وذلك بإقدامهم على تجديد وعمارة القدس وتحصين عسقلان⁽⁸⁷⁾، وتعرضت بعض قوافل التجار المسلمين لاعتداءات الصليبيين، مع العلم أن هدنة اتفاقية يافا قد انتهت مفعولها، فأقدم الملك الناصر داود صاحب الكرك على حشد قواته ومهاجمة المدينة المقدسة وحصارها فذك تحصيناتها وأحرق قلعتها، فطلب الصليبيون التفاوض مع الناصر داود طالبين الأمان منه مقابل تسليم بيت المقدس والرجل عنها دون قيد أو شرط، وبالفعل تسلم الناصر داود المدينة في جمادي الأولى 637هـ/ ديسمبر 1239م،⁽⁸⁸⁾ ويبدو أن تحرير الناصر داود لبيت المقدس ليس له أية أبعاد دينية أو وطنية، وإنما لمصلحته الذاتية فقط، ويتضح ذلك من تصرفات الناصر داود قبل وبعد سيطرته على بيت المقدس، وأكبر دليل على ذلك أنه تحالف مع الصالح إسماعيل -حليف الصليبيين- ضد الصالح نجم الدين أيوب ومؤيدا له في تسليم بيت المقدس للصليبيين مقابل دعمهم لهم ضد الصالح نجم الدين أيوب.⁽⁸⁹⁾

وفي السنة نفسها (637هـ/1239م) هاجم الصليبيون وقوات من غرب أوروبا عسقلان التابعة للعاقل الثاني ملك مصر كرد فعل على استرداد الناصر داود لبيل المقدس، ووقعت معركة بين الصليبيين والأيوبيين انتهت بنصر الأيوبيين، وعند تولي الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر واشتداد صراعه مع عمه الصالح إسماعيل حاكم دمشق، اضطر الصالح نجم الدين أيوب في مفاوضات مع الفرنج سنة (638هـ/1240م) إلى التنازل لهم عن عسقلان.⁽⁹⁰⁾

رابعاً: تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين وتسليمهم بيت المقدس:

تحالف الصالح إسماعيل والناصر داود مع الصليبيين للاستقواء بهم على الصالح نجم الدين أيوب في صراعه على تركة الملك الكامل، وأعطاهم الصالح إسماعيل مقابل تحالفهم معه مدينة بيت المقدس والجليل⁽⁹¹⁾ وطبرية⁽⁹²⁾ وعسقلان والشقيف⁽⁹³⁾ وذلك في 641هـ/1243م، بل وتنازل لهم أيضاً عن المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهما للمسلمين حسب نصوص معاهدة يافا بين الكامل وفرديك،⁽⁹⁴⁾ وهنا يبدو مدى وعظم حجم تفريط الصالح إسماعيل في أراضي وديار ومقدسات المسلمين.⁽⁹⁵⁾ ضمن الواضح أن الصراعات داخل البيت الأيوبي أدت إلى ضعف الموقف الإسلامي التفاوضي أمام الصليبيين، وقد أحسن الطرف الصليبي استغلال تلك الظروف، وحقق عدد من الإنجازات السياسية عبر طاولة المفاوضات، فوحدة الموقف وتماسك الجبهة الداخلية، يعطي قوة للمفاوض فيحصل إنجازات كثيرة ربما لا يستطيع الحصول عليها في ميدان المعركة خصوصاً إذا

كان على علم ودراية بهشاشة وتناقض الجبهة الداخلية للآخر.

خامساً: تحرير الصالح نجم الدين أيوب لبيت المقدس: لم يطل مقام الصليبيين بالمدن التي سلمها لهم الصالح إسماعيل، حيث استطاع الصالح نجم الدين أيوب -بمساعدة الجنود الخوارزمية- انتزاعها منهم بعد شهور قليلة، حيث هرب الصليبيون بمجرد علمهم بتقدم قوات نجم الدين إليهم.⁽⁹⁶⁾

ومن هنا يتبين أن تحرك الصالح نجم الدين أيوب لاستعادة بيت المقدس لم يشهد مفاوضات مع الصليبيين، لأنهم فضلوا الهرب على المواجهة العسكرية أو الحوار السياسي، وهذا إن دل على شيء، فيدل على مدى هشاشة الجبهة الصليبية في مواجهة الصالح نجم الدين أيوب.

والجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الغربيين ينظرون إلى سلوك الصليبيين في هذا الصراع وانحيازهم إلى أحد الأطراف هو فعلاً خاطئاً، ترتب عليه آثار سلبية على الكيانات الصليبية، فقد فسدت العلاقات الأيوبية-الصليبية التي نظمها العديد من المعاهدات.⁽⁹⁷⁾

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل تم الاتفاق بين الصالح إسماعيل والصليبيين على شن هجوم مشترك على مصر لانتزاعها من الصالح نجم الدين أيوب، بل كان من ضمن بنود الاتفاق أن يبتاع جنود الصليبيين من أسواق دمشق، ليشترون مؤنهم وأسلحتهم، ليستعدوا لمحاربة أهل مصر، وقد أنكر علماء الشام وعلى رأسهم العزيز عبد السلام⁽⁹⁸⁾ ذلك، وأفقي بتحريم التعامل مع الفرنج، ما أدى إلى تعرضهم لعقوبات قاسية من الصالح إسماعيل،⁽⁹⁹⁾ وهذا يوضح عظم دور العلماء في مقاومة

المحتل والحفاظ على أراضي المسلمين، من خلال توجيه الجماهير، وحماية الجبهة الداخلية أثناء الغزو الخارجي للبلاد.

وبالفعل تم الهجوم الدمشقي-الصلبي على مصر، فيما عرف بمعركة غزة⁽¹⁰⁰⁾ "حطين الثانية" (642هـ/1244م)، ولكن الحدث الذي صدم الجميع هو انحياز جنود الشام إلى القوات المصرية ضد الصليبيين، فاعتقد المصريون أن هذه خدعة، ولكن لما عمل الشاميون السيف في رقاب الصليبيين، علموا أن انحياز جند الشام لإخوانهم المصريين نابع من الفكر الواعي وحمية الجهاد والاخوة التي كانت نتاجا لجهود الشيخ العز بن عبد السلام وإخوانه من علماء الشام الصادقين، فكان انتصارا مؤزرا للقوات الإسلامية المصرية، واقتيد الصالح إسماعيل أسيرا إلى ابن أخيه نجم الدين أيوب،⁽¹⁰¹⁾ ونتج عن معركة غزة سيطرة نجم الدين على دمشق وتحريره لبيت المقدس وطبرية وعسقلان، وهذا يعد هو التحرير الأخير لبيت المقدس، حيث لم يستطع الصليبيون انتزاعها بعد هذا التاريخ، حتى سقطت بيد الاحتلال البريطاني سنة 1917م.⁽¹⁰²⁾

سادسا: المفاوضات الإسلامية-الصلبية في عهد الصالح نجم الدين أيوب وولده توران شاه:

تركزت مفاوضات الصالح نجم الدين أيوب مع الصليبيين عندما شن الملك الفرنسي لويس التاسع حملته على مصر، وإن تمت قبل ذلك مفاوضات بين الصالح نجم الدين أيوب وصيلبي الشام دون التوصل لاتفاق، أهمها:

1. المفاوضات الأيوبية-الصلبية قبيل الحملة الصليبية السابعة:

جرت مفاوضات بين الصالح نجم الدين أيوب والصلبيين سنة 646هـ/1248م تمحورت حول الخلافات الداخلية التي كان يعاني منها البيت الأيوبي في تلك المدة، حيث قام الناصر يوسف⁽¹⁰³⁾ أمير حلب⁽¹⁰⁴⁾ بطرد ابن عمه الأشرف موسى⁽¹⁰⁵⁾ أمير حمص، وانتزع بلاده منه، فاستنجد الأشرف بالصالح نجم الدين أيوب، فأنفذ جيشا لاسترداد حمص، فعقدت مفاوضات بين السلطان الصالح نجم الدين أيوب والصلبيين، اقترح الصليبيون أن يتنازل لهم السلطان عن بعض الأراضي مقابل تزويده بقوات عسكرية تعينه في حسم المعركة ضد الناصر يوسف، وفي هذه الفترة وصلت الحملة الصليبية السابعة إلى قبرص، حيث رفض الملك لويس التاسع قائد الحملة استمرار تلك المفاوضات.⁽¹⁰⁶⁾

ومن محطات الصراع بين السلطان الصالح نجم الدين أيوب والصلبيين: هجوم السلطان الصالح على المعازل الصليبية -بعد نجاحه في القضاء على مشكلاته الداخلية- ونجاحه في انتزاع طبرية ثم عسقلان من مغالب الصليبيين، وقد حدثت مفاوضات أثناء هذه الهجمات، حيث نتج عنها استسلام حاميتها وتسليمهم المدينة لقوات السلطان الصالح نجم الدين أيوب وذلك في 7 يونيو 645هـ/ 15 أكتوبر 1247م.⁽¹⁰⁷⁾

2. المفاوضات الأيوبية-البابوية قبيل الحملة الصليبية السابعة:

أرسل بابا الفاتيكان أنوسنت الرابع⁽¹⁰⁸⁾ سفارات إلى الصالح نجم الدين أيوب، يطالبه بعقد هدنة مع صليبي الشام بعد هزيمتهم في معركة غزة، إلا أن رد الصالح نجم الدين كان قويا وحاسماً: "أن أي تفاوض بخصوص صليبي الشام يكون مع الامبراطور فردريك

الثاني طبقا لاتفاقية يافا"، واستنكر نجم الدين في رسالته للبابا اعتداءات الصليبيين على مسلمي الشام ومصر.⁽¹⁰⁹⁾ ويمكن القول بأن الصليبيين والغرب الأوروبي وبابوية روما سارعوا إلى اتباع أسلوب المفاوضات مع بني أيوب عند عجزهم عن استخدام القوة المسلحة في تحقيق أهدافهم، بل إن الحملات الصليبية المتتالية كانت تفاوض من أجل الحفاظ على بقاء الكيانات الصليبية في الشام وليس تقويتها أو توسعها، لذلك كان بعض قادة أوروبا وباباوات روما يستعطفون الأيوبيين أثناء المفاوضات.⁽¹¹⁰⁾

3. المفاوضات الأيوبية-الصليبية خلال الحملة الصليبية السابعة:

أتاحت هدنة العشر سنوات المنبثقة عن معاهدة يافا 626هـ / 1229م بين الكامل الأيوبي والامبراطور فردريك الثاني الفرصة للصليبيين ولزعماء الغرب الأوروبي، لحشد حملة صليبية جديدة تزعمها ملك فرنسا لويس التاسع.⁽¹¹¹⁾

أ- المفاوضات بين الصالح نجم الدين أيوب مع لويس التاسع:

وصل الأسطول الفرنسي إلى جزيرة قبرص⁽¹¹²⁾ في 27 ربيع آخر 646هـ / 25 أغسطس 1248م، وأمضى فيها 8 أشهر، ثم انطلق إلى مصر،⁽¹¹³⁾ باعتبارها مفتاح الأمان لبيت المقدس ومركز القوة والمقاومة في الشرق الإسلامي،⁽¹¹⁴⁾ وقد علم الصالح نجم الدين أيوب بنياً هذه الحملة من صديقه فردريك الثاني، ومن التجار الأوروبيين القادمين إلى مصر الذين شهدوا حجم الاستعدادات، ووصل الأسطول الفرنسي قبالة دمياط في 21 صفر 647هـ / 27 ديسمبر 1249م.⁽¹¹⁵⁾ ويبدو أن الامبراطور فردريك كان يرغب في عرقلة حملة لويس وافشالها.⁽¹¹⁶⁾

ودارت مراسلات بين لويس التاسع والصالح نجم الدين أيوب، فقد بادر لويس التاسع إلى إرسال رسالة للملك الصالح نجم الدين أيوب يقول فيها: "أما بعد فإنه لم يخف عنك أني أمين الأمة العيسوية، كما أني أقول: إنك أمين الأمة المحمدية، وأنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس⁽¹¹⁷⁾ يحملون إلينا الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقرونقتل منهم الرجال ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، وبذلت لك النصيح إلى النهاية، فلو حلفت لي كل الأيمان، ودخلت القسوس والرهبان، وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان، ما ردني بذلك عن الوصول إليك، وقتالك في أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لي فيها هدية حصلت في يدي، وإن كانت البلاد لك والغلبة علي فيدك العليا ممتدة إلي، وقد عرفتكم وحذرتكم من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضاء".⁽¹¹⁸⁾

وردّ الصالح نجم الدين أيوب عليه بقوله: "... أما بعد، فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك، فنحن أرباب السيوف، وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولابغي علينا باغ إلا دمرناه، فلورأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل وأخربنا منكم ديار الأواخر والأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم، ولا بد أن تزل بك القدم، في يوم أوله لنا وآخره عليك، فهناك تسيء بك الظنون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فإذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على أول سورة النحل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽¹¹⁹⁾ وكن على آخر سورة ص: وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ⁽¹²⁰⁾ ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُطِئُونَ أَمْرَهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَا مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹²¹⁾، وإلى قول الحكماء: إن الباغي له مصرع، وبغيك يصرعك، وإلى البلاء يلقبك، والسلام⁽¹²²⁾.

ويتضح من رسالة لويس إلى الصالح نجم الدين أيوب مدى حالة الصلف والغرور التي يتصف بها لويس وبطانته، ويُعتقد أن لويس التاسع كان على علم بالخلافات الداخلية الأيوبية، وأن هذا العلم هو السبب في ثقته بالنصر، وأيضا تتضح العزة والإباء في رسالة الصالح نجم الدين أيوب التي تنبع من الإيمان بقوة المسلمين ونصر الله، ويبدو أن لويس التاسع كان واثقا من تحقيق حملته النصر على المسلمين، وأنه سينتزع منهم بيت المقدس⁽¹²³⁾.

سيطر الفرنسيون على دمياط أواخر صفر 647هـ/ 6 يونيو 1249م،⁽¹²⁴⁾ ويذكر جوزيف نسيم يوسف وستيفن رنسيما عن المؤرخ متى الباريزي -المعاصر للحملة الصليبية السابعة- أن الصالح نجم الدين أيوب عرض على لويس التاسع: التنازل له عن بيت المقدس؛ وإطلاق سراح أسرى الصليبيين الذين بحوزته، مقابل إعادة دمياط، وكاد الملك لويس أن يوافق لولا تعنت كونت أرتوا ومطالبته بالإسكندرية إلى جانب بيت المقدس، فرفض الملك الصالح أيوب ذلك، فانقطعت المفاوضات بينهما،⁽¹²⁵⁾ ويذكر النويري نُصح الملك الصالح نجم الدين أيوب ابنه توران شاه⁽¹²⁶⁾ بالتنازل للفرنج عن بيت المقدس والساحل الفلسطيني، إن ضاقت به الأمور، وأوشك الأعداء على تملك الديار المصرية،⁽¹²⁷⁾ لكن النويري لم

يذكر أن الصالح نجم الدين أيوب عرض على لويس التنازل عن بيت المقدس، وليس من المعقول أن يتقدم المصريون بمثل هذه التنازلات، في الوقت الذي بدأت تدور الدائرة على الصليبيين، وينقل جوزيف يوسف عن الكاتب هنري بورديو أن متى الباريزي خلط بين أحداث هذه الحملة مع الحملة الخامسة، عندما عرض الملك الكامل التنازل عن بيت المقدس للغزاة مقابل رحيلهم عن دمياط، وأنه لو عرض هذا العرض حقا على لويس التاسع لقبله، لأنه يحقق الهدف الرئيس لحملته⁽¹²⁸⁾.

ولا يستبعد بعض المؤرخين العرب المعاصرين، أن يكون الصالح نجم الدين أيوب قد عرض فعلا على لويس التاسع التنازل له عن بيت المقدس، مقابل انسحابه من دمياط، بسبب الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد، ولاشتداد المرض عليه، لكن يظل الاحتمال الأقوى هو ما عُهد على الملك الصالح نجم الدين أيوب في جهاده وثباته وعدم تفريطه بأراضي المسلمين ومقدساتهم⁽¹²⁹⁾.

أشار بعض قادة الحملة على لويس التاسع، أن يهاجم الإسكندرية، وأن يزحف بسفنه وقواته إلى القاهرة عبر نهر النيل، وذلك لإجبار السلطان الأيوبي على قبول الصلح والاذعان لمطالب الملك لويس، لأنهم شعروا أن الصالح نجم الدين أيوب أصبح أكثر جنوحا إلى السلم، مستدلين برواية متى الباريزي بعرض الصالح نجم الدين أيوب على لويس التاسع التنازل عن بيت المقدس، إلا أن لويس رفض هذا الاقتراح⁽¹³⁰⁾.

بناء على ما سبق يمكن القول أن الملك لويس قد دشن هذه الحملة الكبرى، وحشد قوات ضخمة بغية غزو مصر، واسترداد بيت المقدس، إلا أنه كان يرغب في

الحصول على مكاسب سياسية بالمفاوضات وعقد المعاهدات مع القادة الأيوبيين، على الرغم من وصف بعض المصادر الصليبية -منهم رنسيمن- أن لويس يرفض مبدأ التفاوض مع أي مسلم.⁽¹³¹⁾

ب- مفاوضات المعظم توران شاه مع لويس التاسع:

وفي شدة هذه المحنة توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتسلم الحكم من بعده ابنه السلطان المعظم توران شاه،⁽¹³²⁾ وكان الصليبيون قد هاجموا دمياط في 5 ذي القعدة 647هـ/ 8 فبراير 1250م وتصدى لهم المماليك البحرية⁽¹³³⁾ وأوقعوا بهم هزيمة غيرت مسار الأحداث،⁽¹³⁴⁾ ويبدو أن الملك لويس لم يبق له أمل في النصر، إلا أن تحل الفتن والخلافات في القاهرة، فتضطر الحكومة الأيوبية للتفاوض والصلح معه طبقاً لشروطه،⁽¹³⁵⁾ لذلك ظل لويس التاسع معسكراً في المنصورة⁽¹³⁶⁾ يتحين الفرصة المناسبة للتفاوض مع المصريين، لعله يصل إلى حل سلمي معهم يظفر بمقتضاه ببيت المقدس، إلا أن أمله أخذ بالأقول تدريجياً؛ بسبب سوء أحوال قواته وتوالي هزائمها وانكسارها،⁽¹³⁷⁾ وأصبح الصليبيون في ضيق شديد، فأرادوا الخروج من هذا المأزق، فاجتمعوا على التفاوض مع المعظم توران شاه قبل أن تحل بهم هزيمة قاسية،⁽¹³⁸⁾ فربما أتاح لهم التعجيل في المفاوضات الحصول على شروط أحسن، فراسلوا المعظم توران شاه يطلبون الهدنة، ويبدو أن توران شاه وضع -منذ اللحظة الأولى لوصوله لأرض المعركة- خطته لإجبار الصليبيين على التفاوض والاستسلام بقطع المدد البحري عن قواتهم بدمياط، وقد نجح في ذلك.⁽¹³⁹⁾

اجتمع المفاوضون عن الطرفين، فعرض الصليبيون تسليم دمياط مقابل التخلي لهم عن بيت المقدس والساحل،⁽¹⁴⁰⁾ فلم تكن الشروط التي طرحها الصليبيون معقولة؛ نظراً لموقفهم الحرج، فرفض المسلمون العرض الصليبي، وعياً منهم بحالة الصليبيين، وإزاء فشل المفاوضات، تأزم وضع الصليبيين.⁽¹⁴¹⁾

وانفرد جوانفيل بقوله أن رسل السلطان توران شاه وافقوا على طلبات الصليبيين، إلا أنهم طلبوا ضماناً للانسحاب من دمياط، فعرض الصليبيون عليهم أن يحجزوا أحد أشقاء الملك لويس، لكنهم رفضوا أي رهينة غير الملك لويس نفسه، فرفض رسل الملك لويس هذا الطلب، وبذلك فشلت المفاوضات، إلا أن المؤرخين العرب يؤكدون رفض رسل السلطان توران شاه لطلبات الصليبيين من البداية للأسباب آنفة الذكر.⁽¹⁴²⁾

هاجمت القوات الإسلامية الصليبيين عند فارسكور⁽¹⁴³⁾ في 3 محرم 648هـ/ 6 أبريل 1250م، فقتلت وأسرت منهم الكثير، واستسلم الباقون، فأرسل الملك لويس أحد قادة جيشه وهو فيليب مونتفورت⁽¹⁴⁴⁾ إلى أقرب قائد مصري في طلب الصلح ووقف القتال، مقابل إخلاء دمياط والموافقة على رغبات المصريين وعروضهم، ولكن حدث في الوقت الذي كان فيه الطرفان على وشك الاتفاق أن نزلت بالجيش الصليبي كارثة وضعت حداً للمفاوضات، فقد تقدم جندي عادي في الجيش الصليبي يدعى مارسيل إلى البارونات⁽¹⁴⁵⁾ والقواد والأجناد، قائلاً لهم أنه موفد من قبل الملك لويس يطلب منهم الاستسلام للجيش المصري دون قيد أو شرط، حتى لا يُعرضوا حياتهم للخطر، فاستسلموا لإنقاذ ملكهم، ويعتقد رنسيمن أن

هذا الجندي تلقى رشوة من المصريين، فقضت خيانة هذا الجندي على المفاوضات، حيث رفض القائد المصري الاستمرار في المفاوضات، عندما رأى الصليبيين يلقون أسلحتهم ويستسلمون، ثم أحاطت القوات الإسلامية بالملك لويس التاسع وكبار قاداته، فطلب الأمان فأمنوه، إلا أن من كانوا معه رفضوا الاستسلام، فقاتلهم المسلمون حتى قضوا على آخرهم، ثم اقتادوا الملك لويس أسيرا، وتم التحفظ عليه في دار ابن لقمان⁽¹⁴⁶⁾ في المنصورة.⁽¹⁴⁷⁾

نظر توران شاه إلى ما هو أبعد من دمياط،⁽¹⁴⁸⁾ حيث عززت الانتصارات التي حققتها القوات المصرية موقف المفاوضات المصري،⁽¹⁴⁹⁾ وطلب المعظم توران شاه خلال مفاوضاته مع أسيره لويس التي عُقدت في فارسكور تسليم بعض معقل الصليبيين في الشام للدولة الأيوبية مقابل إطلاق سراحه، فرفض لويس معللا أنه لا يحق له التنازل عن بلاد ليست ملكه، وأنها ملك كونراد⁽¹⁵⁰⁾ بن فردريك الثاني، فتغافل توران شاه عن هذا الشرط، واتفقوا على أن يسلم الصليبيون دمياط، مقابل إطلاق سراح ملكهم، وأن تقام بينهما هدنة لمدة عشرة أعوام، ورحل الصليبيون عن دمياط تنفيذا للاتفاق بعد اغتيال توران شاه على يد المماليك، فممنهم من ذهب إلى فلسطين، ومنهم من عاد إلى أوروبا،⁽¹⁵¹⁾ ويلاحظ أن المصادر العربية المعاصرة لم تتعرض لمفاوضات توران شاه واتفاقه مع لويس، ويرجع بعض المؤرخين ذلك إلى خشية المؤرخين من نظام الحكم المملوكي الجديد، الذي ترتب على اغتيال توران شاه، حيث أن كتب المؤرخين هذه كُتبت في العصر المملوكي.⁽¹⁵²⁾

ت- مفاوضات شجر الدر مع لويس التاسع:

بعد اغتيال توران شاه، سيطر المماليك على مقاليد الحكم، وأقاموا شجر الدر⁽¹⁵³⁾ سلطنة على مصر،⁽¹⁵⁴⁾ واتخذت لقب أم خليل المستعصمية نسبة للخليفة العباسي المستعصم بالله⁽¹⁵⁵⁾، وأقدم المماليك على تتويج شجر الدر كدليل على احترامهم للأسرة الأيوبية، والإخلاص لها، والظهور أمام الرعية بعدم التمرد على الأسرة الحاكمة،⁽¹⁵⁷⁾ ولما تمتع به من كياسة وذكاء وحسن تدبير.⁽¹⁵⁸⁾

وصل إلى فارسكور -حيث مكان انعقاد المفاوضات- البطريق روبرت قادما من دمياط من طرف الملكة مارجريت⁽¹⁵⁹⁾ بعد أن حصل على الأمان بتوقيع السلطان توران شاه للاجتماع به لإنجاز التدابير المتعلقة بالفدية، إلا أنه وجد السلطان توران شاه قد قُتل، فتأجلت المفاوضات بعض الوقت، فقبض المماليك على البطريق، واعتبروه أسيرا دون إعطاء قيمة لأمان توران شاه له.⁽¹⁶⁰⁾

وينقل رنسيما عن جوانفيل أن المماليك هددوا الملك لويس والبارونات الأسرى لديهم بالقتل طالين منهم فدية ضخمة، إلا أن رنسيما يناقض نفسه، بأن المماليك لم يقصدوا زيادة ما سبق تقريره من فدية ضخمة، إذ إنهم صادقوا على شروط توران شاه خلال مفاوضات شجر الدر مع لويس.⁽¹⁶¹⁾

واصلت شجر الدر المفاوضات مع لويس التاسع التي بدأها توران شاه، حيث لم يتم وضع الصيغة النهائية للاتفاق بين توران شاه ولويس، فالوضع غير مستقر رغم هزيمة الصليبيين، لأن دمياط ما زالت بأيديهم، واحتمال وصول إمدادات لهم عن طريق البحر غير مستبعد،⁽¹⁶²⁾

ومثّل مصر في المفاوضات الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي الهذباني⁽¹⁶³⁾، لرجاحة عقله وحسن تقديره للأمور، واعتماد الصالح نجم الدين أيوب -من قبل- عليه، وانتدب لويس وفدا من الأمراء الصليبيين يترأسه الأمير وليم أمير الأراضي الواطئة⁽¹⁶⁴⁾،⁽¹⁶⁵⁾ وحدثت محاورات بين الهذباني ولويس يذكرها ابن أيبك الدواداري، نُصح فيها الأخير بقول: «أنت رجل عاقل، وملك عظيم الرأي، رزين الرأس، وفعلت بنفسك ما لا يفعله المجانين»، فرد عليه لويس: «وكيف ذلك يا حسام الدين؟»، قال: «غررت بنفسك وأموالك وجيوشك وركبت هذا البحر المهلك، وتأتى إلى مثل هذا الإقليم العظيم، الذي فيه هذا العالم الكثير، فإن سلمت من البحر وغرقه، لم تسلم من هذه الطوائف العظيمة، ونحن في ملتنا إن أي من ركب البحر مرّة بعد مرّة لا يقبل الحاكم له شهادة»، فضحك لويس، وقال: «وكيف ما يقبل شهادته؟»، قال: «فإنه يكون ناقص العقل، ومن كان ناقص العقل لا تقبل شهادته»، فاستمر لويس في ضحكته، ثم قال: «والله لقد صدقت، ولقد صدق قائل هذا الكلام من قبلك»⁽¹⁶⁶⁾.

انتهت المفاوضات في محرم 648هـ/أبريل 1250م إلى عقد صلح دمياط بين الطرفين لمدة عشرين سنين، وعلى كلٍ من الطرفين المصري والصليبي عدة شروط نذكر أهمها فيما يلي⁽¹⁶⁷⁾:

يقوم الملك الفرنسي لويس التاسع بما يلي:

- تسليم دمياط إلى المسلمين فدية عن نفسه، مبينا أنه لا يصح أن تقدّر فديته بمال.

- وأن يدفع مبلغ ثلاثمائة ألف بيزنط، وهي دنانير ذهبية بيزنطية، فدية عن باقي الأسرى الفرنج عوضا عما تسببوه من خسائر للمصريين.

- وأن يطلق جميع أسرى المسلمين سواء أولئك الذين أسرهم في هذه الحملة، أو الذين وقعوا في الأسر منذ اتفاقية يافا 626هـ/1229م.

- وأن يعمل الصليبيون على حفظ الأمن مع إقرار السلام في جميع البلاد التي يحتلوها في فلسطين⁽¹⁶⁸⁾.

وأما القيادة المصرية ممثلة في سلطانتها شجر الدر فعليها ما يلي:

- إطلاق سراح جميع من وقع في قبضة المصريين من صليبي الحملة السابعة منذ وصولهم إلى شاطئ دمياط.

- إطلاق سراح كل الأسرى الصليبيين الذين وقعوا بأيدي المسلمين منذ اتفاقية يافا.

- المحافظة على عتاد الصليبيين في دمياط حتى تتاح الفرصة لنقلها إلى بلادهم.

- منح جميع الأسرى الفرنج المرضى الأمان أثناء إقامتهم في دمياط على أن يسمح لهم بالمغادرة إما برا أو بحرا⁽¹⁶⁹⁾.

وتم الاحتفاظ بشقيق الملك الفرنسي ألفونسو كونت بواتو كرهينة إلى أن يدفع الصليبيين الفدية المتفق عليها⁽¹⁷⁰⁾، وأقسم الطرفان على ذلك، ورفض الملك لويس أن يحلف-بناء على طلب المسلمين- إذا لم يوف بعهده فكأنه أعلن إنكاره للمسيح⁽¹⁷¹⁾.

وعندما تم توقيع المعاهدة بين الطرفين، أرسل الملك لويس التاسع إلى الصليبيين المتواجدين في دمياط، يطلب منهم تسليم المدينة للمسلمين، فترددوا في قبول الأمر بداية، ثم استجابوا بعد مراجعات بينه وبينهم،⁽¹⁷²⁾ ويبدو أن تردد الصليبيين في تسليم دمياط هو نتيجة لإعادة نظرهم وتقييمهم لأوضاع مصر بعد اغتيال توران شاه، ودخول البلاد في حال من التخبط، فحاولوا الهرب من استحقاقات الاتفاق الذي عقده ملكهم لويس، وإعادة حساباتهم من جديد.⁽¹⁷³⁾

ويبدو أن الحامية الفرنسية في دمياط لم ترفض أوامر الملك لويس رفضاً تاماً، لأن الملك لويس معروف بحب جنوده وشعبه له، لما يتقمصه من رهينة وتدين، وعلى أغلب الظن أن قاداته وجنوده الموجودين في دمياط أرادوا الإحاطة ببعض تفاصيل معاهدة دمياط، الموقعة بين ملكهم وبين حكام مصر، وعلى مدى التزام المسلمين بتعهداتهم بحفظ أرواح الصليبيين، ولا سيما الملك لويس نفسه والقادة العسكريين الفرنسيين، وباقي الأسرى بأيدي الجنود المصريين، خصوصاً وأن البلاد المصرية تمر بحالة انقلاب وعدم استقرار، إثر اغتيال الملك المعظم توران شاه الأيوبي، وسيطرة عساكر والده (المماليك) على مقاليد الحكم.⁽¹⁷⁴⁾

ورحل لويس التاسع من دمياط إلى عكا، ودخلت القوات الإسلامية دمياط في 3 صفر 648هـ/ 7 مايو 1250م،⁽¹⁷⁵⁾ وفي ركابه مائة جندي هم من تبقى من ثمانين ألف جندي تكونت منهم حملته، وترك خلفه عشرة آلاف أسير في أيدي المصريين، ضماناً لتنفيذ الملك لويس لمعاهدته،⁽¹⁷⁶⁾ واستلم المصريون دمياط، واقترح الهذباني

على عز الدين أيبك⁽¹⁷⁷⁾ بعد أن استلموا دمياط أن يقتلوا لويس التاسع، لأنه اضطلع على عورات مصر وحكامها، إلا أن أيبك رفض الغدر ونقض العهد،⁽¹⁷⁸⁾ وأقام لويس في عكا أربع سنوات ينظم شئون الصليبيين ويحل خلافاتهم، وليتابع تنفيذ الاتفاق مع المصريين، حتى يتم إطلاق سراح باقي الأسرى الصليبيين في مصر، حيث اجتمع عليه صليبيو عكا ملكاً لهم، ليعينهم في وضع أسس العلاقة مع المسلمين في ظل التغيرات السياسية في مصر والمنطقة،⁽¹⁷⁹⁾ ويصف مؤرخون بأنه كان لا يريد العودة إلى بلاده عقب فك أسرهِ مباشرة، ويريد أن يمحو عار هزيمته بتحقيق أي إنجاز لصليبي الشام.⁽¹⁸⁰⁾

ويبدو أن مفاوضات شجر الدر والهذباني مع الملك لويس كانت أكثر مرونة وسلاسة من مفاوضات توران شاه-لويس، فقد كان توران شاه أكثر شدة في التفاوض، حتى أنه طلب من لويس التنازل له عن أملاك صليبية في الشام، أما في مفاوضات الهذباني ولويس كان الضحك أثناء التفاوض، وتقبلت شجر الدر عدم حلفان لويس على الصيغة التي أرادوها، وقبلوا عدم فدية لويس التاسع بمال بل بأرض، احتراماً لذات الملك لويس، ويبدو أن مرونة المفاوضين المسلمين كانت بسبب عدم استقرار الأوضاع بمصر، واهتمامهم بضرورة رحيل الصليبيين عن دمياط بأقرب وقت ممكن.

وينقل العبادي عن المؤرخ جوانفيل: أنه عندما دخل المماليك دمياط، سلبوا ونهبوا معسكر الصليبيين، فأرسل لويس راهباً اسمه راؤول إلى أقطاي⁽¹⁸¹⁾ يشكو هذا الاعتداء المخالف لبنود الصلح، فأجابه أقطاي: "أيها الأخ راؤول، قل للملك إنني لا يمكنني إصلاح ما فسد، وإن قلبي

لمفعم بالأسى، وحذره بالنيابة عن نفسي بألا يبدي أي تدمير عما يجيش في نفسه ما دام في أيدينا، وإلا كان مصيره الموت"،⁽¹⁸²⁾ وأكد ذلك رنسيما بآجهاز الممالك على الجنود والجرحى المتخلفين في دمياط، مما يعتبر نقضا للعهد،⁽¹⁸³⁾ ويبدو أن أقطاي لم يكن راضيا عن هذا الفعل،⁽¹⁸⁴⁾ فقد كان بعض الأمراء الممالك غير راضين عن الصلح، إلا أنهم خضعوا لرغبة شجر الدرومن وافقوها الرأي.⁽¹⁸⁵⁾

ث- مفاوضات الناصر يوسف مع لويس التاسع:

رفض الأيوبيون استيلاء الممالك على مصر، فوحدوا صفوفهم لمواجهةهم،⁽¹⁸⁶⁾ فأرسل الدمشقيون إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، وملكوه على مدينتهم، وذلك في 10 ربيع الآخر 648هـ/ 11 يوليو 1250م.⁽¹⁸⁷⁾

ورفض الخليفة العباسي المستعصم بالله سلطنة شجر الدر على مصر، فأرسل إلى أمراء الممالك بمصر، يقول لهم: "إن كانت الرجال قد عدت عندكم، فأعلمونا حتى نسير لكم رجلا"، وكذلك رفض علماء مصر سلطنتها، وعلى رأسهم العز بن عبد السلام، فتنازلت شجر الدر عن الحكم لزوجها الأتابك عز الدين أيبك، وتسلمت تحت لقب "الملك المعز" وذلك في ربيع الآخر 648هـ/ يوليو 1250م،⁽¹⁸⁸⁾ تحت الضغطين الداخلي والخارجي.⁽¹⁸⁹⁾

ولامتصاص غضب الأيوبيين وأنصارهم، لجأ الملك المعز أيبك إلى اختيار طفل من بني أيوب، ليكون شريكا اسميا إلى جانبه في الملك، فاختار موسى⁽¹⁹⁰⁾ حفيد الملك الكامل، وكان في السادسة من عمره، ولقب بالملك

الأشرف، وذلك في 3 جمادي الأولى 648هـ/ 2 أغسطس 1250م.⁽¹⁹¹⁾

وفي ظل رفض الأيوبيين لسيطرة الممالك على مصر واغتيالهم لتوران شاة، عرض الملك الناصر يوسف الأيوبي على لويس التاسع -بصفته ملك عكا- التحالف معه ضد ممالك مصر مقابل إعطائه بيت المقدس،⁽¹⁹²⁾ ويتضح أن هذا العرض سخي جدا بالنسبة للملك لويس وعموم الصليبيين، لأنه يحقق لهم هدفا طالما ناضلوا من أجله، إلا أن لويس كان يفضل التفاوض مع الممالك، بسبب عروضهم المغرية، ولرغبته في الحفاظ على أرواح جنوده الأسرى في مصر، ولوجود معاهدة دمياط بينه وبين الممالك التي تحدد التزامات كل طرف اتجاه الآخر، وكان لويس لا يثق بوعود الناصر يوسف في الوفاء بتسليم بيت المقدس للصليبيين لو انتصر على الممالك، كما أن لويس كان يرى أن المستقبل لقوة الممالك الصاعدة، وليس لبقايا القوة الأيوبية المتداعية،⁽¹⁹³⁾ مع أن بعض المؤرخين يرجحون أن لويس كان يفضل التحالف مع دمشق؛ وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي المتميز بالنسبة لكيانات الصليبيين، ولرغبته بالانتقام من الممالك للثأر لهزيمته في فراسكر، إلا أن خشيته على أسراه في مصر حالت دون ذلك، وقد فسر مؤرخون موقف لويس وإجراءاته بأنها كانت حيادية بين الطرفين.⁽¹⁹⁴⁾

تكرر عرض الناصر يوسف على الملك لويس التحالف ضد الممالك بمصر مقابل التنازل له عن بيت المقدس، فاستغل لويس هذا العرض الأيوبي بالضغط على ممالك مصر لإطلاق أسراه الذين في أيديهم، فأرسل سفارة إلى مصر تطلب من أيبك الاستجابة لمطالب الملك الصليبي، وإلا فإنه سيتحالف مع الملك الناصر، ونجح

سفيره إلى القاهرة ويدعى "يوحنا فانسين" في مهمته، وزار القاهرة مرتين، ثم تم إطلاق سراح 3000 أسير صليبي من أسرى معارك الحملة الصليبية السابعة لقاء تحرير 300 أسير مسلم،⁽¹⁹⁵⁾ وينظر للويس أنه أحسن استغلال الظروف التي تمر بها المنطقة من خلافات الأيوبيين والمماليك، ونجح في تخليص جنوده من الأسرى بدون الفدية المتفق عليها.⁽¹⁹⁶⁾

ورغب المعز أيبك في أن تزداد الصلة وثوقا مع لويس، لأنه رأى في تحالفه معه أمانا لسلطته ودولته الناشئة، فأرسل إليه مع الدفعة الثانية من الأسرى الذين أطلق سراحهم هدية قديرة، وهي عبارة عن فيل وحمار وحشي، فانهز لويس هذه المبادرة، وطالب بإطلاق سراح باقي الأسرى الصليبيين بدون مقابل، ولكي يزداد موقفه قوة، أرسل لويس إلى دمشق سفيرا، فاستجاب المعز أيبك لطلبه لكي يبقيه إلى جانبه ضد الناصر يوسف،⁽¹⁹⁷⁾ وتم الاتفاق على هدنة بين الطرفين في محرم 650هـ/ مارس 1252م على محاربة الناصر يوسف مقابل إعطاء بيت المقدس -التي كانت لا تزال تحت حكم الناصر يوسف- للملك لويس حتى حدود نهر الأردن⁽¹⁹⁸⁾، وكما تعهد أيبك بإطلاق سراح باقي الأسرى الصليبيين الموجودين في مصر، ولم تدفع فديتهم بعد، طبقا لاتفاق شجر الدر لولويس، حيث اتفقوا على أن تتحرك القوات الصليبية وتقيم في يافا، بينما يتقدم المماليك إلى غزة، ثم يهاجموا بلاد الناصر يوسف، إلا أن الناصر يوسف أفشل تنفيذ هذا الاتفاق،⁽¹⁹⁹⁾ حيث أرسل أربعة آلاف فارس إلى غزة، منعوا الاتصال بين المماليك والصليبيين.⁽²⁰⁰⁾

وكاد اتفاق أيبك-لويس أن يفشل بسبب تفاوض بين الداوية والناصر يوسف، إلا أن لويس أنهم علنا

وأجبرهم على الاعتذار،⁽²⁰¹⁾ حيث كان الداوية يرون أن الأيوبيين خير سند لهم في الشام، وأقدموا على هذه المفاوضات دون استئذان من لويس،⁽²⁰²⁾ ويؤكد هذا الموقف مدى قوة سلطة لويس على صليبي الشام، ومدى ضعفة موقف الداوية.⁽²⁰³⁾

واستطاع مبعوث الخليفة العباسي نجم الدين البادرائي⁽²⁰⁴⁾ أن يصلح بين الطرفين في سنة 651هـ/1253م، على أن تكون منطقة نفوذ المماليك مصر ووسط وجنوب فلسطين، وأن تكون منطقة نفوذ الناصر يوسف الأيوبي باقي بلاد الشام من حلب شمالا حتى الأردن جنوبا.⁽²⁰⁵⁾ ففوّت المسلمون الفرصة على لويس التاسع للاستفادة من تلك الظروف لصالح مشروعه الصليبي. وينظر مؤرخون إلى أن لجوء كلا من المعز أيبك والناصر يوسف إلى عقد الصلح بينهما إلى تنبههما إلى خطة لويس لاستغلال الخلافات بينهما، لتحقيق مصالح الصليبيين على حسابهما، فأثرا الاتفاق والتراضي.⁽²⁰⁶⁾

المبحث الثاني/ استراتيجيات الأيوبيين والصليبيين في إجراء المفاوضات:

اتبع كلا من ملوك بني أيوب وقادة الصليبيين استراتيجيات معينة أثناء إجرائهم المفاوضات مع بعضهم في فترات السلم والحرب أثناء الصراعات التي دارت بينهم: أولاً: استراتيجيات الأيوبيين -بعد صلاح الدين- في المفاوضات مع الصليبيين: اختلفت الاستراتيجيات التفاوضية الأيوبية مع الصليبيين باختلاف شخصية القائد الأيوبي، ويتضح ذلك مما يلي:

السياسة التفاوضية الأيوبية في عهد الناصر صلاح الدين -مؤسس الدولة- وعهد الصالح نجم الدين أيوب

كانت تنطلق من العزة والكرامة ونابع الجهاد والتضحية، أما في عهد معظم الملوك الآخرين غالباً ما كانت تنطلق من مبدأ المصالح الشخصية والحفاظ على مناطق النفوذ، لذلك كان بعضهم يتحالف مع الصليبيين ضد أبناء عمومته.

الملك العادل كان يتوجه نحو الهدوء والسلام، وذلك من خلال التفاوض وعقد المعاهدات مع الصليبيين وتجنب الحرب معهم قدر الامكان، وذلك لظروف دولته، وكان يقدم تنازلات خلال مفاوضاته معهم حتى يستطيع التوصل لاتفاق معهم.⁽²⁰⁷⁾

الملك الكامل محمد لم يكن كأبيه العادل سياسي محنك، مما دفعه إلى التنازل عن بيت المقدس، والتهاون في حقوق أمته، ومكتسبات أبيه العادل وعمه الناصر صلاح الدين من قبل، وذلك في مفاوضات الحملتين الخامسة والسادسة وفي اتفاقية يافا.

عدم التنازل عن الكرك والشوبك، وتنبع أهميتهما في أنهما حلقة الوصل بين مصر والشام والحجاز من ناحية خليج العقبة، فقد حرص الملك الكامل أثناء مفاوضات الحملة الصليبية الخامسة أن تظل الكرك والشوبك تحت السيطرة الأيوبية، على الرغم من استعداداته للتنازل عن بيت المقدس ومناطق الساحل الفلسطيني مما فتح صلاح الدين،⁽²⁰⁸⁾ وفي وصية الملك الصالح نجم الدين أيوب لابنه توران شاه أكد له على أهمية الكرك والشوبك بالنسبة للدولة الأيوبية، وأوصاه بعدم التنازل عنهما مهما بلغ الثمن.⁽²⁰⁹⁾

الملك الصالح نجم الدين أيوب كان رجلاً مجاهداً وسياسياً محنكاً، استطاع أن يستخدم الحرب في أوقاتها، والمفاوضات في أوقاتها دون تساهل في حقوق المسلمين، واستطاع أن ينتزع بيت المقدس من الصليبيين بعد تفريط عمه الصالح اسماعيل فيها، أما ولده المعظم توران شاه فقد كان متهوراً ولا يدبر شئون دولته بسياسة حكيمة، سواء مع أعدائه الصليبيين، أو مع مماليك أبيه ورجال الدولة في مصر، مما أدى إلى مقتله وضياع ملك بني أيوب.

اتبع الملك الصالح نجم الدين أيوب في مفاوضاته مع لويس التاسع، عندما رست سفنه قبالة دمياط،⁽²¹⁰⁾ على سياسات: عدم التفريط بالأرض؛ والتمسك بعزة المسلم وإيمانه في مواجهة العدو؛ ويتضح ذلك من رده على رسالة الملك لويس،⁽²¹¹⁾ وتوضح جدية الملك الصالح نجم الدين أيوب في التمسك بخيار المقاومة، من خلال معاقبته لجنده الهاربين من دمياط لتركها لقمة سهلة للصليبيين وعدم مقاومة غزوهم، إلا أن المنية سارعت الملك الصالح نجم الدين أيوب، فلم تكتمل جهوده الدبلوماسية والجهادية لتخليص مصر من محنة الغزو الصليبي.⁽²¹²⁾

اتبع الملك المعظم توران شاه في مفاوضاته مع لويس سياسة الشدة والضغط والقوة،⁽²¹³⁾ فقد أتى لمصر وتسلم مقاليد الحكم، وكانت الأحوال قد تبدلت باندحار الصليبيين وتقدم القوات المصرية، حتى نجحت في معركة المنصورة من كسر الصليبيين، واعتقال قادة جيشهم، وعلى رأسهم الملك لويس نفسه، فقد كان توران شاه يفاوض لويس وهو مأسور في قبضة قواته وتحت رحمته.⁽²¹⁴⁾

اهتمت السلطنة شجر الدرب إنهاء المفاوضات مع لويس التاسع، إلا أنها كانت لا تزال تتفاوض من موضع القوة،⁽²¹⁵⁾ ونجحت في عقد الاتفاق مع الملك الفرنسي، وتنفيذه برحيل الصليبيين عن دمياط، وذلك حتى تتفرغ لإدارة أزمات الدولة التي أعقبت اغتيال توران شاه.⁽²¹⁶⁾

جمع المعلومات كان من أهم الضرورات لتحقيق المصلحة الإسلامية في المفاوضات، واعتمد سلاطين بني أيوب على العيون والجواسيس والتحالفات مع بعض القوى الصليبية التي تمدهم بالمعلومات، وقد لعب البريد الأيوبي دوراً كبيراً في تزويد القيادة الأيوبية بالمعلومات المرصودة عن الكيانات الصليبية وعن نواياهم في عقد الهدن والاستعداد للحرب، مما يجعل القيادة الأيوبية تتخذ الموقف الصحيح أثناء التفاوض مع الصليبيين.⁽²¹⁷⁾

ثانياً: استراتيجيات الصليبيين في المفاوضات مع خلفاء صلاح الدين:

خاض الصليبيون مفاوضاتهم مع الأيوبيين رغبة منهم في تحقيق أهدافهم، وقد اختلفت استراتيجياتهم التفاوضية باختلاف الظروف المتزامنة لواقع المفاوضات، وأهم هذه الاستراتيجيات هي:

المبادرة إلى المفاوضات قبل استخدام القوة المسلحة،⁽²¹⁸⁾ حيث أن لويس التاسع طلب من الملك الصالح نجم الدين أيوب تسليمه بيت المقدس؛ والساحل الفلسطيني؛ وكل ما فتحه صلاح الدين الأيوبي، وكان لويس يرغب من ذلك بمحاولة تحقيق أهدافه بدون إراقة دماء، كما فعل الإمبراطور الألماني فردريك الثاني من قبل مع الملك الكامل، وفي حال عدم تحقيق ذلك، فإنه يرغب في

إثارة الرعب في قلوب القيادة الأيوبية باستعراض قوته وتهديدهم بها.⁽²¹⁹⁾

الصليبيون كانوا يلجؤون للتفاوض مع الأيوبيين عند عدم استقرار شئونهم الداخلية وتعاضم خلافاتهم، أو عندما تدور عليهم الدائرة في الحرب، فإنهم يلجؤون للمفاوضات ويبدون التنازلات للوصول إلى معاهدة.

اتبع باباوات روما التفاوض والمراسلات مع سلاطين بني أيوب في مصر في فترات ضعف صليبي الشام، وانصراف الأوروبيين عن نصرتهم إلى مشكلاتهم الداخلية، وكان التفاوض يهدف لبقاء وتدعيم الكيانات الصليبية في الشرق، إلى حين تجهيز حملات صليبية تقدر على تحقيق انتصارات على المسلمين.⁽²²⁰⁾

عندما يكون الصليبيون في مستوى عالٍ من القوة فإن سياسات الغرور والتكبر والثقة بالنفس والتعالي على الخصم أثناء المفاوضات تكون هي السمة الأساسية في تعاملهم مع المسلمين، وتتضح هذه الصفات من أسلوب مخاطبة لويس التاسع لكلا من الملك الصالح نجم الدين أيوب وولده الملك المعظم توران شاه، حتى أنه كان يضع شروطاً للتصالح غير واقعية ومبالغ بها، على الرغم من كونه في موقف الضعف،⁽²²¹⁾ كما حدث في مفاوضات ما قبل معركة فارسكور مع رسل المعظم توران شاه.⁽²²²⁾

بيت المقدس ظلت هدفاً رئيسياً للصليبيين في معظم مفاوضاتهم مع الأيوبيين، خصوصاً في أوقات قوتهم وضعف خصومهم، وهذا ما استطاعوا تحقيقه في اتفاقية يافا 626هـ/1229م، وفي مفاوضاتهم للتحالف مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق سنة 642هـ/1244م ضد الصالح نجم الدين أيوب، وفي مفاوضات لويس التاسع

مع الصالح نجم الدين أيوب وولده توران شاه والناصر يوسف ومماليك مصر.

في الحملة الصليبية السادسة اضطر فردريك الثاني اللجوء للمفاوضات، لأنه كان في وضع لا يسمح له باستخدام القوة لانتزاع بيت المقدس والدخول في حرب مع المسلمين، حتى أنه خلال المفاوضات كان يستعطف ويتذلل الملك الكامل حتى نال ما أراد في اتفاقية يافا.

الحرص على تحرير الأسرى الصليبيين، ويتضح ذلك من وضعه لشروط إطلاق سراح كل أسرى الحملة الصليبية السابعة عند المصريين، وكذلك إطلاق سراح كل أسرى صليبي الشام منذ اتفاقية يافا حتى تاريخ توقيع الصلح، على الرغم من أن الملك لويس كان في موقف الضعف، لأنه كان يفاوض الملك المعظم توران شاه، وهو أسيراً في قبضة قواته في دار ابن لقمان،⁽²²³⁾ وفي مفاوضاته مع شجر الدر والمعز أيبك استطاع أن يحرر أسراه دون دفع الفدية المتفق عليها مع المعظم توران شاه.⁽²²⁴⁾

اتباع سياسة التوازن في المفاوضات مع كلا من الناصريوسف الأيوبي حاكم دمشق وحلب، والملك المعز عز الدين أيبك حاكم مصر، حيث أنه استجاب لمراسلات كلا الزعيمين، وحاول أن يستفيد من نزاعهما، وكانت بيت المقدس هي هدفه في مفاوضاته معهما، مقابل التحالف مع أحدهما للقضاء على الآخر، وكان سينجح في تحقيق هدفه، لولا تدخل الخليفة العباسي بالإصلاح بين الخصمين، واستفاد لويس من مفاوضاته مع أيبك بإطلاق الأخير سراح أسرى الصليبيين دون فدية.⁽²²⁵⁾

الخاتمة والنتائج:

بعد الانتهاء من الدراسة تم التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

* بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي تعرضت البلاد الأيوبية إلى فترة من المحن والقلق والاضطرابات والصراعات الداخلية انتهت بسيطرة العادل الأيوبي على ملك مصر، وخضوع حكام باقي المناطق الأيوبية لطاعته، وقد أثر العادل خلال فترة حكمه الجنوح للإسلام وتجنب الحرب، وفي سبيل ذلك دخل مع الصليبيين في مفاوضات وعقد معهم معاهدات عدة ليسلم من شرهم على الرغم من حدوث بعض المناوشات والمعارك بينه وبينهم

* تولى الكامل محمد بن العادل الحكم في مصر خلفاً لأبيه، وقد واجه خلال فترة حكمه الحملتين الصليبيتين الخامسة والسادسة، وبدلاً من أن يحمل الكامل لواء الجهاد ضد الصليبيين الغزاة بذل لهم في مفاوضاته معهم كل ما حرره صلاح الدين بما في ذلك بيت المقدس ليرحلوا عن بلاده.

* فشلت الحملة الصليبية الخامسة نتيجة غباء قادتها وعدم استغلالهم لاستمئزاز وتخاذل الكامل الأيوبي، وليس لشجاعة أو دبلوماسية القيادة الإسلامية.

* وفي الحملة الصليبية السادسة سَلَّم الكامل بيت المقدس وبقياع أخرى من فلسطين للإمبراطور الألماني فردريك الثاني وبدون مقابل طبقاً لمعاهدة يافا 626هـ/1229م فاستطاع فردريك بالمفاوضات تحقيق ما فشل غيره انتزاعه بقوة السلاح.

* أقدم الناصر داود على حصار بيت المقدس وانتزاعها من الصليبيين سنة 637هـ/1237م، ويعتبر توجه الناصر داود لتحرير بيت المقدس ذو أهداف ذاتية وليس لأهداف دينية أو جهادية، والدليل أنه تحالف مع الصالح اسماعيل حاكم دمشق وسلم بيت المقدس للصليبيين

مقابل التحالف معهم لقتال الصالح نجم الدين داود سلطان مصر.

* حمل الصالح نجم الدين أيوب على عاتقه مهمة تحرير بيت المقدس ومواجهة تحالفات الناصر داود والصالح اسماعيل مع الصليبيين، ونجح الصالح نجم الدين أيوب في هزيمتهم في معركة غزة (حطين2) سنة (642هـ/1244م) وتحرير بيت المقدس من دنس الصليبيين، ويعد هذا الاحتلال الأخير للقدس حتى الاحتلال الإنجليزي سنة 1917م.

* واجه الصالح نجم الدين أيوب في آخر أيامه الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، حيث نجح الصليبيون في احتلال دمياط، وتوفي الصالح نجم الدين أيوب خلال هذه الأزمة، بعد انتصار الجيش المصري على حملة لويس التاسع وأسرته.

* دارت مفاوضات بين حكام مصر والصليبيين، وتم الاتفاق على معاهدة دمياط بينهم ليرحل الملك لويس بما تبقى من حملته عن دمياط ويدفع فدية عن نفسه وعن جنده.

* بعد خروج الحملة السابعة من مصر دب الخلاف في صفوف القيادة الإسلامية، فتسابق الحكام المسلمين في فتح باب المفاوضات مع لويس التاسع وصليبي الشام لإنشاء تحالفات مع الصليبيين لمحاربة بعضهم، واستغل لويس التاسع هذا الصراع -الأيوبي، المملوكي- لصالحه واستطاع تحرير أسراه من مصر دون دفع الفدية المقررة في معاهدة دمياط.

(11) ابن واصل، مفرج الكروب (ج3/75-78): أبو الفداء، المختصر (ج3/93-94): الدودار، كنز الدرر (ج7/131): ابن كثير، البداية والنهاية (ج13/21): المقرئ، السلوك (ج1/253): رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/180).

(12) أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص117): عاشور، قبرس والحروب الصليبية (ص37): قاسم، الأيوبيين والمماليك (ص85، 89): غوانمة، معاهدات الصلح (ص63).

(13) طرابلس: مدينة بالشام تطل على البحر المتوسط، بينها وبين دمشق تسعين ميلا. الأنصاري، نخبة الدهر (ص120).

(14) حصن الأكراد: هو حصن منيع يقع بين بعلبك وحمص، وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الصليبيين، وأجروا لهم أرزاقاً، ثم خافوا على أنفسهم فقاموا بتحصينه إلى أن صارت قلعة حصينة منعت الصليبيين عن كثير من غاراتهم. ياقوت، معجم البلدان، (ج2/264): زكي، القلاع (ص64، 72).

(15) حماة: مدينة شامية كبيرة على نهر العاصي، يحيط بها سور منيع. ياقوت، معجم البلدان (ج2/300).

(16) الملك المنصور أحمد بن عامر: حاكم حماة خلال 586-616هـ/1191-1220م. أبو الفداء، المختصر (ج1/473).

(17) بعلبك: مدينة بالشام، تبعد عن دمشق 12 فرسخ. ياقوت، معجم البلدان (ج1/453).

(18) حمص: هي مدينة كبيرة ومحصنة، تقع في منتصف الطريق بين دمشق وحلب. ياقوت، معجم البلدان (ج2/302).

(19) بعيرين: بليد بين حمص والساحل واسمه بارين، ولفظ بعيرين اسم يطلقه العامة. ياقوت، معجم البلدان، (ج1/452).

(20) مفرج الكروب (ج3/152-153): أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص120).

(21) أبو الفداء، المختصر (ج3/103، 105): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/186-187).

(22) ابن واصل، مفرج الكروب (ج2/369): الدودار، كنز الدرر (ج7/155): ابن خلدون، تاريخ (ج5/386): أبو الفداء، تاريخ (ج3/106)، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/186): رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/188-187).

(1) الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب: قائد عسكري كردي، ولد بمدينة تكريت شمال العراق، وهو مؤسس الدولة الأيوبية وسلطانها خلال الفترة (567-589هـ/1174-1193م)، وأهم أعماله القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس من الصليبيين. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج14/921).

(2) العادل الأيوبي: هو شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو من أكبر رجال دولته، وكان يفاوض ريتشارد نيابة عن صلاح الدين، وقد تولى منصب سلطان الدولة الأيوبية في الفترة 596-615هـ/1199-1218م. الصفي، الوافي بالوفيات (ج5/72).

(3) أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (74، 85): أبو سعيد، الجبهة الإسلامية (ص334-335): عبد الرحمن، إدارة بلاد الشام (ص33): الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص468): زيان، الصراع بين القوى الإسلامية (ص107).

(4) ابن الأثير، الكامل (ج12/127): ابن شداد، الأعلام الخطيرة (ج2/100): الذهبي، العبر (ج4/281): ابن خلدون، تاريخ (ج5/726).

(5) سالم، تاريخ مدينة صيدا (ص127).

(6) مملكة عكا: هو مصطلح يطلق على مملكة بيت المقدس اللاتينية بعد صلح الرملة 588هـ/1192م، حيث تم إعادة تشكيلها على يد ريتشارد قلب الأسد بعد أن اندثرت على يد صلاح الدين، وامتدت من صور حتى يافا، واتخذت من عكا عاصمة لها، ودامت هذه المملكة حتى قضى عليها الأشرف خليل بن قلاوون سنة 690هـ/1291م. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج8/11): صلاح، المفاوضات المملوكية الصليبية (ص41). عكا: مدينة وميناء محصنين على ساحل بحر الشام. ياقوت، معجم البلدان (ج4/143).

(7) بيروت: هي مدينة ساحلية تطل على البحر المتوسط، وبها ميناء تجاري هام. ياقوت، معجم البلدان (ج1/525).

(8) جبيل: مدينة مشهورة تقع على ساحل بحر الشام. ياقوت، معجم البلدان (ج2/109).

(9) يافا: بلدة ساحلية مشهورة، كثيرة الرخاء، كانت حصناً كبيراً، وبها ميناء كبير. أبو الفداء، تقويم البلدان (239).

(10) صيدا: مدينة تقع على ساحل بحر الشام، وتعد من أعمال دمشق. ياقوت، معجم البلدان (ج3/437).

(36) ابن واصل، مفرج الكروب (ج3/201): أبو الفداء، تاريخ (ج2/372): الذهبي، العبر (ج3/5): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/196): رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/239-240).
 (37) عاشور، قبرس والحروب الصليبية (ص38-39): غوانمة، معاهدات الصلح (ص63): أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص118).
 (38) الملك المنصور محمد بن المظفر محمود: حاكم حماة في الفترة 641-1274هـ/1244-1274م. الكتبي، قوات الوفيات (ج4/12).
 (39) مفرج الكروب (ج3/152-153): أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص120).
 (40) الكامل الأيوبي: تولى سلطنة الدولة الأيوبية في الفترة 615-635هـ/1217-1237م. الصفدي، وفيات الأعيان (ج5/79-89).
 (41) هتغاريا (تسمى أيضا المجر): هي دولة في وسط أوروبا وعاصمتها بودابست. ديورانت، قصة الحضارة (ج44-49).
 (42) قبرص: جزيرة كبيرة في البحر المتوسط بها مدن كثيرة وقرى عامرة. الحلبي، خريدة العجائب (ص169).
 (43) أبو سعيد، الجهة الإسلامية (ص341-342): بردج، تاريخ الحروب الصليبية (ص244-248): قاسم، ماهية الحروب الصليبية (ص125): قاسم، الأيوبيين والمماليك (59-105): غوانمة، معاهدات الصلح (ص65-66): عمران، الحملة الصليبية الخامسة (ص161-167): زابوروف، الصليبيون في الشرق (295).
 (44) بيسان: قرية فلسطينية بغور الأردن. الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه (ص61).
 (45) دمياط: هي مدينة مصرية قديمة على زاوية بين البحر المتوسط ونهر النيل، وهي ثغر من ثغور الإسلام. ياقوت، معجم البلدان (ج2/472).
 (46) ابن الأثير، الكامل (ج10/369): ابن واصل، مفرج الكروب (ج3/258-261): المنصوري، مختار الأخبار (ص6): اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/201): أبو الفداء، المختصر (ج3/117-122): الدوادار، كنز الدرر (ج7/195-197): ابن كثير، البداية والنهاية (ج13/94): ابن خلدون، تاريخ (ج5/398-399): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/238): ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/396-400).

(23) عموري (أملريك لوزجنان): ملك مملكة بيت المقدس في الفترة 593-601هـ/1197-1205م. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/841).
 (24) رشيد: بلدة تقع على ساحل البحر المتوسط ونهر النيل بالقرب من الإسكندرية. ياقوت، معجم البلدان (ج3/45).
 (25) الحملة الصليبية الرابعة 597-600هـ/1201-1204م: هي حملة توجهت لغزو مصر وبيت المقدس، إلا أنها انحرفت إلى القسطنطينية واحتلتها ونهبها. ديورانت، قصة الحضارة (ج15/46): ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ص331-36).
 (26) اللد: بضم اللام، وهي قرية تقع في فلسطين غربي القدس. ياقوت، معجم البلدان (ج5/15).
 (27) الرملة: مدينة تقع في وسط فلسطين غرب القدس، وتتميز بأنها مدينة إسلامية صرفة، حيث بنيت في العصر الأموي، وكان لها سور يحيط بها. ياقوت، معجم البلدان (ج3/69): أبو الفداء، تقويم البلدان (ص241).
 (28) ابن واصل، مفرج الكروب (ج2/369): الدوادار، كنز الدرر (ج7/155): ابن خلدون، تاريخ (ج5/386): أبو الفداء، تاريخ (ج3/106)، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/186): رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/187-188).
 (29) ابن واصل، مفرج الكروب (ج2/370).
 (30) أنوسنت الثالث: بابا روما خلال الفترة 594-612هـ/1198-1216م. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/859).
 (31) القسطنطينية: مدينة عظيمة في مضيق البوسفور، وهي تعرف اليوم باسم استانبول بتركيا. ياقوت، معجم البلدان (ج4/347).
 (32) عطية، تاريخ الحروب الصليبية (ص98، 100-103): قاسم، الأيوبيين والمماليك (ص91-92): أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص118).
 (33) بوهمند الرابع: أمير أنطاكية وطرابلس الصليبيتين خلال 597-630هـ/1201-1233م، حيث خضعت له طرابلس لعدم بوصاية أميرها لعدم وجود وريث. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/842).
 (34) ابن واصل، مفرج الكروب (ج3/173): الدوادار، كنز الدرر (ج7/160): غوانمة، معاهدات الصلح (ص64): عسلي، جهود تحرير الأسرى (ص59). أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص118).
 (35) أبو سعيد، الجهة الإسلامية (ص340).

بدائع الزهور (ج1/ق1/261-262)؛ بردج، تاريخ الحروب الصليبية (ص249-250)؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص296-299).

(55) ذيل مرآة الزمان (ج2/202).

(56) فيليب الثاني: ملك فرنسا خلال فترة 575-619هـ/1180-1223م. ديورانت، قصة الحضارة (ج15/223).

(57) زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص298).

(58) غوانمة، معاهدات الصلح (ص66-67)؛ البواغنة، دور العلماء (ص327-328)؛ المطوي، الحروب الصليبية (ص105-108)؛ قاسم، ماهية الحروب الصليبية (ص126)؛ قاسم، الأيوبيين والمماليك (ص106-110)؛ عاشور، الحركة الصليبية (ج2/225-227 ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/402-411)؛ بن جاسم، الأيوبيون

(59) الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص461، 463-465)؛ وهبة، موجز الحروب الصليبية (ص46)؛ عمران، الحملة الصليبية الخامسة (ص290-301).
(60) رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص514)؛ براور، عالم الصليبيين (ص66).
(61) زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص298-299)؛ عمران، الحملة الصليبية الخامسة (340-358)؛ عبد القوي، الانجليز والحروب الصليبية (ص150).

(62) غوانمة، معاهدات الصلح (ص68)؛ أبو سعيد، الجبهة الإسلامية (ص356-359)؛ المطوي، الحروب الصليبية (ص114-115)؛ زيان، الصراع بين القوى الإسلامية (ص109-115).

(63) الدولة الخوارزمية: دولة إسلامية تركية سلجوقية قامت خلال الفترة (469-616هـ/1077-1220م) في وسط آسيا امتدت حدودها من الخليج العربي وبلاد الجزيرة الفراتية غربا حتى حدود الصين والهند شرقا. ابن الأثير، الكامل (ج10/343).

(64) الإمبراطورية الرومانية المقدسة: هي دولة عظمى في وسط أوروبا مركزيتها في ألمانيا خلال السنوات 1220-1806هـ/962-1806م. ديورانت، قصة الحضارة (ج14/241-263).

(65) فردريك الثاني: إمبراطور الرومانية المقدسة خلال 616-636هـ/1220-1250م. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/198).

(66) ابن الأثير، الكامل (ج10/430)؛ ابن واصل، مفرج الكروب (ج4/233-235)؛ اليونيني، ذيل مرآة الوزمان (ج1/128)؛ أبو

(47) الكرك: قلعة تقع في جنوب الشام على الطريق مع مصر والحجاز، وهي بالقرب من الشوبك، ولها أهمية كبرى لتحكمها في الطريق المذكور. ياقوت، معجم البلدان (ج4/452).

(48) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. ياقوت، معجم البلدان (ج3/370).

(49) المعظم عيسى بن العادل: حاكم دمشق في الفترة 615-624هـ/1218-1227م. الصفدي، وفيات الأعيان (ج3/494).

(50) دمشق: هي كبرى مدن الشام، وتعتبر العاصمة التاريخية لها، وهي تقع على أرض مستوية تحيط بها الجبال من كل الجهات، وهي مشهور بطيب ثمارها. ياقوت، معجم البلدان (ج2/463).

(51) صليب الصليبيون: هو صليب يزعم الصليبيون أن فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها السيد المسيح عليه السلام، وقد غلفوه بالذهب الأحمر وكللوه بالدر والجوهر، فإذا حمله الرهبان لم يتخلف عنه أحد، لما له من القداسة في قلوب النصارى. ابن الأثير، الكامل (ج10/25)؛ أبو شامة، الروضتين (ج3/287)، وهو عامل معنوي كبير يعتمد عليه الصليبيون، وانتزاع صلاح الدين له، كان أعظم على قلوبهم من أسر ملكهم. ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/246)؛ الغامدي، استرداد بيت المقدس (ص193).

(52) بلاغيوس البانوس: هو مندوب البابا في الحملة، وهو أحد رجال الكنيسة الكاثوليكية، وهو برتغالي الموطن، عرف بتعصبه وعناده وتسارعه وغروره، وقد شكل لنفسه حزبا من الصليبيين القادمين حديثا إلى فلسطين، ومن رجال الهيئات الدينية والجاليات الايطالية، حيث استطاع أن يفرض قراره على مسار الحملة دون اكتراث بالقوانين الكنسية التي تحد من صلاحياته. ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ص401-403).

(53) شرق الأردن: هي المنطقة الريفية والصحراوية التي تقع للشرق من نهر الأردن، وكانت قليلة السكان مقارنة بباقي مناطق الشام، ونهر الأردن: هو الحد الطبيعي الشرقي لإقليم فلسطين، ينبع من مناطق بانياس وجنوب لبنان ويخترق بحيرة طبرية ويصب في البحر الميت. المقدسي، أحسن التقاسيم (ص184).

(54) ابن واصل، مفرج الكروب (ج4/95-105)؛ المنصوري، مختار الأخبار (ص6-7)؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/201-205)؛ أبو الفداء، المختصر (ج3/129-130)؛ الدوادار، كنز الدرر (ج7/198-200)؛ ابن خلدون، تاريخ (ج5/399، 404-405)؛ المقرئ، السلوك (ج1/329)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/23-24)؛ ابن اياس،

(136): ابن واصل، مفرج الكروب (ج2/211-217): رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج2/752-753). حطين: قرية بين أرسوف وقيسارية، وبها قبر شعيب عليه السلام. ياقوت، معجم البلدان (ج2/273).

(78) غوانمة، معاهدات الصلح (ص72): أبو سعيد، الجمة الإسلامية (ص365): البواغنة، دور العلماء (ص371، 375-376): عبد الرحمن، إدارة بلاد الشام (ص32): المطوي، الحروب الصليبية (ص116): الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص487): عاشور، قبرس والحروب الصليبية (ص40-42): أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص153-154): بن جاسم، الأيوبيون

(http://alarab.qa/story/283502/)

(79) ابن شداد، النوادر (ص136)، ابن واصل، مفرج الكروب (ج2/211-217).

(80) الصالح نجم الدين أيوب: هو سلطان الدولة الأيوبية في الفترة 637-647هـ/1240-1249م، وينسب إليه الفضل في تحرير بيت المقدس وهزيمة الصليبيين. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج14/562).

(81) الصالح إسماعيل بن العادل: حكم دمشق خلال 637-643هـ/1240-1246م. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج14/593).

(82) الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل: حكم دمشق 624-626هـ/1227-1229م، ثم عزله الأشرف موسى وضم دمشق للملكه. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج14/804).

(83) العادل سيف الدين: حكم مصر خلال 635-637هـ/1238-1239م. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج13/453).

(84) الدوادار، كنز الدرر (ج7/365): محمد، الاستراتيجية الإسلامية (ص54): قاسم، ماهية الحروب الصليبية (ص129).

(85) لويس التاسع: ملك فرنسا خلال الفترة 622-668هـ/1226-1270م، وكان يعرف بالقدّيس لويس بسبب توجهاته الدينية والكنسية. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/44): خوجة، ملوك فرنسا (ص83).

(86) ابن واصل، مفرج الكروب (ج4/246-247): الدوادار، كنز الدرر (ج7/366): الكتبي، فوات الوفيات (ج1/424).

(87) عسقلان: مدينة من أعمال فلسطين، وهي على الطريق الواصل بين الشام ومصر. ياقوت، معجم البلدان (ج4/122).

(88) ابن واصل، مفرج الكروب (ج4/246-247): أبو الفداء، المختصر (ج3/165): اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج1/142): العليبي، الأنس

الفداء، المختصر (ج3/137-138): ابن خلدون، تاريخ (ج5/406): المقرئ، السلوك (ج1/70-71): ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/426): زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص300).

(67) جريجوري التاسع: بابا روما خلال الفترة 623-638هـ/1227-1241م. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/859).

(68) البيرة: بلدة في فلسطين تقع بالقرب من القدس. ياقوت، معجم البلدان (ج1/526).

(69) الناصرة: قرية فلسطينية تبعد عن طبرية ثلاثة عشرة ميلا، وعاش فيها المسيح عليها السلام، وسمي النصارى بهذا الاسم نسبة للناصرة. ياقوت، معجم البلدان (ج5/251).

(70) بيت لحم: هي بلدة فلسطينية بالقرب من بيت المقدس، تتميز بأهميتها الدينية عند النصارى لميلاد المسيح عليه السلام فيها ولوجود كنيسة المهد التي تعتبر مقصد الحجاج المسيحيين. ياقوت، معجم البلدان (ج1/521).

(71) تبنين: بلدة في جبال بني عامر، المطلة على بانياس، بين دمشق وصور. ياقوت، معجم البلدان (ج14/2).

(72) ابن الأثير، الكامل (ج10/431-435): ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر (ص295): ابن واصل، مفرج الكروب (ج4/241-246): المنصوري، مختار الأخبار (ص6): أبو الفداء، المختصر (ج3/139-141): الدوادار، كنز الدرر (ج7/292): المقرئ، السلوك (ج1/354-355): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/271-272): العليبي، الأنس الجليل (ج1/4): رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/230): بردج، تاريخ الحروب الصليبية (ص253).

(73) المقرئ، السلوك (ج1/230).

(74) عاشور، أضواء جديدة (ص40): زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص302): براور، عالم الصليبيين (ص67).

(75) رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص515): وهبة، موجز الحروب الصليبية (ص50).

(76) زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص302): رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص515): عبد القوي، الانجليز والحروب الصليبية (ص156).

(77) معركة حطين 583هـ/1187م: هي معركة تمت بين المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي والصليبيين بقيادة ملكهم جي لوزجنان، حيث انتصر المسلمون وأبىد الجيش الصليبي، ونتج عن هذه المعركة تحرير بيت المقدس ومعظم البقاع المحتلة. العماد، الفتح القسي (ج7/179-188): ابن شداد، يوسف، النوادر (ص134-134).

(101) الذهبي، العبر (ج5/171): المقرئزي، السلوك (ج1/103): زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص303): صيدم، جهاد نجم الدين (ص45-46، 100): البواغنة، دور العلماء (337-341). (102) رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص517): براور، عالم الصليبيين (ص69): نصر الله، رحيل الصليبيين (ص11): حبشي، الشرق العربي (ص11): غوانمة، إمارة الكرك (263): قاسم، الأيوبيين والمماليك (ص129-131): أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (ص155).

(103) الناصريوسف: تولى حكم حلب سنة 634هـ/1236م، وبعد مقتل توران شاة ضُمت إليه دمشق وخاض معارك مع المماليك بمصر لاستردادها تحت العرش الأيوبي. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج12/890).

(104) حلب: مدينة تقع في شمال الشام، عرفت بحصانتها واتساعها وحسن مناخها. ياقوت، معجم البلدان (ج2/282): المقدسي، أحسن التقاسيم (ص155).

(105) الأشرف موسى: تولى حكم حمص خلال الفترة 644-661هـ/1262-1262م. الزركلي، الأعلام (ج7/319).

(106) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/445).

(107) المرجع نفسه (ج3/330-358).

(108) أنوسنت الرابع: باب روما خلال الفترة 639-651هـ/1242-1254م. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/860).

(109) عطية، تاريخ الحروب الصليبية (ص107-112): كاهن، الشرق والغرب (ص240).

(110) انظر: ابن الأثير، الكامل (ج10/430).

(111) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/230-331).

(112) قبرص: جزيرة كبيرة في البحر المتوسط بها مدن كثيرة وقرى عامرة. الحلبي، خريدة العجائب (ص169).

(113) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/206): رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/439-444): زكار، الموسوعة الشاملة (ج35/50-64): ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/474-472).

King, The Knight Hospitallars (p.242).

(114) الدكيني، لويس التاسع (ص273): غروسيه، الحروب الصليبية (ص87): عوض، الرحالة الأوروبيون (ص104): رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص519): حبشي، الشرق العربي (ص11).

الجليل (ج2/5): غوانمة، إمارة الكرك (258): قاسم، الأيوبيين والمماليك (ص126).

(89) المقرئزي، السلوك (ج1/102): أبو سعيد، الجبهة الإسلامية (ص382).

(90) أبو الفداء، المختصر (ج3/169): زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص303): غروسيه، الحروب الصليبية (ص86-87): ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/465).

(91) الجليل: هو إقليم جبلي يمتد من شمال فلسطين حتى حمص. ياقوت، معجم البلدان (ج2/157).

(92) طبرية: هي بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس، وبينها وبين عكا يومان. ياقوت، معجم البلدان (ج4/17).

(93) الشقيف: قلعة حصينة جدا في كهف من جبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل، وتسمى أيضا شقيف أرنون. ياقوت، معجم البلدان (ج3/356).

(94) أبو الفداء، المختصر (ج3/169).

(95) رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص516).

(96) ابن واصل، مفرج الكروب (ج5/332-337): اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/172): أبو الفداء، المختصر (ج3/172): الدوادار، كنز الدرر (ج7/340، 347-353): الذهبي، العبر (ج5/157): ابن كثير، البداية والنهاية (ج13/181): المقرئزي، السلوك (ج1/101-103): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/322): العليي، الأنس الجليل (ج2/6-7): ابن اياس، بدائع الزهور (ج1/ق1/273).

(97) كاهن، الشرق والغرب (ص237-238).

(98) العزبن عبد السلام: هو شيخ الاسلام ومجدد عصره، له العديد من المؤلفات القيمة، كان خطيبا وإماما بدمشق وتعرض للاعتقال لرفضه تواطؤ حاكمها مع الصليبيين فسافر إلى مصر. الزركلي، الأعلام (ج6/205).

(99) أبو الفداء، تاريخ (ج2/480): المقرئزي، السلوك (ج1/102-103): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/322-324): ماير، تاريخ الحروب الصليبية (ج1/467).

(100) غزة: مدينة فلسطينية على ساحل البحر المتوسط، وتعتبر بوابة العبور بين مصر والشام. يعقوبي، البلدان (ص167): العزيزي، المسالك والممالك (ص102): البغداد، مرصد الاطلاع (ج2/993).

(130) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص455)؛ يوسف، العدوان الصليبي (ص128)؛ حبشي، الشرق العربي (ص60) عن مصادر أجنبية.

(131) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص455).

(132) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج1/208)؛ الدوادار، كنز الدرر (ج7/370، 373)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج13/207)؛ ابن خلدون، تاريخ (ج5/416)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/364)؛ ابن اياس، بدائع الزهور (ج1/278-279)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/35).

(133) المماليك البحرية: هو مصطلح يطلق على المماليك الذين اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب واهتم بتربيتهم وأسند لهم مهام في الجيش وكافة مؤسسات الدولة، وتدرجوا في المناصب حتى أصبح منهم الأمراء والقادة العسكريين، ثم سيطروا على مقاليد الحكم في مصر عند اغتيالهم للسلطان توران شاة سنة 648هـ/1250م. وللمزيد انظر: صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين (ص33-39).

(134) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/208-213)؛ أبو الفداء، المختصر (ج3/179-181)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج13/207-208)؛ المقرئ، السلوك (ج1/111-114)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/364)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج7/414)؛ بردج، تاريخ الحروب الصليبية (ص266-270).

(135) الحريري، الأخبار السنية (ص320)؛ نصر الله، رحيل الصليبيين (ص32).

(136) المنصورة: هي بلدة بمصر بالقرب من دمياط أنشأها السلطان الكامل الأيوبي لتكون ثغرا للدفاع عن مصر بعد دمياط. البغدادي، مراصد الاطلاع (ج3/1322).

(137) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص462).

(138) ابن خلدون، تاريخ (ج5/416)؛ المقرئ، السلوك (ج1/114-116)؛ جوانفيل، القديس لويس (ص140-141)؛ روثان، تنمة كتاب وليم الصوري (ص187).

(139) انظر: العويني، ذيل مرآة الزمان (ج2/208-212).

(140) ابن خلدون، تاريخ (ج5/416)؛ رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص464).

(115) أبو الفداء، تاريخ (ج2/490)؛ الدوادار، كنز الدرر (ج7/365-366)؛ الذهبي، العبر (ج5/192)؛ المقرئ، الخطط (ج1/404)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/362)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/35)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج7/411)؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق (ص311، 314).

(116) حبشي، الشرق العربي (ص30-31).

Humphreys, Ayyubids, Mamluk and Latin East (p.7-24).

(117) الأندلس: هي منطقة شبه جزيرة إيبيريا في جنوب غرب أوروبا بالقرب من المغرب، وهي تضم الآن دولتي اسبانيا والبرتغال، وقد شهدت حضارة إسلامية راقية. ياقوت، معجم البلدان (ج1/262-263).

(118) الدوادار، كنز الدرر (ج7/366-367)؛ المقرئ، السلوك (ج1/109)؛ الخطط (ج1/405).

(119) [النحل: 1].

(120) [ص: 88].

(121) [البقرة: 249]

(122) الدوادار، كنز الدرر (ج7/367-369)؛ المقرئ، السلوك (ج1/438)؛ الخطط (ج1/405).

(123) حبشي، الشرق العربي (ص39)؛ بردج، تاريخ الحروب الصليبية (ص265)؛ أبو سعيد، الجبهة الإسلامية (ص387)؛ نصر الله، رحيل الصليبيين (ص20).

(124) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/206-208)؛ الدوادار، كنز الدرر (ج7/369)؛ المقرئ، السلوك (ج1/109)؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/362)؛ ابن العماد، شذرات الذهب (ج7/411)؛ روثان، تنمة كتاب وليم الصوري (ص153-156)؛ رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص454-455).

(125) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص454)؛ يوسف، العدوان الصليبي (ص128).

(126) توران شاة: هو ابن الصالح نجم الدين، وهو آخر سلاطين الأيوبيين، وكان قد تولى حصن كيفا. العيني، عقد الجمان (ج1/1)؛ الزركلي، الأعلام (ج2/247).

(127) نهاية الأرب (ج29/345).

(128) يوسف، العدوان الصليبي (ص128-129).

(129) حبشي، الشرق العربي (ص60-61).

السلطنة بعد مقتل توران شاه. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج2/228): الزركلي، الأعلام (ج3/158).

(154) أبو الفداء، المختصر (ج3/181-182): الدوادار، كنز الدرر (ج7/383): ابن اياس، بدائع الزهور (ج1/1ق/285): السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/36).

(155) المستعصم بالله: آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، بوع بالخلافة سنة 640هـ/1242م واستشهد مقتولا على يد المغول سنة 656هـ/1258م. الصفدي، الوافي بالوفيات (ج17/343)

(156) الدوادار، كنز الدرر (ج7/383): ابن خلدون، تاريخ (ج5/417): المقرئ، السلوك (ج1/117-119): العيني، عقد الجمان (ج1/29): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/373): السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/36).

Berkey, Storytelling, Preaching and Power in Mamluk Cairo (p.56-76); Humphreys, The Politics of the Mamluk Sultanate (p.235-44); Fernandes, Between Qadis and Muftis (p.103-117).

(157) نصر الله، رحيل الصليبيين (ص42).

(158) أبو سلمية، دور المرأة في الصراع الإسلامي الفرنسي (ص53-54).

Humphreys, Ayyubids, Mamluk and Latin East (p.7-24).

(159) الملكة مارجريت: ملكة فرنسا بصفتها زوجة لويس التاسع، توجت على العرش 640هـ/1243م، توفيت 656هـ/1295م. رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/440).

(160) رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ص468، 470).

(161) جوانفيل، القديس لويس (ص174-175): رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ص470).

(162) قاسم، عصر سلاطين المماليك (ص22): طقوش، تاريخ الحروب الصليبية (ص639-640): الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص528): نصر الله، رحيل الصليبيين (ص42): أبو سلمية، دور المرأة في الصراع الإسلامي الفرنسي (ص55).

(163) حسام الدين الهذلي: رجل سياسي ومدبر، وتعرض للمضايقات من قبل الصالح إسماعيل، ولما توجه لمصر أصبح من رجالات دولة الصالح نجم الدين. الصفدي، الوافي بالوفيات (ج22/66).

(141) يوسف، العدوان الصليبي (ص193-194): طقوش، تاريخ

الحروب الصليبية (ص633-634): الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص523): حبشي، الشرق العربي (ص97).

(142) جوانفيل، القديس لويس (ص140-141): روثان، تنمة كتاب ولیم الصوري (ص187).

(143) فارسكور: قرية شمال مصر على ساحل النيل بالقرب من دمياط. الادريسي، نزهة المشتاق (ج1/339).

(144) فيليب مونتفورت: كان سيدا لإقطاع تبين الصليبي، ثم بسط سيادته على صور ابتداء من سنة 641هـ/1243م. رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/384-388).

(145) بارونات: جمع بارون: لقب نبيل أرستوقراطي في الأنظمة الملكية الاقطاعية. عاشور، أوروبا في العصور الوسطى (ج2/65-70).

(146) دار ابن لقمان: تنسب للقاضي المصري إبراهيم بن لقمان، وهي دار أثرية اكتسبت شهرتها من أسر لويس التاسع واحتجازه فيها. الزركلي، الأعلام (ج1/58).

(147) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان (ج8/878): الدوادار، كنز الدرر (ج7/375): ابن خلدون، تاريخ (ج5/416): المقرئ، السلوك (ج1/116): العيني، عقد الجمان (ج1/18): السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/35): جوانفيل، القديس لويس (ص148): الذهبي، العبر (ج5/196): رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ص465).

(148) طقوش، تاريخ الحروب الصليبية (ص634): أبو سعيد، الجهة الاسلامية (ص391): الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص527).

(149) حبشي، الشرق العربي (ص98).

(150) كونراد بن فردريك: ملك القدس خلال (624-651هـ/1228-1254م)، وملك ألمانيا (634-651هـ/1237-1254م)، وملك صقلية (647-651هـ/1250-1254م). رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/315-323).

(151) النويري، نهاية الأرب (ج29/356): المقرئ، الخطوط (ج1/411): ابن اياس، بدائع الزهور (ج1/1ق/281): رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ص467): غروسيه، الحروب الصليبية (ص88-89):

Conder, The Kingdom of Jerusalem (p.355).

(152) يوسف، العدوان الصليبي (ص213-217).

(153) شجرة الدر: كانت من جوارى السلطان الصالح نجم الدين أيوب فأعتقها وتزوجها، وكانت تشير عليه في إدارة الدولة وتولت

(179) جوانفيل، القديس لويس (ص185، 200)؛ روثلان، تنمة كتاب
وليم الصوري (ص211-212)؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق
(ص315)؛ عامر، الصليبيون (ص119).

(180) عطية، العلاقات بين الشرق والغرب (ص77)؛ وهبة، موجز
الحروب الصليبية (ص53)؛ عامر، الصليبيون (ص119).

Humphreys, Ayyubids, Mamluk and Latin East (p.7-24).

(181) أقطاي: كان من أكبر ممالك الصالح نجم الدين أيوب، وكان
له نفوذ كبير في البلاد، وتمرد على المعز أيك، وانتهى الأمر بقتله
652هـ/1254م. أبو المحاسن، المنهل الصافي (ج2/502).

(182) العبادي، قيام دولة المماليك (ص121).

(183) تاريخ الحروب الصليبية (ج3/472).

(184) العبادي، قيام دولة المماليك (ص121)؛ طقوش، تاريخ المماليك
(ص38)؛ نصر الله، رحيل الصليبيين (ص44).

(185) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/368).

(186) عودات، وآخران، تاريخ المماليك (ص77)؛ عبد الرحمن، إدارة
بلاد الشام (ص34)؛

Humphreys, R. (1998). Ayyubids, Mamluk and Latin East. (p.
7-24).

(187) ابن واصل، مفرج الكروب (ج4/86)؛ ابن خلدون، تاريخ
(ج5/419)؛ الدوادار، كنز الدرر (ج7/385-386)؛ المقرئ، السلوك
(ج1/119-120)؛ العيني، عقد الجمان (ج1/33).

(188) المنصوري، زبدة الفكرة (ص6)؛ أبو الفداء، المختصر
(ج3/183)؛ ابن خلدون، تاريخ (ج5/420)؛ المقرئ، السلوك
(ج1/120)؛ العيني، عقد الجمان (ج1/34)؛ أبو المحاسن، النجوم
الزاهرة (ج6/274)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/36)؛ ابن
أياس، بدائع الزهور (ج1/1ق/26-287).

Berkey, Storytelling, Preaching and Power in Mamluk
Cairo (p.56-76); Humphreys, The Politics of the
Mamluk Sultanate (p.235-44).

(189) طقوش، تاريخ المماليك (ص39-40)؛ الحريري، الأخبار السنية
(ص324)؛ نصر الله، رحيل الصليبيين (ص46-47)؛ أبو سلمية، دور
المرأة في الصراع الإسلامي الفرنسي (ص56-57).

Fernandes, Between Qadis and Muftis (p.103-117).

(190) الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن المسعود أطسزبن
الكامل: عُين شريكا في الملك مع المعز أيك إلا أنه لم يكن له أي

(164) الأراضي الواطئة أو الأراضي المنخفضة أو هولندا: هو اسم
يطلق على دولة في شمال أوروبا. ديورانت، قصة الحضارة
(ج3/288).

(165) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (ج8/783)؛ المنصوري، مختار
الأخبار (ص8-9)؛ النويري، نهاية الأرب (ج29/363)؛ اليونيني، ذيل
مرآة الزمان (ج2/213)؛ الدوادار، كنز الدرر (ج7/384)؛ المقرئ،
الخطط (ج1/412)؛ العيني، عقد الجمان (ج29-30)؛ أبو المحاسن،
النجوم الزاهرة (ج6/369).

(166) كنز الدرر (ج7/384).

(167) المنصوري، مختار الأخبار (ص8-9)؛ أبو المحاسن، النجوم
الزاهرة (ج6/369)؛ جوانفيل، القديس لويس (ص174).

(168) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (ج8/783)؛ النويري، نهاية
الأرب (ج29/363)؛ المنصوري، مختار الأخبار (ص8-9)؛ السيوطي،
حسن المحاضرة (ص37)؛ العيني، عقد الجمان (ج129-30)؛ بردج،
تاريخ الحروب الصليبية (ص271-272)؛ رنسيما، تاريخ الحروب
الصليبية (ص472).

(169) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (ج8/783)؛ المنصوري، مختار
الأخبار (ص8-9)؛ ابن خلدون، تاريخ (ج5/416)؛ السيوطي، حسن
المحاضرة (ص37)؛ رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص472).

(170) جوانفيل، القديس لويس (ص174)؛ رنسيما، تاريخ الحروب
الصليبية (ص472).

(171) رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية (ص471).

(172) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/214)؛ العيني، عقد الجمان
(ج1/29-30).

(173) حبشي، الشرق العربي (ص105-106).

(174) انظر: الدوادار، كنز الدرر، (ج7/384).

(175) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/214)؛ الدوادار، كنز الدرر
(ج7/384)؛ ابن خلدون، تاريخ (ج5/417)؛ العيني، عقد الجمان
(ج1/29-30)؛ أبو المحاسن، المنهل الصافي (ج3/440)؛ زابوروف،
الصليبيون في الشرق (ص315).

(176) رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا (ص524).

(177) الملك المعز أيك: من المماليك الصالحة، أصله تركماني، تولى
السلطنة على دولة المماليك في الفترة 647-654هـ/1250-1257م.
الذهبي، تاريخ الإسلام (ج14/773).

(178) الذهبي، العبر (ج5/197).

سلطة، وعزله أيبك بعد تصالجه مع الناصر يوسف. الذهبي، سير
أعلام النبلاء (ج23/198).
(191) أبو الفداء، المختصر (ج3/183): الدوادار، كنز الدرر (ج8/13):
ابن خلدون، تاريخ (ج5/431): المقرئ، السلوك (ج1/121): العيني،
عقد الجمان (ج35/1): السيوطي، حسن المحاضرة (ج2/37).
(192) الكتبي، فوات الوفيات (ج4/462).
(193) عطية، إمارة أنطاكية والمسلمون (ص388-389): طقوش،
تاريخ الحروب الصليبية (ص642): حبشي، الشرق العربي
(ص125).
(194) نصر الله، رحيل الصليبيين (ص49-50).
Haarmann, The Mamluk System of Rule in the Eyes of
Western Travelers (p.7-30).
(195) رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/475): بردج، تاريخ
الحروب الصليبية (ص272).
(196) حبشي، الشرق العربي (ص125-126): العبادي، قيام دولة
المماليك (ص125-128): طقوش، تاريخ المماليك (ص54):
Humphreys, Ayyubids, Mamluk and Latin East (p.7-24).
(197) العيني، عقد الجمان (ج69/1): رنسيمن، تاريخ الحروب
الصليبية (ج3/475-476): ماير، تاريخ الحروب الصليبية
(ج1/482).
(198) نهر الأردن: ينبع من مناطق بانياس وجنوب لبنان ويخترق بحيرة
طبرية ويصب في البحر الميت. المقدسي، أحسن التقاسيم (ص184).
(199) عطا الله، نيابة غزة (ص137-138).
(200) رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/475-476).
(201) المرجع نفسه (ج3/476).
(202) طقوش، تاريخ الحروب الصليبية (ص643-644).
(203) صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين
(ص52).
(204) نجم الدين البادرائي: كان من أكبر علماء القرن السابع الهجري،
وكان واسع العلم كريم الأخلاق متواضعا، وكان الخليفة العباسي
يعتمد عليه في كبار المهمات، توفي سنة 655هـ/1257م. الهجراني،
قلادة النحر (ج5/240).
(205) أبو الفداء، المختصر (ج3/186-183): الدوادار، كنز الدرر
(ج8/23-16): الذهبي، تاريخ الإسلام (ج47/67): المقرئ، السلوك

(ج1/122-127): العيني، عقد الجمان (ج69/1): أبو المحاسن،
النجوم الزاهرة (ج7/12).
(206) الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص533): نصر الله، رحيل
الصليبيين (ص54): حبشي، الشرق العربي (ص120).
(207) أبو محسن، خلفاء صلاح الدين (74، 85): أبو سعيد، الجبهة
الاسلامية (ص334-335): عبد الرحمن، إدارة بلاد الشام (ص33):
الشيخ، عصر الحروب الصليبية (ص468): زيان، الصراع بين
القوى الإسلامية (ص107).
(208) المقرئ، السلوك (ج1/329): ابن خلدون، تاريخ (ج5/399-
405): أبو الفداء، المختصر (ج3/129-130): السيوطي، حسن
المحاضرة (ج2/23-24): المنصوري، مختار الأخبار (ص6-7):
الدوادار، كنز الدرر (ج7/198-200): بردج، تاريخ الحروب الصليبية
(ص249-250).
(209) النويري، نهاية الأرب (ج29/345).
(210) الدوادار، كنز الدرر (ج7/366-367): المقرئ، السلوك
(ج1/109): الخطط (ج1/405).
(211) أبو سعيد، الجبهة الإسلامية (ص387): نصر الله، رحيل
الصليبيين (ص20): صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك
والصليبيين (ص65).
(212) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/206-208): أبو الفداء،
المختصر (ج3/178-179): الدوادار، كنز الدرر (ج7/369): ابن
خلدون، تاريخ (ج5/416): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة (ج6/364).
(213) صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين
(ص65).
(214) النويري، نهاية الأرب (ج29/356): ابن اياس، بدائع الزهور
(ج1/1/281): رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية (ص467):
غروسية، الحروب الصليبية (ص88-89).
(215) صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين
(ص65).
(216) الدوادار، كنز الدرر (ج7/384): المقرئ، الخطط (ج1/412):
العيني، عقد الجمان (ج29-30): أبو المحاسن، النجوم الزاهرة
(ج6/369): اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج2/213).
(217) عبد الرحمن، إدارة بلاد الشام (ص197-198): حماد، العيون
والجواسيس (ص50-56).

(218) صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين (ص66).

(219) الدوادار، كنز الدرر (ج7/366-367): المقرئزي، السلوك (ج1/109)

(220) عطية، تاريخ الحروب الصليبية (ص88).

(221) صلاح، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين (ص65).

(222) ابن خلدون، تاريخ (ج5/416): المقرئزي، السلوك (ج1/109):
جوانفيل، القديس لويس (ص140-141): روثان، تنمة كتاب وليم
الصوري (ص187): رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ص464).
(223) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ص454): يوسف،
العدوان الصليبي (ص128).

(224) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (ج8/783): النويري، نهاية
الأرب (ج29/363): المنصوري، مختار الأخبار (ص8-9): صلاح،
المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين (ص67).

(225) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (ج3/475): صلاح،
المفاوضات والمعاهدات بين المماليك والصليبيين (ص75):

Humphreys, Ayyubids, Mamluk and Latin East (p.7-24).

تاسعا: المصادر والمراجع:

جوانفيل، جان دي. (د.ت). *القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام*. (ترجمة: حسن حبشي). (د.م): (د.ن).

الحري، سيد علي. (1985م). *الأخبار السنوية في الحروب الصليبية*. ط3. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

الحلي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردى البكري القرشي المعري. (2008م). *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*. (تحقيق: أنور محمود الزناتي). ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية.

حماد، فتحي أحمد محمد. (2011). *العيون والجواسيس في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي* (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الأشبيلي. (1988م). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون*. (تحقيق: خليل شحادة). ط1. بيروت: دار الفكر.

الدكفي، خالد حسين. (د.ت). *لويس التاسع بين الأيوبيين والمماليك*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الدوادر، أبو بكر بن عبدالله بن أبيك. (1961م). *كنز الدرر وجامع الغرر*. (تحقيق: محمد صالح المنجد، سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون). (د.ط). القاهرة: المعهد الألماني للآثار.

ديورانت، ويليام جيمس. (1988م). *قصة الحضارة*. (ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين). بيروت: دار الجيل.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم. (1997م). *الكامل في التاريخ*. (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري). ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الأدرسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحسني الطالبي. (1988م). *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ط1. بيروت: عالم الكتب.

الأنصاري، شمس الدين أبي عبد الله محمد الصوفي الدمشقي. (1865م). *نخبة الدهر في عجائب البر والبحر*. (اعتنى به وصححه: أعشوط بن يحيى). (د.ط). بطبرغ: مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية.

ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي. (1975م). *بدائع الزهور في وقائع الدهور*. (تحقيق: محمد مصطفى). ط1. مكة المكرمة: دار الباز.

براور، يوشع. (1999م). *عالم الصليبيين*. (ترجمة وتعليق وتقديم: قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن). القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

برذج، انتوني. (1985م). *تاريخ الحروب الصليبية*. (ترجمة: أحمد سبانو ونبل الجيرودي). دمشق: دار قتيبة.

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي الحنبلي. (1412هـ). *مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*. ط1. بيروت: دار الجيل.

البواغنة، لؤي. (2006م). *دور العلماء في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (490-648هـ/1097-1250م)*. (د.ط). عمان: دار اليازوري.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد.
(1999). *الجبال والأمكنة والمياه*. (تحقيق: أحمد عبد
التواب عوض). (د.ط.). القاهرة: دار الفضيلة للنشر
والتوزيع.

زيان، حامد زيان غانم. (1983م). *الصراع السياسي
والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب
الصليبية*. (د.ط.). القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
سالم، السيد عبد العزيز. (1986م). *تاريخ مدينة صيدا في
العصر الاسلامي*. (د.ط.). الاسكندرية: مؤسسة شباب
الجامعة للنشر والتوزيع.

سبط بن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن غزا أوغلي.
(1952م). *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*. ط1. حيدر
أباد الدكن-الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية.

أبو سعيد، حامد غنيم. (2007م). *الجبهة الإسلامية في
مواجهة المخططات الصليبية*. ط1. القاهرة: دار
السلام.

أبو سلمية، سمر محمد محمد. (2013م). *دور المرأة
ومكانتها زمن الصراع الإسلامي الفرنجي 491-
691هـ/1291-1098م*. (رسالة ماجستير غير منشورة).
الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1967م). *حسن
المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*. (تحقيق: محمد أبو
الفضل إبراهيم). ط1. القاهرة: دار احياء الكتب
العربية.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن
إسماعيل بن إبراهيم المقدسي. (1997م). *الروضتين*

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز. (1993م). *تاريخ الإسلام ووفيات
المشاهير والأعلام*. (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري).
ط2. بيروت: دار الكتاب العربي.

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز. (1984م). *العبر في خبر من غير*.
(تحقيق: صلاح الدين المنجد). (د.ط.). الكويت: مطبعة
حكومة الكويت.

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز. (1985م). *سير أعلام النبلاء*.
(تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين). ط3. (د.م): دار
الرسالة للنشر.

رمضان، عبد العظيم. (1983م). *الصراع بين العرب
وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية*.
(د.ط.): دار المعارف.

رنسيما، ستيفن. (1997م). *تاريخ الحروب الصليبية*.
(ترجمة: السيد الباز العريني). بيروت: دار الثقافة.
الزامل، يوسف إبراهيم. (1987م). *أثر الحركات الباطنية
في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين* (رسالة ماجستير غير
منشورة). جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

زابوروف، ميخائيل. (1986م). *الصليبيون في الشرق*.
(ترجمة: إلياس شاهين). موسكو: دار التقدم.
الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن
فارس. (2002م). *الأعلام*. ط15. (د.م): دار العلم
للملايين.

زكار، سهيل. (1995-2000م). *الموسوعة الشاملة في
الحروب الصليبية*. (د.ط.). دمشق: دار الفكر.

عاشور، سعيد عبد الفتاح. (2010م). *الحركة الصليبية*
صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور
الوسطى. ط9. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
العبادي، أحمد مختار. (1982م). *قيام دولة المماليك
الأولى في مصر والشام*. (د.ط.). الإسكندرية: مؤسسة
سباب الجامعة.
عبد الرحمن، خالد سليمان حمد. (1997م). *إدارة بلاد
الشام في العصر الأيوبي*. (رسالة دكتوراة). الجامعة
الأردنية-عمان.
ابن عبد الظاهر، أبو الفضل محي الدين عبد الله بن
رشيد الدين بن عبد الظاهر السعدي المصري.
(1976م). *الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر*.
(تحقيق عبد العزيز الخويطر). ط1. الرياض: (د.ن).
عبد القوي، زينب عبد المجيد. (1996م). *الانجليز والحروب
الصليبية في الفترة 1189-1291م*. ط1. القاهرة: عين
للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
العيزي، الحسن بن أحمد المهلب. (د.ت.). *الكتاب العيزي
أو المسالك والممالك*. (جمعه وعلق عليه ووضع
حواشيه: تيسير خلف). (د.ط.). (د.م): (د.ن).
عسلي، مروج حسن داود. (2010م). *جهود المسلمين في
تحرير أسراهم 692-1هـ/621-1292م* (رسالة
ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة،
فلسطين.
عطا الله، محمود علي خليل. (1979م). *نيابة غزة في العهد
المملوكي*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة
الأردنية-عمان، الأردن.
عطية، حسين محمد. (2000م). *دراسات في تاريخ الحروب
الصليبية*. (د.ط.). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. ط1. بيروت:
مؤسسة الرسالة.
الشيخ، محمد محمد مرسي. (2004م). *عصر الحروب
الصليبية في الشرق*. (د.ط.). (د.م): (د.ن).
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله.
(2000م). *الوافي بالوفيات*. (تحقيق: أحمد الأرناؤوط
وتركي مصطفى). (د.ط.). بيروت: دار احياء التراث.
صلاح، محمد سالم محمد. (2017م). *المفاوضات
والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد
الشام دراسة تاريخية تحليلية نقدية 648-
784هـ/1250-1382م*. (رسالة ماجستير غير منشورة).
الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.
صيدم، فريد وحيد. (2010م). *جهاد السلطان الصالح
نجم الدين أيوب وجهوده في توحيد مصر والشام*
(رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية-
غزة، فلسطين.
طقوش، محمد سهيل. (2011م). *تاريخ الحروب الصليبية
(حروب الفرنجة في المشرق)*. ط1. بيروت: دار
النفائس.
عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1959م). *أوروبا في العصور
الوسطى*. ج2. (د.ط.). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1964م). *أضواء جديدة على
الحروب الصليبية*. (د.ط.). القاهرة: دار القلم.
عاشور، سعيد عبد الفتاح. (2002م). *قبرس والحروب
الصليبية*. ط2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة
للكتاب.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة. (د.ت). تاريخ أبي الفداء. (د.ط.). (د.م): (د.ن).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة. (1840م). تقويم البلدان. (تصحيح: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان). (د.ط.). باريس: دار الطباعة السلطانية.

قاسم، قاسم عبده. (1990م). ماهية الحروب الصليبية. (د.ط.). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-سلسلة عالم المعرفة.

قاسم، قاسم عبده. (2005م). في تاريخ الأيوبيين والمماليك. (د.ط.). القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن. (1974م). فوات الوفيات. (تحقيق: احسان عباس). ط1. بيروت: دار صادر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (1988م). البداية والنهاية. (تحقيق: علي شيري). ط1. (د.م): دار إحياء التراث. ماير، هانس ابرهارد. (2008م). تاريخ الحروب الصليبية. (ترجمة: عماد الدين غانم). (د.م): (د.ن). (1985م).

أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. (د.ط.). القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن الحنبلي الدمشقي. (1986م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (تحقيق وتعليق: محمد الأرناؤوط). ط1. دمشق: دار ابن كثير.

عمران، محمود سعيد. (1985م). الحملة الصليبية الخامسة حملة دي برين على مصر 1218-1221م/ 615-618هـ. (ط2). القاهرة: دار المعارف الجامعية. العلي، مجير الدين الحنبلي. (1999م). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. (تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة). (د.ط.). عمان: مكتبة: دنديس.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي. (1987م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. (تحقيق: محمد محمد أمين). (د.ط.). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الغامدي، عبد الله سعيد محمد. (1402هـ). استرداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

غروسية، رنيه. (2002م). الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب. (ترجمة: أحمد ايدش). دمشق: دار قتيبة. غوانمة، يوسف درويش. (1995م). معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنجة. ط1. عمان: دار الفكر. غوانمة، يوسف درويش. (1982م). إمارة الكرك الأيوبية. ط2. عمان: دار الفكر.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماة. (د.ت). المختصر في أخبار البشر. ط1. (د.م): المطبعة الحسينية المصرية.

أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. (د.ت). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (تحقيق: محمد محمد أمين). (د.ط.). القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

أبو محسن، سمير حسن عبد الكريم. (2013م). خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" دراسة تاريخية منهجية. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية- غزة، فلسطين.

محمد، يوسف بن نصر الله. (2010م). الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ضد الصليبيين حتى نهاية العصر الأيوبي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طيبة، المدينة المنورة.

المطوي، محمد العروسي. (1982م). الحروب الصليبية في المشرق والمغرب. ط2. (د.م): دار الغرب الإسلامي.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري. (1991م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط3. بيروت: دار صادر.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر. (1997م). السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر. (1998م). الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المنصوري، ركن الدين بيبرس الدوادار. (1993م). مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ. (تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان). ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

نصر الله، سعدون عباس. (1995م). رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى. (د.ط.). بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الهجرائي، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة. (2008م). قلادة النحرفي وفيات أعيان الدهر. ط1. جدة: دار المنهاج.

ابن واصل، محمد سالم بن نصر الله بن سالم. (1957م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور. (د.ط.). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

وهبة، مصطفى. (1997م). موجز تاريخ الحروب الصليبية. ط1. المنصورة: مكتبة الايمان للنشر والتوزيع.

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي. (1995م). معجم البلدان. ط2. بيروت: دار صادر.

اليقوي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (1422هـ). البلدان. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

يوسف، جوزيف نسيم. (1984م). العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور. (د.ط.). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد. (1992م). ذيل مرآة الزمان. ط2. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. (د.ت). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (تحقيق: محمد محمد أمين). (د.ط.). القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

أبو محسن، سمير حسن عبد الكريم. (2013م). خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" دراسة تاريخية منهجية. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية- غزة، فلسطين.

محمد، يوسف بن نصر الله. (2010م). الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ضد الصليبيين حتى نهاية العصر الأيوبي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طيبة، المدينة المنورة.

المطوي، محمد العروسي. (1982م). الحروب الصليبية في المشرق والمغرب. ط2. (د.م): دار الغرب الإسلامي.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري. (1991م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط3. بيروت: دار صادر.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر. (1997م). السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر. (1998م). الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المنصوري، ركن الدين بيبرس الدوادار. (1993م). مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ. (تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان). ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

نصر الله، سعدون عباس. (1995م). رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى. (د.ط.). بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الهجرائي، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة. (2008م). قلادة النحرفي وفيات أعيان الدهر. ط1. جدة: دار المنهاج.

ابن واصل، محمد سالم بن نصر الله بن سالم. (1957م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور. (د.ط.). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

وهبة، مصطفى. (1997م). موجز تاريخ الحروب الصليبية. ط1. المنصورة: مكتبة الايمان للنشر والتوزيع.

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي. (1995م). معجم البلدان. ط2. بيروت: دار صادر.

اليقوي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (1422هـ). البلدان. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

يوسف، جوزيف نسيم. (1984م). العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور. (د.ط.). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد. (1992م). ذيل مرآة الزمان. ط2. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

- Berkey, J.P. (2000). Storytelling, Preaching and Power in Mamluk Cairo. *Mamluk Studies Review*. 1(4).56-77.
- Fernandes, L. (2002).Between Qadis and Muftis: To Whom Does the Mamluk Sultan Listen?. *Mamluk Studies Review*. 1(5). 103-117.
- Conder, G.R. (1897). *The Latin Kingdom of Jerusalem*. London: (W.P).
- Harmaan, U. (2001). The Mamluk System of Rule in the Eyes of Western Travelers. *Mamluk Studies Review*. 1(5) 7-30.
- Humphreys, R. (1998). Ayyubids, Mamluk and Latin East in The Thirteenth Century. *Mamluk Studies Review*. 1(2). 7-24.
- King, E.G. (1931). *The Knight Hospitallers in the Holy Land*. London: (W.P).

الطرق الصوفية ودورها في نشر الفكر الإسلامي بالقارة الإفريقية

الأستاذة المساعدة الدكتورة إكرام البشير أحمد الجمل

كلية الآداب/ جامعة مصراته/ الجمهورية الليبية

الملخص:

التصوف هو السير في طريق الزهد، والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والسير في صلاة أو تلاوة ورد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي ومعرفة الذات الإلهية وكما لايتها.

انتشرت الطرق الصوفية في العالم العربي عامة وبإفريقيا خاصة خلال القرن السادس الهجري الثامن الميلادي، حيث ظهرت العديد من الطرق الصوفية كالطريقة السنوسية والطريقة القادرية والطريقة المرغنية والتيجانية وغيرها، والتي كان لها دور فاعل في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في قارة إفريقيا والنهوض بالقارة من مختلف النواحي سوا الناحية الدينية أو الاجتماعية والاقتصادية وأيضاً الفكرية التي ظهرت جليا في الحياة العامة بالقارة، بالإضافة إلى دورها الواضح والجلي في صد ومقاومة الاستعمار الأوربي للقارة ووصولها ببعض الدول للاستقلال وإنشاء دول مستقلة تماماً.

في هذه الورقة سنتناول الباحثة بإذن الله دور هذه الطرق في نشر الفكر الإسلامي وما قدمته للقارة وأيضاً المجالات التي أسهمت هذه الطرق في نهوضها وانتعاشها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في توضيح دور الطرق الصوفية في القارة الإفريقية من نشر الإسلام والفكر الإسلامي بها وما قامت به من دور فعال ومهم داخل القارة تحديدا جنوب الصحراء مع عدم إغفال دورها في شمال وشرق وغرب القارة.

فقد لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في الكثير من التغيرات الواضحة بالقارة فتحوّلت الكثير من البلدان الإفريقية الوثنية إلى الإسلام وسعت في نشر مبادئه وتعاليمه.

أتبع في كتابة هذا البحث المنهج التاريخي السرد لسرد الأحداث التاريخية وتحليلها بما يتوافق والمادة العلمية المتاحة.

إشكالية الدراسة: تكمن في الإجابة عن السؤال التالي وهو ما مدي قدرة التصوف والمتصوفة على أحداث تغيير والتأكيد من خلال الدراسة على أن هذا الفكر يحمل الإمكانات المناسبة لقيادة المجتمعات نحو الأفضل

محااور الورقة:

التعريف بالتصوف والصوفية.

أهم الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ودورها في نشر الفكر الإسلامي

الكلمات المفتاحية:

الطريقة، الدعاة، الصوفية، السنوسية، القادرية

The importance of studying:

The importance of this study lies in clarifying the role of the Sufi orders in the African continent in terms of spreading Islam and Islamic thought there, and what it played of an effective and important role within the continent, specifically south of the Sahara, while not neglecting its role in the north, east and west of the continent.

The Sufi orders played a prominent role in many of the clear changes in the continent, as many pagan African countries converted to Islam and sought to spread its principles and teachings.

In writing this research, the narrative historical method was used to narrate and analyze historical events in accordance with the available scientific material.

The problem of the study: It lies in answering the following question, which is the extent of the ability of Sufism and Sufism to bring about change, and to confirm through the study that this thought carries the appropriate capabilities to lead societies for the better.

Paper themes:

Introducing Sufism and Sufism.

The most important Sufi orders in the African continent and their role in spreading Islamic thought

Key words:

The method, the preachers, the Sufis, the Sanusi, the Qadiriyya.

Sufi orders and their role in spreading Islamic thought in the African continent

Summary:

Sufism is walking in the path of asceticism, detachment from the adornments and formalities of life, and taking oneself in a manner of austerity, types of worship, rituals, and staying up late in prayer or recitation of roses, until the physical side becomes weak in a person and the psychological or spiritual side becomes stronger in him. Knowledge of the divine self and its perfections.

The Sufi orders spread in the Arab world in general and in Africa in particular during the sixth century AH, the eighth century AD, when many Sufi orders appeared, such as the Senussi way, the Qadiri way, the Marghaniyya way, the Tijaniyya way, and others, which had an active role in spreading Islam and Islamic culture in the continent of Africa and advancing the continent in various aspects, including The religious, social, economic and intellectual aspect that appeared evidently in the public life of the continent, in addition to its clear and obvious role in repelling and resisting European colonialism of the continent and its access to independence in some countries and the establishment of completely independent states.

In this paper, the researcher will discuss, God willing, the role of these methods in spreading Islamic thought and what they have provided to the continent, as well as the fields in which these methods contributed to its advancement and revival.

أولاً: تعريف التصوف.

لغة: التصوف مشتقة من الصوف⁽¹⁾، التصوف- تصوف الرجل: لبس الصوف⁽²⁾، تصوف الشخص صار صوفياً واتبع سلوك الصوفية وحالاتهم⁽³⁾.

اصطلاحاً: ظهرت العديد من التعريفات لتصوف منها ما صدر عن أئمة التصوف أنفسهم وتعريفات لغير الصوفية، فأئمة التصوف عرفوه بأنه:

التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة⁽⁴⁾.

أيضاً التصوف هو أن لا تملك شيء ولا يملكك شيء⁽⁵⁾.

أما تعريف العلماء من غير الصوفية من المسلمين فهو:

التصوف هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها⁽⁶⁾، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والسهرة في الصلاة أو تلاوة ورد حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوي فيه الجانب النفسي أو الروحي فهو إخضاع الجسد للنفس سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي ومعرفة الذات الإلهية وكما لايتها⁽⁷⁾.

البعض يرجع أسم الصوفية إلى أهل الصفة وهم زهاد من مهاجري الصحابة الفقراء، كانوا سبعة يلقون أو يزيدون أحياً، لامساكن لهم ولا مال⁽⁸⁾ يسكنون بجانب المسجد وهو موضع مظلل في المسجد النبوي⁽⁹⁾، إلا أن هذا المعنى يجوز من ناحية المعنى والقصد، ولا يجوز من ناحية الاشتقاق اللغوي.

التصوف هو مذهب روحي وجد ضمن كل دين، اتخذته فئة من الناس سلوكاً في العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، معرضين عن مباحج الدنيا وملذاتها ومهرجها، مقبلين إلى الحياة بالتبتل والتأمل، ضمن نظام تربوي خاص ورياضات روحية⁽¹⁰⁾.

أي أن التصوف منهج تربوي روحي الغرض منه تصفية القلب من غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عمن سواه⁽¹¹⁾.

ظهرت العديد من الطرق الصوفية بالقارة الإفريقية والتي كان لها دور بارز في الحياة بمختلف مناحيها⁽¹²⁾ فقد كان لها دور مهم وفعال في الجانب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وأهم أدوارها وأبرزها هو دورها في نشر الإسلام والفكر الإسلامي بالقارة ومن هذه الطرق سنتحدث في هذه الدراسة عن أربعة منها كانت الأبرز في القارة الإفريقية. وهي الطريقة المريغنية ثم القادرية والتيجانية ثم السنوسية، إلا أننا يجب أن نتحدث قليلاً عن الدعاة الصوفية الذين قاموا بالدعوة والنشر.

الدعاة الصوفية:

الداعية مصطلح مأخوذ من الفعل دعا: يدعو وهو الشخص الذي يقوم بالدعوة لدين الإسلام⁽¹³⁾. فالدعاة هم المسلمين الذين تلقوا قدراً من العلوم الدينية وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والمشايخ والقراء والقضاة⁽¹⁴⁾، وكان هؤلاء يسمون في مختلف أنحاء القارة الإفريقية بأسماء مختلفة مثل: المرابط، المعلم، الفقيه، الشيخ، سيدنا، مولانا⁽¹⁵⁾... وغيرها من الأسماء.

كان الدعاة الصوفية يحظون بنصيب كبير من الاحترام والتقدير، فكانت كل قرية في إفريقيا تقيم داراً لاستقبالهم واستضافتهم، وكان الحكام والملوك الأفارقة، سواء كانوا مسلمين أو وثنيين، يعاملونهم باحترام كبير، فاتخذوا منهم مستشارين ووزراء يصرفون لهم أمور الدولة⁽¹⁶⁾، فكان هؤلاء الدعاة من الميسورين ينشئون الكتاتيب لتعليم الأطفال الوثنيين القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى، ومن ثم

يصبح هؤلاء الأطفال بذرة إسلامية داخل الأسر الوثنية، وكذلك كان الدعاة ينشئون المدارس التي تعد مركزاً مهماً لنشر الإسلام وثقافته بالإضافة إلى المساجد والزوايا والأربطة والخلوي التي كان يلتقي فيها الأفارقة بالدعاة ويتلقون منهم العلوم الدينية، ومن ثم يخرجون كدعاة للإسلام بين أهلهم وأقاربهم من الوثنيين⁽¹⁷⁾.

اهتم خلفاء المسلمين عموماً بنشر الإسلام في القارة الإفريقية، إذ كان نشره غايتهم المنشودة من الفتح، فسلك الفاتحون وسائل مشروعه طالما كانت لوجه الله ونصرة الدين الإسلامي، وكان نشرهم للإسلام عن طريق المنطق الإسلامي وليس بالقهر والغلبة.

ذكرت لنا المصادر التاريخية أسماء الكثير من الدعاة الصوفية أمثال:-

الشيخ عبدالله بن ياسين الجازولي المتوفي سنة 451هـ/1059م وكان من الدعاة الذين أثر بالمجتمع الإفريقي وعملوا على نشر الفكر الإسلامي بالقارة، نشأة على يديه دولة المرابطين⁽¹⁸⁾.

الشيخ أبو القاسم علي بن خلف، أسلم على يديه ملوك هذه البلاد في القرن الحادي عشر الميلادي التاسع الهجري.

الشيخ عثمان بن فودي من شعب الفولاني الذي أتم عملية نشر الإسلام في هذه البلاد وخاصةً نيجيريا والكاميرون⁽¹⁹⁾.

الشيخ محمد بن ماني من دولة كانم والبرنو وهو الذي أسلم على يديه ملوك هذه البلاد في القرن الحادي عشر الميلادي⁽²⁰⁾.

لم تقتصر الدعوة للإسلام والفكر الإسلامي مقتصرة على الرجال فقط وإنما كان هناك دور

واضح ومهم لنساء، حيث كان الوافدون على القارة لغرض التجارة أو الهجرة من المسلمين يمكنون لفترات طويلة بالمناطق التي يصلوها فيتزوجون من نساء إفريقيات، وبعد دخول هؤلاء النساء للإسلام وتفقهن في أمور الدين والعلوم يقمن بالدعوة للإسلام ونشر تعاليمه، وقد نشأت العديد من المراكز للدعوة على يد الدعاة لتحفيظ القرآن وتعليم الصبية في تلك المناطق القراءة والكتابة⁽²¹⁾ فكان من هذه المراكز:

الكتاتيب: وهي من المؤسسات التعليمية المهمة، حيث مثلت المرحلة الأولى لتعليم الصبيان مبادئ القرآن الكريم والعلوم الدينية وتعليمهم الكتابة والخط، وهو بداية انتقال الصبيان إلى مرحلة التعليم بالمساجد، فعرفت هذه الكتاتيب بعدة أسماء كالمخضرة والمكتب وغيرها⁽²²⁾.

وقسمت الدراسة بالكتاب إلى ثلاث فترات الأولى صباحية لتعليم القرآن الكريم والثانية الضحى إلى قبل الظهر لتعليم الكتابة والخط والأخيرة بعد العصر لتعليم العلوم الأخرى والآداب والحساب.

المساجد: وهي أهم المراكز للدعوة للإسلام حيث أهتم المسلمون ببناء المساجد في المدن التي دخلوها، بالإضافة لكونه مقراً للقضاء والإرشاد والوعظ⁽²³⁾.

الرُّبُط: والرباط ملازمة ثغر العدو، وهو المكان الذي يربط فيه المجاهدين الصوفية⁽²⁴⁾.

فإلى جانب دورها الحربي لعبت دوراً تعليمياً فكان يقصدها العلماء وطلاب العلم⁽²⁵⁾، وذلك لتوفر المكتبات والدروس داخلها لتعليم أصول الفقه والحديث ومختلف العلوم الأخرى⁽²⁶⁾.

الزوايا: في اللغة الزاوية هي الركن، أطلق هذا الاسم على جزء من المسجد، تطورت بالمغرب الإسلامي خاصةً

وإفريقيا عامة خصوصاً زمن خلافة بني مرين خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، بها حلقات لدراسة العلوم الشرعية واللغوية وكانت متسعة للمناقشات الحرة بين العلماء⁽²⁷⁾.

هذا بالنسبة للمراكز أما الطرق الصوفية فهي كالتالي:
أولاً/ الطريقة الميرغنية (الختمية)

ظهرت هذه الطريقة في شرق إفريقيا السودان ووادي النيل خلال القرن التاسع الميلادي مؤسسها هو محمد بن عثمان الميرغني الذي أُرسل إلى السودان كداعية من قبل معلمه أحمد بن إدريس سنة 1835م، فقد كان يتمتع بشهرة واسعة كمعلم ديني بمكة المكرمة، بالإضافة إلى كونه من ألمع تلاميذ معلمه أحمد بن إدريس وأقواهم منطقاً وأكثرهم قبول لدى العامة لذلك وقع عليه اختيار مُعلمه وشيخه⁽²⁸⁾.

نجح عثمان في نشر الإسلام والفكر الإسلامي بين القبائل الوثنية وعمل على توطيد نفوذه فيهم بأن تزوج منهم، وقد خلفه أبناءه من هؤلاء الزوجات والذين اتبعوا طريقته بعد وفاته وتسموا بالميرغنية نسبة إليه⁽²⁹⁾.

أما تسميتها بالختمية فإننا نرجعه لأن مؤسس هذه الحركة الصوفية تتلمذ ودرس مبادئ العديد من الطرق ثم دمج ما تعلمه من هذه الطرق في طريقة واحدة أسماها الختم أو الختمية.

ثانياً/ الطريقة القادرية:

مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى الجيلاني، يرجع نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولد في جيلان شمال إيران⁽³⁰⁾.

ظهرت هذه الطريقة في القرن السادس الهجري الثامن الميلادي، كانت من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً⁽³¹⁾، عرف الجيلاني بالتسامح الديني وحبه للجار

وأغض الطرف عن الغنى، وملذات الحياة رغم تقرب الملوك والسلاطين له وإغداق الهدايا والعطاء عليه فكان يوزعه على من حوله مباشرة من مريدين وجيران وحاضرين⁽³²⁾.

دخلت هذه الطريقة إلى القارة الإفريقية خلال القرن الثالث عشر الهجري الخامس عشر الميلادي، على يد مهاجرين من التوات (وهي واحدة في النصف الغربي من الصحراء) انتقل هؤلاء بعد ذلك إلى ولايته وجعلوها مركزاً لطريقتهم ومنها اتجهوا إلى تمبكتوا⁽³³⁾.

انتشرت بعد ذلك هذه الطريقة في أرجاء القارة الإفريقية فكان لها بالإضافة إلى ماسبق العديد من المراكز في مصر والقيروان وفاس والسودان والقرن الإفريقي⁽³⁴⁾.

تميز أتباع هذه الطريقة بأنهم كانوا معلمين للصبية الذين تفقه بعضهم في الدين فأصبحوا علماء وخطباء وكتاباً، أما أغنياء هذه الطريقة فقد تكفلوا بإرسال الشبان المتفوقين من أهل البلاد إلى مراكز الثقافة بالشمال الإفريقي ليتزودوا بالعلم ويعودوا بعد ذلك قادة أهلهم، بالإضافة إلى فتحهم للمدارس والزوايا وبناء المساجد وفتحها أمام الطلاب⁽³⁵⁾.

برز العديد من القادة الدعاة الصوفية من أتباع هذه الطريقة بإفريقيا منهم:

سيدي أحمد البكاي: وهو مؤسس الطريقة البكاية التي تفرعت عن القادرية، وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وازدهرت بإفريقيا حتى سنة 1850م⁽³⁶⁾.

عمل أحمد البكاي على نشر هذه الطريقة في غرب الصحراء الكبرى.

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني: هو من الدعاة المنتمين إلى الطريقة الصوفية كان له دور كبير وبارز في نشر الإسلام والفكر الإسلامي ببلاد الهوسا والجزء الأوسط من الصحراء، ويرجع ذلك لما تميز به هذا الداعية العالم

من سعة علم ورحابة صدر وشغف بالعلم واحتراماً
للعلماء ولين الجانب⁽³⁷⁾.

ثالثاً/ الطريقة التيجانية:

تنسب هذه الطريقة إلى أبي العباس أحمد بن محمد
بن المختار، وهو فقيه مغربي ولد بقرية عين ماضي
بالجزائر سنة 1150هـ/1737م درس العلوم الدينية بمدينة
فاس ثم انتقل إلى تلمسان⁽³⁸⁾.

في سنة 1181هـ/1768م خرج إلى الحجاز لأداء
فريضة الحج، وعند عودته إلى بلاده أمضى فترة من
الزمن بالقاهرة، وقد غلب الاتجاه التصوفي على
فكره، اتخذ التيجاني من مدينة فاس مقراً للطريقة
التيجانية وأطلق على مريديه اسم (الأحاب)⁽³⁹⁾.

توفي التيجاني سنة 1231هـ/1815م انتشرت هذه
الطريقة ببلاد المغرب⁽⁴⁰⁾.

ظهر العديد من الدعاة من أتباع هذه الطريقة
كأبناء التيجاني محمد الكبير ومحمد الصغير
بالإضافة إلى الشيخ محمود بن علي التونسي والحاج
علي بن عيسى⁽⁴¹⁾.

قام أتباع هذه الطريقة بنشر الإسلام بين رجال
القوافل والتجارة فانتشرت بذلك، أيضاً تعاليم هذه
الطريقة في حوض السنغال وتمبكتوا وفي سائر أنحاء غرب
إفريقيا، كما ظهرت في السودان وشرق إفريقيا على يد
بعض التيجانية القادمين من غرب إفريقيا⁽⁴²⁾.

انخرط في سلك هذه الطريقة عليه القوم في الحبشة
مثل سلطان جمعة أبي جفار والرأس علي نائب
الإمبراطور الحبشي وعمل هذان الرجلان على نشر
الإسلام بين الوثنيين من الأحباش ونجحا في ذلك
فدخل معظم سكان الولايات الوسطي والشمالية في
الحبشة إلى الإسلام⁽⁴³⁾.

من أهم مبادئ هذه الطريقة هو أن الجهاد واجب
لنشر الإسلام استطاعت التيجانية نشر دعوتها في
مصر وبلاد المغرب والسودان كذلك بين البدو
المقيمين في أقصى الجنوب بالمغرب الأقصى⁽⁴⁴⁾.

رابعاً/ الطريقة السنوسية:

مؤسسها هو الشيخ محمد بن علي السنوسي 1787-
1857م يرجع نسبه إلى الادارسة الحسينيين وهم يرجعون
بنسبهم للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حيث
حكم الادارسة المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع
الهجري الحادي عشر الميلادي⁽⁴⁵⁾.

ولادته سنة 1202هـ/1787م بمدينة مستغانم
بالجزائر نشأ في أسرة اشتهرت بالإضافة إلى عراقه النسب
بالعلم والدين ربته عمته فاطمة بعد وفاة والده، وكانت
عالمه متبحرة في العلوم منقطعة للتدريس والوعظ يحضر
دروسها الرجال والنساء⁽⁴⁶⁾.

رحل في شبابه إلى مدينة فاس للدراسة في جامعها
المشهور (القرويين) وبقي بها مدة من الزمن لتلقي العلوم
المختلفة وقد زاد تعرفه على الصوفية في فاس حيث
وجدت بذور الصوفية في المرحلة الأولى من حياة السنوسي
ونمت وكبرت في المرحلة الثانية بعد رحيله إلى فاس وسط
الجو الصوفي⁽⁴⁷⁾.

اتجه بعد ذلك إلى مكة المكرمة حيث تلقى علومه على
أيدي مجموعة من العلماء وبني أول زاوية صوفية على
جبل بني قيس 1252هـ/1837م وكان قبل بناء هذه الزاوية
قد بنى زاوية أولاد نايل جنوب شرق قسنطينة بالجزائر⁽⁴⁸⁾.
رحل بعد مكوثه مدة لأبأس بها في مكة إلى برقة سنة
1943م⁽⁴⁹⁾ وتختلف الآراء حول سبب إقامته بها، فرأي
يقول أنه كان راجع إلى الجزائر إلا أن وضع بلاده والحرب
بها لم يمكنه من ذلك، ورأي يقول بأنه سبب أن ببرقة
هناك مؤيدين ومريدين له.

أسست أول زاوية سنوسية بشرق ليبيا تحديداً بمدينة البيضاء أو كما تسمى (أم الزوايا) لم تستمر هذه الزاوية كثيراً وذلك بسبب وجود الإدارة العثمانية بنفس المنطقة، لذلك انتقلت السنوسية إلى جنوب ليبيا حيث استقرت بواحة الجغبوب، يمكننا إرجاع أسباب اختيار الجغبوب لكونه بعيدة عن الإدارة العثمانية بالإضافة إلى وجود الكثير من الأتباع والمريدين بالجنوب، والأهم من ذلك قرب الجغبوب لمناطق ودول أفريقيا جنوب الصحراء ويسهل بها تحقيق أهداف الطريقة من نشر الإسلام وتعاليمه بين القبائل الصحراوية ودول إفريقيا كالسودان وتشاد والنيجر والصومال وغيرها⁽⁵⁰⁾.

لأجل نشر الإسلام اتبع السنوسية نظام إنشاء الزوايا والإنفاق عليها من خلال الأوقاف وتعليم الصبية القرآن والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، والعلوم المختلفة حتى يتمكنوا من ماتعلموا ويرسلوا فيما بعد إلى أنحاء إفريقيا لنشر الإسلام بين أهالي تلك المناطق فانتشر ببلاد السودان والحبشة وانجامينا والصومال⁽⁵¹⁾، كما كان السنوسيون يقومون بشراء العبيد ومن ثم يعلمونهم وإذا ما رأوا أنهم تعلموا مبادئ الإسلام تعليماً كافياً أعتقوهم وأعادوهم إلى أوطانهم ليدخلوا أبناء بلدانهم في الإسلام⁽⁵²⁾.

ظهرت الحركة السنوسية كطريقة صوفية تهدف إلى الإصلاح الديني حيث هدف مؤسسها إلى مواجهة التخلف والجمود الذي كان طابع الدول العربية والإسلامية في كل مظاهر الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية⁽⁵³⁾، حيث تجلّى البعد التنظيمي للحركة السنوسية في شخصية المؤسس الذي بنى الزوايا التي تربي فيها أتباعه، فكانت هذه الزوايا ركيزة نظام الحركة السنوسية ومكان التطبيق العلمي لأفكار السنوسي التي دعا إليها في ليبيا والعالم الإسلامي لنشر الفكر الإسلامي من خلالها⁽⁵⁴⁾.

فكان لهذه الطريقة الصوفية دور كبير جداً في نشر الفكر والثقافة الإسلامية بالقارة السمراء لما لاقته من إقبال وكثرة أتباع.

الخاتمة:

ختاماً يمكننا القول بأن من الأسباب التي ساعدت الصوفية على نشر الدين الإسلامي والفكر الإسلامي بالقارة الإفريقية التالي:

أن الدين الإسلامي دين فطرة طبيعية فهو سهل التناول لا التباس فيه ولا تعقيد في مبادئه، بل هو سهل التكليف في مختلف الظروف وعملية الانتساب إليه يسيرة.

كذلك مظاهر الإسلام وثقافته الرائعتين حببته إلى قلوب الأفارقة مما سهل انتشار الدعاة الصوفية إلى جنوب إفريقيا عبر الصحراء، وتمكنوا من نشر الثقافة والفكر الإسلامي داخل هذه المجتمعات البسيطة فانتشر الإسلام وازدهرت الثقافة الإسلامية بها ومما ساعد على ذلك اعتناق بعض ملوك الدول الإفريقية للإسلام حيث يتحولون تلقائياً إلى دعاة للإسلام في بلادهم ومن هؤلاء ملك مالي والتكروروسلي، فقد نشر هؤلاء تعاليم الدين الإسلامي بين شعوبهم من التكرور والسونتك والماندننجو وغيرهم من شعوب القارة، وخرج من هذه الشعوب دعاة تخصصوا في الدعوة إلى الإسلام حتى أصبحت كلمة تكروري أو سوننتكي تعني داعية للإسلام عند شعوب المنطقة.

لعب الدعاة الصوفية الدور الأكبر في نشر الفكر والثقافة الإسلامية بإفريقيا وذلك بما تمتعوا به من بساطة وتواضع وعلم ورحابة صدر وخلق حسن.

- (1) الزاوي: الطاهر أحمد، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب (د.م، 1981م) ص365.
- (2) عيسى: عبدالقادر، حقائق عن التصوف، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية، ص8.
- (3) التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى، التشوف إلي رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة (الرباط، 1984م) ص12.
- (4) السلمي: أبي عبدالرحمن، المقدمة في التصوف، تحقيق يوسف زيدان، دار الجبل (بيروت، 1999م) ص6.
- (5) مهنا: عبد الأمير وعلي خريس، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، مطبوعات المركز الثقافي العربي (بيروت، د.ت) ص54.
- (6) ماسينيون، ومصطفى عبدالرزاق، التصوف، تعريب إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1984م) ص25-26.
- أيضاً حسن: أحمد علي، التصوف جدلية وانتماء، منشورات اتحاد الكتاب العرب (د.م، 1990م) ص18.
- (7) رستم: سعد، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات المنشأة- التاريخ- العقيدة- التوزيع الجغرافي، الأوائل لنشر والتوزيع (دمشق، 2009م) ص175.
- (8) الحقي: عبدالمنعم، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي (القاهرة، 2003م) ص37.
- (9) ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، الصوفية والفقراء، تقديم جميل غازي، دار المديني (القاهرة، د.ت) ص14.
- (10) السحمراني: أسعد، التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس (بيروت، 1987م) ص13-17. أيضاً الشريف: مازن، التصوف الاستراتيجي بنية الأصل وهيكلية الفروع، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العالمية لعلماء التصوف (اسطنبول، 2020م) ص22.
- (11) كامل: محمد كمال، التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين (668هـ/1268م-869هـ/1469م)، دار الآفاق العربية (القاهرة، 2014م) ص21.
- (12) الفيلاي: عبد الوهاب، التصوف الإسلامي بالمغرب (مرحلة ما قبل تشكيل المدارس الكبرى) مجلة أبحاث ودراسات (المغرب، 2011م) 1/ 103.
- (13) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط5 (القاهرة، 2011م) ص286.
- (14) عبدالحليم، رجب محمد، المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (القاهرة، د.ت) ص7.
- (15) حسن: حسن إبراهيم، إنتشار الإسلام والعروبة في القارة الإفريقية (القاهرة، 1957م) ص34.
- (16) شلبي: أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط2 (القاهرة، 1972م) 164/6.
- (17) الشطشاط: علي حسين، وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، مجلة الجامعة الاسمية، السنة الثانية، العدد 3 (زليت، 2004م) ص485.
- (18) البكري: أبي عبيد، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، د.ت) ص165.
- (19) إبراهيم: عبدالله عبدالرازق، حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا وآثارها (القاهرة، د.ت) ص241.
- (20) طرخان: إبراهيم، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1975م) ص98.
- (21) بازينة: عبدالله سالم، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 7 أكتوبر (مصراته، 2010م) ص173.
- (22) مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص775.
- (23) الدمشقي: عبد القادر محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية (بيروت، 1990م) 233/2.
- (24) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً علي حروف المعجم، تحقيق عبدالحميد هندواي، دار الكتب العلمية (بيروت، 2003م) 90/2.
- (25) خضري: سمير عبد المنعم، عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العثماني، مؤسسة الإخلاص للطباعة والنشر (القاهرة، 2008م) ص268.
- (26) مراد: حسين، المتصوفة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين والموحدين، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، 1994م) ص38.
- (27) بونابي: الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، نشأته-تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة (عين مليلة، د.ت) ص223.
- (28) أولوند: توماس، الدعوة إلي الإسلام، تعريب حسن إبراهيم حسن (القاهرة، 1971م) ص372.

(48) حميدة: علي عبد اللطيف، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات والسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932 م، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1998 م) ص 121.

(49) المريطب: منال بنت عواد، أثر الحركة السنوسية في منطقة الحجاز الشيخ فالح الظاهري (1258 هـ/ 1842 م/ 1328 هـ/ 1910 م) مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية (د.م، 2018 م) 4/201-202.

(50) لوصيف: عائشة، نشاط الحركة السنوسية في طرابلس الغرب (1843-1919 م) رسالة ماجستير غير منشورة، ص 37-38.

(51) يوسف: عبدالله وعادل محمد الشبلي، تطور الحركة السنوسية ومبادئها في ليبيا، مجلة الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي، جامعة مالايا (د.م، 2017 م) ص 79.

(52) شكري: محمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، دار الفكر (القاهرة، 1948 م) ص 26-27.

(53) الأشهب: محمد الطيب بن إدريس، السنوسي الكبير (عرض وتحليل لدعاة حركة الإصلاح السنوسي) مطبعة محمد عاطف (القاهرة، 1946 م) ص 7.

(54) الزريقي: جمعة محمود، مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا تقديم علي فهمي خشيم (طرابلس، 2005 م) ص 57.

(29) بازينة، المرجع السابق، ص 209.

(30) العقبي: صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار بارق (بيروت، 2002 م) ص 143.

(31) ترمجهام: سبتسر، الفرق الصوفية في الإسلام، تعريب عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية (بيروت، 1997 م) ص 79.

(32) عيسى، المرجع السابق، ص 36.

(33) عابدين: عبد الحميد، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث، دار الثقافة (بيروت، 1967 م) ص 66.

(34) الشطشاط، المرجع السابق، ص 482.

(35) أرلوند، المرجع السابق، ص 366.

(36) مامين: أخيار بن الشيخ، علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، منشورات مؤسسة الشيخ مربي ربح لإحياء التراث والتنمية، ط 2 (د.م، د.ت) 1/327.

(37) عبد الحليم: رجب محمد، العروة والإسلام في أفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية (القاهرة، 1999 م) ص 28.

(38) معدّي: الحسيني الحسيني، الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، دار كنوز لنشر والتوزيع (القاهرة، 2012 م) ص 260.

(39) غني: قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، تعريب صادق نشأت، مراجعة أحمد القيسي ومحمد حلمي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق، 2017 م) ص 14.

(40) بدوي: عبد الرحمن، تاريخ التصوف الإسلامي (من البداية حتى نهاية القرن الثاني) وكالة المطبوعات (الكويت، 1975 م) ص 25.

(41) أحمد: محمد عبد القادر، المسلمون في غينيا، مطبعة سجل العرب (القاهرة، 1986 م) ص 26.

(42) الموصلي: علي الجميل، التحفة السنية في المشائخ السنوسية (الموصل، 1331 هـ) ص 9.

(43) الشطشاط، المرجع السابق، ص 483.

(44) بدوي، المرجع السابق، ص 26.

(45) الديجاني: أحمد صديقي، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان للطباعة والنشر (بيروت، 1967 م) ص 35.

(46) الموصلي، المرجع السابق، ص 24.

(47) علي: عبد الملك بن عبد القادر، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، دار الجزائر العربية (د.م، 1966 م) ص 6-7.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً المصادر:

البكري: أبي عبيد (ت: 483هـ/1090م)

- المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ).

الدمشقي: عبدالقادر محمد النعیمی (ت: 978هـ/1570)

- المدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية (بيروت، 1990م)

التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت: 627هـ/1230م)

- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة (الرباط، 1984م).

ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم

(ت: 728هـ/1328م)

- الصوفية والفقراء، تقديم جميل غازي، دار المدني (القاهرة، بدون تاريخ)

السلي: أبي عبد الرحمن (ت: 74هـ/693م)

- المقدمة في التصوف، تحقيق يوسف زيدان، دار الجبل (بيروت، 1999م).

الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت: 791هـ/1389م)

- كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، تحقيق عبد الحميد هندawi، دار الكتب العلمية (بيروت، 2003م)

ثانياً: المراجع العربية:

أحمد: محمد عبدالقادر.

- المسلمون في غينيا، مطبعة سجل العرب (القاهرة، 1986م)

ابراهيم : عبدالله عبدالرازق.

- حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا وأثارها (القاهرة، بدون تاريخ)

الأشهب: محمد الطيب بن إدريس.

- السنوسي الكبير (عرض وتحليل لدعاة حركة الإصلاح

السنوسي) مطبعة محمد عاطف (القاهرة، 1946م)

بازينة: عبدالله سالم.

- انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 7 أكتوبر (مصراته، 2010م)

بونابي: الطاهر.

- التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، نشأته-تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدي للطباعة (عين مليلة، بدون تاريخ)

بدوي: عبد الرحمن.

- تاريخ التصوف الإسلامي (من البداية حتى نهاية القرن الثاني) وكالة المطبوعات (الكويت، 1975م)

حسن: أحمد علي.

- التصوف جدلية وانتماء، منشورات إتحاد الكتاب العرب (بدون مكان 1990م)

حسن: حسن إبراهيم.

- انتشار الإسلام والعروبة في القارة الأفريقية (القاهرة، 1957م)

الحقي: عبد المنعم.

- الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي (القاهرة، 2003م)

حميدة: علي عبداللطيف.

- المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا (دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات والسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار 1830-1932م، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1998م)

خضري: سمير عبد المنعم.

- عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العثماني، مؤسسة الإخلاص للطباعة والنشر (القاهرة، 2008م)

- الديجاني: أحمد صدقي.
- الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان للطباعة والنشر (بيروت، 1967م)
- رستم: سعد.
- الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة- التاريخ- العقيدة- التوزيع الجغرافي، الأوائل لنشر والتوزيع (دمشق، 2009م)
- الزاوي: الطاهر أحمد.
- مختار القاموس، الدار العربية للكتاب (بدون مكان، 1981م).
- الزريقي: جمعة محمود.
- مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا تقديم علي فهمي خشيم (طرابلس، 2005م)
- السحمراني: أسعد.
- التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس (بيروت، 1987م)
- شكري: محمد فؤاد.
- السنوسية دين ودولة، دار الفكر (القاهرة، 1948م)
- شلي: أحمد.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية (القاهرة، 1972م)
- طرخان: إبراهيم.
- إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1975م).
- عابدين: عبد الحميد.
- تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث، دار الثقافة (بيروت، 1967م)
- عبد الحليم: رجب محمد.
- المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (القاهرة، بدون تاريخ)
- العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية (القاهرة، 1999م)
- العقبي: صلاح مؤيد.
- الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار بارق (بيروت، 2002م)
- علي: عبد الملك بن عبد القادر.
- الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، دار الجزائر العربية (بدون مكان، 1966م)
- عيسي: عبد القادر.
- حقائق عن التصوف، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية..
- غني: قاسم.
- تاريخ التصوف في الإسلام، تعريب صادق نشأت، مراجعة أحمد القيسي ومحمد حلي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع (دمشق، 2017م)
- كامل: محمد كمال.
- التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عصر بنى مرين (668هـ/1268م-869هـ/1469م)، دار الآفاق العربية (القاهرة، 2014م)
- مامينا: أخيار بن الشيخ.
- علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربع لإحياء التراث والتنمية، الطبعة الثانية (بدون مكان، بدون تاريخ)
- مجمع اللغة العربية:
- المعجم الوسيط، الطبعة الخامسة (القاهرة، 2011م)
- مراد: حسين.

خامساً/ الدوريات.

الشطشاط: علي حسين.

- وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، مجلة الجامعة الاسمية، السنة الثانية، العدد 3 (زليت، 2004م).

الفيلاني: عبد الوهاب.

- التصوف الإسلامي بالمغرب (مرحلة ما قبل تشكيل المدارس الكبرى) مجلة أبحاث ودراسات (المغرب، 2011م)

المريطب: منال بنت عواد.

- أثر الحركة السنوسية في منطقة الحجاز الشيخ فالح الظاهري (1258هـ/ 1842م / 1328هـ/ 1910م) مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية (بدون مكان، 2018م)

يوسف: عبدالله وعادل محمد الشبلي.

- تطور الحركة السنوسية ومبادئها في ليبيا، مجلة الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي، جامعة مالايا، (بدون مكان، 2017م)

- المتصوفة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين والموحدين، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، 1994م)

معدّي: الحسيني الحسيني.

- الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، دار كنوز لنشر والتوزيع (القاهرة، 2012م)

الموصلي: علي الجميل.

- التحفة السنوية في المشائخ السنوسية (الموصل، 1331هـ)

مهناً: عبد الأمير وعلي خريس.

- جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، مطبوعات المركز الثقافي العربي (بيروت، بدون تاريخ)

ثالثاً/ المراجع المعربة.

أرلوند: توماس.

- الدعوة إلى الإسلام، تعريب حسن إبراهيم حسن (القاهرة، 1971م)

ترمنجهام: سبنسر.

- الفرق الصوفية في الإسلام، تعريب عبدالقادر البحراوي، دار النهضة العربية (بيروت، 1997م)

ماسينيون: ومصطفى عبدالرزاق.

- التصوف، تعريب إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1984م)

رابعاً/ الرسائل العلمية.

الشريف: مازن.

- التصوف الاستراتيجي بنية الأصل وهيكلية الفروع، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العالمية لعلماء التصوف (اسطنبول، 2020م)

لوصيف: عائشة.

- نشاط الحركة السنوسية في طرابلس الغرب (1843-1919م) رسالة ماجستير غير منشورة،

الأعياد والاحتفالات وأثرها في لُحمة الأسرة والمجتمع الأندلسي

من القرن 4 – 7هـ / 10 – 13م

الأستاذ سالم كربوعة

جامعة محمد خيضر. بسكرة. / كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ

الجمهورية الجزائرية

coexisted, which had a profound impact on what has reached us through sources that recorded the events of different eras and in all political and economic fields. Particularly social ones, so that in this work we will try to focus on the phenomenon of cohesion of Andalusian society - despite the differences - on the holidays and celebrations of all sects and tribes and their significant impact on the unity of Andalusian society away from differences in religion, customs and belonging. From there we present the following questions: How did these holidays and celebrations contribute to The cohesion and cohesion of Andalusian.

مقدمة:

تألف المجتمع الأندلسي من عدة عناصر تنوعت أصولها البشرية وثقافتها ومعتقداتها الدينية، فنجد فيه السكان السابقين الذين استوطنوا الأندلس قبل الفتح الإسلامي، وهؤلاء أطلق عليهم المسلمون فيما بعد عجم الأندلس، وتكونت أغليبيتهم من الإسبان ومنهم المسيحيون

الملخص بالعربية:

لا شك أن ما خلده المسلمون في الأندلس يعتبر إرثاً حضارياً عالمياً يبقى شاهداً على تاريخ لا مثيل له بين الحضارات، تمازجت وتعايشت فيه شعوب وثقافات عديدة كان لها بالغ الأثر في ما وصل إلينا عن طريق المصادر التي دونت أحداث الحقب المختلفة وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية وعلى الخصوص منها الاجتماعية، بحيث سنحاول في هذا العمل أن نركز على ظاهرة تماسك المجتمع الأندلسي – برغم الاختلاف – على الأعياد والاحتفالات لجميع الملل والنحل وأثرها البالغ في وحدة المجتمع الأندلسي بعيداً عن الاختلاف في الدين والعادات والانتماء. ومنه نطرح الأشكال التالية: كيف ساهمت هذه الأعياد والاحتفالات في لُحمة وتماسك المجتمع الأندلسي؟

الملخص باللغة الانجليزية:

There is no doubt that what the Muslims immortalized in Andalusia is considered a global cultural heritage that remains a witness to an unparalleled history among civilizations, in which many peoples and cultures intermingled and

و اليهود وهؤلاء منهم من بقي على دينه وأصبحوا أهل ذمة عليهم دفع الجزية.

إضافة إلى عناصر أخرى وفدت إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي فكان منهم العرب الذين قدموا من المشرق والبربر الوافدون من المغرب بعد فتحه من طرف المسلمين، ومع مرور الوقت ظهرت عناصر أخرى انضمت إلى المجتمع الأندلسي فكان منهم الموالي و"الصقالبة" المجلوبون من بلدان عديدة كأرقاء سواء للعمل في الجيوش أو البُيوت وأطلق على الفئة الأخيرة اسم "الجسيان".

ورغم هذا التنوع الاجتماعي الذي طبع الأندلس بعد الفتح كان لزاماً على هاته العناصر أن تتصل ببعضها البعض سواء عن طريق الزواج أو الجوار أو التعامل في إطار التجارة وغيرها، الأمر الذي أدى إلى ظهور فئة جديدة أطلق عليها المؤرخون العرب اسم "المولدين" وهي التي نتجت عن تزاوج الفاتحين العرب و البربر من الإسبان أهالي البلاد، وسنأتي على التعريف بهذه الفئة في عنصر لاحق.

وعلى الرغم من الاختلاف العرقي والديني بين هاته العناصر، إلا أن رابطة الدين الإسلامي وحدت أفراد المجتمع الأندلسي وكان لها الدور القوي في توحيد كلمة المسلمين في السنوات الأولى من الفتح وجعلت الإسبان يُقبلون على الدخول في الإسلام أفراداً وجماعات، ويقبلون بتزويج بناتهم من المسلمين.

وقد أدى التفاعل بين مختلف هاته العناصر إلى تكوين شخصية للأندلس متميزة عن سائر الأقطار الأخرى بحيث كان لكل عنصر من هاته العناصر دوره في صنع تلك الحضارة التي لم ينطفئ شعاعها بأفول نجم المسلمين

في الأندلس، بل ظلت قروناً عديدة ومازال بعض شواهدهما إلى الآن.

أولاً: عناصر المجتمع الأندلسي:

أ- أهل الذمة:

1- النصارى:

مثل النصارى نسبة كبيرة من سُكان الأندلس قبل فتحها من طرف المسلمين، حيث شمل تواجدهم أغلب مدن الأندلس، والنصارى بطبيعة الحال هم الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن و البقاع المفتوحة حيث كانوا يُشكلون جماعات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة⁽¹⁾ واشبيلية⁽²⁾ و"طليطلة"⁽³⁾ ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي ويُطبقون شرائعهم القوطية القديمة، ولهم قضاؤهم الخاص ولهم كنائسهم يزاولون فيها شرائعهم الدينية بكل حرية، وكانوا فوق ذلك يتمتعون في بعض الأحيان بنفوذ قوي حيث احتل البعض منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش، وقد أنشأت السلطة في الأندلس -اعترافاً منها بأهمية الأقليات النصرانية- منصب "القومس"⁽⁴⁾ ليكون مرجعهم الرئيسي في شؤونهم الروحية، وكان "القومس" من الشخصيات ذات النفوذ القوي، وكان له في معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذ كان مُستشاره في كل ما يتعلق بشؤون النصارى وأحوالهم⁽⁵⁾، ويبدو أن مدينة "ماردة"⁽⁶⁾ حوت الكثير من النصارى على حسب ما أشار إليه ياقوت الحموي في معجمه، إذ ذكر أنها من أعمال قرطبة، وقال أنها «إحدى القواعد التي تخيرتها الملوك للسكنى من القياصرة والزُوم»⁽⁷⁾. كما استوطن النصارى قلعة "بُيشتر"⁽⁸⁾ التي تحصن بها "عمر بن حفصون" الثائر المؤلدي في أواخر عصر الإمارة.

وقد كان للنصارى رغبة كبيرة في الاستيطان في الأراضي الخصبة والضياء الكبيرة في شتى نواحي الأندلس، حيث أشار ابن حوقل إلى هذا بقوله: «...وفي الأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تُمدن، وهم على دين النصرانية روم، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم إلى حصن فطال جهادهم لأنهم في غاية العُتُو والتمرد، وإذا خلعوا "ربقة" الطاعة صُعِبَ ردهم إلا باستئصالهم وذلك شيء يصعب ويطول...»⁽⁹⁾.

كما أن ظروف الفتح الإسلامي للأندلس ساعدت في حالات عديدة على نزع الملكية الإقطاعية من كبار الفلاحين القدامى، وبذلك وجد عدد من الفلاحين الذين كانوا مضطهدين قبل الفتح مكاناً لهم من دون صعوبة في ظل الحكم الإسلامي⁽¹⁰⁾، وهذا باستغلال جزء وفير من الأراضي غير المزروعة، الأمر الذي أدى إلى إعطاء دفعة جديدة للاقتصاد الأندلسي.

ومن جهة أخرى لم يُعان النصارى في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس أي شكل من أشكال التمييز والاضطهاد على عكس ما تداولته الكثير من المراجع الأجنبية، فقد تمتع هؤلاء بكامل حريتهم الدينية والدنيوية، واعتبروا أهل كتاب عليهم دفع الجزية في ظل حماية الدولة الإسلامية لهم، فمن شاء دخل الإسلام ومن شاء بقي على دينه. وبخصوص معاملة المسلمين للنصارى في الأندلس، فقد كانت على أعلى مستوياتها، حيث ذكر الذهبي أنه يوم وفاة الفقيه "عبيد الله بن يحيى الليثي"⁽¹¹⁾ شُهد نفر من اليهود ومن النصارى من جملة الباكين عليه، وهذا دليل على سماحة الإسلام والمسلمين مع نصارى الأندلس.

ولقد تعدى الأمر ببني أمية في الأندلس إلى أن استعملوا النصارى في خدمتهم في قصورهم، مما جعل المسلمين في المشرق يعيبون عليهم ذلك⁽¹²⁾، ومنهم "ربيع بن زيد" الذي استعمله الأمير الحكم بن هشام (186-206هـ-796-822م)، ويبدو أنه كان يحتل مرتبة موظف كبير في بلاطه حيث يذكر ابن الخطيب قوله: «...أن الناس أنكروا عليه أموراً منها: إطلاق يد ربيع "القومس" متولي المعاهدين بالأندلس من النصارى، وكان حظاً في رجاله سوغه افتراض المعاون والمغارم على المسلمين...»⁽¹³⁾.

وقد حذا حذو الأمير الحكم بن هشام أبناؤه وأحفاده من بعده، فقد استعمل الأمير محمد بن عبد الرحمان (238-273هـ-852-886م) كاتباً نصرانياً اسمه "قومس بن انتينان"، ولله الأمير محمد الكتابة بعد وفاة كاتبه "عبد الله بن أمية بن يزيد سنة 246هـ-860م، وقد احتفظ بديانته زمناً، حيث يذكر ابن حيان أن الأمير محمد قال: «...لو أن قومساً أسلم ما أردنا بدلاً منه...»⁽¹⁴⁾.

ولقد بلغت الدرجة بالنصارى في الأندلس إلى أن تأثروا بأسلوب حياة العرب وثقافتهم، وتأثروا بمختلف العلوم العربية فأقبلوا عليها ينهلون منها حتى تفوقوا في بعض الأحيان على العرب أنفسهم. ويبدو أن طائفة من مسيحي الأندلس برعت في مجال الثقافة واللغة العربية، ولكنها بقيت على ديانتها الأصلية المسيحية وأطلق على هؤلاء اسم "المُسْتَعَرِبِينَ"⁽¹⁵⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن عنصر المستعربين لم يبرز إلا خلال النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، أي بعد قيام الإمارة الأموية سنة 138هـ-756م، وذلك راجع إلى أن عصر الولاة كان العمل الرئيسي فيه للعرب حربياً خالصاً، وبعد استقرار الأمور للأمير عبد الرحمان الداخل (138-

172هـ-756-787م). بدأ هناك نوع من النشاط العلمي والذي تأثرت به هاته الفئة، بحيث أن الظروف السياسية في الوقت السابق لم تكن تسمح للنصارى بالتعمق في الثقافة العربية.

ومن خلال المعلومات التي حملتها بعض مصادر التاريخ الأندلسي حول هذا الموضوع- الذي يطول التفصيل فيه- تأكد أن اهتمام النصارى المستعربين بالشؤون العربية، وبخاصة العلمية منها، كان له ردة فعل قوية في انتشار حقد النصارى الآخرين على المسلمين، واستخدموا كل ما هو متاح لهم لسد الطريق أمام إخوانهم فلجأ النصارى إلى مهاجمة الإسلام والمسلمين وسب "الرسول صلى الله عليه وسلم" أمام الملأ أو ما يعرف بحركة الاستشهاد⁽¹⁶⁾، على أن الفترة التي نشطت فيها هاته الفئة بشكل رهيب هي فترة الأمير عبد الرحمان الثاني (206-238هـ/822-852م).

ولكن من خلال معاملة المسلمين للنصارى بالحُسن، يجعلنا نستغرب لقيام هؤلاء بهاته الأعمال، رغم أن المسلمين سمحوا لهم بإقامة شعائرهم الدينية في كنائسهم بكل حرية وهذا بشهادة أحد مؤرخي الغرب وهو "ليون بول" بقوله: "...وكان من المحزن المستدر للرحمة حقا أن ترى رجالا يقذفون بأرواحهم وأرواح غيرهم في سبيل حلم كاذب.."⁽¹⁷⁾. ومثل هذه الشهادات قلما نجدها في مؤلفات المؤرخين الغربيين خاصة إذا تعلق الأمر بتاريخ الأندلس، ومن جانب آخر حدث أن تأثر المسلمون بعبادات وتقاليد النصارى وأعيادهم الدينية، ومن هذه الاعياد "عيد العنصرة"⁽¹⁸⁾ الذي يحتفل به نصارى الأندلس في شهر جويلية من كل سنة، وقد تصدى علماء الأندلس لهذه الظاهرة ومنهم الفقيه "يحيى بن يحيى الليثي"⁽¹⁹⁾ الذي توفي في عهد الأمير عبد الرحمان الثاني، وقد أورد

الوُنشريسِي في معياره فتوى لـ "يحيى بن يحيى الليثي" في هذا الصدد بقوله: «وكذلك إجراء الخيل والمباراة في العنصرة لا يجوز وكذلك ما يفعله النساء من وشي بُيوتهن يوم العنصرة...»⁽²⁰⁾.

ولقد أدى التمازج الكبير بين العرب والإسبان عن طريق التزاوج والجيرة وغيرها، إلى تزاوج اللغة العربية مع اللغة الإسبانية ونتج عن هذا اللغة اللطينية، وقد أطلق عليها عرب الأندلس "اللغة الأعجمية" وجاءت كنتيجة لازدواجية اللغتين العربية والرُومَنسية هذه الأخيرة المشتقة من اللغة اللاتينية الأم⁽²¹⁾ فوجدت بعض الألفاظ العربية في اللغة الإسبانية والعكس صحيح.

وكمثال على ذلك كان القاضي سعيد بن سليمان الغافقي⁽²²⁾ يجيد التحدث بالأعجمية، إذ تخاطب بها يوما مع بعض العجم بعد خروجه من المسجد⁽²³⁾، وبخصوص الحرية الدينية للنصارى، فقد ترك المسلمون لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية في مختلف كنائسهم دون مُضايقة أو تمييز ديني، ونذكر على سبيل المثال كنيسة بُبشتر" التي أنشئت خصيصا لِعُمَر بن حفصون بمناسبة ارتداده عن الإسلام واعتناقه الديانة النصرانية⁽²⁴⁾، وكان هذا العمل من بين الإجراءات التي اتخذها ابن حفصون ضد الإمارة الأموية لتقوية مركزه بين أتباعه وحلفائه في الشمال الأندلسي.

2 - اليهود:

شكل اليهود عنصرا هاما من عناصر المجتمع قبل وبعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية ويبدو من خلال أخبارهم في مختلف مصادر التاريخ الأندلسي، أنهم كانوا مضطهدين قبل مجيء المسلمين، وأن الفضل الكبير يعود للفتاحين المسلمين في تخليصهم من ظلم

القوط، وفي هذا المقام أشار المستشرق الفرنسي "ليني بروفنصال" إلى أن اليهود كانوا منبؤذين من قبل المجتمع القوطي الذي ما فتئ يطاردتهم في كل مكان حيث أصدر ضدهم عقوبات قاسية جراء الخدمة المجانية التي قدمها هؤلاء للفاحين العرب قبل فتحهم للأندلس⁽²⁵⁾.

وكان اليهود ينتشرون في معظم أرجاء الأندلس، حيث عمل المسلمون خلال فترة الفتح على تجميع اليهود في قصبات المدن وبخصوص هذا يذكر المقرئ في معرض حديثه عن فتح موسى بن نصير⁽²⁶⁾ لمدينة اشبيلية قوله: «...فامتنتع أشهراً على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها إلى مدينة" باجة"⁽²⁷⁾ فضم يهودها إلى القصبة⁽²⁸⁾...». ونفس الشيء ذكره صاحب أخبار مجموعة عند فتح المسلمين مدينة" البيرة"⁽²⁹⁾ بقوله: «...ومضى الجيش الذي توجه إلى رية ففتحها ونجى علوجها إلى جبال مُمتنعة. ومضى ليلحق بالجيش المتوجه إلى البيرة فحصروا مدينتها فافتتحت، فألفوها يومئذ يهوداً. وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى قصبة البلد وتركوا معهم من المسلمين طائفة...»⁽³⁰⁾.

ويبدو على حسب ما نعتقد أن المسلمين قصدوا من ضم اليهود إلى قصبات المدن هو منعهم من القيام بأي عمل انتقامي ضد الفاتحين، ويذكر بعض مؤرخي الأندلس أن من عمل المسلمين الرئيسي هو ضم اليهود إلى قصبات المدن متى فتحوا مدينة، حيث يذكر "ابن الخطيب" في هذا الصدد قوله: «...وصار لهم ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينة يهوداً. ضموهم إلى قصبتها. وجعلوا معهم طائفة من المسلمين يُسدونها...»⁽³¹⁾.

وتذكر المصادر التي بين أيدينا أن اليهود كانت لهم أحياء خاصة بهم يقطنونها ومقابر يدفنون بها موتاهم، فمن

خلال قراءتنا لرواية أوردها المؤرخ "ابن بشكوال"⁽³²⁾ في معرض حديثه عن وفاة الفقيه "عبد الرحمان بن عثمان القشيري"، والتي تؤكد على درجة الحرية التي كان يعيش اليهود في ظلها مع الحكم الإسلامي في الأندلس، ومفاد الرواية أن هذا الفقيه توفي في «...ذي الحجة في سنة خمس وتسعين وثلثمائة. ودفن في مقبرة حلال، بينها وبين مقبرة اليهود الطريق السالك بجوفي قرطبة...». كما كان لليهود "أرباض"⁽³³⁾ خاصة بهم في مختلف المدن الأندلسية، ومنها الربض الذي ذكره المقرئ بقوله: «...ذكر ابن بشكوال أن عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسيع والعمارة، واحد وعشرون ربضاً... وأما الشمالية: ربض اليهود...»⁽³⁴⁾.

وقد حملت العديد من أبواب المدن في الأندلس أسماء اليهود، مما يدل على أنهم تركزوا في جميع أنحاء، فقد ذكر ابن حيان وهو يصف الحكم المستنصر⁽³⁵⁾ ابن الخليفة عبد الرحمان الناصر، وهو يتحدث إلى بعض عماله عن مقبرة كثر فيها الدفن حتى ضاقت «...وكانت طريقه إليهم على مقبرة باب اليهود فأجال بصره إليها، وتأمل ما بها من ضيقة لتكاثر الدفن فيها، فعهد بابتياح دور جمة حدها كيما تهدم وتزاد فيها فعمل بذلك...»⁽³⁶⁾.

ولكي لا تكون لليهود شرعية في السيطرة على بعض أبواب المدن في الأندلس فقد كانت ردة فعل المسلمين حاضرة في ذلك الوقت، وفي هذا يذكر المقرئ أن مسلمي الأندلس استقبحوا تسمية أهم أبواب قرطبة ومنها الباب الشمالي المُسمى باسم اليهود فحول اسمه إلى باب الهدى⁽³⁷⁾.

وتعد طليطلة أيضاً من المدن الهامة التي تركز فيها قسم كبير من اليهود منذ الفتح حيث أشار "ابن

عذارى" إلى ذلك حين تحدث عن فتحها على يد طارق بن زياد «...وألفى طارق طليطلة ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة...»⁽³⁸⁾.

وحوت غرناطة⁽³⁹⁾ هي الأخرى جمعا كبيرا من اليهود حيث يذكر "الحميري" بأنها «...تعرف بأغرناطة اليهود... لأن نازلتها كانوا يهودا»⁽⁴⁰⁾، ويبدو أن اليهود مع مرور الزمن- وكنتيجة لحريتهم التي أطلق عنايتها المسلمون- تقلدوا مناصب هامة في الدولة وتعدى بهم الأمر إلى التدخل في الشؤون السياسية، وعملوا على زرع الفتن بين الدويلات المتناحرة في عهد ملوك الطوائف. وكمثال على ذلك نذكر شخصية "ابن النغيلة"، الذي هاجر إلى غرناطة واعتلى بها مناصب إدارية هامة في عهد بني زيري ملوك غرناطة (403-483هـ/1012-1090م)⁽⁴¹⁾.

ويلاحظ أن بعض المُدن في الأندلس كانت الأغلبية الساحقة من سكانها من اليهود، وعلى سبيل المثال نذكر مدينة "أليسانة" التي وصفها "الإدريسي" بقوله: «أن اليهود يسكنون بجوفها (أي بداخلها) حيث لا يُدخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير وهم أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم...»⁽⁴²⁾، ومما يؤكد على أن هاته المدينة كانت خاصة باليهود ما ذكره ابن حيان وهو يصف حصار عمر بن حفصون لها بقوله «...ومدينة أليسانة يهود الذمة...»⁽⁴³⁾.

ب - العناصر المسلمة:

1- العرب:

يُعتبر العُنصر العربي أهم العناصر التي تألف منها المجتمع الأندلسي، مع الإشارة إلى أن العرب دخلوا الأندلس أفرادا وجماعات، أي في شكل جيوش عرفت في

المصادر العربية بإسم: "الطوالع"، ولا شك أن العرب كانوا قلة في الأيام الأولى للفتح كما تشير إلى ذلك المصادر التاريخية، وهذا استنادا إلى الأخبار التي أوردها صاحب أخبار مجموعة أن موسى بن نصير بعث مولاه طارق بن زياد «...في تسعة آلاف من المسلمين، جُلهم من البربر ليس فيهم عرب إلا قليل...»⁽⁴⁴⁾، ومع مرور الوقت تدفقت جموع المسلمين. خاصة بعدما سمعوا بإخبار الفتح، وما توفره الأندلس من شُرُوط العيش المختلفة، سواء كان ذلك على شكل جماعات أو أفراد.

وتشكلت الحملة التي قادها موسى بن نصير إلى الأندلس، بعد حملة مولاه طارق بن زياد من عدد معتبر من العرب في شهر رمضان من سنة (93هـ-712م)، وقد روى "المقري" أنه «...لما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد، وما أتيح له من الفتوح حسده وتهيا إلى المسير إلى الأندلس، فعسكروا قبل نحوها ومعه جماعة الناس وأعلامهم، وقيل أنهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر...»⁽⁴⁵⁾.

وهكذا بدأ انتشار القبائل العربية في كبرى المدن الأندلسية والقرى وغيرها، كمادة مقاتلة في أول الأمر، وما لبثت هذه الطلائع أن تعززت بجموع أخرى من مختلف المناطق التي كانت تحت سيطرة المسلمين، وتجدر الإشارة إلى أن تغير الولاية في الأندلس، كان بضرورة الحال يقتضي اصطحاب قوة عسكرية لتأمين استلام مقاليد السلطة، مما كان له أثره الكبير في هجرة الكثير من العرب من المشرق والمغرب إلى الأندلس.

وفي حقيقة الأمر إن الحديث عن هجرة القبائل العربية من مختلف المناطق موضوع مستقل بنفسه لا تكفيه هاته الصفحات، والحديث عن هذا الموضوع يطول ويتشعب، ولكي لا نخرج عن الموضوع نركز فيما يلي على

أهم القبائل العربية وبطونها وأهم المناطق التي استقرت بها.

ويمكن في هذا المقام- واستنادا إلى مصادر الأنساب وخاصة كتاب "جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي" - تقسيم القبائل العربية إلى مجموعتين بارزتين: هما: القبائل اليمانية، والقبائل المضرية

1.1 - القبائل اليمانية وهي:

-بنو عمرو بن عوف بن مالك بن أوس: وهم من الأنصار، وذكر ابن حزم أن سكناهم بمقبرة بني العباس في الجانب الشرقي من قرطبة⁽⁴⁶⁾، إضافة إلى قوم يُعرفون ببني هارون وهم: بني عاز بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ومنهم ولد الصحابي: عبادة بن الصامت وكانوا يسكنون قرب باب العطارين من قرطبة⁽⁴⁷⁾. -وبنو عبد السلام بن سُري بن هاشم بن عبد السلام بن أبي راحة: وقد سكنوا بالقرب من اشبيلية وجدهم الصحابي الأنصاري "النُعمان بن بشير"⁽⁴⁸⁾. -ز الأزد: ويبدو أنهم كثيرون بالأندلس حيث يذكر المقري "أنهم هم الجَم الغفير بالأندلس وهم فروع كثيرة فمنهم: بنو غسان، وبنو مازن، وبنو الأزد، إضافة إلى بني القُلَيْعي، وهُم أعيان غرناطة⁽⁴⁹⁾. - بنو مهب بن دوس بن نصر بن زهران: ودارهم بالأندلس في "تُدْمير" ومنهم بنو شاهر بن زرة وبنو هارون بن زرة⁽⁵⁰⁾.

- بنو خثعم بن أنمار: ومنهم بالأندلس وعلى الخصوص بألبيرة آل عَطِيف بن شُعَيْب ويتركزون في مدينة شُدونة وهي دار خثعم بالأندلس. - وسبأ: ومنهم بنو بشتغير وبنو بريم وغيرهم واستوطنوا اشبيلية⁽⁵¹⁾، ومن سبأ بنو الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ودار بني الأشعر "برية"⁽⁵²⁾ بالأندلس⁽⁵³⁾. - وبنو سعد

العشيرة بن مالك بن أدد: وقد سكنوا "بوادي آش" ومنهم بنو الحكم بن سعد العشيرة⁽⁵⁴⁾. وكانوا على قدر من الجاه كما يذكر ابن حزم - وبنو حمير بن سبأ: ومن حمير بن أئين بن زهير ونسبه طويل جدا، وعقبهم بالأندلس كثير وبالضبط في اشبيلية، حيث يذكر ابن حزم أن منهم قاضي قرطبة "يحيى بن معمر بن عمران"⁽⁵⁵⁾ وعقبه أيضا بإشبيلية⁽⁵⁶⁾. - وبنو الأسلم بن الحافي بن قضاة: ومن أشهر فروعهم بالأندلس بنو بلي وموضعهم معروف باسمهم بشمال قرطبة⁽⁵⁷⁾. - وحضر موت: وقد روى المقري ان فروع الحضرميين بالأندلس كثيرة بقوله "...ومنهم الحضرميون بمرسية⁽⁵⁸⁾ وغرناطة وبطليوس وقرطبة"⁽⁵⁹⁾، ومن حضرموت أسرة بني خلدون الشهيرة التي ينتمي إليها المؤرخ المغربي الشهير "عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي"، ويذكر ابن حزم أن سكنى هاته الأسرة بإشبيلية⁽⁶⁰⁾.

1.2 - القبائل المضرية:

وهي القبائل الثُرشية التي تُعد من أقوى وأهم القبائل التي سكنت الأندلس، خاصة بعد نجاح عبد الرحمان بن معاوية في إقامة دولته، حيث اجتمع له شتات الأسر الأموية من كل مكان، وقد ساعده هذا الأمر على تقوية مركزه هناك، واعتمادا على ابن حزم يمكن ذكر أهم القبائل المضرية كالتالي. - وبنو أبي العاص بن أمية: ومنهم بالأندلس بنو الشوحية، وهم أهل شرف وحال، وينتسبون إلى عثمان بن مروان بن إبان، وقد ولي "شنتبرية" من قبل الأمير عبد الرحمان بن معاوية⁽⁶¹⁾. - وبنو الوليد بن عبد الملك: ومنهم كما ذكر ابن حزم بالأندلس أسرتان معروفتان، أسرة الحفصيين نسبة إلى حفص بن عُمر عبد الملك، وأسرة الحبيبيين نسبة إلى حبيب بن عبد

الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك، وقد استقرت كلتا الأسرتين "بقرطبة وريّة"، ولهما بها عقب كثير⁽⁶²⁾. - وبنو المغيرة الاشبيليون: وهم ولد المؤمن بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك⁽⁶³⁾، ومن خلال ما أورده ابن حزم فقد كانت هاته القبيلة تمثل الكثرة الغالبة على سائر القبائل الأخرى - بنو عك بن الديث بن عدنان: ودارهم بالأندلس معروفة باسمهم في الجوف في شمال قرطبة ومنهم بنو الأسلم بن القبانة بن غافق ومنهم كان أمير الأندلس "عبد الرحمان بن عبد الله"⁽⁶⁴⁾ المعروف "بالغافقي" والذي أُستشهد في معركة بلاط الشهداء سنة (114هـ - 732م)، ويعرفه الضبي بقوله "هو العكي أمير الأندلس، ولها في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمان القيسي صاحب افريقية وهو من التابعين، يروي عن عبد الله بن عمر، أُستشهد في قتال الروم بالأندلس، كان رجلا صالحا جميل السيرة في ولايته كثير الغزو للروم"⁽⁶⁵⁾.

لقد كان التكاثر العربي في الأندلس من مستلزمات السلطة التي إحتاجت إلى ضخ دائم لمختلف العناصر، وبخاصة منها العربية لأن الحروب والثورات الداخلية وما اقتضته من ضرورة جلب عناصر عربية لتعزيز الجيوش، لدليل على أن الهجرة العربية إلى الأندلس كانت كبيرة، والدليل على ذلك السيطرة العربية على زمام الأمور خاصة خلال القرون الثلاثة الأولى، وقد حاولنا بدورنا من خلال هذا العرض الموجز ان نجمع ما توفر لدينا من معلومات عن أهم القبائل العربية ومناطق انتشارها في الأندلس.

2 - البربر⁽⁶⁶⁾:

كان البربر من أسبق العناصر المسلمة التي دخلت الأندلس، فقد كان الجيش الفاتح لها بقيادة طارق بن زياد⁽⁶⁷⁾، حيث يذكر "المقري" أن موسى بن نصير «...جهز مولاه طارق بن زياد في سبعة آلاف من المسلمين، جلهم من البربر في أربعة سفن وحط بجبل طارق المنسوب إليه يوم السبت في شعبان سنة اثنتين وتسعين...»⁽⁶⁸⁾.

وتكاد تتفق المصادر التي بين أيدينا على أن البربر كانوا الأسبق في الدخول إلى الأندلس، ونفس العدد يذكره صاحب أخبار مجموعة بقوله: «فدعا موسى مولى له كان على مقدماته يقال له طارق بن زياد... فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالي ليس فيهم عرب إلا قليل، فدخل في تلك الأربع سفن، لا صناعة لهم غيرها، وذلك في سنة اثنتين وتسعين...»⁽⁶⁹⁾.

على أن "لابن عذارى" رواية تؤكد على أن البربر الذين دخلوا الأندلس كانوا أزيد بكثير على ما أورده المصادر الأخرى وجاء فيها «...وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا من البربر، فاجمع طارق على غزو الأندلس بعد أن أخذ إذن ابن نصير...»⁽⁷⁰⁾، وفي هذا المقام يمكن الإشارة إلى أن الحديث عن دخول البربر إلى الأندلس خلال وبعد الفتح لا تكفيه هاته الصفحات، وإنما هي إشارات فقط أكدنا من خلالها أن البربر من أسبق العناصر التي دخلت الأندلس قبل العناصر الأخرى.

ويُعتبر "ابن حزم" من أهم المؤرخين الذين اعتمدنا عليهم في التطرق لأهم القبائل البربرية ومناطق استقرارها، وهي كالتالي:- زناتة: ومنهم بنو الخروبي وأصلهم من "لقنت"⁽⁷¹⁾ ومنهم أيضا بنو الليث من "شنت فيلة"، ومن زناتة أيضا بنو عزون الأمراء "بشنت برية"⁽⁷²⁾ وينسب إليهم فحص سعيد بالقرب من "شوذر"⁽⁷³⁾ كما يشير إلى ذلك

ابن حزم⁽⁷⁴⁾، أما بطون زناتة في منطقة الثغر الأعلى فأنهم كثيرون ومنهم بنو هذيل وبنو عبدوس وبنو غزلون وبنو عُميرة من "شاطبة"⁽⁷⁵⁾. وهوارة: ومنهم بنو النبيه وبنو الأخطل من "شدونة"⁽⁷⁶⁾ وبنو الفرخ من "وادي الحجارة" إضافة إلى فرع آخروهم بنو قنة⁽⁷⁷⁾.

- مكناسة: ومن فروعهم بنو وانسوس، وهم رهط الوزير "سليمان بن وانسوس"⁽⁷⁸⁾ الذي اشتهر بالعلم والأدب في عهد الأمير عبد الله بن محمد. و مغيلة: وقد سكنوا "شدونة" وأهم بطون مغيلة "بنو الياس" ويروي ابن القوطية في هذا المقام أن جد بني الياس أعان الأمير عبد الرحمان بن معاوية في الدخول إلى الأندلس⁽⁷⁹⁾. ومصمودة: ومنهم بنو طريف من "أشونة"⁽⁸⁰⁾، - وصنهاجة:

ومنهم بنو الغليظ، وبنو دراج، وبنو عبد الوهاب وهم من ولد ميمون بن أبي جميل وهو ابن أخت طارق بن زياد، ويظهر من خلال ما أورده ابن حزم أنه كانت لبني عبد الوهاب ثروة وعدد وكان منهم كتاب وقراء وفقهاء⁽⁸¹⁾.

أما بخصوص المناطق التي استوطنتها البربر فهناك دليل على الأهمية النسبية لانتشار هؤلاء في كامل أنحاء الأندلس ويتمثل ذلك في البصمات التي تركتها القبائل البربرية في الجزء الذي دخل الإسلام في وقت مبكر من شبه الجزيرة، حيث نجد العديد من أسماء الأماكن التي تذكر بوجودهم، مثل الطريق المؤدي من قرطبة إلى حدود الثغر الأدنى، وبخاصة المناطق الواقعة في جهتي نهر "وادي آنة" ما بين الوادي الكبير و"وادي دويرو"، حيث يبرز وجود مناطق وأحواز تحمل أسماء قبائل بربرية مثل مكناسة وهوارة ونفزاوة⁽⁸²⁾، وهذا الاستقرار الواسع دليل على الدور الكبير الذي لعبته جماعات البربر في تاريخ الأندلس، كما

أن الأسماء التي حملتها الكثير من مدن وقرى الأندلس دليل آخر على انتشار البربر في جميع أنحاء الأندلس.

3- الموالى:

تألف الموالى في الأندلس من عدة عناصر بربرية جمعتها رابطة الولاء للعرب، وكان أغلبهم من الوافدين من المشرق وأهل المغرب من البربر الذين دخلوا في طاعة العرب وخدمتهم. ويمكن تقسيم الموالى في الأندلس إلى أربع فئات حسب أصولها:

أ- الفئة الأولى: وهم الموالى الذين اعتنقوا الإسلام وقدموا مع العرب من المشرق، وظهرت هذه الفئة مع طالعة "بلج بن بشتير"⁽⁸³⁾ حيث يذكر "ابن القوطية" أن جيش بلج تألف من ألفي مولى وثمانية آلاف عربي⁽⁸⁴⁾.

ب- الفئة الثانية: الموالى من البربر الذين أسلموا وقدموا مع العرب من المغرب، وساهموا بقسط كبير في فتح الأندلس، ويضاف إليهم العائلات البربرية التي كانت في خدمة الأمويين في بلاطاتهم، ويرى "حسين مؤنس" أن هاته الفئة من البربر أهم مركزا بالنسبة لبني أمية من البربر الآخرين⁽⁸⁵⁾.

ج- الفئة الثالثة: وهم الموالى من السكان المحليين، الذين أسلموا وأصبحوا في خدمة العرب في الأندلس، ومنهم "قسي قومس" الذي لحق بالشام بعد فتح الأندلس وأسلم على يدي الوليد بن عبد الملك وكان ينتهي إلى ولائه⁽⁸⁶⁾، كما دخل في عداد الموالى بالأندلس عدد كبير من الإسبان الذين أخلصوا ولاءهم لبني أمية أمثال: "بنو بارون"، "بنو قارلة"، "بنو غومس"، "بنو مرتين"⁽⁸⁷⁾.

وقد أطلق ابن خلدون في مقدمته على هذا النوع من الموالى "موالي الاصطناع" في قوله «...فإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم، أو استرقوا العبدان والموالي

والتحموا بهم...ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية...»⁽⁸⁸⁾.

د- الفئة الرابعة: وتضم هذه الفئة موالي من نوع خاص، فقد سعى الأمويون منذ وطأت أقدامهم أرض الأندلس بقيادة عبد الرحمان الداخل، على الاهتمام بالعلماء وتقريبهم من بلاطات الحكم، حتى أطلق المؤرخون على هؤلاء "موالي النعمة"⁽⁸⁹⁾ وقد أورد ابن الفرضي مجموعة من هؤلاء منهم "خلف بن سليمان بن عمرو البزاز" حيث كان مولى إنعام لبني أمية⁽⁹⁰⁾.

ويبدو أنه كان لأمرء بني أمية عدد كبير من الموالي يعتمدون عليهم في شتى الخدمات، فقد كان للأمير عبد الرحمان نفسه مولى يقال له "بدر"، حيث يذكر المقرئ في معرض حديثه عن دخول عبد الرحمان بن معاوية للأندلس ذكر عددا كبيرا من الموالي فقال «...وكانت الموالي المروانية المدونة في الأندلس في ذلك الأوان ما بين الأربعمائة والخمسمائة...»⁽⁹¹⁾.

ويشير صاحب أخبار مجموعة إلى عدد هائل من الموالي لبني أمية في قرطبة بقوله: «...وتتابع ناس من بني أمية ومواليهم وكثروا، وكانت بقرطبة بيوتات من موالي بني هاشم و بني فهر وقبائل قريش وغيرهم...»⁽⁹²⁾. وأما عن أهم المناطق التي استقر فيها الموالي، نذكر "البيرة" وهذا إستنادا إلى قول الحميري بأنه «...نزلها كثير من جند دمشق من العرب وكثير من موالي الإمام عبد الرحمان بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه...»⁽⁹³⁾، وقد تعدى الأمر بالموالي في "البيرة" في عهد الأمير عبد الله بن محمد بمحاولة تكوين إمارة مستقلة حيث يقول "ابن حيان" أنهم: «...عند احتياج الفتنة أيام الأمير عبد الله منذ تميزوا واجتمعوا إلى حصن بكور ليمنعوا أنفسهم

واحتاجوا إلى رئيس يضم نشرهم...»⁽⁹⁴⁾ إضافة إلى مدينة "رية" التي استقر بها عدد لا بأس به من الموالي، وهم موالي عبد الملك بن مروان يعرفون ببني السقاء⁽⁹⁵⁾.

ولا شك أن المكانة المرموقة التي أولاها بنو أمية للموالي شجعت عناصر أخرى لأن يكونوا في عداد موالي بني أمية ومنهم المولدون، فقد اشترط الثائر المولدي "عمر بن حفصون" على الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمان مقابل استسلامه أن يكون أولاده موالي إلى جانب موالي الأمير وفي هذا يقول "ابن عبد ربه": «...ثم غزا-أي الأمير المنذر- إلى المارق المؤتر عمر بن حفصون... فلم يجد الفاسق منفذا ولا متنفسا، فأعمل الحيلة والخديعة، وأظهر الإنابة والإجابة...وسأل إلحاق أولاده في الموالي، فأجابته الأمير...»⁽⁹⁶⁾.

وعلى الرغم من المكانة التي احتلها الموالي في بلاطات الأمويين باعتبارهم العنصر الأقرب إلى الأمراء والخلفاء إلا أن المصادر التاريخية لم تورد أخبارا مفصلة عن هاته الفئة، على غرار عناصر قليلة كان لها دور نسبي في تاريخ الأندلس، واستنادا إلى كتب التراجم يمكن اعتبار العصر الأموي أكثر العصور الذي شهد نشاط هاته الفئة وتقلد الموالي مناصب هامة في عهد بني أمية، فقد ذكر "ابن الفرضي" أن الأمير محمد بن عبد الرحمان عين قاضيا من الموالي هو "عمر بن عبد الله بن ليث القبة"⁽⁹⁷⁾، وهو مولى لأبيه الأمير عبد الرحمان، «...وهو أول من ولي قضاء الجماعة من الموالي، فشق ذلك على العرب وتأثروا منه وتكلموا فيه، فبلغ ذلك الأمير محمدا رحمه الله فقال: وجدت فيه ما لم أجد فيهم...»⁽⁹⁸⁾.

4 - الصقالبة:

شكل الصقالبة عددا لا بأس به من مجموع سكان الأندلس، خاصة في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله، الذي استكثر من جلب هاته الفئة، وذلك من أجل الاعتماد عليها في شتى الخدمات. وقد أطلق الجغرافيون اسم الصقالبة على مجموعة الشعوب السلافية، وهم سكان البلاد الممتدة بين بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي غربا وهي بلغاريا العظمى- في العصور الوسطى-، فقد دأبت القبائل الجرمانية على سبي الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب الأندلس⁽⁹⁹⁾، ولم يقتصر هذا الاسم على هؤلاء فقط، بل شمل جميع العبيد المجلوبين من فرنسا وإيطاليا ومناطق أوربية أخرى، كما ذكر ابن حوقل أن اليهود كانوا يُخصون البعض من الصقالبة: «...لأنهم عند قريبهم منها- أي الأندلس- يخصون، ويفعل ذلك بهم تجار اليهود...»⁽¹⁰⁰⁾، وهذا بقصد استعمالهم في خدمة الحريم في القصور. وفي أغلب الأحيان كان يُؤتى بالصقالبة أطفالا، ويُربون تربية عسكرية، ويدربون على الخدمة في القصور والانخراط في سلك الجندية ليكونوا في الحرس والجيش⁽¹⁰¹⁾، مع الحرص على تربيتهم تربية إسلامية خالصة وتدريبهم على احترام وخدمة شؤون القصر⁽¹⁰²⁾. ويذكر ابن خلدون أن أول من استكثر من جلب الصقالبة والمماليك في الأندلس هو الحكم بن هشام⁽¹⁰³⁾ (180-206هـ/796-822م)، ومع مرور الوقت ازداد عددهم، وبلغ حجما كبيرا في عهد الناصر لدين الله، وفي هذا الصدد يذكر صاحب ذكر بلاد الأندلس قوله: «...وانتهى عدد الصقالبة الذين يخدمون القصر ويحرصونه ويحرصون أبوابه ستة آلاف سبعمائة وستة وثمانين صقلبيا...»، وتضاعف عددهم في عهد

الخليفة "الحكم المستنصر" ابن عبد الرحمان الناصر، وتحسنت أوضاعهم المعيشية إلى درجة كبيرة فيذكر أن «...عدد الصقالبة بالزهراء ثلاثة آلاف خصي وتسعمائة خصيا، وكانت جرايتهم من اللحم في كل يوم دون سائر أهل القصر: ستة آلاف وثمانمائة رطل، سوى الصيد وأصناف الطير والحوت...»⁽¹⁰⁴⁾. ولا شك أن هذا المستوى المعيشي الذي بلغه الصقالبة كان نتاج الاهتمام الكبير بهم ولأنهم كانوا «...يربون منذ نعومة أظفارهم في قصر الخلافة، وتبذل العناية في تأهيلهم»⁽¹⁰⁵⁾.

5 - المسالمة والمولدون:

لقد كان فتح المسلمين للأندلس سببا أساسيا في حدوث عملية اختلاط وامتزاج كبيرة بينهم وبين السكان المحليين وغيرهم، مما أدى إلى اختلاط الأنساب والدماء، والعادات والتقاليد، واللغة، وكان نتاج ذلك أيضا دخول الكثير من الإماء والعبيد وغيرهم في الإسلام، ولا شك أن الجيوش الإسلامية الفاتحة لم يكن بصحبهم في كثير من الأحيان إلا الخيل والسلاح فاضطر الكثير منهم إلى مصاهرة أهالي البلاد، والارتباط ببناتهم مما كان له أثره في ظهور جيل جديد بُعيد الفتح أطلق عليه المؤرخون اسم "المولدين" ومما ساعد على تقوية هاته الرابطة هو تعاليم الدين الإسلامي السمحة والتي أدت بالكثير من الإسبان إلى الدخول في الإسلام⁽¹⁰⁶⁾، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن المولدين شيء والمسالمة شيء آخر

أ- المسالمة

"المسالمة" أو "الأسالمة": هم جماعة الإسبان الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح الأندلس، وقد كان لسياسة التسامح أثرها الكبير في إسلام عدد هائل من الأسبان، إما بحثا عن مصلحة شخصية، أو إيمانا صادقا بهذا الدين، والواقع

أن العرب لم يتعرضوا لهم بسوء، ولم يفرضوا عليهم الإسلام قهراً، بحيث أن الكثير منهم دخل الإسلام بمحض إرادته، وعلى هذا النحو أصبحت العديد من الأسر الإسبانية في عداد المجموعة الإسلامية.⁽¹⁰⁷⁾ والذي يبين أن كلا الفئتان تختلفان عن بعضهما هو قول ابن حيان في معرض حديثه عن أحداث سنة 275هـ/888م: «...وتحزبت المسالمة مع المولدين وتميزت إليهم نصارى الذمة، فصاروا جميعهم إلها على العرب...»⁽¹⁰⁸⁾. وقد شكل هؤلاء تحت حكم الأمراء الأمويين أهم طبقة في إمارة قرطبة، وبعد مُضي فترة من الزمن أصبح من الصعب تمييزهم من المسلمين الآخرين، واتضح هذا بالأخص في فترة حكم الأمير عبد الرحمان الثاني، ولكن هذا الاختلاط شهد انحساراً في العهود المتقدمة بسبب العجرفة التي تميز بها العرب على حد تعبير المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال"⁽¹⁰⁹⁾

ب - المولدون:

وهم نتاج تزواج العرب والبربر بالإسبانيات، أو زواج العرب من البربر والصقليبات، وبطبيعة الحال كان لذلك سبب رئيسي: وهوان الجيش الفاتح كان من الرجال النازحين من الشرق، والذين قطعوا مسافات بعيدة حتى وصلوا إلى الأندلس، فكان طبيعياً أن لا يرحل معهم عدد كبير من النساء، فاضطررتهم الحاجة إلى أن يتزوجوا من الإسبانيات أو البربريات ويستولدوهن، وقد خرج من هذا الازدواج بين عربي وبربرية أو عربي وإسبانية جيل جديد مولد شبيه بما كان في الشرق من تزواج بين عربي وفارسية⁽¹¹⁰⁾. ومن هنا نستنتج أنه حينما استقر الإسلام في قلوب المسالمة، اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالفاتحين، سواء عن طريق المجاورة أو العشرة، وحتى المصاهرة، إذ اختلطت

دماء العرب والبربر بدماء أهل البلاد فكان نتاج ذلك عنصر جديد وهو عنصر "المولدين"، الذي بدأ يتكاثر مع مرور الزمن وأصبح يمثل الفئة الغالبة من سكان الأندلس خاصة في السنوات الأولى، وأول مثال نستشهد به في هذا المقام ما قام به والي الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير⁽¹¹¹⁾ الذي يعتبر أول من تزوج من الإسبانيات، حيث تزوج من "ايغلونا" Egilona أرملة لذريق، والتي تسميها المصادر العربية "بأم عاصم" وكانت السبب في مقتله، حيث يروي صاحب أخبار مجموعة أنها قالت له: «...إن الملوك إذا لم يتوجوا فلا مُلك لهم، ف هل لك أن اعمل لك مما بقي عندي من الجواهر والذهب تاجاً، فقال لها: ليس هذا في ديننا...»، وهكذا لم تزل به حتى فعل، فرآه الجنود فهجموا عليه وقتلوه سنة ثمان وتسعين هجرية⁽¹¹²⁾، وفي نفس السياق يظهر أن زياد بن النابغة التميمي⁽¹¹³⁾ هو الآخر تزوج من إسبانية، ففي خضم الأحداث التي رواها صاحب أخبار مجموعة عن مقتل الوالي عبد العزيز بن موسى، ذكر أنه قبل مقتله «... دخلت عليه امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة، وهي من بنات مُلوك القُوط...»⁽¹¹⁴⁾. ويعتبر المؤرخ الأندلسي "إبن القوطية" صاحب كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" من المولدين، وقد روى ذلك في كتابه المذكور قصة جدته "صارة القوطية" ابنة الملك "المند" حيث «...توجهت بابنها بمركب إلى الشام حتى نزلت بعسقلان ثم قصدت حتى وقفت بباب هشام بن عبد الملك فأنتهت خبرها والعهد المنعقد لأبها على الوليد، وتظلمت من عمها "أرطباس"، فأوصلها إلى نفسه، ونظرت إلى عبد الرحمان صبيها بين يديه، وكان عبد الرحمان يحفظ لها ذلك بالأندلس...، وبعد أن أعاد لها الخليفة هشام بن عبد الملك أموالها وضياعها من عمها أرطباس،

أنكحها من "عيسى بن مُزاحم" فقدم معها هذا الأخير إلى الأندلس، وقبض ضياعها، وبذلك يعتبر عيسى هذا جد المؤرخ ابن القوطية، وُلِدَ لعيسى من صارة ولدان هما: إبراهيم وإسحاق، ثم توفي عنها في العام الذي دخل فيه عبدالرحمان بن معاوية إلى الأندلس فتنافسها "حيوة بن مُلامس الحضرمي" (115) و"عمير بن سعيد اللخمي"، فعني ثعلبة بن عُبيد الجُدامي (116) بعمير بن سعيد عند عبد الرحمان بن مُعاوية فأنكحه إياها، فولدت له: حبيب بن عمير جد "بني سيد" و"بني حجاج" و"بني مسلمة" و"بني حجز الجزر"، وهؤلاء أشرف ولد عمير بإشبيلية...» (117).

كما كان للبربر حض من هذه المصاهرات، حيث يذكر أن القائد البربري "مونوسة" Munuza الذي كان حاكما على إقليم "شرطانية" في الشمال الإسباني، وساهم بقسط كبير في فتح الجنوب الفرنسي مع القائد العربي "عبد الرحمان الغافقي" كان قد تزوج من ابنة الدوق "أودو" حاكم إقليم "أكيتانيا" وتدعى "لامبجييه" Lampejie أو "مينين" Minine (118).

ومع مرور الوقت تكاثر المولدون وانتشروا في كامل أنحاء الأندلس، واحتفظ البعض منهم بأسمائهم القديمة، حيث يعدد ابن حيان أهم أسرهم مثل: بنو ردف Rodolfo، بنو أنجلين Anjelino وبنو شبرقة Sabarico، وبنو الجريج Jorje، وبنو لنتق Longo، وبنو القبطرنة Kabturno، وبنو مردنيش Martinez، وبنو غرسية Garcia (119).

لقد أصبح الزواج من الأسبانيات تقليدا شائعا عند أهل الأندلس أمراؤهم وخلفاؤهم، خاصتهم وعامتهم، ومن الأمثلة على ذلك: زواج أمراء بني أمية من نساء البشكنس، والجلالقة، ممن يقعن في أيديهم سبيا، بسبب الحروب

والغزوات المتتالية (120)، وقد اعتبر بعض الباحثين أن البيت الأموي بيتا مولدا، وإن كان هؤلاء الأمراء يعترفون بأصولهم العربية ويتغاضون عن أصولهم الإسبانية (121).

وكان كثير من أمهات الأمراء الأمويين من الأسبانيات اللواتي يقعن أثناء الأسر في الحروب المختلفة، فقد كانت زوجة الأمير عبد الرحمان بن معاوية وأم ولده الأمير هشام الرضا جارية اسمها "حوراء" (122)، ولكن ابن عذاري يسميها "جمال" (123) وكانت أم الأمير الحكم بن هشام أم ولد اسمها "زخرف" أهداها "قارلة بن بيبين الرومي" إلى الأمير هشام عند مسالمتهم (124)، أما أم الأمير عبد الرحمان بن الحكم فكانت أيضا أم ولد تدعى "حلاوة" وهي من مولات البربر (125)، ومن جهة أخرى تذكر المصادر أن الأمير عبد الرحمان الأوسط كان شديد الهوى بالنساء، كثير الإعجاب بهن، وقيل أنه عشق جارية له إسمها "طروب"، فولع بها وأعطاهما خُليا قيمته مائة ألف دينار، ومن قوله فيها:

إذا ما بدت لي شمس النهار

طالعة ذكرتني طروبا

أنا ابن الهاشمين من غالب

أشُبُ حُرُوبا وأُطفي حروبا

ويعتبر الأمير عبد الرحمان من أكثر الأمراء الأمويين الذين ملكوا الجواري فكان له العديد منهم مثل الشفاء وقلم... الخ (126)، وكذلك كانت أم الأمير محمد بن عبد الرحمان أم ولد اسمها "تُهْتُر" (127)، وأم المُنذر كما يذكر ابن عذاري اسمها "أثل"، ولدته لسبعة أشهر وذلك سنة (229هـ/ 842م) (128)، إضافة إلى الأمير عبد الله بن محمد،

والتي كانت أيضا أم ولد، تسميها المصادر "بهار" وقيل "عشار"⁽¹²⁹⁾

وفي نفس السياق دائما يذكر المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال" أن العلاقات بين المسلمين في الأندلس والمسيحيين في الغرب تضخمت وتعددت في هاته الفترة، خاصة في مجال المصاهرات التي أصبحت طبيعية بالنسبة لهؤلاء المسلمين الذين أكثروا من التزوج بالمسيحيات⁽¹³⁰⁾، ولعل أقوى النماذج وأطرفها في هذا النوع من المصاهرات ما ذكر عن الخليفة عبد الرحمان الناصر بن محمد بن الأمير عبد الله، والذي كان حفيدا لسيدة نافارية وكان هو ابن جارية إسبانية وهي أم ولد تسمى "مزنة"⁽¹³¹⁾.

وكانت الوصية على عرش "نافار" تدعى "طوطة" Toda (ت) 349هـ/960م) عمة الخليفة الناصر من جهة الأمومة، ويبدو أن هاته القرابة لم تفصل فيها المصادر العربية، باستثناء ما تذكره عن أن جدة الناصر، أي زوجة جده الأمير عبد الله تسمى "در"⁽¹³²⁾.

ويبدو أن "در" أصلها إسباني واسمها الحقيقي "ونقا" Iniga، وهي ابنة فرتون بن غرسية Fortun Garcia حفيد "إنقا أريستا" Iniga Arista الملقب "بالأنقر"، الذي اعتقله الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط في قرطبة لمدة عشرين سنة⁽¹³³⁾، وأن ابنة الأنقر هذا تزوجت زوجها الأول من أمير نافاري، هو "أثنار بن شانجة" Aznar Sanchez، فأنجبت ونقة Iniga منه "طوطة" ملكة نافار، ثم كان زواج "ونقة" الثاني من الأمير عبد الله، وبذلك يكون محمد أبو الخليفة الناصر أخا "لطوطة" ملكة نافار من الأم وتكون طوطة عمة الناصر من جهة الأمومة⁽¹³⁴⁾.

وقد وفدت الملكة طوطة Toda على الخليفة الناصر سنة 347هـ/958م مع ابنها "شانجة بن ردمير"

وولده غرسية بن شانجة وقد احتفل الناصر بقدمهم وعقد لهم الصلح وبعث مع غرسية ملك جليقية فرقة من جيش المسلمين، فرد عليه ملكها بالمثل⁽¹³⁵⁾.

وكذلك كانت أم الحكم المستنصر ابن الخليفة عبد الرحمان الناصر أم ولد اسمها "مرجان" ولدته لسبعة أشهر من يوم حملها⁽¹³⁶⁾ إضافة إلى ابنه هشام، والذي كان أيضا من أم ولد إسمها "صُبح" حيث كان الحكم مولعا بها، وهي ذات حظية عنده⁽¹³⁷⁾.

على العكس من ذلك فقد قامت بعض الأسر المسلمة في الأندلس بتزويج بناتهم من ملوك وأمراء مسيحيين، ونذكر على الخصوص أسرة "بني قسي" المولدين أصحاب الثغر الأعلى، حيث زوج موسى بن موسى بن فرتون⁽¹³⁸⁾ ابنته "أورية" Oria من ابن غرسية ملك نبرة، وكذلك تزوجت "أراكة" بنت عبد الله بن محمد بن لب بن موسى من "فرويلة" بن "أذفونش" ملك "إشتورياش" وأنجبت منه ولديه "أردون وردمير". والسبب في عدم تحرج هذه الأسرة في هذا النوع من الزواج هو عدا هاته الأسرة للعرب⁽¹³⁹⁾.

كذلك تزوجت "جميلة" أخت "محمود بن عبد الجبار المصمودي" الثائر على الأمير عبد الرحمان الأوسط، من أحد قوامسة جليقية، حيث يذكر ابن حيان أنها اعتنقت النصرانية، وأنجبت منه ولدا أصبح أسقفا لأكبر الكنائس الإسبانية وهي "شنتياقب"⁽¹⁴⁰⁾.

ثانيا. أعياد واحتفالات المسلمين بالأندلس:

لقد كثرت أعياد واحتفالات أهل الأندلس حتى غدى كل أيامهم أعياد وافراح فمن خلال ما أشارت إليها مصادر التي بين أيدينا أن مناسبات الابتهاج والغبطة لا تكاد تتوقف طيلة أيام السنة، منها الأعياد الرسمية لجميع

الملل والنحل، والمناسبات الأخرى التي تقام فيها الموسيقى والغناء والرقص، والتجمعات في ساحات المدن ومنتزهاتها عبر جميع أقطار الأندلس الإسلامية، وهذا إن دل إنما يدل على البناء والانسجام الاجتماعي رغم اختلاف العقائد والعادات والتقاليد، وهذا شكل في نفس الوقت نسيجاً ساهم في وحدة الأندلسيين طيلة الفترة الإسلامية، وسنعدد في هذا العنصر أهم هذه الأعياد والاحتفالات سواء للمسلمين أو غيرهم من الملل الأخرى .

أ — عيد الفطر: من بين أهم الأعياد عند المسلمين، وقد احتفل به سكان الأندلس كسائر أقطار العالم الإسلامي آنذاك حيث كان القاضي وكبار رجال الدولة يشرفون على رؤية هلال غرة شوال، كما كانوا يحتفلون بليلة القدر حيث تقام الصلوات وتلى آيات القرآن الكريم والاستماع إلى المواعظ والخطب التي يشرف عليها العلماء والفقهاء عبر جميع المساجد الأندلسية، وفي آخر الليل تقدم أنواع الحلوى، ويستمر هذا مطلع الفجر، وكان الشعراء ينشدون قصائدهم في هذه المناسبة يمدحون فيها الحكام وكبار رجالات الدولة⁽¹⁴¹⁾.

ويشير إبراهيم القادري بوتشيش أن هذه المناسبة كانت معظمة لدى الأندلسيين بحيث تستقبلها الرعاية بكثير من العناية والتحضيرات المكثفة بشراء اللوازم والمتطلبات لهذا الشهر⁽¹⁴²⁾، كما حرص القضاة على رؤية هلال رمضان والارسال للتبشير به بين للعامة استعملت الخيل في هذا الشأن، وكانت توقد النيران ليلاً لإعلام أهل القرى المجاورة للندن إيذاناً بدخول شهر الصيام⁽¹⁴³⁾، ومن مظاهر التكاتف والتلاحم الأسري كسوة الأيتام في هذا الشهر، كما حرص العامة على كسوة أبنائهم أحسن الثياب واصطحبهم إلى المساجد، كما كان البعض حريصاً على

مشاركة جيرانه وأحابيه هذه المناسبة خاصة موائد الافطار⁽¹⁴⁴⁾.

كما احتفل الأندلسيون برؤية هلال شهر شوال ونهاية شهر رمضان حيث كانت تفرع الطبول احتفاء بعيد الفطر المبارك، وتعلق الرايات على صوامع المساجد تعبيراً عن الفرح بقدم العيد⁽¹⁴⁵⁾، وتقدم التهاني والتبريكات بين العامة كمظهر من مظاهر التكاتف والتسامح بين أفراد المجتمع.

وتبرز صورة الفرح والتكاتف والتسامح أكثر فيما ذكره ابن الخطيب واصفاً صبيحة العيد وما يعمها من فرح ومشى إلى المساجد "...فقل هو هلال الفطر أو قل هو هلال العيد فقله صباح مشي الناس فيه مشي الحباب ولبسوا أفضل الثياب وبرزوا إلى مُصلاهم من كل باب فارتفعت همة الإسلام وشرفت أمة محمد عليه السلام وخطب للناس ودعا الإمام... وأمسكت الثياب بأيدي الأبقار ومشت الإمام أمام الأحرار وتقدمت الدايات بالأطفال الصغار وانقلب الكل إلى أهله مسروراً..."⁽¹⁴⁶⁾، وهذا أبلغ تعبير لابن الخطيب في هذا اليوم المشهود عند مسلمي الأندلس وضع فيه بالتفصيل مشاهد صبيحة العيد وما يعمها من فرح وسرور.

لقد كان عيد الفطر عند الأندلسيين مناسبة للزيارات بين الأهل والأقارب وتقديم التحايا والتهاني بعد نهاية صلاة العيد مباشرة والعناق والتغافر بين الناس، وشجع علماء الأندلس وأفتوا بوجوب هذه المظاهر يوم العيد تحقيقاً للتسامح الاجتماعي ومنهم الشاطبي الذي جوز العناق والمصافحة في هذا اليوم المبارك⁽¹⁴⁷⁾، كما شهدت هذه المناسبة أيضاً ركوب الخيل والتسابق في مظاهر رائعة من البهجة والتنافس كما جاء في فتاوى ابن الحاج⁽¹⁴⁸⁾

ب — عيد الأضحى: وعلى شاکلة عيد الفطر المبارك من البهجة والفرح والتضامن والتكافل كان عيد الأضحى هو الآخر يشكل مناسبة دينية إسلامية لها قيمتها في المجتمع الأندلسي عبر العصور، ففيه كان الناس في الأندلس يتسابقون لعمل الخير ويتباهون بهذا العيد أمام الملل الأخرى، وقد كان عيد الأضحى فرصة لتبيان روح التضامن والعمل الجماعي بينهم.

لقد شهدت أسواق الماشية بالأندلس اكتظاظا حادا بالناس لشراء أضحية العيد فكانت هذه الأماكن فرصة لإظهار الفرح والتنافس بينهم لشراء كبش العيد، وكان ينصح بشرائه بأربعة أيام قبل العيد لتفريح الصبية مع كامل مستلزماته من آلات التعليق والذبح والتشويط كما جاء عند ابن قزمان⁽¹⁴⁹⁾، وكانت الأضاحي لا تذبح أيام العيد إلا اذا ذبح الإمام أضحيته⁽¹⁵⁰⁾، وكان أيضا هذا العيد مناسبة لتمتين أوأصر المحبة بين أفراد المجتمع ولبس الثياب الجديدة والظهور في أبهى زينة

ج — مناسبات أخرى: لقد أشرنا سابقا إلى أن أيام الناس في الأندلس تكاد تكون كلها احتفالات وأعياد، فقد أشار بعض المؤرخين إلى أسماء عدة من الأعياد ومنها عيد البروز وفيه تقام تماثيل الحلوى ولعب الأطفال⁽¹⁵¹⁾، كما كانت أعراس الأندلسيين فرصة أخرى للاجتماع والفرح حيث كان يصرف عليها ببذخ ومجالا للمباهاة والظهور وفيها من صنوف الطرب وآلات الموسيقى والعزف والرقص، وكان يتخلل هذه الأعراس مظاهر الفرح والاختلاط بين الناس من جميع الأعراق مشاركين العرسان فرحتهم.

كما شهدت هذه المناسبات طهر أنواع الطعام وصنع أنواع الحلوى وتوزيعها على الناس⁽¹⁵²⁾، وكانت الأسر الأندلسية تحتفل بالمولد الجديد مع الأهل والجيران وتقام

له العقيقة في اليوم السابع لمولده بذبح كبش على شرف المولود الجديد ومازالت هذه العادة موجودة في وقتنا الحاضر، ويقومون في هذه المناسبة بتوزيع الحلوى والفاكهة وهذا مظهر آخر من مظاهر التضامن بين العامة. ومن مظاهر الاحتفال عند الأندلسيين أيضا الخروج إلى المتنزهات والأنهار والوديان والجبال جماعات وفرادى طلبا للراحة والاستجمام، وكانت هذه السمة منتشرة بكثرة للتمتع بجمال الطبيعة الأندلسية، ولدينا في هذا الصدد أمثلة كثيرة من المصادر التاريخية نقتصر على بعض منها لنبين مدى الروابط القوية التي كانت تجمع الأندلسيين طيلة أيام الأسبوع.

وأول الأمثلة على هذا ما ذكره المقري في وصفه لمضامير إشبيلية الطبيعية ومتنزهاتها وما تتمتع به من مناظر خلابة وهو يصف تجمعات الناس فيها للنزهة ونقل على لسان الشاعر ابن عمار قوله:

ودوحها من نداءه في وُشج

ومن لآلي الأزهار في شُنف⁽¹⁵³⁾

كما عرفت مدينة بسطة بطبيعتها الخلابة فقد كان الناس يتوافدون على مروجها ووديانها للاستجمام وطلب للراحة عليهم الملابس الجميلة وكان أهلها يصحبون أولادهم معهم للتنزه في مظاهر بهيجة من الفرح والسرور⁽¹⁵⁴⁾، كما كانت بلنسية من أحسن مُتفرجات الدنيا⁽¹⁵⁵⁾ ذات طبيعة خلابة يصف المؤرخون حقولها وأوديتها وتجمع الناس بها بكثرة للقاء وإزالة الشوق والوحشة وطلبا للراحة، وغير مصدر من مصادر تاريخ الأندلس إلا ويتحدث عن كثرة الناس من جميع الأعراق يلتقون في مروجها وأوديتها وأنهارها، وكل هذا يعتبر مظهر من من الحياة اليومية للإنسان الأندلسي الذي كان اجتماعيا بطبعه رغم اختلاف العرق والدين.

ثالثاً. أعياد واحتفالات أهل الذمة بالأندلس:

إن المتتبع لتاريخ المسلمين في الأندلس يدرك مدى اللحمة التي كانت عليها جميع أطراف المجتمع الأندلسي مسلمهم وذمهم من خلال الأعياد والاحتفالات التي كانت تقام في أيا السنة، وكانت لهؤلاء الحرية التامة في ممارسة شعائرهم الدينية بمشاركة شريحة من المجتمع وحكامه، وفي هذا العنصر سنتحدث عن عينة خلال فترة الدراسة، ومن هذه الأعياد:

أ — عيد النوروز: وهو رأس السنة الفارسية وفي الأندلس احتفل به النصارى، وكانوا يأكلون فيه فاكهة الأترج ويكثرون من شرائها في اليوم وكان المسلمون عامتهم وخاصتهم يشاركون النصارى في هذا اليوم وفقاً ما أورده ابن قزمان عن الشاعر ابن مسعود القرطبي الذي أنشد في قائمة المشتريات التي أملكها عليه زوجته:

دنت ليلة النيروز منا ولم تكن

لترضى لنا فيها من العيش بالأدنى

ولا بد من أترجة صعترية

وإياك أن تنسى التوابل والحناء⁽¹⁵⁶⁾

وشهد هذا العيد أيضاً إقامة المآدب من أصناف الطعام، ومنها ثريدة المثومة المصنوعة من أحشاء الدجاج والعجين والسمن، وليس أطيب منها في المأكّل عند أهل الأندلس في هذا اليوم⁽¹⁵⁷⁾، ومن الدلائل التي تؤكد أهمية هذا العيد للذمي وغيره ذلك الزخم من الأبيات الشعرية التي قيلت بهذه المناسبة وتغني الشعراء الأندلسيون به بل وأقدموا على تقديم الهدايا المختلفة فيه ومن جملة هؤلاء الشعراء أبو بكر عبد المعطي بن المعين في قوله مهنئاً بالنيروز:

هو النيروز أملك للتهاني

وللبشرى بمقتبل الزمان

حللت من العلى أعلى محل

تقاصر عن علاه الفرقدان⁽¹⁵⁸⁾

وكان الشوق لهذا العيد يؤنس وحشة البعض من الشعراء وزوجاتهم فيتنافسون في التحضير له ومن جملة هؤلاء الشاعر القرطبي أبو عبد الله محمد بن مسعود الذي أنشد قائلاً تحضيراً لهذه المناسبة:

دنت ليلة النيروز منا ولم تكن

لترضى لنا فيها من العيش بالأدنى

وقالت خجولي سر إلى السوق واحتفل

ولا تبقي فيها من جراديقها منا⁽¹⁵⁹⁾

ب. عيد العنصرة أو المهرجان: كان يوماً مشهوداً بالأندلس ويوافق يوم الرابع والعشرين من شهر جوان من كل سنة ويعتقد النصارى أن يحيى بن زكريا قد ولد في هذا اليوم، ويقام هذا اليوم في شوارع المدن الأندلسية بكل حرية، واللعب بالشعلات النارية، ومن العادات فيه أن يرش الأولاد الناس بالماء لشدة الحر في هذا اليوم، وكان الأندلسيون عامة يبتهجون في هذا العيد كتعبير منهم عن مظاهر الفرح⁽¹⁶⁰⁾.

ج — عيد العصير: وهو عيد مشترك بين شرائح المجتمع الأندلسي كما جاء في الصادر التاريخية بحيث يخرج الناس مع أولادهم إلى حقول العنب لجنيته ويأخذون معهم أصناف المأكولات والمشروبات ويرتدون فيه أفخر الحلي والجواهر، وتعزف فيها الموسيقى، وتتم هذه الاحتفالات تحت حراسة الدولة⁽¹⁶¹⁾، كما لا ننسى الاحتفالات الخاصة التي تقام في المنازل عند أهل الأندلس ويدعى إليها الأقارب والأصدقاء، كالخطبة مثلاً، كما كانت الأعراس تقام في الشوارع، وفي هذا الصدد يؤخذ إذن وتصريح من القاضي لحراسة موكب العرس خاصة إذا كانت العروس ستزف

إلى خارج المدينة⁽¹⁶²⁾ وكل هذا يدل على أواصر الصداقة بين سكان الأندلس.

الخاتمة:

لقد أردنا من خلال ما سبق ذكره التعريف بأهم العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي لكي تتضح الصورة أكثر، إذ أكدنا من خلاله على أن المجتمع الأندلسي بعد الفتح لم يكن مجتمعاً بسيط التركيب حيث تألف من عدة عناصر متباينة في أصولها الجنسية والثقافية، وإن كان هذا التباين والتعدد في وقت من الأوقات مظهراً من مظاهر القوة والثراء، كما كان يحمل في نفس الوقت بُدور وأسباب التفكك والاضمحلال في وقت لاحق.

عموماً، وعلى الرغم من كل ما حدث، إلا أننا نستطيع القول أن اختلاط المسلمين بغيرهم كان له أثره في إزالة النفرة بين الغالبيين والمغلوبين، إضافة إلى مكاسب مهمة حققها المسلمون للطبقات الكادحة التي كانت تعيش تحت ظل الاستعباد القوطي، وهذا بدوره يفسر لنا النتائج العظيمة التي أسبغها الفتح الإسلامي على الأندلس، بحيث يمكن القول أنه نتج عن هذا تحولات عميقة مست الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والإداري والديني والاجتماعي الأسري، إذ أصبح للفئات الأخرى الغير المسلمة من المجتمع الأندلسي نوع من الإحساس بالحرية والكرامة، حتى وإن كان هذا على الأقل في السنوات الأولى من الفتح الإسلامي، كما ساهمت الأعياد والاحتفالات في لم شمل جميع الأطياف تحت راية موحدة رغم الاختلاف في الأعراق والملل.

(1) قرطبة Cordoba: قاعدة الأندلس وأُم مدائها ومُستقر خلافة الأمويين بها... وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور حاجز وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وطولها من شرقها إلى غربها ثلاثة أميال وهي في سفح جبل مُطل عليها يسمى جبل العروس...، انظر: محمد بن عبد المنعم الحُميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص456، انظر كذلك، شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، ص324 وما بعدها.

(2) اشبيلية Sevilla: مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة ويُقال أن الذي بناها يوليش القيصر... وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة...، وخلقها كثير وأهلها مياسير...، انظر: الحميري، نفس المصدر، ص58 وما بعدها، انظر كذلك: ياقوت الحموي، نفس المصدر، مج1، ص195.

(3) طليطلة Toledo: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة... وهي من أجل المُدن قدرا وأعظمها خطرا... وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفراس...، انظر: ياقوت الحموي، نفس المصدر، مج4، ص39، انظر كذلك: الحميري، نفس المصدر، ص395.

(4) القُومس: Comes كلمة لطينية والقومس في الأصل مُرافق للملك ونديمه، ثم صارت هذه الكلمة في أيام القُوط والإفرنج خاصة بولاية الكور(النواحي)، ومنها أُشتق اللفظ الاسباني Conde، واللفظ الفرنسي Comte وجمعها قوامسة...، انظر: أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (384هـ-456هـ)، جمهرة انساب العرب، ج2، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص467، هامش(2)

(5) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ-1973م، ص106، هامش(2).

(6) ماردة Merida: مدينة قديمة، بينها وبين قرطبة خمسة أيام...، مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، تحقيق: لويس مولينا، مدريد، 1983م، ص56.

(7) ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص38

(8) بَشتَر Bobastro: حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهو حصن على صخرة صماء منقطعة لها بابان... وحصن بَشتَر كان قاعدة العجم، كثير الديارات و الكنائس والدواميس...، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص79

(9) أبو القاسم بن حوقل النصيبى. كتاب: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص106

(10) بَذُور شلميطا، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، ترجمة: مصطفى الرقي، مجلة الحضارة العربية في الأندلس، ج2، ط1، تحرير: سلى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص1053

(11) عُبَيد الله بن يحيى الليثي: من أهل قرطبة يكنى أبو مروان، روى عن أبيه ولم يُسمع بالأندلس من غيره، رحل تاجرا و حاجا ودخل بغداد وسمع من مجالسها، ودخل مصر وشهد مجالسها، وكان رجلا عاقلا كريما، عظيم المال والجاه، مُقدما في المشاورة، توفي في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين ومائتين... انظر: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف -بابن الفرضي (ت، 403هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ج1، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1408هـ-1988م، ص292، انظر كذلك: أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله الحميدي (ت، 488هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ص425، ترجمة رقم 581، ولكن الحميدي ذكر أن وفاته كانت سنة 297هـ.

(12) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول: القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ط3، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1411هـ-1990م، ص316.

(13) لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تاريخ إسبانيا الإسلامية، أو كتاب: أعمال الأعلام في من بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص15

(14) أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، المُقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الثانية، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص142، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني (ت361هـ)، قضاة قرطبة وعلماء افريقية، تحقيق:

ج11 تخرج: جماعة من الفقهاء، بإشراف: محمد حيي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م، ص151.

(21) أحمد مختار العبادي، صُور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج26، منشورات المعهد المصري، مدريد، 1993، ص12.

(22) سعيد بن سليمان الغافقي: هو أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب، أصله من مدينة غافق، وُلِي قضاء ماردة وقرطبة، وكان من القضاة الأربعة الذين انتشر بهم العدل في آفاق الأرض، الخشني. مصدر سابق، ص92، وذكر ابن حيان أن الأمير عبد الرحمان الأوسط إستقضاه سنة 234هـ، ابن حيان، مصدر سابق، تحقيق: محمود علي مكي، ص51-52.

(23) الخشني، مصدر سابق، ص96.

(24) مانويل جوميث موريانو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1977م، ص422.

(25) Lévi Provençal, histoire de L'Espagne Musulmane Tome1 (710-912), la conquête et l'Emirate, Hispano-Umayyade, Maisonneuve et Larose, Paris, 1999 p6.

(26) موسى بن نصير: أبو عبد الرحمان موسى بن نصير اللخمي بالولاء، صاحب فتح الأندلس، كان من التابعين، روى عن تميم الداري رضي الله عنه، وكان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله...، ابن خلكان. مصدر سابق، مج5، ص318، وذكر الحميدي أنه ولي إفريقية والمغرب سنة تسع وسبعين هجرية...، الحميدي، مصدر سابق، ص538، ترجمة رقم: 793.

(27) باجة Beja: وهي أقدم مدن الأندلس بُنيانا وأولها اختطاطا، والها انتهى "يوليش جاشر" وهو أول من تسمى قيصر، وهو من سماها باجة وتفسير باجة في كلام العجم "الصُلج"....، انظر: الحميري، مصدر سابق، ص75.

(28) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1408هـ-1988م، ص269، والقصة: يعرفها ابن منظور بقوله: "وقصة البلد مدينته، وقيل معظمه، وقصة السواد: مدينتها، والقصة: جوف الحصن، يبني فيه بناء هو أوسطه، وقصة البلاد: مدينتها، والقصة: القرية، وقصة القرية: وسطها،

السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ-1994م، ص ص: 110-112.

(15) المستعربون: هم نصارى الأسبان الذين كانوا يُعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية، مع احتفاظهم بدينهم ولذلك عرفوا بالمستعربين. وكان العرب يسمونهم "عجم الذمة"، وكانوا يؤلفون جمهرة سكان البلاد في السنوات الأولى التي تلت الفتح، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس: من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط2، المكتبة الانجلو مصرية، مصر، 1986م، ص130.

(16) حول هذا الموضوع بالتفصيل، انظر: إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ-711-1031م)، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص ص252-259، أيضاً: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية تعريب: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص290.

(17) ستانلي ليون بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، مطبعة المعارف، مصر، (د ت ن)، ص76.

(18) يوم العنصرة: أو "سان خوان" الذي يحتفل به في اسبانيا في 24 يونيو (جولية)، وهو يُقابل "عيد النوروز" في الشرق الذي يُحتفل به في شهر سبتمبر، ومُشاركة المسلمين للمسيحيين في هذه الأعياد يعود إلى نظرة الاحترام التي يكنّها المسلمون لهم...، انظر: احمد مختار العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مج15، وزارة التعليم العالي، مدريد، 1970، ص140.

(19) يحيى بن يحيى الليثي:...به انتشر مذهب الإمام مالك، كان مكيناً، عفيفاً متزهاً عن الولايات جلت رُتبته عن القضاء عند ولاية الأمر... قيل أنه توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين...، انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج6، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ص143 وما بعدها، أيضاً: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966، ص382، ترجمة رقم: 909.

(20) أبو العباس أحمد بن يحيى الوُشْرَيْسي (ت، 914هـ)، المعيار المُعرب والجامع المُعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب،

(39) غرناطة Granada: مدينة بالأندلس وهي من مدن البيرة، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة...، أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 45.

(40) نفسه، ص 45.

(41) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني: المجلد الثاني، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة بيروت، 1399هـ-1979م، ص 562، أنظر كذلك: المقري، مصدر سابق، مج 1، ص 322.

(42) الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 2، ط 1، دار عالم الكتب بيروت، 1409هـ/1989م، ص 571.

(43) ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس. القسم الثالث، نشر الألب: ملشور أنطونية، مطبعة بولس كتر الكتبي، باريس، 1937م ص 93.

(44) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...، ص 17.

(45) المقري، مصدر سابق، مج 1، ص 269.

(46) ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب...، ج 2، ص 333.

(47) نفسه، ص 354.

(48) نفسه، ص 365.

(49) المقري، نفس المصدر، مج 1، 292-293.

(50) ابن حزم، جمهرة...، ج 2، ص 283.

(51) نفسه، ص 392.

(52) رية Reygo: كورة من كور الأندلس وهي قبلي قرطبة، نزلها جند الأردن من العرب، وهي كثيرة الخيرات، أنظر: الحميري، مصدر سابق، ص 279-280.

(53) ابن حزم، نفس المصدر، ص 398.

(54) نفسه، ص 408.

(55) يحيى بن عُمر بن عُمران: له رحلة إلى المشرق وكان في مذهبه زاهدا فاضلا، استقضاه الأمير عبد الرحمان وكان إذا أُشْكل عليه أمر بعث إلى مصر يستفتي قضاها...، أنظر: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، أو كتاب: المرقبة العلوية فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م، ص 44-45.

انظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، (ب د ط)، دار المعارف، القاهرة، (د ت ن)، ص 3641.

(29) البيرة Elvira: من كور الأندلس جليلة القدر... وعبد الرحمان بن معاوية هو الذي أسسها... وحولها انهار كثيرة، وكانت حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة، ومن البيرة إلى غرناطة ستة أميال...، الحميري، مصدر سابق، ص 29-30.

(30) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ص 21 وما بعدها.

(31) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 1، ص 101.

(32) ابن بشكوال خلف بن عبد الملك الخزرجي (494-578هـ-1101-1138م)، الصلة، ج 2، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ص 462، رقم الترجمة: 682.

(33) الریض: والریض ما حول المدينة، وقيل هو الفضاء حول المدينة، وربض المدينة بضم الراء والباء أساسها، وبفتحها: ما حولها...، أنظر ابن منظور، مصدر سابق، ص 1559.

(34) المقري، مصدر سابق، مج 1، ص 465-466.

(35) الحكم المستنصر: يُلقب بالمستنصر بالله ويكنى أبا العاص، أمه أم ولد اسمها مرجان، كان حسن السيرة جامعا للعلوم محبا لها، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك، وُلِّي الخلافة بعد أبيه عبد الرحمان وله إذ وُلِّي سبع وأربعون سنة... الحميدي مصدر سابق، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 13، انظر كذلك: ابن الأبار أبو عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السرياء، ج 1، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 200-205.

(36) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الخامسة، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، ط 1، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 92.

(37) المقري، مصدر سابق، مج 1، ص 156.

(38) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 2، تحقيق: جورج س كولان وليفى بروفنسال، ط 2، دار الثقافة بيروت، 1410هـ-1980م، ص 12.

(72) شنت برية Santaver: مدينة قديمة البناء وهي شرق قرطبة مائلة إلى الجوف وبها حصون كثيرة ومنها إلى طليطلة سبعون ميلا، وشنت برية جمعت كرم الأرض واتساع المزارع... مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 107-108.

(73) شوذر Jodar: قرية تعرف "بغدير الزيت" لكثرة زيتونها وهي كثيرة المياه والبساتين... الحميري، مصدر السابق، ص 351.

(74) ابن حزم، مصدر السابق، ج 2، ص 499.

(75) شاطبة Jativa: مدينة جليلة متقنة وحصينة... وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة ويعمل بها كاغد "ورق" لا نظير له، الحميري: مصدر سابق، ص 337.

(76) شذونة Sedona: مدينة أزيلية كانت من قواعد الأندلس، ذات خصب كثير جدا ومرافق عظيمة المنافع في البر والبحر... جمعت بين خيرات البر والبحر... مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 15 وما بعدها.

(77) ابن حزم، جمهرة...، ج 2، ص 499.

(78) سليمان بن وائسوس البربري: مذكور بالعلم والأدب والعقل وعزة النفس وكان صاحب منزلة رفيعة في بلاط الأمير عبد الله بن محمد... الحميدي، مصدر سابق، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 226، رقم الترجمة: 459.

(79) ابن القوطية، مصدر سابق، ص 48.

(80) أشونة Osuna: من كوراستجة بالأندلس بينهما نصف يوم وحصن أشونة كثير الساكن... الحميري، نفس المصدر، ص 60.

(81) ابن حزم، جمهرة...، ج 2، ص 502.

(82) ببيرو غيثشار، التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة: من الفتح إلى نهاية حكم الموحيدين، ترجمة مصطفى الرقي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 2، ط 1، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص 968.

(83) بلج بن بشر القيسي: كان واليا على طنجة، وما والاها فتكاثرت عليه عساكر خوارج البربر هناك فولى منهزما إلى الأندلس فكان الأمير حينئذ عبد الملك بن قطن فظفر به وقتله، وكان ذلك سنة خمس وعشرين ومائة... الضبي، مصدر سابق، ج 1، ص 306، رقم الترجمة: 594.

(84) ابن القوطية، مصدر سابق، ص 40.

(85) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 398.

(86) ابن حزم، جمهرة...، ج 2، ص 502.

(56) ابن حزم، نفس المصدر، ص 408.

(57) نفسه، ص 443.

(58) مرسية Murcia: بالأندلس وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمان ابن الحكم واتخذت دار العمال وقرار القواد، وهي على نهر كبير، وهي راجية أكثر الدهر...، انظر: الحميري، مصدر سابق، ص 539.

(59) المقرئ، مصدر سابق، مج 1، ص 298.

(60) ابن حزم، جمهرة...، مج 2، ص 460.

(61) نفسه، ص 85.

(62) نفسه، ص 89.

(63) نفسه، ص 92.

(64) نفسه، ص 328-329.

(65) الضبي، مصدر سابق، ص 475، رقم الترجمة: 1024، أنظر كذلك:

ابن القوطية، مصدر سابق، ص 38-39، المقرئ، مصدر سابق مج 1، ص 235.

(66) البربر: اختلف المؤرخون في أصل هذه الكلمة، وهناك آراء كثيرة يطول الحديث عنها، وسوف نكتفي بما قاله المؤرخ ابن خلدون: "ان افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة، لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت افريقية، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم، وسمع رطانهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال: ما أكثر بربرتكم، فسُمو بالبربر، أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون...، مج 6، ص 117.

(67) طارق بن زياد: يروي ابن عذاري انه بربري بقوله: "...فالأكثر من يرون أنه بربري من نفرة وأنه مولى لموسى بن نصير من سبي البربر... هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهون ورفجوم بن بترغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو..."، ابن عذاري، مصدر سابق مج 2، ص 5.

(68) المقرئ، مصدر سابق، مج 1، ص 231.

(69) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...، ص 17.

(70) ابن عذاري، نفس المصدر، مج 2، ص 6، ابن عبد الحكم، فتوح افريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص 71.

(71) لقنت Alicante: وهي مدينة صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد... ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر... وهي على صغرها تُنشأ بها المراكب الصغيرة...، انظر: الحميري، مصدر سابق، ص 511، الحموي، مصدر سابق، مج 5، ص 21.

(105) أنخل جنثالث بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية:حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص ص 7-8

(106) محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، ب د ن، 1411هـ-1990م، ص 186، حسن أحمد محمود، متى حسن محمود، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط 1، القاهرة، دار الفكر، 1419هـ/1999م، ص 97.

(107) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين ...، ص 127.

(108) ابن حيان، مصدر السابق، القسم الثالث، ص 51.

(109) l'Espagne Musulmane au X ème siècle, Lévi, Provençal. institutions et vie sociale Larose, Paris, 1932.p19

(110) أحمد أمين، ظهر الإسلام، مج 2، ج 1، الحياة العقلية في الأندلس، ط 5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1388هـ/1969م، ص 2. Dominique et Jnine Sourdel.dictionnaire historique de l'Islam.1^{er} édition. presses universitaires.France.Octobre1996.p608

(111) عبد العزيز بن موسى بن نصير: مولى لخم كان والده قد إستخلفه على الأندلس عند خروجه منها سنة خمس وتسعين، فأقام واليا عليها إلى أن كتب سليمان بن عبد الملك إلى الجند هناك فقتلوه، وبعثو برأسه إليه...وقيل أن الجند اجتمعوا على قتله لأمرهم نقموها منه، وبلغتهم عنه.... الضبي، مصدر سابق، ج 2، ص ص 502. 503، ترجمة رقم: 1101.

(112) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة....، ص 27—28، أنظر كذلك:ابن عذاري، مصدر سابق، ج 2، ص ص 23-24، عبد الرحمان بن عبد الله بن الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج 1، تحقيق:عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م، ص ص 285-287

Lévi. P.histoire... ، opcit، p33

(113) زياد بن النابغة التميمي: من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير وهو الذي تولى قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير أمير الأندلس بعد أبيه....، أنظر: الحميدي، مصدر سابق، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 219، ترجمة رقم: 441.

(114) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة....، ص 28، سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري: أسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1989م، ص 12.

(87) حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ—1033-755م)، ط 1، مطبعة الحسين الإسلامية مصر، 1414هـ-1994م، ص 31.

(88) عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ-2001م، ص 169.

(89) "مولى النعمة" لا ينبغي أن يكون رقيقا ثم أُعتق، بل قد ينعم عليه بالولاء كشارة من شارات الإعزاز والتقدير، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص 405.

(90) خلف بن سليمان بن سليمان بن عمرو بن البزاز: مولى إنعام لبني أمية وأصله صنهاجي من أهل "استجة"...كان نحويا لغويا شاعرا...ولي قضاء شذونة والجزيرة، توفي سنة تسعين وثلاثمائة، أنظر: إبن الفرضي، مصدر سابق، ج 1، ص 163، رقم الترجمة: 416.

(91) المقري، مصدر سابق، مج 3، ص 30.

(92) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة....، ص 87.

(93) الحميري، مصدر سابق، ص 28.

(94) ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث، ص 32.

(95) ابن الفرضي، مصدر سابق، ج 1، ص 40.

(96) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، تحقيق:محمد مفيد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، 1404هـ-1983م، ص 238.

(97) عمر بن عبد الله أبو عبد الله: كان مولى للأمير عبد الرحمان عارفا بفضلته وعقله وأدبه، فقدمه على تجربة وقلده قضاء الجماعة سنة خمسين ومائتين، أنظر: الخشني، مصدر سابق، ص 101، ترجمة رقم: 38.

(98) نفسه، ص 101.

(99) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م، ص 204.

(100) إبن حوقل، مصدر سابق، ص 106.

(101) حسين يوسف دويدار، مرجع سابق، ص 53.

(102) محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، العصر الأول: القسم الأول، ص 249.

(103) إبن خلدون، تاريخ ابن خلدون....، مج 4، ص 160.

(104) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج 1، ص 34.

(125) نفسه، ص 183

(126) نفسه، ص 183 وما بعدها.

(127) الحميدي، مصدر سابق، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 11، أما ابن عذاري فيذكر أن اسمها "بهر"، ابن عذاري، مصدر سابق ج 2، ص 93.

(128) ابن عذاري، نفس المصدر، ص 112.

(129) نفسه، ص 120.

(130) Levi Provençal. l'Espagne Musulmane...p35

(131) ابن عذاري، مصدر سابق، ص 156.

(132) نفسه، ص 120.

(133) نفسه، ج 2، ص 97.

(134) عبد الرحمان علي الحجي، أندلسيات، ط 1، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1388 هـ/ 1969 م، ص 84.

(135) المقري، مصدر سابق، ج 1، ص 384.

(136) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 210.

(137) نفسه، ص 215.

(138) موسى بن موسى بن فرتون: كان جده قسي قومس الذي لحق بالشام واسلم على يدي الوليد بن عبد الملك، ف كان ينتمي الى ولاته أنظر: ابن حزم، جمهرة...، ج 2، ص 502

(139) سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو خطاب التدميري...، ص 19.

(140) ابن حيان، مصدر سابق، تحقيق: محمود علي مكي، ص 674-675

(141) أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997 م، ص 116.

(142) ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع . الذهنيات . الأولياء، ط 1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993 م، ص 87.

(143) أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج 10، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401 هـ/ 1981 م، ص 149.

(144) ابن الزيات أبي يعقوب ييوسف بن يحيى التادلي، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ط 2، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1997 م، ص 139.

(115) حيوة بن الملامس الحضرمي: وهو من ناقلة حمص، وهو أحد نفر اليمانيين الذين قاموا بأمر عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وتغصبوا له حتى خلص له الأمر وفيه يقول الأمير عبد الرحمان:

لا خير في الدنيا ولا في نعيمها

إذا غاب عنها حيوة بن الملامس

أخو السيف يقرئ الضيف حقا يراها

عليه وينفي الضيف عن كل يائس

أنظر: الحميدي، مصدر سابق، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 198، ترجمة رقم: 390، الضبي، مصدر سابق، ج 1، ص 338، ترجمة رقم: 674.

(116) ثعلبة بن عبيد الجذامي: كان من أمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر بنواحي طنجة فانهزم إلى الأندلس مع يلج بن بشر... فأثاروا فيها الفتن حتى قتل والمها عبد الملك بن قطن وزاد الاضطراب إلى أن جاء الوالي أبو الخطار فجمع الكلمة واستظهر على من أثار الفتنة... أنظر: الحميدي، نفس المصدر، ص 185، ترجمة رقم: 348.

(117) ابن القوطية، مصدر سابق، ص 30-32، المقري، مصدر سابق، ج 1، ص 266-267.

(118) شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (ب ت ن) ص 115، حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 252، ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، (ب ط)، ترجمة، ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، (ب س ن)، ص 81.

(119) أشار ابن حيان إلى ذلك في صفحات متفرقة، ابن حيان، مصدر سابق، القسم الثالث، ص: 74، 70، 16... أنظر كذلك: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين...، ص 128

(120) سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الايجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس: (دراسة سياسية، أدبية، اجتماعية)، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، ط 1، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1995 م، ص 34

(121) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص 376 وما بعدها

(122) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 169

(123) ابن عذاري، مصدر سابق، ج 2، ص 61

(124) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 174

(158) أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ص 384 – 385 .

(159) أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1997م، ص ص 561 – 562 .

(160) الزجالي، المصدر السابق، ص 267، مثال رقم 1148 .

(161) لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص ص 139 – 139.

(162) ابن عبدون، المصدر السابق، ص 54 .

(145) مارمول كاريخال، إفريقيا، ج 2، ط 2، ترجمة: عماد وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، المغرب، 1989 م، ص 54.

(146) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ط 2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393 هـ / 1973 م، ص ص 501 – 503 .

(147) أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، فتاوى الامام الشاطبي، ط 2، تحقيق: محمد أبو الألفان، تونس، 1998م، ص 213، المسألة رقم 59 .

(148) أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، ط 1، ج 2، تحقيق: أحد شعيب اليوسفي، مطبعة تطوان، المغرب، 1439 هـ / 2018 م، ص 413، مسألة رقم 361.

(149) ابن قزمان القرطبي، ديوان ابن قزمان القرطبي، تحقيق: فيديريكو كوريتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1415 هـ / 1995 م، ص ص 162 - 248 - 249، زجل رقم 42 و 82 .

(150) الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 32 .

(151) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510 – 546 هـ / 1116 - 1151 م، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1408 هـ / 1988 م، ص 32.

(152) محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م ص 52 .

(153) المقري، مصدر سابق، ج 1، ص 82 .

(154) لسان الدين بن الخطيب السلماني، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ط 1، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1323 هـ / 2002 م، ص 109 .

(155) المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 220 .

(156) أبي يحيى عبيد الله الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، القسم الثاني، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، 1969م، ص 328.

(157) ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق: محمد مهدي اصفهاني، مركز مطالعات، 1388 هـ، ص ص 54 – 55 .

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

المصادر العربية:

— ابن حزم أبو محمد علي بن محمد بن سعيد الأندلسي (384هـ-456هـ)، جمهرة انساب العرب، ج2، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982م

- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الثانية، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت.

— ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الخامسة، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، ط1، دار الثقافة، بيروت 1965 م.

— ابن حيان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس. القسم الثالث، نشر الأب: ملشور أنطونية، مطبعة بولس كتنر الكتي، باريس، 1937 م.

- ابن خلدون عبد الرحمان ، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ-2001م.

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج6، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

- ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964 م.

— ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، ج1، تحقيق: عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م.

— ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، ج5، تحقيق: محمد مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، 1404هـ-1983م.

— ابن الأبار أبو عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيرة، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985.

- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ط2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1973م.

— ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ-1973م.

— ابن الخطيب لسان الدين السلماني، تاريخ إسبانيا الإسلامية، أو كتاب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت 1956 م .

— ابن الخطيب لسان الدين السلماني، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ط1، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1323هـ/2002 م .

— ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى المعروف - (ت403هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ج1، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مطبعة المدني. القاهرة، 1408هـ-1988م، ص 292، انظر كذلك:

— ابن بشكوال خلف بن عبد الملك الخزرجي (494—578هـ-1101-1138م)، الصلة، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1 دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م.

ابن قزمان القرطبي، ديوان ابن قزمان القرطبي، تحقيق: فيديريكو كورينتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1415هـ/ 1995م.

— ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، (ب د ط)، دار المعارف، القاهرة، (د ت ن).

— أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

— الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج2، ط1، دار عالم الكتب بيروت، 1409هـ/ 1989م. - التادلي ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحيى، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبكي، ط2، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1997 م .

— التجيبي ابن رزين، فضالة الخوان في طبابت الطعام والألوان، تحقيق: محمد مهدي اصفهاني، مركز مطالعات، 1388 هـ .

— التجيبي أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن الحاج، نوازل ابن الحاج التجيبي، ط1، ج2، تحقيق: أحد شعيب اليوسفي، مطبعة تطوان، المغرب، 1439 هـ / 2018 م .

— التجيبي محمد بن أحمد بن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955 م .

— الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مج4، دار صادر، بيروت، 1397هـ- 1977م .

— الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966.

— الحميدي أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله (ت488هـ)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ- 1989م، ص425 .

— الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م .

— الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد (ت361هـ)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ- 1994م.

— الزجالي أبي يحيى عبيد الله القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، القسم الثاني، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب، 1969م.

— الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى، فتاوى الامام الشاطبي، ط2، تحقيق: محمد أبو الأجفان، تونس، 1985م .

— الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني: المجلد الثاني، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة بيروت، 1399هـ- 1979م.

— الشنتريني أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417 هـ، 1997 م .

— المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق: جورج س كولان و ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة بيروت، 1410هـ-1980م .

— المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج1، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1408هـ-1988م، ص269 .

— مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2 دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م.

— مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، تحقيق: لويس مولينا، مدريد، 1983م.

— النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، أو كتاب: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م .

— النصيبي أبو القاسم بن حوقل كتاب: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

- الؤنشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج11 تخرّيج: جماعة من الفقهاء، بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م .

المراجع باللغة العربية:

— أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م .

— احمد مختار العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمديرد، مج15، وزارة التعليم العالي، مدريد، 1970.

- أرسلان شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (ب ت ن) .

— أمين أحمد، ظهر الإسلام، مج2، ج1، الحياة العقلية في الأندلس، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1388هـ/1969م.

— بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع . الذهنيات . الأولياء، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م .

— بيضون إبراهيم، الدولة العربية في إسبانيا، من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ-711-1031م)، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

- دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510 – 546 هـ / 1116 - 1151 م، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1408 هـ / 1988 م .

— دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ-755-1033م)، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية مصر، 1414هـ-1994م.

- زيتون محمد محمد، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، ب د ن، 1411هـ-1990م.

— سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس: من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ط2، المكتبة الانجلو مصرية، مصر، 1986م .

— سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري: أسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1989م.

— عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول: القسم الأول، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ط3، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1411هـ-1990م. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م.

محمود حسن أحمد، منى حسن محمود، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، القاهرة، دار الفكر، 1419هـ/1999م.

المراجع المعربة:

— بالنثيا أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.

— بروفنسال ليفي، حضارة العرب في الأندلس، (ب ط)، ترجمة، ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، (ب س ن). — بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية تعريب: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

— كاربخال مارمول، افريقيا، ج 2، ط 2، ترجمة: عماد وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، المغرب، 1989 م.

— ستانلي ليون بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، مطبعة المعارف، مصر، (د ت ن).

— موريانو مانويل جوميث، الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1977 م .

المقالات:

— بدور شلميطا، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، ترجمة: مصطفى الرقي، مجلة الحضارة العربية في

الأندلس، ج 2، ط 1، تحرير: سلى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998 م .

— سالم سحر السيد عبد العزيز، الجوانب الايجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس: (دراسة سياسية، أدبية، اجتماعية)، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، ط1، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1995 م.

— العبادي أحمد مختار، صُور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج 26، منشورات المعهد المصري، مدريد، 1993. — غيثاربيير، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة: من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، ترجمة مصطفى الرقي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 2، ط 1، تحرير: سلى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

المراجع باللغة الأجنبية:

Dominique et Jnine Sourdel.dictionnaire historique de l'Islam.1^{er} édition. presses universitaires.France.Octobre1996.

Lévi Provençal, histoire de L'Espagne Musulmane Tome1 la conquête et l'Emirate , Hispano-Umayyade (710-912), Maisonneuve et Larose ,Paris.

Lévi, Provençal. l'Espagne Musulmane au X ème siècle, institutions et vie sociale Larose, Paris, 1932.

الأحلام والغزو ببلاد المغرب في العصر الوسيط

الأستاذ خالد مجوط

باحث في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن طفيل القنيطرة/ المملكة المغربية

يعد الغزو* أحد أشكال التكسب في اقتصاد الدولة الإسلامية، بالمشرق كما الغرب الإسلامي في العصر الوسيط⁽¹⁾، إذ جعلت رزقها في رمحها ومعاشها بأيدي غيرها⁽²⁾. فالدولة ببلاد المغرب خلال عصر الولاة والإمارات المستقلة والإمبراطوريات الكبرى، بني جزء مهم من اقتصادها على الغزو⁽³⁾، وهو النمط الذي أطرته نصوص من الكتاب والسنة⁽⁴⁾. لكن يبدو لنا أن جزءا غير يسير من تاريخ المغرب لم يكن يستند في تدبيره للغزو على قوة الآلة الحربية فحسب، بل كان للأساطير والخرافات والأحلام، أثرها في تسيير جانب مهم من استراتيجية الدولة المغربية الوسيطة في الحروب والغزوات⁽⁵⁾، وهو أمر نراه ملازم للحضارات الدينية⁽⁶⁾ والمجتمعات القبلية.

بعد الاستقرار النسبي الذي حققه المسلمون في شمال إفريقيا، وضعوا غزو الأندلس ضمن أولوياتهم، راجين من ورائه استمرار تدفق الغنائم وربط شرق دولتهم بغيرها، وكان البربر جزءا من مشروع شد أطراف البلاد العربية، لكونهم شكلوا خزانة عسكريا استعانوا به لغزو الأندلس، الذي أحيط بمجموعة من الأساطير⁽⁷⁾ والأحلام، ومنها حلم طارق بن زياد⁽⁸⁾ الذي لما: "ركب البحر غلبته عينه فرأى النبي ومعه المهاجرين والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فقال له النبي: يا طارق تقدم

لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد، فنظر طارق فرأى النبي وأصحابه قد دخلوا الأندلس أمامه فاستيقظ من نومه مستبشرا وبشراً أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر"⁽⁹⁾ وفي رواية أخرى لما "ركب البحر رأى وهو نائم النبي (صلى الله عليه وسلم) وحوله المهاجرون والأنصار وقد تقلدوا السيوف وتنكبوا⁽¹⁰⁾ القسي"⁽¹¹⁾، فيقول له رسول الله، يا طارق تقدم لشأنك، ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه، فهب من نومه مستبشرا، وبشراً أصحابه وثابت نفسه ببشراه، ولم يشك في الظفر فخرج من الجبل"⁽¹²⁾.

عادة ما يتم استجلاب الأحلام في الثقافة الإسلامية لتقديم إجابة عن قضايا مستعصية، فالمسلمون أصبحوا أمام إشكاليتين: الأولى التوقف النسبي للغزو، والثانية نمو الحركات المناهضة لهم، فنحن لا نتحدث عن دولة قائمة الأركان، بل نظام قائم على تعيين الولاة تابع للخلافة الأموية بدمشق، وأمام هذا الوضع كان الغزو جزءا من استراتيجية الخلافة الأموية للدفع بالأزمة خارج حدود سيطرتها، وهو ما سنعمل على تفكيكه بناء على تقديم إجابة تاريخية للبنية الرمزية للنص الحلي.

البحر

كان للبحر نصيب في بناء الهوية الدينية للإنسان البحر المتوسط، وهو ما نقلته الكتب المقدسة، بل كان له

أثر عميق في بناء الهوية الأسطورية للمنطقة، إذ حسم صراع الأنبياء مع خصومهم الذين لم يتبعوا ديدنهم⁽¹³⁾، كما يدعم الحضور المتفرد للبحري الديانات التوحيدية ما جاء في بعض كتبها كالقرآن، الذي خص الحديث عن بحرين أحدهما حلو والآخر مالح، يحول بينهما حاجز. كما ارتبط بقصة النبي يونس الذي أكله الحوت، ليرمز في جانب منه للمجهول والمزعج والغريب⁽¹⁴⁾.

لكننا نعتقد أن رمزية البحر في الحلم جلبت معها قضايا شغلت بال العرب والبربر، ومنها مسألة السلطة التي بقيت محل خلاف بينهما، واقتترنت الدلالة الرمزية للبحري الفكر الإسلامي بالسلطة والقوة⁽¹⁵⁾، هذا الاقتران له ما يفسره من وجهة النظر التاريخية، فالغزو يبقى أحد أشكال تنمية الثروة الممهدة لانتزاع السلطة، لكن البربر رأوا فيه جدوى لاستعادة مكانتهم السياسية التي أزاحهم العرب عنها بعد مقتل الكاهنة والانبعاث من جديد⁽¹⁶⁾. كما تداول العرب بعض التأويلات الخاصة بالسفينة، منها أن السفينة تحيل على النجاة⁽¹⁷⁾، ومن يرى ذلك في منامه فهو رجل شريف وله رئاسة⁽¹⁸⁾، وهو التفسير الذي يذهب في اتجاه تجسيد التنافس حول السلطة بين العرب والبربر، ونرى في إدخال عنصر الشرف جزءا من هذا التدافع حول الرئاسة، وعادة ما ارتبط اكتساب الشرف بالانتماء لأهل البيت النبوي.

إن التمكن من الثروة والسلطة يمر عبر الغزو، ولتحقيق رمزية السلطة التي جاء بها النص الحلبي استلزم ذلك من العرب التوفر على أسطول بحري قوي، قادر على منافسة خصومه من البيزنطيين، فالحفاظ على السلطة من قبل العرب، والرغبة في استرجاعها من البربر، دفعت بالعرب إلى منح قيادة الأسطول لطارق بن زياد، لكون البربر

اعتادوا ركوب البحر، وسعيا منهم لكسب نفوس البربر، وذلك لسوء السيرة مما سبقهم من الولاة، ولإدراكهم حداثة عهدهم بالبحر، ولما لحقهم من هزائم في إفريقية على يد الأسطول البحري البيزنطي وبتحالف مع البربر، وهو ما دفعهم إلى توجيه جزء من غزواتهم إلى المناطق الداخلية، إلى حين تجهيز الأسطول البحري، وهي الخطة التي اتبعها موسى بن نصير، إذ شيد قاعدة بحرية في إفريقية لمواجهة الهجمات البيزنطية⁽¹⁹⁾، ونقل الإمدادات نحو الغرب في اتجاه المحيط، وكسب قلوب البربر بإسناد بعض المناصب العسكرية لهم، وجعلهم يستفيدون من غنائم الغزو، في محاولة منه لفك ارتباطهم بالبيزنطيين.

النبي

تمثل رؤيا⁽²⁰⁾ الأنبياء في المنام مدخلا لحل الكثير من المعضلات التي واجهت الأفراد والجماعات في الحضارات الدينية⁽²¹⁾، وهي جزء من النبوة⁽²²⁾، كما أن رؤيا النبي في المنام ممكنة لكل مسلم "صالح"، باعتبارها إكراما له بما أكرم به الأنبياء، ما دام قد استوفى مجموعة من الشروط والضوابط⁽²³⁾، لذلك فهي غير متاحة لأي كان، وهي من الرؤى التي لا تضاهيها أي رؤيا في التراث الإسلامي لأنها صالحة وصادقة⁽²⁴⁾ حسب الاعتقاد الإسلامي، لكونها لا تدخل حسب مجمع المفسرين المسلمين ضمن أضغاث الأحلام، وبالتالي تبقى أمرا إلهيا قابلا للتحقق⁽²⁵⁾ وتحمل لصاحبها بشارة⁽²⁶⁾ أو إنذارا. وهو أمر نراه حاضرا في البنية الرمزية للنص الحلبي.

بعد توحيد الجزيرة العربية وجعل قبائلها تحت سلطة قريش وتراجع الغنائم، نما جيش ضخم بالمنطقة، مما فرض توجيه الغارات القبلية غربا تجاه المحيط، إذ اتخذت طابعا منظما تحت غطاء الجهاد ونشر الإسلام،

المهاجرون والأنصار

ينتمي المهاجرون إلى قبيلة قريش الكنانية المضربة العدنانية، وهم الفريق الذي أسلم قبل فتح مكة وهاجر مع النبي محمد إلى المدينة، ومنهم علي بن أبي طالب، وأبو بكر، وأسماء بنت أبي بكر. أما الأنصار، فينتمون إلى قبيلتي الأوس والخزرج اللتين استوطنتا يثرب قبل لجوء النبي محمد إليها، وسموا بالأنصار لاحتضانهم النبي ومن معه من المهاجرين. لكن ما الرابط الذي يجمع بين تجربة المهاجرين والأنصار وغزو طارق بن زياد للأندلس؟

بعد حسم قريش القيادة السياسية، أخذت في بناء سردية تاريخية، أساسها تمجيد الماضي وهدفها خلق وعي جمعي مؤمن بها، تكفل المحدثون والفقهاء بإنجازها، فالنظر إلى أحداث الماضي يجعلنا أمام كم هائل من القداسة التي أحيطت بشخصيات تاريخية، وهي العملية التي تمت عبر مراحل متتالية⁽³⁰⁾؛ وعدة جزءا من الاستيعاب الثقافي للمناطق التي غزاها المسلمون، ويبقى الحلم أحد أركان الهوية الثقافية الإسلامية التي استجلبوها إلى شمال إفريقيا، وتبدو الروابط النفسية والدينية والاجتماعية جلية في استدعاء المهاجرين والأنصار في الحلم، فالعرب بعد انتصارهم على الملكة ديهيا، أجبروا على الاستعانة بالبربر لقيادة غزو إسبانيا لكثرة عددهم وشدة بأسهم، كما لجأ النبي إلى الأنصار الذين قادوا الفتوحات. وهي المحاكاة الدينية، والتي إن حققت الغاية منها، فإن الإقصاء من القيادة السياسية وتحمل الأعباء الضريبية والاقتصار على المهام العسكرية، دفع البربر إلى إعلان الثورة⁽³¹⁾، والأمر ذاته وقع بعد وفاة النبي محمد واجتماع المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة⁽³²⁾ حول مسألة الخلافة⁽³³⁾، إذ احتدم التنارع بين الفريقين، الذي

فأهل مكة والمدينة تمكنوا بهذه الاستراتيجية من توجيه الطاقات العسكرية خارج حدود الجزيرة العربية⁽²⁷⁾؛ وضمان تدفق الغنائم لضبط التماسك الاجتماعي القبلي، وهي عوامل نراها فاعلة في تقدم المسلمين شمالا عبر البحر المتوسط. ويبقى حلم طارق بن زياد التعبير المادي عن استراتيجيتهم لغزو الأندلس، الذي بدأت إرهاباته منذ هزم المسلمين للأسطول البيزنطي في معركة ذات الصواري، لكونه الانتصار الذي مكثهم من وضع أيديهم على مجمل شمال إفريقيا، ومع اكتشاف المنطقة مع طريف، وما صاحب ذلك من منافع مالية جعلتهم يتطلعون للعبور إلى إسبانيا.

إن البشارة التي تحملها رؤيا النبي في المنام كما نقلت ذلك الروايات العربية، تخفي بين ثناياها تدافعا حول الثروة والسلطة، التي يبدو أنها كانت أكثر سخاء تجاه العنصر العربي، فالبشارة التي منحها النبي للقائد العسكري طارق بن زياد لا تخرج عن سياق الجهاد ونشر الإسلام، وهي بذلك تضع حدا لسقف طموحاته السياسية والاقتصادية، فالكاينة أثناء صراعها مع حسان بن النعمان فطنة خبايا تدبير السلطة عند المسلمين في صراعها معهم لتنصح أبناءها بالولاء له بعد مقتلها. وهو صراع نراه طبيعيا، فالغنائم الناتجة عن الغزو ظلت مصدر شقاق في التاريخ الإسلامي⁽²⁸⁾، وطموح طارق لاسترجاع المكانة السياسية التي افتقدها البربر مع إجهاز العرب على الكاهنة عبر الغزو لم يعد قائما، ويبدو أن حركة تطور المجتمع الإسلامي تحكمت فيها نوازع الإقصاء⁽²⁹⁾ تجاه الأقوام التي لا تملك الانتماء القرشي والثروة.

خرج منه الأنصار مبعدين عن السلطة⁽³⁴⁾، وكل ما غلا ثمنه استأثرت قريش به⁽³⁵⁾. وهو ما ينطبق على تجربة العرب مع البربر، والعباسيين مع أبي مسلم الخراساني، والإباضيين مع أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي.

إن إتيان المهاجرين والأنصار في النص الحلبي يعد رسالة تحذير لطارق بن زياد، بعدم تجاوز صلاحياته العسكرية، وأي تجاوز لها سيعرضه للتصفية، وهو ما يجد له معنى في التنازع بين طارق وغريمه موسى بن نصير، الذي أمره بالتوقف عن الغزو حتى يتلقى منه الأمر⁽³⁶⁾، والمصير الذي لاقاه طارق بعد انتهائه من الغزو⁽³⁷⁾. وحمل النص الحلبي تخوفات طارق حول مآل غزو الأندلس ومن سيجني ثماره، وهو الهاجس الذي سكن علاقة المهاجرين بالأنصار. لكن طارق وموسى بن نصير كانا معا تحت سلطة عليا تراقب تحركاتهما في عملية الغزو، وهي الدولة الأموية، على غرار مراقبة النبي لصراع المهاجرين والأنصار حول الغنائم. ويظهر التأثير النفسي لحضور المهاجرين والأنصار في حلم طارق بن زياد في شحذ نفسية الجيش المتجه لغزو الأندلس، عبر استلهم تجربة الاتحاد بينهما وأثرها في بناء دولة إسلامية مترامية الأطراف في ظرف وجيز.

السيف

كان السيف حاضرا في حياة العرب قبل وبعد مجيء الإسلام، وأداة فعالة في نجاح حروب الملوك والحكام والأنبياء، واعتبره الإنسان العربي رمزا للشجاعة والقوة التي تحميه وتدافع عن عرضه وتقهر خصومه، وكان جزءا من وسائل العرب في غزوهم لشمال إفريقيا وإخضاعها لنفوذهم. ويبدو أن السيف وظف لدعم نفوذ العرب على الأقوام التي خضعت لسلطانهم، وهو ما يفيد المعنى الرمزي الذي جاء به في النص الحلبي، إذ يحيل على

السلطان⁽³⁸⁾. بل إنه - شكل في اعتقادنا. جزءا من التمثيل الرمزي للقوة المادية التي دفعت طارق بن زياد إلى السعي قدما لضم الضفة الشمالية من البحر المتوسط، كما أن رحيله عن الجبل هو إعلان عن انطلاق عملية غزوه للأندلس⁽³⁹⁾. لذلك فإن حضور السيف في الحلم يدل على الرغبة في تحقيق هدفين أساسيين، أولهما ذو بعد حربي، لكونه جزءا من الأدوات العسكرية لكل مقبل على الحرب، وثانيهما ذو بعد سياسي له ارتباط بما يتحقق في أرض المعركة من منافع، إذ يحقق المنتصر مكاسب مادية ترفع من مكانته الاجتماعية وتدفع به إلى السلطة، وطارق بن زياد كان جزءا من هذا الصراع لكونه عمل على استرجاع السلطة التي افتقدها البربر منذ إلحاق الهزيمة بالملكة ديهيا، وهو التنازع الذي حسمه موسى بن نصير، الذي ألح على كتابة الغزو باسم الخلافة الإسلامية في دمشق⁽⁴⁰⁾، وبسط السيطرة العربية على الأندلس.

الرفق بالمسلمين

يروى ابن كثير في نهاية الحلم الذي رآه طارق بن زياد⁽⁴¹⁾ دعوة النبي لهذا الأخير إلى الرفق بالمسلمين والوفاء بالوعد. فلماذا الرفق بالمسلمين وهم فريق واحد؟ وعن أي وعد يتحدث النبي؟ ثم لماذا دعا النبي طارقا إلى الرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد؟

غالبا ما شكل الغزو وما يأتي به من غنائم منبع خلاف بين المسلمين⁽⁴²⁾، لكونه مصدرا للثروة والسلطة، وغالبا ما خضع توزيعها لمكانة القبيلة، سواء من حيث العدد أو القدرة على التحكم في طرق التجارة الداخلية. ونرى في استجلاب الرفق بالمسلمين في الحلم دليلا على وجود خلاف بين طارق بن زياد وموسى بن نصير⁽⁴³⁾، فالعرب عدديا هم أقل مقارنة بالبربر، والانتصار في غزو

الأندلس سيمنحهم منزلة جردهم منها العرب بعد مقتل الكاهنة على يد حسان بن النعمان، كما كان لنظام الحكم الإسلامي بالمنطقة والقائم على تعيين الولاة أثر عميق في بناء توجس المسلمين من انتقال القيادة السياسية للبربر إذا نجحوا في غزو الأندلس ووضع يدهم على غنائمه، لذلك رأوا أن يظل عمل البربر مقتصرًا على القيادة العسكرية، ولتحييدهم عن أي خطوة تمكنهم من تجاوز القيادة السياسية لموسى بن نصير تم استدعاء البعد الثقافي، لكونه القوة التي منحت العرب مبرر تصفية طارق ابن زياد إن حاد عن أوامر النبي محمد، فالذات الحاملة تلقت أمرا من النبي يدعوها إلى الالتزام برسالة الجهاد وقيادة الحرب، وهي رسالة تفيد بإقصائه من القيادة السياسية، ليظل احتكارها حبيس العنصر العربي⁽⁴⁴⁾، فضلا عن ارتهان أفق السلطة بتحقيق الجهاد ونشر الإسلام، وهذا أقصى ما يمكن تحقيقه⁽⁴⁵⁾، وهو أمر يماثل ما تعرض له الأنصار مع النبي لما انحصر دورهم في الجهاد، مع إقصائهم من المناصب السياسية والعسكرية الكبرى والمنافع الاقتصادية⁽⁴⁶⁾.

المركب

أدرك العرب أن شد أطراف دولتهم الذي يمر عبر فتح القسطنطينية، لن تكون له قائمة إلا ببناء أسطول بحري قادر على مجابهة القوة البحرية البيزنطية، محققين أول انتصار بحري عليهم في معركة ذات الصواري سنة 35هـ بسواحل الإسكندرية⁽⁴⁷⁾، وهو الانتصار الذي دفع بالغزو قدما إلى شمال إفريقيا التي كانت سواحلها تحت الهيمنة البحرية البيزنطية، واتخذ العرب من إفريقية مركزا لبناء أسطول بحري يضمن لهم الهيمنة على السواحل الجنوبية للمتوسط بعد إخضاع سواحله الشرقية، وبشكل منطلقا لغزواتهم إلى الجزر الإيطالية وإسبانيا القوطية. لكن

الحقيقة التي لا يعلى عليها أن حضور المركب في النص الحلبي يتجاوز الدور الحربي، فاللغة الرمزية للمركب تحيل على الشريف وهو لقب له ارتباط بالانتماء للبيت النبوي⁽⁴⁸⁾، فالسلطة ظلت وثيقة بالعنصر القرشي منذ صدر الإسلام، والإتيان به في النص الحلبي يفيد رسم حدود المناصب التي تترك لغير العرب، وهي قاعدة ثابتة في التاريخ الإسلامي، لكون جل القادة الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التغيير ولا ينتمون للعنصر القرشي، كان مصيرهم التصفية. لكن رغم هذا التدافع حول الثروة والسلطة بين البربر والعرب، فإن حضور النبي في الحلم يحمل معه النصر، الذي يمرتفك عوامل نجاحه بناءً على استحضار مجرى الأحداث في الضفة الشمالية من المتوسط.

وضعية إسبانيا وبناء الحلم

تبقى إسبانيا المجال الجغرافي المستهدف من الغزو الإسلامي، ومن البين أنها كانت تعيش أحلك أيامها السياسية والاقتصادية، ويعد صراع يليان ولذريق نموذجا للتدافع السياسي بإسبانيا، ثم الحروب التي شنتها القبائل الجرمانية على الإمبراطورية الرومانية مع القوط الذين أخضعوا التراب الإسباني لسلطتهم ما بين 409-411م⁽⁴⁹⁾، بعد حروبا طاحنة مع الإمبراطورية الرومانية، بل إنهم كانوا سببا رئيسا في انهيارها وانتقال أوروبا من نمط الإنتاج العبودي إلى سيادة الإقطاع ودخول أوروبا مرحلة العصر الوسيط⁽⁵⁰⁾.

دائما ما يدفع المخاض السياسي والاقتصادي في مرحلة التحول الاجتماعي، إلى ضعف وتفكك السلطة المركزية للدولة، كما تزامن الغزو الإسلامي لإسبانيا مع هلاك الملك غيطشة تاركا أولادا غير محتملين، إذ لم يرض بهم أهلها حكاما عليهم، إلى أن تراضوا بعلج يقال له

لذريق⁽⁵¹⁾. وعليه وجد أحفاد الغزاة الجرمانيين والقوط أنفسهم في وضع لا يسمح لهم بمنافسة المسلمين⁽⁵²⁾، الذين فطنوا إلى أهمية توظيف التنافس حول السلطة في إسبانيا لتحقيق مكاسب على الأرض، وهو ما تم لما استنجد يليان والي لذريق على سبتة بموسى بن نصير⁽⁵³⁾، فالمدينة التي ظلت عصبية على المسلمين⁽⁵⁴⁾ أصبحت تحت تصرفهم، مما مكّنهم من إخضاع منفذ بحري استراتيجي، سهل مراقبة السواحل وتقديم الدعم للغزاة.

لكن الوضع السياسي غير المستقر⁽⁵⁵⁾ بإسبانيا لم يكن سوى جزءا من آليات الترجمة التاريخية لرؤيا النبي في الحلم، وهو ما حملنا إلى الخوض في تفاصيل الوضع الاقتصادي بإسبانيا قصد تتبع المشهد العام لاكتمال صورة الحلم، فإذا كان الغزو القوطي دفع في اتجاه تفكك السلطة المركزية بإسبانيا⁽⁵⁶⁾، فإنه أفرز تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة، بانتقال المنطقة من نمط إنتاج عبودي إلى نمط إنتاج فيودالي أصبح بموجبه القوط_وهم قوم طائرون على إسبانيا_أسيادا بظهور الملكيات الخاصة في الأرياف، التي تحول معها السكان المحليون إلى عبيد داخل ضيعات الأسياد الجدد. فإذا كان الملك والنبلاء ورجال الدين استفادوا من الامتيازات الفيودالية، فإن الطبقة الوسطى والدنيا عانت من ثقل الضرائب وتبعات الاشتغال في ضيعات النبلاء ورجال الدين، مما دفع بالتناقضات الاجتماعية بإسبانيا إلى حدودها القصوى⁽⁵⁷⁾، مع سيادة مناخ الإقطاع وما صاحبه من وضع قانوني⁽⁵⁸⁾ تؤطره علاقة السيد الفيودالي بالقرن. أما ديموغرافيا فقد أدت الغزوات التي شملت المناطق الواقعة خارج حدود الإمبراطورية الرومانية إلى انهيار ديمغرافي⁽⁵⁹⁾ ساهم في إضعاف المجهود الإنتاجي والحربي الإسباني.

دفع الواقع السياسي الذي فرضه القوط على الساكنة المحلية، وتفكك العلاقات الاجتماعية بسيادة الإقطاع، بالأطراف التي لم تنل نصيبها من السلطة إلى التحالف مع القوى الخارجية، إذ لم يتردد يليان حاكم سبتة في التوجه جنوبا وطلب المساعدة من موسى بن نصير، وهنا اجتمعت رغبة يليان في استرجاع السلطة التي اغتصبها القوط مع طموح طارق بن زياد لاسترداد السلطة التي دانت للعرب مع مقتل الكاهنة. فالخصومات السياسية والتناقضات الاجتماعية الناتجة عن التحول من العبودية إلى الإقطاعية أنتجت الشروط التاريخية التي مهدت لانتصار المسلمين في الأندلس.

اليهود وترجمة صورة الحلم

كان حضور اليهود مؤثرا في حسم الكثير من الصراعات السياسية، سواء في المشرق أو شمال إفريقيا⁽⁶⁰⁾ وأوروبا، بل كان لهم أثر عميق في ترجمة رؤيا طارق للنبي، وذلك لاتساع دورهم كنتيجة طبيعية لحالة الترهل السياسي والاقتصادي الذي أفرزه الغزو القوطي لإسبانيا، مما دفع بالتناقضات الاجتماعية إلى حدودها القصوى⁽⁶¹⁾، وهي البيئة التي تنمو فيها أرباح اليهود وتتعزيز مكانتهم الاقتصادية. لكن رغم ذلك، حظي اليهود بمكانة اجتماعية دولية، نظرا لاختلافهم العقدي وتعاطيهم لمعاملات تجارية ومالية كانت الكنيسة تحرمها ظاهريا، كالربا. ثم حالات الاضطهاد المستمر التي تعرضوا لها على مر السنين من قبل حكام الإمبراطورية الرومانية⁽⁶²⁾، لتصل علاقتهم بالقوط حالة من الحقد، توجت بتعاونهم مع العرب مع محاولاتهم الأولى لغزو الأندلس، قصد تخليصهم من وضعيتهم المهينة. حافظ يهود إسبانيا على علاقة وثيقة مع إخوانهم بشمال إفريقيا الذين كانوا يعيشون وضعاً مستقرا في ظل الحكم الإسلامي، على خلاف ما عانى منه يهود إسبانيا من

تعميد وسوء معاملة⁽⁶³⁾. وهذا الأمر كان مدعاة لتعاونهم مع العرب الفاتحين، الذي نرى فيه سعيًا منهم لتعزيز مكانتهم الاقتصادية وسط نمط إنتاج يسمح بنمو أموالهم وازدهار تجارتهم وتعزيز مكانتهم الاجتماعية. فالمهمة الاقتصادية التي مارسها اليهود مع الإمبراطورية الرومانية مع سيادة نمط الإنتاج العبودي أخذت في الأفول، لكون شكل التبادل الجديد الذي أفرزته الفيودالية قطع أرزاقهم، وغالبا ما وضع اليهود أعينهم على المناطق التي ازدهرت فيها أشكال معقدة في إنتاج الثروة⁽⁶⁴⁾، ولم يقتصر دور اليهود في تسهيل عملية الغزو، بل كانت لهم يد في ثورة البشكنس، إذ ترجح الكثير من الدراسات وقوفهم وراءها، وهو ما دفع لذريق إلى توجيه مجهوده الحربي إلى الشمال لإخماد الثورة⁽⁶⁵⁾، وهي كلها خصومات داخلية سرعت من ترجمت صورة الحلم إلى واقع تاريخي في معركة شذونة.

"شذونة" وتحقق الحلم

جاءت معركة شذونة تتويجا لتراكم تاريخي تميز بوضع العرب يدهم على شمال إفريقيا بأكملها، وإدراكهم لخبايا الوضع الداخلي في إسبانيا، إن بالحملات الاستكشافية التي نظمها موسى بن نصير⁽⁶⁶⁾، أو عبر عيونهم من اليهود الذين تحالفوا مع الغزاة الجدد، وكان للمظلمة السياسية التي مست يليان، وقع عميق في تسريع الغزو الإسلامي لإسبانيا القوطية⁽⁶⁷⁾، وهي بيئة دفعت بالتناقضات الداخلية في إسبانيا إلى حدودها القصوى. ولحسم المعركة ركز العرب على تقوية الأسطول البحري في إفريقية وتهدة الأوضاع الداخلية بإسناد البربر بعض المناصب العسكرية أو الإدارية مؤقتا⁽⁶⁸⁾، وهي كلها أسباب دفعتهم إلى التحرك نحو سفح جبل الكلب⁽⁶⁹⁾ وسط البحر، إذ أصبح طارق بن زياد ينتظر إشارة الوالي بن نصير لشن غاراته عليها، بينما أخذ لذريق في الاستعداد من خلال

"جمع الأمراء والأشراف والأساقفة، حيث حشد هؤلاء رجالهم وأتباعهم، فاجتمع للقوط يومئذ جيش ضخم..."⁽⁷⁰⁾. لكن رغم ما اجتمع للذريق من أتباع، فإن الجيش القوطي عرف تدهورا في بنيته وعتاده، وذلك راجع لكثرة الحروب التي خاضها مع الإمبراطورية الرومانية أو خصومه من القبائل الجرمانية، وساهم اعتماد الجيش القوطي على مد الحكام المحليين له بالمقاتلين بدوره في إضعاف المؤسسة العسكرية، لارتباطها بتحقيق مكاسب سياسية ومادية، وهو ما يتناقض وطبيعة النظام الفيودالي الذي جعل منهم مجرد تابعين، مما خلق حالة من الحقد تجاه السلطة المركزية وشجع الحكام المحليين على التعاون مع العرب، وهو ما يجد تفسيراً له في السقوط السريع للقلاع والحصون والمدن قبل موقعة شذونة، وفرض حدوث الثورات المحلية، وخاصة في الشمال⁽⁷¹⁾، على القوط توجيه مجهودهم الحربي إلى الشمال، مما جعل المناطق الجنوبية تعاني خصاصا عسكريا انتبه إليه يليان، فأرسل في طلب طارق بن زياد ودعاه إلى العبور. وهكذا، انطلق طارق بن زياد بعدما تهيأت له أسباب النصر قاصدا جبل الكلب منتظرا وصول السبعة آلاف رجل من فيالق جيشه⁽⁷²⁾ لاستكمال مسيرة الغزو.

لقد مكنا النص الحلبي من ملامسة الأحداث، التي يسرت عمل العرب لغزو الأندلس في ظرف زمني وجيز، كما يعد حضور الحلم في تدبير شؤون الغزو، ترسيخا لما كان سائدا، لكن بمسحة دينية إسلامية. فالغزو ملازم للسلطة في العقل القبلي، لكونه أداة لبناء الثروة والجاه، وهو ما وجد تعبيره في حلم طارق بن زياد، الذي نراه امتدادا طبيعيا لما ساد مع مجيء الإسلام، في المشرق وبلاد المغرب في العصر الوسيط.

الوسيط" منشورات جامعة المنستير، المجلد 2- العدد 1، تونس 2023.

(4) يحفل القرآن بالآيات التي تحث على الجهاد، بل تم تخصيص سورة بأكملها للجهاد وهي سورة محمد، وجاء ذكر الغزوات التي قادها النبي في سور مختلفة من القرآن، مثلا غزوة بدر (سورة الفرقان) وأحد (آل عمران) والخندق (الأحزاب). إن هذا الحضور الكثيف للغزو يظهر أن جزءا غير يسير من اقتصاد الدولة الإسلامية الناشئة وما تلاها من توسعات.

(5) اعتمدت استراتيجية أبو يوسف يعقوب المنصور الموحي على توظيف الحلم أثناء إعداداته لمعركة الأرك (1195م/591 هجرية) حيث بات "تلك الليلة عاكفا بمصلاه إلى الركوع والسجود وأنه أعفى فائه فرأى ملكا نزل من السماء في صورة بشروبيده راية خضراء وبشره بالفتح و أنشده في ذلك أبياتا بقيت على ذكر المنصور إلى أن استيقظ وقص رؤياه على وجوه الجند فازداد الناس طمأنينة وبصيرة"، الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2010، ص. 305.

(6) كان الحلم حاضرا في تدبير حروب النبي محمد، ومن الأحلام الشاهدة على هذا التأثير الذي مارسه الأحلام في بناء مشروع النبي في صراعه مع خصومه، الحلم الذي رآه جهيم بن الصلت قبل غزوة بدر 624م، عبد المنعم الهاشمي، رؤيا الأنبياء والصالحين، دار بن حزم، مكتبة ابن كثير، الكويت 2002، ص. 304.

(7) أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت 1972، صص. 270-274. من الأساطير التي مازالت موضع جدال بين الباحثين نجد قضية حرق السفن والخطبة التي ألقاها طارق بن زياد قبل العبور إلى الأندلس.

(8) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية، مركز ابن خلدون للدراسات والترجمة والتحقيق، رباط نت، 2024، ص. 71. ينسب أحد الباحثين أصل طارق بن زياد إلى أحد الأسر اليهودية، واسمه طارق بن يعقوب بن شمعون بن يعقوب.

(9) ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج 4، تحقيق عبد الوهاب ترحيقي، دار الكتب العلمية، بيروت 1987، ص. 267.

* إن استعمالنا لمفهوم الغزو في إعداد هذا المقال جاء لقناعة منهجية، مفادها أن وضع ما أقدم عليه المسلمين من توسعات ضمن أحد أشكال إنتاج الثروة، يساعدنا على تفكيك الواقع التاريخي الذي مهد لغزوات المسلمين، وسهل عملهم في أحيان كثيرة. (1) Histoire Du Moyen Age, E.M, p. 38.

لا يقتصر فعل الغزو على المجتمعات الشرقية التي تصنف غالبا ضمن الحضارات الدينية، بل كان لفعل الغزو حضور في البنية الاقتصادية للقبائل الجرمانية التي أدت غزواتها المتتالية إلى إنهاك الإمبراطورية الرومانية، لكن ظهور الدولة ساهم في استيعاب القبائل وتخليصها من قوتها التي تستند عليها في فعل الغزو بأوربا، مما أدى إلى تهميش دورها إلى حين اضمحلالها في النسق الاجتماعي الجديد، وهو ما لم يحدث بالعالم الإسلامي، لتنشأ دول تحملها قبائل، ويعد هذا النمط من التطور الأقدم، والذي يستمر إلى يومنا هذا، وذلك من خلال تقاسم السيادة السياسية والدينية. راجع أيضا: غودلييه موريس، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدول، دار الفارابي، بيروت، 2015، ص. 48.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص. 271.

(3) ليس من السهل الإقرار بطبيعة نمط الانتاج الذي كان سائدا بالمغرب الوسيط، كون مسار التطور وحركة المجتمع حافظت على نفس الخصائص الجوهرية التي قامت عليها المنظومة الاقتصادية والدينية والقبلية خلال الفترة الوسيطة، ومن العوامل التي تجعل الباحث أمام إشكالية تحديد نمط الانتاج البياض الذي تشهده فترات واسعة من تاريخ المغرب. لكن هذا لا ينفي وجود دراسات ومقالات قام بها أساتذة أجلاء، من قبيل المرحوم الحسن بولقطيب صاحب مقال "أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق: حالة المغرب الوسيط"، ودراسة الأستاذ المرحوم إدريس بن علي، "Driss Ben Ali Le Maroc precapitaliste, société Marocaine des Editeurs" Réunis 3 Rue Ghazza, Rabat 1983، ثم دراسة الأستاذ محمد الغرايب "مجتمع يهود المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية" التي يصنف فيها البنية الاقتصادية للمجتمع المغربي الوسيط ضمن نمط إنتاج الندرة، ط، 2024، ص. 143. كما نجد مقال الأستاذ الحسن الغرايب "من الهبة إلى الوقف أو ظاهرة تبادل الملكية: جدلية الدين والسياسة في الوقف الإسلامي خلال العصر

ندوة، السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب: الائتلاف والاختلاف، الرباط، مطابع الرباط نت 2013، ص.31.

(21) في هذا الباب نورد بعض ما جاء به القرآن من رؤى، كانت مدخلا لتجاوز مجموعة من الإشكاليات التي واجهت المجتمعات، ومنها رؤيا النبي يوسف (راجع سورة يوسف)، والنبي إبراهيم (راجع سورة إبراهيم).

(22) عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: "إذا اقترب الزمان لم تكن رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة" راه مسلم في صحيحه، كتاب "الرؤيا" حديث رقم 6.

(23) الهاشمي عبد المنعم "رؤيا الأنبياء والصالحين"، فصل شروط وآداب الرؤيا، ص.13.

(24) قال ابن إسحاق: فذكر الزهري عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته: أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به، الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح.

(25) كما أن الشخص الذي يجوز له رؤية النبي هو من اعتاد على سماع صفاته المنقولة عن الكتب، وطارق كان حديث العهد بالاسلام، كما أن التاريخ الأسطوري الذي نسج حول النبي محمد لعب دورا مهما في انتحال هذا الحلم لطارق بن زياد.

(26) لمنح هذا الكلام صدقية أكثر تتم الاستعانة بمجموعة من الآيات القرآنية منها الآية 64 من سورة يونس "لهم البشرى في الحياة الدنيا"، وما يعطي لرؤيا النبي هذه المكانة هو قابليتها للتحقق، فإذا عدنا إلى جميع القصص التي جاء بها القرآن نجد أن جميع أحلام الأنبياء تحققت.

(27) سليمان بشير، توازن النقائض محاضرات في الجاهلية وصدور الإسلام، منشورات الجمل، بيروت 2015، ص. 231.

(28) أبو يوسف، كتاب الخراج، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د ت، ص. 45.

(29) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت 1972، ص. 49. تعرض أبو مسلم الخراساني للقتل في الخليفة أبو جعفر المنصور، الذي رأى فيه منافسا للعباسيين بسبب ازدياد نفوذه واشتداد بأسه. وهو المصير نفسه الذي لاقه طارق بن زياد بعد أدائه مهمة الغزو بنجاح.

(10) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص. 4534. نكب، من نكب عن الشئ وعن الطريق ينكب نكبا ونكوبا، ونكب نكبا وتنكب، عدل عن الشئ.

(11) لسان العرب، ج 5 ص.3625. القسي، هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى به من مصر، نسبة إلى قرية على ساحل البحر.

(12) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، د ت، ص. 232.

(13) سورة الشعراء، "فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون(61) قال كلا إن معي ربي سيهدين (62) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (63) وأزلفنا ثم الآخرين (64) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (65) ثم أغرقنا الآخرين (66)"

(14) Chebel Malek, Dictionnaire de symboles musulmans, Rites, Mystique et civilisation, editions Albin Michel, Paris, 1995, p. 265.

(15) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، منشورات الأعلي للمطبوعات، بيروت، د ت، ص. 477.

(16) Chevalier, Jean, et Gheebbrant, Alain. Dictionnaire Des Symboles, Mythes, rêves, coutumes, gestes, formes, figures, couleurs, nombres. Paris: Éditions Robert Laffont S.A. et Éditions Jupiter, 2020., p.p.720-721

(17) استند أصحاب هذا الرأي في تفسيرهم على الآية 15 من سورة العنكبوت "فأنجينه وأصحاب السفينة" راجع في هذا الباب كتاب،، فريد أحمد، تعجيل السقيا في تعبير الرؤيا، مكتبة الصحابة، جدة-الرياض 1991. ص. 41.

(18) ابن سيرين محمد، تفسير الأحلام، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 2006، ص.324.

(19) عزاي أحمد، مختصر تاريخ الغرب الاسلامي، الجزء الأول، القرون الإسلامية الأولى، ديور الجامع، الرباط، 2007، ص.25. نظم موسى بن نصير مجموعة من الهجمات على صقلية وسردينيا، بهدف تحييد الخطر البيزنطي على إفريقية، راجع أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية، 1972، ص. 257.

(20) "الرؤيا كلمة تعني في العربية المنام الحقيقي والتنبؤي، مقابل ما يراه النائم الذي هو أضغاث أحلام" قرو محمد، الصلاح والعلم والسلطة في القيروان الإسلامية، تعريب، محمد الغرايب، ضمن

(40) زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت 1993، ص. 28.

(41) الغرايب محمد، يهود مجتمع المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية، مركز ابن خلدون للدراسات والأبحاث والترجمة والتحقيق، مطابع الرباط نت، 2024، ص. 71. يعود الاسم المفترض لطارق بن زياد إلى طارق بن يعقوب بن شمعون، ديانتته هي اليهودية. (42) ابن يوسف، كتاب الخراج، تحقيق محمود الباجي، دار بوسلامة، تونس 1984، ص. 49.

(43) نقلت لنا الكتابات التاريخية هذا الخلاف بين طارق بن زياد وموسى بن نصير على لسان الحميري "إنما سمي بجبل طارق لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه، تحصن بهذا الجبل، وقدر أن العرب لا ينزلونه، فأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها، فتبرأ بذلك مما أتهم به. الحميري، الروض المعطار، ص. 75. يفهم من رواية الحميري، أن طارق بن زياد بات متوجساً من العرب، مما يدل على وقوع خلاف بين الجانبين، ولكي يتخلص طارق من التهم التي سيوجهها إليه العرب حال عودتهم إلى المغرب عمد إلى إحراق السفن، حتى يحول دون عودتهم إلى المغرب. هنا يكون طارق قد خالف وصية النبي للرفق بالعرب، ولم يف بوعده بأن تكون خطواته مسترشدة بتوجيهات واليه موسى بن نصير.

(44) تذكرنا هذه الحادثة بما وقع للأنصار عندما حصل المهاجرون على الغنائم، وهو الأمر الذي لم يتقبله الأنصار فخطبهم النبي قائلاً: ألا يكفيكم رسول الله. راجع في هذا الباب كتاب، المال والهلال الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام، شاكرا النابلسي، دار الساق، بيروت، 2002. وهو ما ينطبق على ما وقع لطارق بن زياد الذي زين له أمر الجهاد وأبعد عن تطلعاته السياسية، التي رأى العرب أنها أمر لا يليق به.

(45) هناك مجموعة من الآيات التي تزكي هذا الطرح، منها الآية 95 من سورة النساء حيث " فضل الله المجاهدين من القاعدين أجراً عظيماً".

(46) النابلسي شاكرا، المال والهلال، م، س، صص. 146-147.

(47) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة د ت، ص. 288.

(48) وظف الانتماء للبيت النبوي من طرف كل ساع وراء السلطة في العالم الإسلامي، وهو الأمر الذي مازال قائماً إلى يومنا هذا. وألفت في هذا الباب مجموعة من الكتب التي أدت إلى نشوء ما يعرف

(30) غوستاف لوبون، القوانين النفسية لتطور الشعوب، دار الرافدين، بيروت-بغداد 2020، ص. 65.

(31) كبريلي فرانشيسكو، محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2011، صص. 294-295. انخرط الأقباط في العديد من الثورات بمصر في عهد الخليفة المأمون نتيجة الأعباء الضريبية الثقيلة. نفسه، ص. 294.

(32) عبد الكريم خليل، قرش من القبيلة إلى الدولة المركزية، سينا للنشر، مصر 1993، ص. 5.

(33) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، دار التكوين، بيروت 2005، صص. 21-48.

(34) رويت عن النبي الكثير من الأحاديث التي تدفع في اتجاه تقلد قرش الخلافة بعد وفاة النبي، راجع: البلاذري، أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، د ت، صص. 581-579.

(35) النابلسي شاكرا، المال والهلال الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام، دار الساق، بيروت 2002، ص. 147.

(36) في واقع الأمر كان تكليف بربري بعملية الغزو يحمل معه مغامرة من طرف العرب، قد تدفعه إلى الاستقلال عن المشرق، فالمنافع التي عدها يليان لطارق رفعت من مستوى طموحاته السياسية والسعي للزعامة، مما خلق توجساً عند خلفاء المشرق الذين أصبحوا ينظرون إلى تحركاته بعين الريبة، وهو الهاجس نفسه الذي كان حاضراً لدى موسى بن نصير الذي أنذره ودعاه إلى التوقف الفوري عن إتمام عملية الفتح إلى حين اللحاق به، فالمكاسب المادية التي حققها طارق من عملية الغزو، ثم السرعة التي تمت بها العملية التي لم تتجاوز السنة، ساهمت في الرفع من مستوى الصراع بين الجانبين.

(37) Boreau, Victor. *Histoire Générale des Temps du Moyen Âge*. Paris: Librairie Classique et d'Education, 1856, p.134.

(38) ابن سيرين، تفسير الأحلام، م، س، صص. 202-203.

(39) لكن هذا الرحيل يعكس تسليم السلطة للعرب، وتحتفظ الذاكرة التاريخية بأحداث ارتبط فيها فعل الرحيل عن الجبل بحدوث انتكاسات للبربر كما هو شأن الكاهنة التي ارتبط رحيلها عن جبال الأوراس بنهاية فترة حكمها، وينطبق الأمر نفسه على طارق بن زياد الذي سجد نفسه مشرداً في شوارع دمشق،

وجب التنبيه أيضا إلى الدور الذي لعبه اليهود في عملية الغزو، راجع الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى، دراسة تاريخية اجتماعية، ص. 53.

(57) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية، م، س، ص. 53.

(58) Bloch Marc, *La société féodale*, Bibliothèque de "L'Évolution de l'Humanité," Paris: Editions Albin Michel, 1994, p. 97.

(59) Ibid, p. 99.

(60) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية، مركز ابن خلدون للدراسات والأبحاث والترجمة والتحقيق، مطابع الرباط نت، الرباط 2024، ص. 50.

(61) ارتبطت هذه التناقضات الاجتماعية، في جانب كبير منها، بالتحول العام الذي شهدته المنطقة، والمرتبطة أساسا بانحيار الإمبراطورية الرومانية، وبرز أنظمة ملكية سرعان ما بدأت تفقد السيطرة على المجال نتيجة الغارات التي قامت بها القبائل الجرمانية والسلافية، مما ساهم في إضعاف الحكام المحليين وساعد في بروز الفوارق الاجتماعية.

(62) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية، م، س، ص. 38.

(63) نفسه، م، س، ص. 54.

(64) صادق جلال العظم، الصهيونية والصراع الطبقي، دار العودة، بيروت 1975، ص. 22.

(65) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى الوسيط دراسة تاريخية اجتماعية، م، س، ص. 55.

(66) نفسه، م، س، ص. 54.

(67) كبريلي فرانشيسكو، محمد والفتوحات الإسلامية، م، س، ص.

312

(68) نفسه، ص. 312

(69) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى الوسيط دراسة تاريخية اجتماعية، م، س، ص. 55.

(70) شلبي محمد، حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1992، ص. 89.

(71) الغرايب محمد، مجتمع يهود المغرب الأقصى الوسيط دراسة تاريخية اجتماعية، م، س، ص. 55.

(72) نفسه، ص. 71.

بأدب الأنساب، ومن هذه الكتب: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، وجمل من أنساب الأشراف للبلاذري.

(49) *Histoire Du Moyen Age*. E M, 1976, p.40.

(50) Ibid. p, 42

(51) المقري، نفح الطيب، م، س، ص. 251.

(52) Boreau Victor. *Histoire Générale des Temps du Moyen Âge*, op, cit, p. 132.

(53) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، بيروت-لبنان، دار صادر، د ت، ص. 251.

(54) عويس عبد الحليم، أسطورة إحراق ابن زياد للسفن، دراسة تاريخية نقدية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2010، ص. 6.

(55) حيكت عدة مكائد ضد السلطة المركزية من طرف أبناء الملك غيطشة، وقد ساهمت هذه المكائد في صنع النصر السياسي والعسكري، فابن القوطية ينقل لنا الغدر الذي تعرض له لذريق من طرف أبناء الملك " فلما تقابلت الفتان أجمع المند وأخواته على الغدر بلذريق وأرسلوا في ليلتهم إلى طارق يعلمونه أن لذريق إنما كان كلبا من كلاب أبيهم وأتباعه، ويسألونه الأمان على أن يخرجوا إليه بالصباح، وأن يمضى لهم ضياع أبيهم بالأندلس، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة" (55). ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرية القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1989. المجلد الثاني، ص. 30. وهو ما يكشف أعلى مستويات الصراع حول السلطة في إسبانيا، كما شكل دعامة لبناء القوة العسكرية لجيش العرب، حيث تعزز معسكر طارق بانضمام أبناء الملك لما تعرضوا له من إقصاء لكون أبيهم تركهم غير محتلمين بعد وفاته، وهي كلها معطيات تظهر لنا الوضعية السياسية التي كانت تمر منها إسبانيا بعد تولية لذريق، الذي واجه معارضة معلنة من طرف واليه على سبته، وأخرى يحيكها أبناء الملك من وراء ظهره.

(56) تعرضت المناطق الشمالية لإسبانيا وفرنسا خلال هذه المرحلة لغارات القبائل الجرمانية والسلافية، وهو أمر ساهم في استنزاف المجهود الحربي للمكيات المركزية، التي لم تعد لها القدرة على تقديم الدعم للحكام المحليين، وفي المقابل كانت الضفة الجنوبية تتعرض لغارات المسلمين، مما خلق حالة من الضعف وعدم القدرة على تحمل الأعباء العسكرية، الأمر الذي جعل حكام إسبانيا يلجؤون إلى الأجنبي لاسترجاع سلطتهم، من هنا جاء استنجد يليان بطارق بن زياد. لذلك يمكننا القول أن الوضع الداخلي بإسبانيا والصراع حول السلطة، كان له أثر في الغزو الإسلامي لإسبانيا، وهنا

- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت 1993.
- سليمان بشير، توازن النقائض محاضرات في الجاهلية وصدر الإسلام، منشورات الجمل، بيروت 2015.
- صادق جلال العظم، الصهيونية والصراع الطبقي، دار العودة، بيروت 1975.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، منشورات الأعلوي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- عبد الكريم خليل، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية، سينا للنشر، مصر 1993.
- عبد المنعم الهاشمي، رؤيا الأنبياء والصالحين، دار بن حزم، مكتبة ابن كثير، الكويت 2002.
- عزاوي أحمد، مختصر تاريخ الغرب الإسلامي، الجزء الأول، القرون الإسلامية الأولى، ديور الجامع، الرباط، 2007.
- علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، دار التكوين، بيروت 2005.
- عويس عبد الحليم، أسطورة إحراق ابن زياد للسنن، دراسة تاريخية نقدية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2010.
- الغرايب محمد، يهود مجتمع المغرب الأقصى دراسة تاريخية اجتماعية، مركز ابن خلدون للدراسات والأبحاث والترجمة والتحقيق، مطابع الرباط نت، 2024.

- القرآن
- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرية القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1989. المجلد الثاني.
- ابن سيرين محمد، تفسير الأحلام، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 2006.
- ابن كثير، الكامل في التاريخ، ج 4، تحقيق عبد الوهاب ترحيتي، دار الكتب العلمية، بيروت 1987.
- ابن منظور، لسان العرب، ج 6.
- ابن يوسف، كتاب الخراج، تحقيق محمود الباجي، دار بوسلامة، تونس 1984.
- أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت 1972.
- البلاذري، أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، د.ت.
- الحسن الغرايب "من الهبة إلى الوقف أوظاهرة تبادل الملكية: جدلية الدين والسياسة في الوقف الإسلامي خلال العصر الوسيط" منشورات جامعة المنستير، المجلد 2- العدد 1، تونس 2023.
- الحسن بولقطيب "أسلوب الإنتاج الحربي والتحول المعاق: حالة المغرب الوسيط" جامعة

المراجع باللغة الأجنبية

- غودلييه موريس، القبائل في التاريخ وفي مواجهة الدول، دار الفارابي، بيروت، 2015.
- غوستاف لوبون، القوانين النفسية لتطور الشعوب، دار الرافدين، بيروت-بغداد 2020.
- فريد أحمد، تعجيل السقيا في تعبیر الرؤيا، مكتبة الصحابة، جدة-الرياض 1991.
- قرو محمد، الصلاح والعلم والسلطة في القيروان الإسلامية، تعريب، محمد الغرايب، ضمن ندوة، السلطة والفقهاء والمجتمع في تاريخ المغرب: الائتلاف والاختلاف، الرباط، مطابع الرباط نت 2013.
- كبريلي فرانثيسكو، محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب عبد الجبار ناجي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2011.
- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، د ت.
- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الأول، بيروت-لبنان، دار صادر، د ت.
- النابلسي شاكراً، المال والهلال الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام، دار الساق، بيروت 2002.
- الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2010.
- Bloch Marc, **La société féodale**, Bibliothèque de "L'Évolution de l'Humanité," Paris: Editions Albin Michel, 1994.
- Chebel Malek, **Dictionnaire de symboles musulmans, Rites, Mystique et civilisation**, editions Albin Michel, Paris, 1995.
- **Histoire Du Moyen Age**. E M, 1976.
- Boreau, Victor. **Histoire Générale des Temps du Moyen Âge**. Paris: Librairie Classique et d'Education, 1856.
- **Chevalier, Jean, and Gheebbrant, Alain.** Dictionnaire Des Symboles, Mythes, rêves, coutumes, gestes, formes, figures, couleurs, nombres. Paris: Éditions Robert Laffont S.A. et Éditions Jupiter, 2020.
- Driss Ben Ali, **Le Maroc precapitaliste**, société Marocaine des Editeurs Réunis 3 Rue Ghazza, Rabat 1983.

بحوث
التاريخ الحديث والمعاصر

الحملة البريطانية الأولى على القواسم

في الخليج العربي 1805م

الأستاذ الدكتور صادق ياسين الحلو

رئيس قسم التاريخ - كلية الرشيد الجامعة / الجمهورية العراقية

شهدت نهاية القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر نمواً في القوة البحرية للاتحاد القاسمي وتصاعداً في الاشتباكات العمانية البحرية القاسمية في الساحل المتصالح وساحل الخليج العربي الشرقي وجزره، جعلت تلك الصراعات والإقتتال البحري القاسمي العماني في مياه الخليج ساحة قتال بين الجانبين. وفي الوقت نفسه، كان هناك صراع آخر وهجمات متبادلة بين السفن الفرنسية والسفن البريطانية في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي في هذه المدة (العشرينيات من القرن التاسع عشر)، ولم تكن العلاقات البريطانية القاسمية حسنة بل اتصفت بالتوتر والاحتكاك، وكان طبيعياً أن تكون كذلك، لأن لكلا الطرفين نشاطاً بحرياً على جانبي مدخل الخليج⁽²⁾ ولهم علاقات وتحالفات متباينة مع القوى الأخرى (عُمان وفارس) في الخليج العربي.

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل زاحم القواسم أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية في وقتها وهي في بداية قوتها جيوش البريطانيين البرية، وكانت حربهم دفاعية لإجلاء البريطانيين عن السواحل العربية لرفضهم دفع الضرائب والرسوم المتفق عليها مع شركة الهند حين دخول سفنها إلى الموانئ العربية⁽³⁾.

على ذلك يظهر أنه: "لم تكن هناك أية علاقات إيجابية بين القواسم والبريطانيين في هذه الفترة. وكل ما

سجل القرن التاسع عشر لا سيما نصفه الأول تركز جهود بريطانيا السياسية والاقتصادية والعسكرية وبخاصة البحرية منها لتعزيز الوجود البريطاني البحري في الخليج العربي بوصفه جزءاً من طريقها البحري إلى درة التاج البريطاني الهند، فضلاً عن موقعه الاستراتيجي وأهميته التجارية، لكل ذلك سعت فرنسا وكثفت جهودها الساعية للوصول إلى قطع طرق مواصلات بريطانيا إلى مستعمراتها الشرقية، وكان ذلك من جانب ومن جانب آخر، ساد الخليج العربي في هذه الفترة حالة من عدم الاستقرار والاضطراب مصدره الصراع بين القوى العربية المحلية فيه، ومحاولة أحدهما السيطرة والتوسع على حساب الأخرى، ونجد ذلك في الحروب العمانية- القاسمية والسعودية- العمانية.

غير أن بريطانيا كانت غير مكترثة بالنزاعات البرية بين تلك القوى، بل كانت الصراعات البحرية في مياه الخليج العربي هي التي ما أثارت قلقها أولاً، وثانياً خشيت من تنامي القوى البحرية العمانية والقاسمية وما تشكله من خطرٍ على تجارة وسلامة الطرق التجارية وسفن بريطانيا وسفن رعاياها في المنطقة، حتى وأن كانت تلك القوى البحرية العربية تقوم بالتجارة والنقل البحري في مياهها⁽¹⁾ وموانئها الإقليمية، وفي شرق أفريقيا وصولاً إلى الهند، وهي مصدر أساس من مصادر دخلهم.

يلاحظ أن هناك مواقف سلبية بين الطرفين تمثلت بهجمات قام بها القواسم ضد سفن مبحرة تحت العلم البريطاني⁽⁴⁾. لقد أدت سلسلة من الهجمات القاسمية البحرية إلى ردود أفعال سلبية من جانب السلطات البريطانية من تلك الهجمات التي مهدت إلى أول حملة بريطانية كبرى ضدهم في عام 1805.

ففي عام 1778 كانت أول هجمة قاسمية عربية، وفي كانون الأول من عام 1778 قامت ست سفن قاسمية بالاستيلاء على سفينة بريطانية تحمل رسائل بريدية بعد معركة استمرت ثلاثة أيام وهي في طريقها من بومباي إلى البصرة، وأخذتها إلى رأس الخيمة، وطالبوا بفدية قدرها أربع آلاف روبية⁽⁵⁾ ولم يكتفِ القواسم بذلك بل باعوا تجارتها والمسافرين عليها كرقيق⁽⁶⁾.

استمر النشاط البحري القاسمي في مهاجمة السفن البريطانية، فهاجمت ثمانية سفن قاسمية السفينة البريطانية سكس Success وهي في طريقها من البصرة إلى مسقط في كانون الثاني من عام 1779 محاولة أسرها غير أن السفينة البريطانية نجحت في الفرار⁽⁷⁾، وفي الشهر اللاحق من السنة نفسها هاجم تشكيل قاسمي بحري السفينة البريطانية أستانس Assistance، لكنها نجحت في ردّ الهجوم ووصلت بسلام إلى بوشهر⁽⁸⁾.

أرجع لوريمر الهجمات القاسمية بين سنتي 1779-1780 إلى حالة الفوضى والاضطراب الشديدين التي كانت سائدة في الخليج العربي وذلك للافتقار إلى قوة ضابطة في المنطقة، فضلاً عن الحرب بين شيخ القواسم وإمام عمان⁽⁹⁾.

وشهدت منطقة الخليج العربي بعد ذلك حقبة من الهدوء النسبي بعد عام 1780 وحتى عام 1790 حيث استولى القواسم في هذه السنة بالقرب من مسندم على

السفينة بكربك Beglerbeg وكانت في طريقها من البنغال إلى بوشهر⁽¹⁰⁾ ثم انقضت عدة سنوات في الخليج العربي بسلام دون أية هجمات قاسمية على السفن البريطانية أو سفن رعاياها ممن كانوا لا يعترفون بحق القواسم في أخذ رسوم على السفن المارة في مياههم. على أن ذلك لا يعني عدم حصول اشتباكات بينهم وبين قوى محلية أخرى مثل عُمان لأنها كانت متعاونة مع بريطانيا وهو سبب كاف يدفعهم إلى ذلك، كما أن ظروف الاضطراب عادت من جديد، ففي عام 1797 تجددت حالة الحرب بين عمان وفارس، وعمان ورأس الخيمة تلك الأحداث دفعت القواسم على معاودة نشاطهم للدفاع عن موانئهم وتجارتهم ولإظهار غضبهم من موقف البريطانيين المنحاز إلى جانب أحد الأطراف المتصارعة وعدم التزام الحياد في منطقة الخليج⁽¹¹⁾.

لذا هاجم أسطول من قوارب القواسم في 18 مايس من عام 1797 السفينة باسين (Bassien) في ساحل رامس، واستولى عليها رغم أنها ترفع العلم البريطاني فوقها، ثم مضى بها إلى رأس الخيمة حيث احتجزت مدة يومين قبل أن يطلق سراحها من قبل الشيخ (راشد القاسمي) ويبدو أنه لم يتيسر الحصول على تعويض عن هذه الإهانة التي لحقت بالعلم البريطاني⁽¹²⁾ وعدت تلك العملية إهانة كبرى لبريطانيا فهم وأن أعادوها لم يدفعوا التعويض الذي يمكن أن يخفف من أثر تلك الإهانة⁽¹³⁾، في حين رجح صالح العابد قيام الشيخ القاسمي بذلك الإجراء تحاشياً للاصطدام مع البريطانيين، في الوقت الذي كان يستعد لمجابهة الخطر السعودي⁽¹⁴⁾.

واصل القواسم استهداف السفن البريطانية في الخليج العربي، ويبدو أن عدم تعرضهم لأذى من الأسطول البريطاني على عملياتهم السابقة قد دفعهم إلى التحرك

مرة أخرى في شهر تشرين الثاني من العام نفسه. وكان أسطول القواسم بقيادة صالح ابن شقيق الشيخ (صقر بن راشد) راسياً بأسطوله في ميناء بوشهر، وكان يتربص ببعض سفن صور أثناء عودتها من البصرة. وقد سلم له بناءً على طلب ممثل الحكومة الهندية في بوشهر كمية من البارود وطلقات المدافع من سفينة الشركة المعظمة فاير (Viper) المسلحة بأربعة عشر مدفعاً. وهنا قام أسطول القواسم بمهاجمة السفينة فاير وهي راسية في الميناء وبحارتها مشغولون بتناول الإفطار. لكن السفينة المهاجمة سارعت بمهارة لرفع مرساها وأبحرت لتتفادى صعود القواسم إليها، وفي الاشتباكات الذي أعقب ذلك لم تفلح فاير في الإفلات من مطاردتها فقط، بل واستطاعت أيضاً بإجبارهم على الابتعاد إلى عرض البحر، وقتل في هذا الاشتباك من بحارة السفينة اثنان وثلاثون⁽¹⁵⁾ وقد أرسلت شركة الهند احتجاجاً إلى الشيخ صقر بن راشد شيخ القواسم الذي ردّ على الشركة بأن السفينة المهاجمة ليست تابعة له وإنما تابعة لأهل لنجه⁽¹⁶⁾ وأكد أن خصومة القواسم ليست مع البريطانيين حالياً بل مع أهل عمان⁽¹⁷⁾، من خلال الحادثتين السابقتين، وهكذا استطاع القواسم إقلاق وضع البريطانيين البحري في منطقة الخليج العربي بتسليط الضغط عليهم بالتعرض لسفهم التجارية وسفن نقل البريد ليلفتوا نظر البريطانيين إلى الوجود البحري القاسمي كقوة فاعلة في مياه الخليج، وكما يبدو أن السلطات البريطانية واجهت تلك الحادثتين بالإهمال، وكان ذلك حافزاً للقواسم لمواصلة نشاطاتهم البحرية.

لقد رأى جمال زكريا قاسم أن اهتمام البريطانيين في ذلك الوقت بعُمان وانحيازهم للعُثمانيين في صراعاتهم مع القواسم ليس لأهمية مسقط بالنسبة للسفن البريطانية

المبحرة في الخليج فقط، وإنما لتأثيرها الحيوي في الملاحة البحرية بين أوروبا والهند بعامه⁽¹⁸⁾.

شهدت المدة من 1797 وحتى عام 1804، عدم حصول اشتباكات بين السفن القاسمية والسفن البريطانية، حيث كانت الأخيرة تبخر بحرية وهي ترفع العلم البريطاني في طريقها بين الهند والخليج العربي، ولعل ذلك كما رأى صالح العابد يرجع إلى انهماك القواسم في الصراع مع حاكم مسقط سلطان بن أحمد عدوهم المباشر ومنافسهم الخطير. الأمر الذي دفعهم إلى تركيز كل قوتهم البحرية والبرية لمجابهته على أن الأمر اختلف إثر مصرع سلطان بن أحمد في عام 1804، فانطلقوا بدون ضابط يحد من نشاطهم فإذا أضفنا إلى ذلك، كان اعتناقهم الحديث للعقيدة الوهابية التي ألهمت حماسهم الفطري، وإحساسهم بدعم الدولة السعودية، وتحريضها لهم على مضاعفة نشاطهم بحملة راية الجهاد البحري، نتمكن من تفسير هجماتهم على السفن البريطانية⁽¹⁹⁾.

على ذلك تجددت الاشتباكات بين السفن البريطانية والسفن القاسمية، ففي عام 1804 طاردت سفينة فرنسية السفينة البريطانية فلاي (fly) المسلحة بأربعة عشر مدفعاً وأسروها بعيداً إلى أن جنحت إلى جزيرة قيس، فالقت الخزينة التي كانت فيها والرسائل التي كانت تحملها إلى مكان ضحل المياه واثناء عودة هؤلاء الأفراد هابطين في الخليج حاولوا البحث عن الخطابات لاستعادتها فحصلوا عليها لكنهم اضطروا لإبقاء الخزينة مكانها⁽²⁰⁾ وكان بحارة فلاي قد أطلق سراحهم في بوشهر، واستطاعوا ركوب سفينة أهلية لتنقلهم إلى بومباي واثناء ذلك هاجمهم القواسم فوجدوا أنفسهم أسرى في رأس الخيمة، ولمعرفتهم أنه لا أمل في إطلاق سراحهم تطوعوا من أجل افتدائه مقابل أنفسهم، أدلوا القواسم إلى المكان

الذي أخفوا فيه الخزينة وتركوا الأسرى في جزيرة قيس⁽²¹⁾ ولم ينجح من أولئك البحارة في الوصول إلى بوشهر سوى ثلاثة ضباط وبحارين وصل اثنان منهم فقط إلى بومباي⁽²²⁾.

وفي مستهل عام 1805، تعرضت السفينتان التجاريتان البريطانيتان شانون (Channon) وتريمر (Trimer) ويملكهما مانستي مقيم شركة الهند الشرقية في البصرة، لهجوم القواسم واستيلائهم عليهما بعد مقاومة يسيره⁽²³⁾، وأعدم القواسم البحارة الهنود عليهما، لأنهم كفار من وجهة نظرهم أولاً وثانياً يعدونهم منافسين تجاريين لهم⁽²⁴⁾، كما قطعت يد قبطان السفينة بابوك (Babcock) لأنه شوهده وهو يطلق نار بندقيته عليهم⁽²⁵⁾ وهكذا ظهر أن تعامل القواسم بشدة وعنف مع غير أهل الكتاب كالهنود ليس بعُدَّهم كفاراً فقط بل منافسين تجاريين لهم لكونهم يتنافسون تجارياً في منطقة الخليج العربي، ولخدمتهم في الأساطيل البحرية البريطانية.

لجأ القواسم إلى تسليح السفينتين وتحولنا إلى سفينتين حربيتين وأصبحتا تستخدمان بانتظام في العمليات البحرية القاسمية وجزءاً من أسطول القواسم⁽²⁶⁾.

سعى مانستي إلى استرجاع السفينتين، وظن أن بوسع أمير السعوديين إصدار أوامره بإعادتهما، فأرسل وكيلاً للقائه في عاصمته بالدرعية لكن شيئاً لم يتحقق من تلك السفارة⁽²⁷⁾.

فسركيلي رفض القواسم الاستجابة إلى وساطة الوهابيين وضغطهم لإعادة السفن البريطانية إلى: "أن اعتناق القواسم للمذهب لم يكن هو الذي أثار فيهم نزعة القتال، إذ لم يتضح حتى ذلك الوقت أن قواسم لنجة

وقواسم رأس الخيمة قد أصبحوا خاضعين للسعوديين، صحيح أنهم كانوا يدفعون الزكاة لهم، إلا أنهم لم يكونوا مسلمون خمس ما يستولون عليه من غنائم إلى السلطات السعودية في الدرعية، وهي الزكاة التي أعتاد السعوديين أن يفرضوها على أتباعهم"⁽²⁸⁾.

ذهب باحث آخر إلى رأي مقارب إلى رأي كيلي حيث فسر تصرف القواسم بعد إرجاع السفينتين البريطانيتين استجابة لطلب حاكم الدرعية إلى أن القواسم كانوا: "أهل الحل والعقد في هذه القضايا وببدهم أزمة أمورهم ولم يكونوا أداة بيد السعوديين..."⁽²⁹⁾.

هاجم القواسم في السنة نفسها بأسطول تألف من 40 سفينة للقواسم سفينة الشركة مرونتجون (Mornington) المسلحة باثنين وعشرين مدفعاً، وحاولوا الاستيلاء عليها، لكن الهجوم فشل واضطر المهاجمون للتراجع⁽³⁰⁾ وعزاً كيروزن فشل المحاولة القاسمية إلى كثافة النيران التي أطلقتها السفينة⁽³¹⁾ وفي نيسان من العام نفسه 1805 هاجم القواسم سفينة الشركة كوين (Queen) بالقرب من مسقط ولكن كوين تمكنت من رد الهجوم⁽³²⁾. كان موقف حكومة بومباي حتى هذه المرحلة من نشاطات القواسم البحرية في هجماتهم على السفن البريطانية متساهلاً، بحسب رأي لوريمر: "ولا يمكن تفسيره إلا في ضوء الأحداث التي سبقت ولا في ضوء الأحداث التي ستلي، فيبدو أن هذه الحكومة كانت قد أصدرت أوامر مستمرة وثابتة بأن لا تفتح أية سفينة من سفنها في الخليج النار إلا بعد أن تطلق عليها، وكان هذا الأمر يجعل الطرادات الصغيرة والمفردة في خطر دائم أمام أعداء كان أسلوبهم المفضل في الهجوم هو النزول إلى ظهر السفينة التي يهاجمونها وكان الذين يخرجون على أوامر

حكومة الهند المذكورة معرضين دائماً لتوقيع العقوبات عليهم⁽³³⁾.

لكن يبدو، أن خسارة بريطانيا للسفيتين شانون وتريمر كانت ثقيلة، ولا يمكنها تجاهلها لأنها رفعت من حماسة القواسم واستمرارهم في عملياتهم البحرية على السفن التي تتجاهل سيادتهم على موانئهم وتساند أعداءهم الإقليميين، فهددوا بذلك كما قدرت بريطانيا طريق مواصلاتهم البحرية إلى الهند فقررت تعزيز قواتها وضرب قوة القواسم البحرية بذريعة التصدي إلى القرصنة.

بالغت بريطانيا بوصف أعمال القواسم ونشاطهم البحري إذ عدّها مانيستي المقيم البريطاني في البصرة بأنها خطر كبير لا يقل عن الخطر الفرنسي على المصالح البريطانية في تلك الجهات⁽³⁴⁾.

بدء الحملة البريطانية على القواسم عام 1805:

ارتأت بريطانيا أن يكون تدخلها في الخليج العربي لتأمين حماية التجارة البحرية كما أدعت من خلال التعاون مع سلطان عمان ومساعدته في صراعه مع القواسم. فأصدر حاكم بومباي أمراً إلى الكابتن سيتون المقيم العام في البصرة وأرسل كمقيم في مسقط للمرة الثانية بناء على اقتراح هذا الأخير نفسه بأن يتعاون مع سلطان عمان الذي كانت له مشاكل وخصومات ومظالم من القواسم. غير أن سيتون في مساعدته لحكومة عمان للقضاء على القواسم قيد بأوامر صدرت من حاكم بومباي في آذار من عام 1805 إذ جاء فيها: "أن يوقف سائر نشاطه إذا اقتنع تماماً بأن أمير السعوديين لن يتدخل لمعارضة ذلك النشاط ضد القراصنة (القواسم) بل وأيضاً كان عليه القيام بعملية باعتماد وقصد

عظيمين، ومحاولة الوصول إلى السلام عن طريق المفاوضات، وإلى جانب ذلك أن يتفادى أية أعمال من شأنها أن تؤدي إلى تعقيدات مع الحكومة التركية (العثمانية) ثم هناك أيضاً صعوبة أخرى وهي أن يؤدي عمله بالاتساق مع ما يراه مانيستي المقيم في البصرة ومع ما يراه أيضاً الملازم بروس المقيم في بوشهر⁽³⁵⁾.

وفي أوائل حزيران من عام 1805، أبحر كابتن سيثون على السفينة مورنتجتون، واتصل بالسيد بدر تجاه جزيرة قشم ولكن قبل القيام بأي عمل مشترك ضد القواسم استعان الحليفان بالقوة ميناء بندر عباس وما حوله من أقاليم كانت من قبل مؤجرة من إيران (فارس) لسلطان عمان، ثم خسرتها لدى وفاة سيد سلطان⁽³⁶⁾.

كانت مشاركة سيتون بجانب سلطان عمان للاستيلاء على بندر عباس واسترجاعه من القواسم، لاعتقاد البريطانيين أن بقاءه بأيديهم يعني سيطرتهم على جانبي مدخل الخليج، وهو ما عدّته الشركة (شركة الهند الشرقية) تهديداً للملاحة البريطانية في المنطقة، فضلاً عن أن تقديم المساعدة العسكرية البريطانية لمسقط ضد القواسم، سوف يؤدي إلى عدم وقوع مسقط في أيدي الوهابيين، والذي إذا حدث سيضر بالتجارة بالمنطقة⁽³⁷⁾.

تواصلت الحملة البريطانية العمانية بعد استعادة بندر عباس، فأعقب ذلك في 15 حزيران من عام 1805 تحرك الأسطولان البريطاني والعُماني بعد أن وصلتهما أخبار عن وجود أسطول للقواسم راسياً في قشم، فتوجهتا نحو المدينة لكن لما ظهر لاحقاً عدم صدق الأخبار رجع الأسطولان إلى قواعدهما، ثم تلى ذلك فرض الحصار على بني معين في جزيرة قشم مما دفع بالقواسم إلى التحرك لنجدة حلفائهم وفك الحصار عنهم⁽³⁸⁾ وفي يوم 5 تموز من عام 1805 غادر أسطول قاسمي صغير مؤلف من ثلاثين

سفينة تحمل 1000 رجل إلى مدخل جزيرة قشم لفك الحصار عنها لكنه فشل، وهناك حاصره الكابتن سيتون وسلطان عمان سيد بدر، ولم يسمح للقواسم بمغادرة الميناء إلا بعد أن وقعوا هدنة مدتها سبعة أيام، وهي فترة كانت تكفي لوصول امدادات إلى بدر من أسطول الجيش العماني الذي كان يومئذ في طريقه من البحر الأحمر إلى البصرة، ونصت الهدنة أن يقوم القواسم بإعادة السفن البريطانية ترميماً لمناسيتي خلال خمسة وعشرين يوماً وحمولتها أو ما يعادل الحملة نقداً⁽³⁹⁾.

كانت هذه الهدنة مقدمة لعقد أول معاهدة بين القواسم والبريطانيين، فقد وصلت تعليمات حكومة بومباي إلى المقيم البريطاني، بأنها إذا كانت طرفاً في الصلح، فيجب أن يشمل هذا الصلح الخليج كله، وأن يطالب بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بالبريطانيين⁽⁴⁰⁾.

أرادت حكومة بومباي تسوية الأمور بالتعامل مع القواسم والتفاوض معهم من أجل التوصل إلى حل سلمي بين حكومة بومباي والقواسم، وبدأت بمفاوضات تمهيدية قام بدور الوسيط عن القواسم ملا حسين شيخ جزيرة قشم، فطلب كابتن سيتون في بداية الأمر، أن يدفع القواسم تعويضاً عن كل الأضرار التي أصابت السفن البريطانية، لكنهم أبلغوه بعدم استطاعتهم دفع أكثر من 10 آلاف روبية، وعلى أقسام أهملت مشكلة التعويض، وفي الأخير تم الاتفاق على أنه إذا أعاد القواسم للكابتن سينون السفينة (تريمر) خلال خمسة وعشرين يوماً ومعها خطاب لحاكم بومباي يحوي اعتذار (القراصنة) عن مسلكهم وإعلانهم عجزهم عن دفع التعويضات وتعهدهم بالكف مستقبلاً عن مسلكهم السابق فمن الممكن عقد الهدنة معهم حتى تهيء أوامر حاكم الهند، وإذا رضي الحاكم المذكور بالاتفاقية فعندها تعاد السفينة ويعلن السلم، ألح ملا حسين خلال تلك

المفاوضات التمهيدية على ضرورة إلقاء كابتن سيتون بشيخ القواسم سلطان بن صقر، غير أن كابتن سيتون لم يستجب لرغبة المفاوض القاسمي لإجراء ذلك اللقاء لأنه يعرف أنه كان سيواجه ضغطاً من أجل الموافقة على شروط أخرى منها: السماح للقواسم بزيارة الهند⁽⁴¹⁾.

جرت جولة ثانية من المفاوضات، ووصل وكيل عن ملا حسين إلى مسقط للتفاوض بأسم القواسم، وكتب كابتن سيتون طالباً التعليمات من حكومة بومباي. جرت المفاوضات في بندر عباس بين كل من سيثون ممثلاً عن حكومة الهند، وعبد الله بن كروش ممثلاً عن القواسم في أوائل سنة 1806. وتوصل الطرفان إلى (قولنامه) أو معاهدة مكتوبة، تم التوقيع عليها في 6 شباط من عام 1806 في بندر عباس.

تضمنت تلك المعاهدة ست مواد: تناولت معالجة مسألة السلام في الخليج العربي، وعدم التعرض للممتلكات البريطانية في موانئ القواسم، فالمادة الأولى نصت على إقامة سلام بين شركة الهند الشرقية وبين سلطان بن صقر وتوابعه ورعاياه وأن يحترم كل من الطرفين علم وممتلكات وتوابع الطرف الآخر جاء في المادة الثانية أنه إذا خرق القواسم المادة الأولى، فإن عليهم أن يدفعوا غرامة قدرها 30,000 دولار، وفي مقابل ذلك يتغاضى الكابتن سيتون عن المطالبة بحمولة السفينتين تريمروشانون. أما المادة الثالثة فنصت على: استعادة الممتلكات البريطانية الموجودة على أسطول الصوريين Sories Fleet وتضمنت المادة الرابعة، مساعدة وحماية القواسم للسفن البريطانية التي تنجح إلى شواطئهم للتزود بالوقود أو الماء أو بتأثير الطقس، وبينما نصت المادة الخامسة على أنه إذا أرغم القواسم على نقض هذا السلام، فعليهم إعطاء إنذار لكل الأماكن قبل ذلك بثلاثة شهور، بينما تضمنت المادة السادسة أنه عندما يتم

التصديق على الاتفاق وإقراره فإنه سوف يسمح للقواسم بزيارة الموانئ البريطانية من سوريات حتى البنغال⁽⁴²⁾.
الكابتن سيتون وقع الاتفاقية عن البريطانيين، ووقعها عن القواسم عبد الله بن كروش، ثم اعتمدها سلطان بن صقر، وصادق الحاكم العام للهند على المعاهدة في 29 نيسان من عام 1806⁽⁴³⁾.

يظهر مما جاء من مواد في الاتفاقية: أن البريطانيين تعاملوا مع القواسم بالمثل كطرفٍ مستقل، وهو ما يُفند دعاوى بريطانيا وتسمية ما يقومون به من عمليات بحرية والتصدي للسفن البريطانية، التي ترفض الاعتراف بمياهم الإقليمية بالقرصنة فتوقيع معاهدة مع الشيخ سلطان بن صقر بوصفه أقوى شيخ في الساحل الغربي من الخليج دلّ على أنه على رأس كيان سياسي من جهة، ومن جهة أخرى، فالمادة الخامسة أظهرت استقلال شيخ القواسم في قراره عن السعوديين لأنها أشارت إلى أنه إذا أجبر القواسم على نقض السلام، فعلى القواسم إنذار كل الأماكن قبل ثلاثة شهور. كما حقق القواسم أحد أهدافهم بالمشاركة بحصة أكبر في التجارة مع الهند. رغم أن سيتون تجنب لقاء الشيخ سلطان بن صقر خوفاً من ضغطه عليه لإفساح المجال أمام القواسم للتجار مع الهند.

ومن جانبها يبدو أن حكومة الهند كانت راضية عن ما توصلت إليه المعاهدة مع القواسم لاسيما وأن السلام سيحل في الخليج فيمكن ذلك السفن البريطانية وسفن رعاياها الإبحار فيه بأمان⁽⁴⁴⁾.

أما سلطان مسقط فكان وقوفه بجانب بريطانيا بالضد من القواسم بهدف السيطرة على الأراضي الخاضعة للقواسم، فاستطاع بهذه السياسة استعادة الأقاليم التابعة له سابقاً وسيطر عليها القواسم، مما

جعله بعد إضعاف الآخرين أن يصبح القوة الثانية بعد بريطانيا في الخليج العربي⁽⁴⁵⁾.

وكان من أهم نتائج حملة عام 1805 ومعاهدة عام 1806، أن الهدوء ساد في الخليج العربي خلال السنتين اللاحقتين، وتوقف القواسم عن مهاجمة سفن التجارة البريطانية وتعززت السيطرة البريطانية في الخليج العربي.

- (19) صالح العابد، المصدر السابق، ص212.
- (20) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص974.
- (21) المصدر نفسه؛ Miles, Op. Cit., P.296.
- (22) Belgrave, The Pirate Coast, London, 1966, P.29.
- (23) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص975؛ Buckingham, Op. Cit., P.244.
- (24) Hawely (D), The Trucial States, London, 1970, P.116.
- (25) صالح العابد، المصدر السابق، ص213؛ Ibid.
- (26) Buckingham, Op. Cit., P.244.
- (27) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص975.
- (28) كيلى، المصدر السابق، ج1، ص170.
- (29) سالم حمود السيابي، المصدر السابق، ص66.
- (30) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص975.
- (31) Curzon (U), Persia and The Persian, London, 1892, P.449.
- (32) Miles, Op. Cit., P.305.
- (33) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص975-976.
- (34) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، د.ت، ص74.
- (35) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص976-977.
- (36) المصدر نفسه، ج1، ص289.
- (37) I.O.R., Bombay Political Letters Received, L/p 6 & 169, 23/1805.
- (38) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص977.
- (39) صالح العابد، المصدر السابق، ص270.
- (40) كيلى، المصدر السابق، ج1، ص173.
- (41) Warden, Historical Sketch, Warden, P.304.
- (42) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص977-978.
- (43) Aitchison (C.U), A collection of Treaties, Engagements and Sands, Relating To India and Neighbouring Countries, Vol. XXI, Calcutta, 1909, PP.165-160.
- (44) Ibid., 165-166.
- (45) Ibid., P.166.
- (1) صادق ياسين الحلو، القرصنة الأوربية في الخليج العربي وسواحل أفريقيا الشرقية العربية ضد القوى البحرية في القرن الثامن عشر ونهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، الوثيقة، العدد12، البحرين، يناير، 1988، ص118-119.
- (2) عبد القوي فهمي محمد، القواسم نشاطها البحري وعلاقاتهم بالقوى المحلية الخارجية 1747-1853، الإمارات العربية، 1981، ص98.
- (3) سالم حمود السيابي، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، الطبعة التعاونية بدمشق، الطبعة الأولى 1396هـ/1976م، ص46.
- (4) جون كيلى، بريطانيا والخليج 1795-1870، ترجمة: محمد أمين عبد الله، طبع بمطبعة عيسى الياس الحلي وشركائه، ج1، د.ت، ص169.
- (5) لوريمر (ج.ج)، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج2، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، ط2، 1975، ص970.
- (6) Miles (S.B), The Countries and Tribes of The Persian Gulf, London, 1966, P.276.
- (7) صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820، بغداد، 1976، ص122.
- (8) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص970.
- (9) كيلى، المصدر السابق، ج1، ص169.
- (10) Warden (F) Historical Sketch of The Joas Mees Tribe of Arabs From The Year 1747 to The Year 1819, Selections From The Records of The Bombay Government, New series No. XXIV, Bombay, 1856, P.302.
- (11) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص971.
- (12) سالم بن حمود السيابي، المصدر السابق، ص61.
- (13) صالح العابد، المصدر السابق، ص123.
- (14) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص971-972.
- (15) Low (C.R), History of The Indian Navy 1613-1862, London, 1877, Vol.1, P.313.
- (16) Miles, Op. Cit., P.288.
- (17) Buckingham, Media and Persia, Travels in Assyria, (J.S), London, 1830, P.216.
- (18) جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا، 1747-1861، القاهرة، 1967، ص111.

نظرية المعرفة التاريخية؛ من التجريد إلى الممارسة

الأستاذ الدكتور إسماعيل نوري الربيعي

أستاذ في التاريخ الثقافي والاجتماعي / الجمهورية العراقية

ملخص

نظرية المعرفة التاريخية تدرك حقيقة مفادها أن الممارسات المعرفية، وسبل التفسير، وأساليب الحجج قد تغيرت على مر العصور، وهو ما يعني أن الإعدادات ذاتها لمطالبات المعرفة وإثباتها قد تغيرت. ومن بين الشواغل الأساسية التي تشغلنا هي العلاقة بين المعرفة والتكنولوجيا. على سبيل المثال، تقدم التغيرات في التقنيات الرياضية في الفيزياء مثلاً رئيسياً على الكيفية التي يمكن بها للتكنولوجيا إعادة تصور طبيعة المعرفة وكيفية توليدها. ومن ناحية أخرى، يؤكد استمرار وتحويل الأشياء المعرفية، مثل الأكسجين، على التعقيدات التي تنطوي عليها التغيرات العلمية: حيث تنجو بعض الأشياء من التغيرات البعيدة المدى، في حين تصبح أشياء أخرى عتيقة وتندعو إلى مناقشة طبيعة الاستمرارية العلمية أو الانقطاع. وبالتالي فإن نظرية المعرفة التاريخية تعمل على تفصيل مجموعة كاملة من المناقشات الفلسفية الأوسع نطاقاً حول طبيعة المعرفة نفسها. ومن نواح كثيرة، تسير نظرية المعرفة التاريخية بشكل عمودي على نظرية المعرفة التقليدية من خلال تأسيس نفسها على الممارسات التجريبية بدلاً من النظريات المجردة. يتقاطع هذا المجال مع تخصصات أخرى، مثل علم الاجتماع والتاريخ، لاستكشاف كيفية تأثير العوامل الاجتماعية على البحث العلمي وإنتاج المعرفة.

كلمات مفتاحية: نظرية المعرفة، التبرير، التأسيسية،

التماسكية، المعرفة التاريخية، الشكوكية

Historical theory of knowledge; From
abstraction to practice

Prof. Ismail Noori Mseer

Abstract

Historical theory of knowledge recognizes the fact that cognitive practices, avenues of interpretation, and methods of arguments have changed over the ages, meaning that the very preparation and evidence of knowledge claims have changed. One of our main concerns is the relationship between knowledge and technology. For example, changes in mathematical techniques in physics provide a prime example of how technology can reimagine the nature of knowledge and how it is generated. On the other hand, the persistence and transformation of cognitive objects, such as oxygen, emphasizes the complexities of scientific changes: some things survive far-reaching changes, while others become obsolete and call for discussion of the nature of scientific continuity or interruption. The

المصداقية المؤلفين والسياق وتحليل المحتوى والتقييم المقارن والغرض والجمهور. إن المؤرخين لابد وأن يأخذوا في الاعتبار الظروف المحيطة بخلق المصدر من أجل تحديد مدى موثوقيته ووثوقه. وهناك حاجة إلى عملية تدريجية في تفسير المصادر التاريخية. وتشمل هذه العملية تحديد نوع المصدر، ووضعه في سياقه، وقراءته لمعرفة نية المؤلف ومنظوره، وتحليل المحتوى. وسوف تسفر مقارنة العديد من المصادر عن مزيد من الدقة في المعلومات التاريخية وقد تثير وجهات نظر مختلفة أو ربما تحيزات. وفلسفة التاريخ هي عامل آخر من عوامل تشكيل نظريات المعرفة التاريخية.

فقد زعم بعض الفلاسفة، مثل هيجل، أن التاريخ له اتجاه أو غرض،⁽²⁾ في حين اقترح آخرون وجهة نظر أكثر تجزئة تأخذ في الاعتبار روايات متعددة. وفي إطار هذا الخطاب الفلسفي ينخرط المؤرخون في تصور وتأليف روايات عن أعمالهم. وثالثاً، هناك عنصر مهم من عناصر الصدفة التاريخية. إذ يعتبر المؤرخون أن الأحداث وقعت بخلاف مجموعة من العوامل الأخرى بما في ذلك الاختيارات الفردية والحوادث العرضية. وهذا مهم لأنه يوقف إمكانية الحتمية في التاريخ، حيث كان لابد للأحداث أن تحدث.⁽³⁾ إن نظرية المعرفة التاريخية تشكل أهمية خاصة مع التركيز على مصداقية المصدر والأساليب المستخدمة لتفسير هذا المصدر. وهذه النتيجة الأساسية نفسها تدعم الطبيعة الذاتية للروايات التاريخية وتفتح للمؤرخين آفاقاً متعددة، وبالتالي نأمل أن نتمكن من خلق تاريخ أكثر صدقاً واكتمالاً.

historical theory of knowledge thus elaborates a whole range of broader philosophical debates about the nature of knowledge itself. In many ways, historical theory of knowledge is perpendicular to traditional theory of knowledge by basing itself on empirical practices rather than abstract theories. This field intersects with other disciplines, such as sociology and history, to explore how social factors affect scientific research and knowledge production.

Keywords; Theory of knowledge, justification, foundationalism coherentism, historical knowledge, skepticism.

المقدمة

نظرية المعرفة التاريخية، تتعلق بكيفية جمع المؤرخين وتقييمهم وتفسيرهم للأدلة المتعلقة بالماضي. وهذه العملية حيوية في بناء السرديات التاريخية الموثوقة، التي تتكون من عناصر عديدة. أولاً، التمييز بين الأدلة التجريبية والتفسير. يطبق المؤرخون العديد من المصادر مثل الوثائق والتحف والتاريخ الشفوي في إعادة بناء الأحداث الماضية. ومع ذلك، فإن هذه المصادر مفتوحة للتفسير الذاتي، اعتماداً على المؤرخ والتحيز والإطار النظري.⁽¹⁾ وفي هذا الصدد، فإن المعرفة التاريخية ليست مجرد تجميع للحقائق، بل هي سرد يحدده المنظور والنهج الذي يتبناه المؤرخ. بطبيعة الحال، هناك حاجة لتقييم مصداقية المصادر في البحث التاريخي. وهذا يشمل تحليل مصداقية المصادر الأولية - الوثائق الأصلية أو التحف من الفترة التي تتم دراستها - والمصادر الثانوية - تفسيرات أو تحليلات المصادر الأولية. وتشمل أهم المعايير التي تفحص

نظرية المعرفة التاريخية تتعامل مع كيفية اكتساب المرء لأي معرفة عن الماضي وتبريرها وتصورها. ويتعاطى هذا الفرع من نظرية المعرفة مع أسئلة تتعلق بطبيعة المعرفة التاريخية،⁽⁴⁾ وطرق تحقيقها، ومعايير التبرير. ويعني التبرير، في إطار نظرية المعرفة التاريخية هذه، تقييم مصداقية المصادر وطرق تفسيرها. ويتعين على المؤرخين دائماً تقييم مصادرهم من حيث المصداقية والتحيز والسياق. وفي معظم الحالات، يتضمن هذا الرجوع إلى مصادر مختلفة معاً لبناء سرد متماسك أو تفسير للأحداث. ويكمن التحدي في إدراك أن تمثيل التاريخ غالباً ما يتم تصفيته من خلال وجهات نظر وسياقات أولئك الذين يسجلونه. على سبيل المثال، تعد المصادر الأولية، مثل الرسائل أو الوثائق الرسمية، دليلاً مباشراً ولكنها قد تعبر عن تحيزات شخصية للمؤلفين. ويمكن للمصادر الثانوية، التي تناقش البيانات الأولية وتفسرها، أن تقدم رؤى أوسع نطاقاً، ولكن خطر سوء التفسير أو التناقض الزمني يزداد. وبالتالي، يتعين على المؤرخين التوفيق بين هذه التعقيدات للوصول إلى معتقدات مبررة بشأن الأحداث التي وقعت في التاريخ. ويترتب على ما سبق أن المعرفة التاريخية معقدة في حد ذاتها، نظراً لاعتمادها على التفسير. وعلى عكس المعرفة العلمية، التي يمكن اختبارها غالباً من خلال التجريب، فإن المعرفة التاريخية تستند إلى إعادة بناء الأحداث الماضية من الأدلة المتاحة. وتتأثر عملية إعادة البناء هذه بالقيم والفهم المعاصر، مما يؤدي إلى مناقشات حول الموضوعية في التاريخ. وقد زعم فلاسفة مثل آر. جي. كولينجود أن فهم التاريخ يتطلب التعاطف والمشاركة الخيالية في الماضي.⁽⁵⁾ وهذا يعني أن المؤرخين لا يكتفون بنقل الحقائق بل يفسرونها في

مخطط سردي أوسع يمثل عصرهم وفكرهم. المناهج المعرفية لقد تطورت المناهج المعرفية تجاه المعرفة التاريخية بشكل كبير. في العصور القديمة، كان هناك مؤرخون مثل هيرودوت الذين كان لديهم نهج سردي أكثر،⁽⁶⁾ دون وجود طبقة للأدلة. وخلال عصر التنوير تطور منظور نقدي، قائم على الأدلة التجريبية مع التركيز على التحليل العقلاني. ويستمر هذا الاتجاه في التأريخ المعاصر، الذي يتم تعديله دائماً من خلال الانتقادات ما بعد الحداثية التي تشكك في الموضوعية والعالمية. وتشمل المناقشات المعاصرة دور البناء الاجتماعي في تشكيل السرديات التاريخية. وتنظر نظرية المعرفة الاجتماعية في كيفية تشكيل المعتقدات الجماعية وسياقاتها المجتمعية لما يجب أن يمر على أنه معرفة تاريخية صالحة. ويؤكد هذا النهج على أن التاريخ ليس مجرد سجل للحقائق ولكنه تفاعل معقد وديناميكي بين الأدلة والتفسير والقيم الاجتماعية. وتشمل نظرية المعرفة التاريخية كيفية تبرير فهمنا للماضي من خلال التقييم النقدي للمصادر من خلال التعرف على الأطر التفسيرية والسرديات المتطورة المؤطرة بالسياقات الثقافية. ويجب فهم كل من هذه العناصر جيداً لفهم دقيق لكيفية بناء المعرفة التاريخية وضمانها بمرور الوقت.

المعرفة

في نظرية المعرفة التاريخية، يتعمق المرء في المعرفة التي لدينا فيما يتصل بالماضي. وتتجسد هذه المعرفة بعمق في قضايا فلسفية أكثر عمومية تتصل بطبيعة الأدلة وموثوقية المصادر وتفسير السرد التاريخي. تقليدياً، تم تطوير تعريف للمعرفة حول "الاعتقاد الحقيقي المبرر"

Justified True Belief⁽⁷⁾، حيث لا يمكن القول إن الاعتقادات تشكل معرفة إلا إذا كانت صادقة ومؤمن بها وبالتالي مبررة. ومع ذلك، قوبل هذا التعريف ببعض الانتقادات من ما يسمى بقضايا إدmond جيتيه Edmund Gettier's⁽⁸⁾، والتي تظهر أن الاعتقاد قد يكون صادقاً ومبرراً ومع ذلك لا يعد معرفة بسبب عنصر الحظ أو العرضي. في حالة المعرفة التاريخية، تصبح المشكلة أكثر حدة. يعتمد المؤرخون على أنواع مختلفة من الأدلة، مثل الوثائق والآثار وروايات شهود العيان، لتأسيس السرديات حول الماضي. لذلك، تدعو نظرية المعرفة التاريخية إلى التقييم النقدي للمصادر فيما يتعلق بمصداقيتها وتحيزها وأهميتها.⁽⁹⁾ في مثل هذه الحالات، في كثير من الأحيان يكون التمييز بين المصادر الأولية، أي المواد الأصلية من الوقت قيد الدراسة والمصادر الثانوية التي تفسر هذه المواد الأولية، أمراً حيوياً. كما تركز المناقشات الفلسفية في نظرية المعرفة التاريخية حول الموضوعية مقابل الذاتية. قد يقول البعض إن كل فهم تاريخي ذاتي بقدر ما يستخدم المؤرخ منظوراً وتحيزات على الأدلة التي يتم فحصها، بينما يرى آخرون أن المنهجيات الصارمة المناسبة ستسهل الاستنتاجات الموضوعية حول الماضي. هذا نقاش مهم يخبرنا كيف يبني المؤرخون سردياتهم وما يشكل نسخة سليمة من التاريخ. علاوة على ذلك، لا يمكن للذاكرة الجماعية إلا أن تؤثر على المعرفة التاريخية.⁽¹⁰⁾ تؤثر الذاكرة نفسها على الطريقة التي تتذكر بها المجتمعات ماضيها المتنوع والطريقة التي يتم بها تفسير الفهم المعاصر من هذه المصادر غير الكاملة.

نظرية المعرفة باعتبارها تحقيقاً في المعرفة التاريخية، هي نهج متعدد الطبقات لكيفية التحقق من

صحة المعرفة حول الماضي أو تفسيرها. يتضمن التقييم النقدي للمصادر مناقشات حول الموضوعية مقابل الذاتية والوعي بالاعتقادات الجوهرية في إعادة بناء التاريخ. إن فكرة المعرفة باعتبارها "اعتقاداً حقيقياً مبرراً" كانت بمثابة أساس في نظرية المعرفة، وذلك لأن أي شيء لكي يشكل معرفة لابد وأن يكون صادقاً ومؤمناً به ومبرراً. وقد تم قبول هذا النموذج، الذي يستند إلى أفكار أفلاطون، لفترة طويلة حتى بدا أن إدmond جيتيه قد هز هذا الافتراض في عام 1963.⁽¹¹⁾ فقد قدم جيتيه حالات كان فيها الأفراد يؤمنون بمعتقدات كانت صادقة ومبررة ولكنها لم تستطع أن تجعل من هذا الاعتقاد معرفة، بسبب عناصر الحظ أو المصادفة. إن حالات جيتيه هي أمثلة على كيفية استيفاء شروط "الاعتقاد الحقيقي المبرر"⁽¹²⁾ وقد أثارت هذه الحالات قدراً كبيراً من المناقشات الفلسفية، مع العديد من التعديلات المقترحة على حساب جيتيه. ويقترح بعض الفلاسفة أن الشرط الرابع يتعلق بدور الحظ. على سبيل المثال، تنص نظرية "عدم وجود مقدمات كاذبة" على أن المعرفة لا يمكن أن يكون لها أي مقدمات كاذبة؛⁽¹³⁾ ومع ذلك، فقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات لعدم نجاحها في جميع حالات جيتيه. فيما زعم ألفين جولدمان أن حقيقة الاعتقاد يجب أن ترتبط سببياً بتبريره بحيث يتم استبعاد الاعتقادات التي تصادف أنها صحيحة من خلال الحظ فقط.⁽¹⁴⁾ أما نظرية المؤثوقية فتقول إن المعرفة تنشأ في عمليات موثوقة تولد معتقدات حقيقية.⁽¹⁵⁾ وتنتقل هذه النظرية من التبرير إلى مؤثوقية العمليات التي تنتج المعتقدات. بالمقابل تؤكد نظرية معرفة الفضيلة على دور الفضائل الفكرية في اكتساب المعرفة، ما يشير إلى أن المعرفة تنطوي على

امتلاك السمات الشخصية الفكرية اللازمة لتحقيق الحقيقة.⁽¹⁶⁾ وعلى الرغم من هذه الجهود، لم يظهر أي إجماع على حل نهائي لمشكلة جيتير، مما يسلط الضوء على تعقيد تعريف المعرفة. يعكس هذا النقاش الدائم أسئلة أكثر عمقا حول طبيعة الإيمان، والحقيقة، والتبرير، وربما أن نظرية المعرفة لدينا يجب أن تتحول إلى ما هو أبعد من التحليلات التقليدية مثل "الاعتقاد الحقيقي المبرر".

التبرير

في نظرية المعرفة، تعريف التبرير هو مفهوم أساسي يتم فيه التمييز بين المعرفة والمعتقد الحقيقي المجرد من خلال توفير الدعم اللازم لتحويل الاعتقاد الحقيقي إلى معرفة. ويتعلق هذا بالأسباب الجيدة أو الأدلة على الاعتقادات التي يتم تبنيها، مما يجعلها ليست صحيحة فحسب بل ومدعومة عقلائيًا أيضًا. توصل فلاسفة مختلفون إلى نظريات مختلفة حول كيفية تبرير الاعتقادات، وأبرزها التأسيسية foundationalism والتماسكية coherentism.⁽¹⁷⁾ التأسيسية هي النظرية التي تقول بوجود معتقدات أساسية معينة تشكل أساسًا لجميع المعتقدات المبررة الأخرى. يتم تبرير هذه المعتقدات الأساسية بشكل مستقل تمامًا عن أي شيء آخر يعتقده المرء، وبشكل عام، يُنظر إليها على أنها بديهية أو تستند مباشرة إلى الخبرات - على سبيل المثال، الإدراكات الحسية أو المعتقدات الاستبطانية. النظرية هي محاولة لحل مشكلة الانحدار في نظرية المعرفة فيما يتعلق بكيفية تبرير الاعتقاد بطريقة غير لانهائية.

يزعم أصحاب التأسيسية أن بعض المعتقدات مبررة جوهريًا، وبالتالي لا تحتاج إلى مزيد من الدعم من

المعتقدات الأخرى، وبالتالي وقف الانحدار.⁽¹⁸⁾ من ناحية أخرى، يرى أصحاب نظرية التماسك أن الاعتقاد مبرر إذا كان متماسكًا مع نظام من المعتقدات الأخرى. وفي هذا النهج الأخير، ينصب التركيز أكثر على العلاقات المتبادلة بين المعتقدات بدلاً من المعتقدات الأساسية.⁽¹⁹⁾ ويُنظر إلى التبرير باعتباره العملية برمتها، حيث يعتمد تبرير أي اعتقاد على ارتباطه بنظام كامل من المعتقدات، والذي ينبغي أن يكون متماسكًا؛ على سبيل المثال، يجب أن يكون متسقًا منطقيًا ويجب أن تدعم المعتقدات بعضها البعض بشكل متبادل. يحل التماسك مشكلة الانحدار من خلال السماح للمعتقدات بدعم بعضها البعض بطريقة دائرية - طالما كانت الدائرة كبيرة ومتراصة بما يكفي.

في نظرية المعرفة التاريخية، يهتم المرء بكيفية اكتساب معرفتنا بالماضي وتبريرها وإثبات صحتها. يستخدم المؤرخون الشهادات والسجلات المكتوبة والتحف لبناء سردهم بشأن الأحداث الماضية. يمكن أن تكون هذه المصادر أكثر أو أقل موثوقة، ويجب على المؤرخين تقييم المصداقية والسياق بشكل نقدي لتأسيس فهم مبرر معرفيًا للأحداث التاريخية. تشكل المناهج المتبعة في البحث التاريخي،⁽²⁰⁾ سواء النوعية أو الكمية، أساسًا مهمًا لتفسير البيانات في التاريخ واستخلاص الاستنتاجات. وتشمل التحديات في هذا المجال التفسير التاريخي، وتوافر المصادر والحفاظ عليها، والتشكك في التاريخ الذي يشكك في إمكانية معرفة الماضي نتيجة للتحيز في المصادر وتفسيرها. والتبرير ضروري لتحويل الاعتقاد الحقيقي إلى معرفة.⁽²¹⁾ وتوفر كل من النزعة الأساسية والنزعة التماسكية بالفعل أطراً مختلفة يمكن

من خلالها القول إن الاعتقادات مبررة - ولكل منها نقاط قوتها ونقاط ضعفها. وينظر الخطاب المستمر في نظرية المعرفة في مدى أهمية مثل هذه المفاهيم المستمرة للمعرفة التاريخية وطبيعة الأدلة نفسها.

يزعم التأسيسيون أن بعض المعتقدات يجب أن تكون واضحة بذاتها أو لا تقبل الشك حيث يكون الأساس أمناً، وكل شيء آخر يعتمد عليه. يحل هذا التفسير مشكلة الانحدار اللانهائي في التبرير لأنه ينص على أن ليس كل المعتقدات المبررة قد تعتمد على تبرير معتقدات مبررة أخرى.⁽²²⁾ يمكن أن تتخذ التأسيسية أشكالاً مختلفة: على الأقل، تتمسك بالمعصومية حيث يجب أن تكون المعتقدات التأسيسية مبررة بشكل لا يقبل الخطأ، أو التأسيسية المتواضعة، حيث يُسمح ببعض القابلية للخطأ في المعتقدات التأسيسية.⁽²³⁾ تؤكد التماسكية أن الاعتقاد مبرر لأنه يناسب نظاماً من المعتقدات المترابطة. تؤكد هذه النظرية على العلاقات المتبادلة بين المعتقدات ولا تعتمد على بنية هرمية حيث توجد معتقدات أكثر جوهرية من غيرها.⁽²⁴⁾ يعتقد أصحاب نظرية التماسك أن التبرير يأتي من كيفية تماسك مجموعة من المعتقدات، ويعتبر الاعتقاد مبرراً إذا كان يقع جيداً ضمن شبكة أكبر من المعتقدات التي تدعم بعضها البعض. في إطار هذا النهج، يتم حل مشكلة الانحدار أيضاً من خلال اقتراح أن التبرير لا يحتاج إلى أن يكون خطئاً بل دائرياً أو كلياً. إن انتقاد التأسيسية هو أنه ما لم تتمكن من تحديد ما يشكل المعرفة الأساسية بنجاح، فإنها تؤدي إلى الشك.⁽²⁵⁾ تعرضت نظرية التماسك للهجوم فيما يتعلق بقدرتها على تفسير حقيقة المعتقدات، نظراً لأنه قد يكون هناك أكثر من نظام متماسك غير متماسك مع نظام آخر - اعتراض

الأنظمة البديلة - وقد لا يكون مرتبطاً بالضرورة بالواقع الخارجي - اعتراض العزلة. في حين تحاول التأسيسية وضع قاعدة أمانة لتأسيس المعرفة من خلال المعتقدات المبررة للذات، فإن نظرية التماسك تحافظ على تركيزها على العلاقات المتبادلة بين المعتقدات داخل النظام من أجل توفير التبرير.⁽²⁶⁾ تساهم النظريتان بشكل كبير في المناقشات الجارية في نظرية المعرفة حول كيفية تبرير معتقداتنا وما يشكل المعرفة.

مصادر المعرفة

إن نظرية المعرفة التاريخية معقدة لأنها تتعامل مع كيفية وصولنا إلى المعرفة عن الماضي وإثبات صحتها وتفسيرها. وهذا يشمل المعرفة من مصادر مختلفة، مثل الإدراك والعقل والذاكرة والشهادة،⁽²⁷⁾ حيث يساهم كل منها في الآخر في تطوير تصوراتنا للتاريخ. وفي هذا الصدد، غالباً ما يُنظر إلى الإدراك على أنه ربما المصدر الأكثر مباشرة ووضوحاً للمعرفة، والذي يوفر مدخلات حسية مباشرة لتطوير المعتقدات حول العالم. ومع ذلك، بالنسبة للمعرفة التاريخية، فإن الإدراك مقيد لأنه لا يمكنه الوصول إلى حدث في الماضي. بدلاً من ذلك، يعتمد المؤرخون على مصادر أخرى للمعلومات مثل الشهادة وغيرها من الأدلة الأثرية في إعادة بناء أحداث التاريخ. العقل مهم في تحليل المعلومات وتلخيصها، مما يسمح للمؤرخ باستنتاجات منطقية من البيانات المتاحة له.⁽²⁸⁾ هذه العملية مهمة جداً في فهم الأحداث في التاريخ وتصور معناها. ومع ذلك، يجب أن يتم التفكير على أسس وجمية؛ وإلا فإن العملية ستؤدي إلى نتائج غير صحيحة. تلعب الذاكرة دوراً كبيراً في الاحتفاظ بالأحداث الماضية وتذكرها، وهو أمر مفيد للمعرفة التاريخية. ولكن الذاكرة

قد تكون معيبة، وعرضة للتشويه والتحيز، مما يؤثر على دقة الأحداث التاريخية. وهذا يستدعي بالتالي أن يتم تأكيد الذاكرة بوسائل أخرى لضمان الموثوقية. ولعل الشهادة هي المصدر الأكثر أهمية للمعرفة حول التاريخ، سواء كانت في السجلات المكتوبة، أو التاريخ الشفوي، أو المصنوعات اليدوية. ويشرع المؤرخون في فحص مثل هذه المصادر لمعرفة مدى سداقتها وسياقها وحتى تحيزاتها.⁽²⁹⁾ وكثيراً ما تعتمد مصداقية الشهادة على المصدر؛ ومن ثم يصبح تقييمها النقدي أمراً بالغ الأهمية للتحقق من صحة هذه المعرفة بالتاريخ. وبصرف النظر عن ذلك، فإن المنهجية التاريخية تشكل شيئاً مهماً في التحقق من صحة المعرفة التاريخية. وتوفر أساليب مثل الإحالة المتبادلة بين مصادر متعددة واستخدام الأساليب الإحصائية وسيلة لتحقيق الإجماع على البيانات الديموغرافية للسكان التاريخيين. وهي أيضاً تشكل جزئياً أساساً فلسفياً للمعرفة التاريخية يثير تساؤلات حول الموضوعية والذاتية لأنه لا يمكن للمرء أن يكون محايداً تماماً دائماً نظراً للتحيزات الشخصية والسياقات الثقافية. وبشكل عام، تتطلب نظرية المعرفة التاريخية إدراك نقاط القوة والحدود التي يقدمها كل مصدر، فضلاً عن استخدام منهجيات صارمة لبناء تمثيلات صالحة للأحداث الماضية. وفي هذا الصدد، ستساعدنا في تفسير كيفية معرفتنا بالتاريخ ومدى تعقيد أي تفسير للسرديات التاريخية.

الشكوكية

إن الشكوكية Skepticism مفهوم محوري في نظرية المعرفة،⁽³⁰⁾ أي النظرية العامة للمعرفة، والإيمان، والتبرير. وهي في الأساس مسألة ما إذا كان بوسعنا أن نعرف أي شيء على الإطلاق، وهو ما يشكك في موثوقية

حواسنا وطرقنا في التمييز بين المعتقدات الحقيقية وغير الحقيقية. ويزعم المتشككون أن تجاربنا الحسية قد تكون خادعة، كما يتضح من الأوهام البصرية أو الأحلام، والتي قد تقودنا إلى الاعتقاد بتجارب لا تتوافق مع الواقع. ويتجلى هذا في الشكوكية الديكارتية، حيث افترض رينيه ديكارت أن شيطاناً شريراً يمكنه التلاعب بإدراكاتنا،⁽³¹⁾ مما يدفعنا إلى الشك حتى في أكثر المعتقدات أساسية، مثل وجود العالم الخارجي أو أجسادنا. وقد دفعت هذه الصعوبات علماء نظرية المعرفة إلى صياغة أطر مختلفة، أحدها هو التأسيسية، التي تشير إلى أن بعض المعتقدات واضحة بطبيعتها أو لا تقبل الشك وبالتالي توفر قاعدة آمنة لبقية المعرفة. لقد استنتج ديكارت من هذا المنطق أنه على الرغم من أنه قد يشكك في كل شيء آخر، إلا أنه لا يستطيع الشك في وجوده ككائن مفكر، وهو ما يتجسد في عبارته الشهيرة "أنا أفكر، إذن أنا موجود".⁽³²⁾ كما تكافح نظرية المعرفة التاريخية مع الشكوك، وخاصة فيما يتعلق بموثوقية المصادر التاريخية والصعوبات في التحقق من الحقائق التاريخية. تعتمد معظم الروايات التاريخية على وثائق وتحف وشهادات غير كاملة أو مكتوبة بشكل متحيز. يتعين على المؤرخين تقييم كل وثيقة بشكل نقدي من حيث سياق إنشائها، بما في ذلك وجهة نظر المؤلف وأي دافع قد يكون موجوداً. تخضع هذه المصادر للتدقيق لأن حتى المصادر الأكثر جدارة بالثقة يمكن أن تعكس أجندة محددة أو تحيزاً ثقافياً، مما يزيد من تعقيد فهمنا للأحداث. علاوة على ذلك، لا يمكن التحقق من الحقائق التاريخية لأن الأحداث مفردة ولا يمكن إحياؤها. يعيد المؤرخون بناء الماضي من خلال أساليب مثل المصادر المرجعية المتبادلة ونقد النصوص. ومع ذلك، فإن عدم اكتمال الأدلة على أي حدث غالباً ما يترك مجالاً كبيراً

لتفسيرات مختلفة وبالتالي يغذي الشكوك حول ما يمكننا معرفته عن الماضي. يوفر الشك نقطة مقابلة صحية لنظرية المعرفة في التشكيك في أسباب ما نعتقد أننا نعرفه. إنه يجبر المرء على النظر، بشكل أكثر انتقاداً، في معتقداته ثم موثوقية وسائله للحصول على المعرفة، سواء من خلال الإدراك الحسي أو الفهم التاريخي. في جميع أشكاله، يضغط الشك علينا لتوضيح ما يعادل المعرفة والتبرير بالضبط، مع مراعاة قابليتنا للخطأ والخداع المحتملين.

لقد شددت الشكوكية القديمة، ولا سيما من قبل شخصيات مثل سيكستوس إمبيريكوس،⁽³³⁾ على تعليق الحكم على المعتقدات وادعاءات المعرفة. وهذا النهج ضروري عند التعامل مع المعرفة التاريخية فيما يتعلق بالأسئلة حول موثوقية المصادر وطبيعة الأدلة. هناك نوعان أساسيان من الشكوكية الفلسفية: الشكوكية الديكارتية والشكوكية البيرونية.⁽³⁴⁾ تتعلق الشكوكية الديكارتية بإمكانية المعرفة وتنطوي عادة على فرضيات متشككة تشكك في معتقداتنا حول العالم الخارجي. على النقيض من ذلك، تقدم الشكوكية البيرونية تعليقاً أكثر تطرفاً للحكم فيما يتعلق بجميع المقترحات، بما في ذلك التاريخية. إن تطبيق الشكوكية على المعرفة التاريخية يعني التشكيك في اليقين الذي يمكننا أن ندعي به معرفة الحقائق التاريخية.⁽³⁵⁾ على سبيل المثال، إذا اعتبرنا أن معرفتنا بالتاريخ تتكون من تفسير الأدلة - على سبيل المثال، الوثائق أو القطع الأثرية - فإن المتشككين سيقولون إن مثل هذه التفسيرات مشكوك فيها. وهذا يتماشى مع فكرة أن جميع ادعاءات المعرفة تحتاج إلى الشك باعتبارها غير مبررة.

يزعم المتشككون أنه إلى الحد الذي تستلزم فيه الروايات التاريخية تفسيرات ذاتية وأدلة غير كاملة، لا يمكننا أن نكون على يقين مطلق.⁽³⁶⁾ وهذا مهم بشكل خاص في المناقشات حول كيفية معرفتنا بما نعرفه عن الماضي - سواء من خلال الأدلة المباشرة أو من خلال بعض السرد الذي بناه المؤرخون. إن الآثار المترتبة على الشكوكية على نظرية المعرفة عميقة. الفكرة هي أنه لا يمكن للمرء أن يكون لديه معتقدات حول الأحداث التاريخية التي لها ما يبررها ويفشل في التواضع بشأن القيود والتحيزات المحتملة في مصادره. وهذا من شأنه أن يجعل نظرية المعرفة للتاريخ أكثر تواضعاً، مفضلة ادعاءات المعرفة التي تجسد مثل هذا عدم اليقين والوضع المؤقت للتاريخ. إن المناقشات المعاصرة في نظرية المعرفة تدفع هذه الحجج المتشككة إلى أبعد من ذلك، وخاصة فيما يتعلق بقضايا مثل الشهادة وموثوقية المصادر. وبالتالي فإن الشكوكية القديمة تدعم النقاش الحديث حول كيفية بناء ادعاءات المعرفة وما يشكل معرفة تاريخية لشيء ما.⁽³⁷⁾ إن الشك هو عدسة نقدية تسمح لنا بالنظر إلى الأسس ذاتها التي تقوم عليها المعرفة التاريخية وتدفعنا إلى التشكيك في افتراضاتنا حول مدى تعقيد حتى التظاهر بمعرفة أي شيء عن الماضي.

المعرفة القبلية مقابل المعرفة اللاحقة

إن التمييز بين المعرفة القبلية والمعرفة اللاحقة A priori knowledge vs. a posteriori knowledge أمر أساسي في نظرية المعرفة،⁽³⁸⁾ حيث يؤثر على كيفية فهمنا واكتسابنا للمعرفة عبر مختلف المجالات، بما في ذلك المعرفة التاريخية. إن المعرفة القبلية مستقلة عن الخبرة وغالباً ما ترتبط بالمنطق والحقيقة الرياضية. تشمل الأمثلة العبارات المنطقية، مثل "جميع العزاب غير

متزوجين"، والتي تُحسب على أنها قبلية لأنها قابلة للمعرفة بشكل مستقل عن أي تجربة: لا يحتاج المرء إلى إجراء تحقيق تجريبي لتحديد ما إذا كانت صحيحة أم لا. وفقًا لأحد أكثر الفلاسفة نفوذاً، إيمانويل كانط، فإن بعض المفاهيم - مثل المكان والزمان - هي حدسيات قبلية تنظم تجربتنا بطرق معينة؛⁽³⁹⁾ وهذا يعني أن المعرفة القبلية تنطوي على حقائق تحليلية وبعض المقترحات التركيبية. من ناحية أخرى، تعتمد المعرفة اللاحقة على الأدلة التجريبية والخبرة. إن هذا النوع من المعرفة ينبع من الملاحظات والتجارب، مثل المعرفة العلمية بقانون الجاذبية أو نقطة غليان الماء، والتي يجب أولاً التحقيق فيها تجريبياً للتحقق من صحتها. وفي البحث التاريخي، تتضمن المعرفة اللاحقة جمع وتفسير البيانات الأولية للوثائق والتحف والشهادات لإثبات الحقيقة في التأكيد على حدث في الماضي.⁽⁴⁰⁾ وفي حالة المعرفة التاريخية، هناك جدلية نشطة بين هذين النوعين من المعرفة. على سبيل المثال، غالباً ما يتعامل المؤرخون مع الأحداث باستخدام أطر نظرية مسبقة - على سبيل المثال، مفاهيم السببية والسياق - بينما يستعينون في نفس الوقت بأدلة لاحقة لدعم سردهم. يتيح هذا التفاعل للمؤرخين تقديم تفسيرات دقيقة للأحداث في الماضي، وموازنة الرؤى النظرية مع الأدلة التجريبية. علاوة على ذلك، يشير الشك الفلسفي فيما يتعلق بموثوقية المصادر التاريخية إلى أهمية التقييم النقدي للافتراضات المسبقة والأدلة اللاحقة على حد سواء. إن فهم التباين بين المعرفة السابقة والمعرفة اللاحقة يساعد في فهم الأساليب المعرفية المختلفة للحصول على المعرفة،⁽⁴¹⁾ وخاصة في علوم التاريخ، حيث يكون لكل نوع من المعرفة مدخلات مختلفة في فهم الأحداث والسرديات المعقدة.

تعتمد المعرفة اللاحقة على الأدلة التجريبية أو الخبرة. لا يستطيع المرء أن يعرف أي شيء بعدي دون الاعتماد على الملاحظة أو الخبرة الحسية. على سبيل المثال، تتطلب عبارة "إنها تمطر في الخارج" فحص الظروف الجوية، وبالتالي المعرفة اللاحقة لأنه لا يمكن معرفتها دون تجربة الموقف. يأتي الفرق فيما يتعلق بالمعرفة التاريخية. قد تنطوي المعرفة السابقة في التاريخ على نظريات عامة أو مبادئ توجه تفسير البيانات،⁽⁴²⁾ مثل مفاهيم السببية أو التغيير التاريخي التي لا تدعمها الأدلة التجريبية. تنبع المعرفة اللاحقة في الدراسات التاريخية من النظر في المصادر الأولية والتحف والشهادات من الأفراد، والتي يستخدمها المؤرخون بعد ذلك لبناء أوصاف الماضي. التفاعل بين هذه الأنواع من المعرفة معقد. لا يمكن للمؤرخ أن يمتلك سوى معرفة نظرية قبلية للحركات الاجتماعية ولكن عليه أن يعتمد على بيانات تاريخية لاحقة عند إثبات أي ادعاء حول حركة أو أخرى. سيوفر هذا التوازن أساساً نظرياً وتجريبياً سليماً للتفسيرات التاريخية. كما يثير هذا تساؤلات حول موثوقية وصلاحيّة الادعاءات التاريخية، لأن الافتراضات المسبقة تؤدي إلى التحيزات إذا لم يتم وضعها ضد أدلتها التجريبية، في حين أن الاعتماد المفرط على الأدلة اللاحقة دون سياق نظري يؤدي إلى فهم مجزأ.⁽⁴³⁾ إن التمييز بين الأدلة المسبقة واللاحقة مهم لفهم كيفية اكتساب أنواع مختلفة من المعرفة. يمكن معرفة الافتراضات المسبقة بشكل مستقل عن الخبرة، في حين أن الافتراضات اللاحقة هي تلك التي تعتمد على الخبرة. يلعب هذا التمييز دوراً مهماً في نظرية المعرفة، وخاصة لأي نظرية معنية بطبيعة التبرير أو اكتساب المعرفة في العديد من المجالات.

نظرية المعرفة التاريخية

إن نظرية المعرفة التاريخية هي نهج دقيق في مجال نظرية المعرفة يؤكد على أهمية السياق التاريخي في فهم ادعاءات المعرفة. ويزعم هذا المنظور أن المعرفة ليست كياناً ثابتاً بل تتشكل بدلاً من ذلك من خلال عوامل ثقافية واجتماعية وتاريخية، وتتطور بمرور الوقت مع تغير هذه السياقات. وهناك مفهوم رئيسي آخر، يمكن تسميته ببيان نظرية المعرفة التاريخية، يعترض على فكرة العالمية في نظرية المعرفة من خلال جعل المعرفة محدودة بالسياق. يقترح علماء المعرفة التاريخيون - مفكرون مثل لورين داستون - أن ظروف إنتاج المعرفة تشمل أبعاداً مادية واجتماعية وتاريخية، مرتبطة بالممارسات والمعتقدات العلمية.⁽⁴⁴⁾ ويوسع هانز يورج راينبرجر هذا من خلال تحويل الانتباه إلى الظروف المادية للمعرفة العلمية، مؤكداً على العلاقة غير القابلة للفصل بين أشياء التحقيق والمفاهيم التي تم إنشاؤها لتفسيرها.⁽⁴⁵⁾ في الواقع، تطورت مفاهيم المعرفة عبر الزمن بسبب التفاعل المعقد بين العوامل الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية. لقد ساعد التحول من التقاليد الشفهية إلى السجلات المكتوبة في بلاد ما بين النهرين في عام 3500 قبل الميلاد⁽⁴⁶⁾ في إعادة تنظيم كيفية الحفاظ على المعرفة ونقلها، مما مكن من تشكيل وتطوير مجتمعات أكثر تعقيداً والدراسة المنهجية للأشياء. لقد حولت الثورة العلمية المعرفة من خلال الإصرار على الملاحظة التجريبية والعقلانية، وبالتالي تم إعادة تشكيل التحقيقات الفلسفية في طبيعة المعرفة نفسها. يؤثر السياق التاريخي بشكل كبير على نوع المعرفة التي تعتبر شرعية من خلال الأوساط الاجتماعية، والمعايير الثقافية، وتطور البنى المعرفية ذاتها. المعرفة مدمجة دائماً في النسيج الاجتماعي

لوقت معين، وتعتمد صلاحيتها على بنية المجتمعات وتوزيع القوة فيها. ثانيًا، يتم تنظيم الأشكال المقبولة من المعرفة من خلال المعايير الثقافية، حيث تعارض طرق المعرفة المختلفة في الثقافات المختلفة النموذج الهيمني تتعامل نظرية المعرفة التاريخية بشكل أساسي مع طريقة اكتساب المعرفة وإثبات صحتها وفهمها عن الماضي. إنها تتطلب التقييم النقدي للمصادر - الأولية والثانوية، والتأريخ، والنظر في السياق التاريخي لتجنب التناقض الزمني. يتناول هذا النهج أيضًا قضايا الذاكرة والشكوك الفلسفية من خلال الاعتراف بالطبيعة المؤقتة للمعرفة التاريخية. تنظر نظرية المعرفة التاريخية إلى المعرفة باعتبارها نتاجًا لوقتها الخاص،⁽⁴⁷⁾ وتحددها عوامل خارجية مختلفة بدلاً من البحث المجرد عن الحقيقة. إنها تشكك في الافتراضات التي يركز عليها هيكلنا المعرفي الحالي وتؤكد على الطبيعة الديناميكية للاستقصاء العلمي وإنتاج المعرفة.

تطور المفاهيم المحيطة بالحقيقة

إن تطور المفاهيم المحيطة بالحقيقة والإيمان والتبرير في نظرية المعرفة يعكس المناقشات الفلسفية الأوسع نطاقاً، وخاصة بين العقلانية والتجريبية. وقد شكلت هذه المناقشات بشكل كبير فهمنا لاكتساب المعرفة وطبيعة الواقع. إن العقلانية، كما تجسدت في رينيه ديكارت، تؤكد على دور العقل كمصدر أساسي للمعرفة. لقد رغب ديكارت في المعرفة القائمة على حقائق لا تقبل الشك؛ فطبق أسلوب الشك الذي تخلى من خلاله عن كل المعتقدات التي كانت موضع شك. وكان الاستنتاج الشهير الذي توصل إليه هو "أنا أفكر، إذن أنا موجود" - وهي عبارة لاتينية تعني "أنا أفكر، إذن أنا موجود" - وهو ما يعزز اعتقاده بأن المعرفة الذاتية والفكر العقلاني هما

الشكلان الأكثر يقيناً للمعرفة. ومع ذلك تمكن ديكارت من القول بوجود إله كامل يضمن أن تكون الإدراكات الواضحة والمتميزة صحيحة، في حين يجب أن تستند المعرفة إلى البصيرة العقلانية⁽⁴⁸⁾ بدلاً من التجربة الحسية لأن الأخيرة قد تكون خادعة.

وعلى العكس من ذلك، يعتقد التجريبيون مثل ديفيد هيوم أن المعرفة تُكتسب في المقام الأول من خلال التجارب الحسية. وزعم هيوم أن كل الأفكار مستمدة من الانطباعات وأن معرفتنا بالعالم تستند إلى هذه الانطباعات.⁽⁴⁹⁾ وكان متشككاً في إمكانية تحقيق معرفة معينة من خلال العقل وحده؛ وبدلاً من ذلك، أكد على أن الاعتقادات المتعلقة بالسببية والعالم الخارجي، على سبيل المثال، لا تبررها العقل بل من خلال العادة والخبرة. وتفتح تجريبية هيوم هجوماً على وجهة النظر العقلانية من خلال طرح فكرة أن مفاهيمنا ومعتقداتنا تعتمد على خبرتنا بالعالم وليس الأفكار الفطرية أو الاستنتاج العقلاني المحض.⁽⁵⁰⁾ وتزيد نظرية المعرفة التاريخية من تعقيد هذه المناقشات من خلال معالجة مسألة كيفية فهمنا وتبريرنا وإثبات معرفتنا بالماضي. وعادة ما يتم استنتاج الحقائق التاريخية من الأدلة، مثل الوثائق والتحف والشهادات، وهو ما ينطوي على علاقة معقدة للغاية بين الأدلة والحقيقة.⁽⁵¹⁾ ويتعين على المؤرخين أن يشقوا طريقهم عبر التحيزات داخل المصادر والأطر التفسيرية التي يطبقونها عليها. إن الصعوبة تكمن في إقامة روايات حقيقية للأحداث التي وقعت في الماضي، وذلك لأن أغلب الروايات التاريخية تأتي من مصادر غير كاملة أو منحازة. وهذا يشمل تقييم المصادر بشكل نقدي، وربط مجموعات الروايات ببعضها البعض، ووضع المصادر في سياق إنتاجها. ومن ناحية أخرى، تبرز

الشكوكية الفلسفية في نظرية المعرفة التاريخية في التشكيك في فكرة إمكانية معرفة أي شيء عن الماضي.⁽⁵²⁾ وقد تظهر مظاهر أخرى لهذه الشكوكية في المناقشات حول ما إذا كانت تفسيراتنا يمكن أن تكون دقيقة تماماً أم أنها مجرد إعادة بناء تستند إلى القيم والمفاهيم المعاصرة. كما تتضمن مشكلة جيتيه، التي تتساءل عما إذا كان "الاعتقاد الحقيقي المبرر" يحدد المعرفة حقاً، وتنشأ بعض الشكوك المماثلة حول ما إذا كان المؤرخ قد يكون لديه اعتقاد مبرر بشأن حدث ما إذا كان يستند إلى أدلة معيبة أو غير كاملة. ويبرز تطور هذه المفاهيم انقساماً واضحاً داخل الفلسفة فيما يتعلق بمصادر المعرفة وطبيعتها.⁽⁵³⁾ ففي حين تؤيد العقلانية اليقين بالعقل، تصر التجريبية على التجربة الحسية كأساس للاعتقاد والتبرير. ويشكل هذا التفاعل المستمر وجهة نظرنا حول الحقيقة والمعرفة اليوم، مما يؤثر على المناقشات المعاصرة في الفلسفة والعلوم، وحتى علم النفس الإدراكي.

تحديد الإطار

نظرية المعرفة تعمل على تحديد الأطر الضرورية التي تساعدنا على فهم الكيفية التي تشكل بها السياقات التاريخية تصوراتنا للمعرفة واكتسابها. وهي تتعامل مع طبيعة المعرفة ومصادرها وحدودها، وتبين أن فهمنا ليس ثابتاً أبداً ولكنه يتشكل من خلال مجموعة متنوعة من العوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية.⁽⁵⁴⁾ ومن المجالات الرئيسية لنظرية المعرفة نظرية المعرفة التاريخية،⁽⁵⁵⁾ التي تدرس الطرق التي يتم بها تحديد موقع المعرفة تاريخياً واجتماعياً. ويؤكد هذا النهج على أن المعرفة، كما كانت، في حالة تغير بمرور الوقت، وتتأثر بالمعايير الثقافية، والاختراقات العلمية، والمناظرات

الفلسفية. على سبيل المثال، كتبت لورين داستون أن نظرية المعرفة التاريخية تشجع على طرح الأسئلة حول الظروف التاريخية التي كان من الممكن بموجبها التفكير في شيء ما، والأهم من ذلك، أن "محتوى المعرفة ذاته يتغير جذرياً بمرور الوقت". ومن الجوانب المهمة الأخرى لنظرية المعرفة التفاعل بين مصادر المعرفة المختلفة، مثل العقلانية والتجريبية. إن العقلانية تعتقد أن المعرفة مستمدة في المقام الأول من العقل والأفكار الفطرية، في حين تؤكد التجريبية أنها مستمدة من الخبرة الحسية والملاحظة. ويعكس التوتر بين هذه المصادر مناقشات تاريخية أوسع نطاقاً ويؤثر على كيفية بناء ادعاءات المعرفة.⁽⁵⁶⁾ ويفرض الشك تحديات كبيرة على نظرية المعرفة من خلال التشكيك في طبيعة وحدود المعرفة البشرية. ويزعم أننا لا نستطيع أن نمتلك معرفة مؤكدة عن العالم الخارجي، مما يؤدي إلى معضلات فلسفية مثل الشك في العالم الخارجي، الذي يشكك في موثوقية الخبرة الحسية كمصدر للمعرفة. وتقترح الاستجابات للشك، مثل السياقية، أن معايير ادعاءات المعرفة تتغير بالفعل مع السياق وتسمح لمطالبات المعرفة في المواقف اليومية بالمرور على الرغم من التدقيق الشككي الدقيق. وتتعامل نظرية معرفة المعرفة التاريخية على وجه التحديد مع كيفية اكتسابنا وتبريرنا وإثبات معرفتنا بالماضي.⁽⁵⁷⁾ وتنظر في طبيعة الأدلة التاريخية، والأساليب التي يستخدمها المؤرخون لتفسير هذه الأدلة، والآثار الفلسفية للادعاءات التاريخية. إن نظرية المعرفة هي علم شامل، وهو يشمل تقييم مصداقية المصادر، سواء كانت أولية أو ثانوية، وكذلك النظر في العلاقة القائمة بين السياق وتفسير الأحداث. وتوفر نظرية المعرفة أطراً حاسمة يمكن من خلالها تحليل كيفية تأثير السياقات التاريخية على

تصوراتنا لطبيعة المعرفة واكتسابها. وتشير العلاقة المتبادلة بين مصادر المعرفة المتنوعة والتحديات التي يفرضها التشكك إلى الطبيعة الديناميكية للاستقصاء المعرفي.⁽⁵⁸⁾ ومن خلال التحرك عبر مثل هذا التعقيد، فإن مفاهيمنا عن المعرفة تتجذربقوة في السرديات التاريخية التي ننتمي إليها وفي التقاليد الفلسفية التي نتواصل معها.

الخاتمة

إن نظرية المعرفة التاريخية هي فلسفة تعبر عن تاريخ وتطور المعرفة عبر الزمن. وهي تدرس كيف تحولت المفاهيم المختلفة للمعرفة عبر التاريخ وكيف يؤثر هذا التحول على الاعتبارات الحالية للمعرفة. وهي تشمل السياق التاريخي لتوضيح تصرف النظريات والممارسات تجاه نظرية المعرفة. وتستكشف نظرية المعرفة التاريخية نشأة وتحولات وتداعيات ادعاءات المعرفة في التاريخ. وهي تحاول أن تكون مقتنعة بأن التقاليد الفلسفية المختلفة في جميع أنحاء العالم قد تناولت المعرفة وأنواعها، مثل الافتراضات أو المعرفة-ذلك، والمعرفة-الإجرائية أو معرفة-كيف، من بين أمور أخرى. ويدرك هذا المجال أن أي نظرية معرفية لا توجد في فراغ، ولكن السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية تؤثر عليها. على سبيل المثال، جلب التنوير تغييرات خطيرة في الطريقة التي يُنظر بها إلى المعرفة من خلال التركيز بشكل كبير على العقل والدليل. يمضي العديد من علماء المعرفة التاريخية في استخدام أساليب متعددة التخصصات، ويجمعون بين رؤى من التاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة للتفكير في كيفية بناء المعرفة وشرعيتها بمرور الوقت. يتضمن هذا دراسة النصوص من التقاليد الفلسفية المختلفة لمعرفة كيف تطورت المفاهيم الأساسية.

إن فهم نظرية المعرفة التاريخية سيساعد في فهم التحديات المعرفية المعاصرة؛ على سبيل المثال، تزداد الشكوك حول ادعاءات المعرفة مع عالم معقد بسرعة. في هذا السياق، ستمكن النظريات السابقة وسياقاتها المدروسة الفيلسوف المعاصر من فهم المناقشات الحالية حول طبيعة المعرفة وحدودها بشكل أفضل. توفر نظرية

المعرفة التاريخية نظرة ثاقبة حول كيفية تطور فهمنا للمعرفة. إنها تبرز كيف تتفاعل التطورات التاريخية والنظريات المعرفية مع بعضها البعض، مما يُظهر أن مفاهيمنا الحالية للمعرفة تعتمد بشكل كبير على السياقات التاريخية. من المؤكد أن هذه النظرة تدعو إلى التأمل المستمر حول كيفية وصولنا إلى المعرفة وإثبات صحتها اليوم.

- (14) Goldman, A. (1967). A causal theory of knowing. *Journal of Philosophy*, 64(12), 357-372.
- (15) Nagel, J. (2016). Knowledge and reliability. *Goldman and His Critics*, 235-258.
- (16) DePaul, M. R., & Zagzebski, L. T. (Eds.). (2003). *Intellectual virtue: Perspectives from ethics and epistemology*. Clarendon Press.
- (17) Bonjour, L. (2017). The dialectic of foundationalism and coherentism. *The Blackwell guide to epistemology*, 117-142.
- (18) Sosa, E. (1980). The foundations of foundationalism. *Nous*, 547-564.
- (19) Bonjour, L. (2017). The dialectic of foundationalism and coherentism. *The Blackwell guide to epistemology*, 117-142.
- (20) Megill, A. (2007). *Historical knowledge, historical error: A contemporary guide to practice*. University of Chicago Press.
- (21) Somers, M. R. (1996). Where is sociology after the historic turn? Knowledge cultures, narrativity, and historical epistemologies. *The historic turn in the human sciences*, 53-89.
- (22) Sosa, E. (1980). The foundations of foundationalism. *Nous*, 547-564.
- (23) DePaul, M. (2011). Foundationalism. In *The Routledge companion to epistemology* (pp. 235-244). Routledge.
- (24) Williams, M. (1980). Coherence, justification, and truth. *The Review of Metaphysics*, 243-272.
- (25) Olsson, E. J. (2005). *Against coherence: Truth, probability, and justification*. Oxford University Press.
- (26) Raz, J. (1992). The relevance of coherence. *BUL Rev.*, 72, 273.
- (27) Hintikka, J. (2012). *Knowledge and the known: Historical perspectives in epistemology* (Vol. 11). Springer Science & Business Media.
- (1) Rodríguez-Moneo, M., & Lopez, C. (2017). Concept acquisition and conceptual change in history. In *Palgrave handbook of research in historical culture and education* (pp. 469-490). London: Palgrave Macmillan UK.
- (2) Unger, R. (1971). The Problem of Historical Objectivity. A Sketch of Its Development to the Time of Hegel [1923]. *History and Theory*, 11, 60-86.
- (3) Pompa, L. (1990). *Human nature and historical knowledge: Hume, Hegel and Vico*. Cambridge University Press.
- (4) Megill, A. (2007). *Historical knowledge, historical error: A contemporary guide to practice*. University of Chicago Press.
- (5) Hughes-Warrington, M. (2003). 'How Good an Historian Shall I Be?': RG Collingwood, the Historical Imagination and Education (Vol. 2). Imprint Academic.
- (6) Baragwanath, E. (2008). *Motivation and narrative in Herodotus*. OUP Oxford.
- (7) Lehrer, K., & Paxson, T. (1969). Knowledge: Undefeated justified true belief. *The Journal of Philosophy*, 66(8), 225-237.
- (8) Sturgeon, S. (1993). The gettier problem. *Analysis*, 53(3), 156-164.
- (9) Feest, U., & Sturm, T. (2011). What (good) is historical epistemology? Editors' introduction. *Erkenntnis*, 75, 285-302.
- (10) Gedi, N., & Elam, Y. (1996). Collective memory—what is it?. *History and memory*, 8(1), 30-50.
- (11) Schukraft, J. (2017). *An Analysis of Edmund Gettier's Is Justified True Belief Knowledge?*. Macat Library.
- (12) Zagzebski, L. (1994). The inescapability of Gettier problems. *The Philosophical Quarterly* (1950-), 44(174), 65-73.
- (13) Camp, J. L. (2004). *Confusion: A study in the theory of knowledge*. Harvard University Press.

- (28) Feest, U., & Sturm, T. (2011). What (good) is historical epistemology? Editors' introduction. *Erkenntnis*, 75, 285-302.
- (29) Somers, M. R. (1996). Where is sociology after the historic turn? Knowledge cultures, narrativity, and historical epistemologies. *The historic turn in the human sciences*, 53-89.
- (30) Stough, C. L. (2022). *Greek skepticism: A study in epistemology*. Univ of California Press.
- (31) Ewald, F. (2002). The return of Descartes's malicious demon: An outline of a philosophy of precaution. *Embracing risk: The changing culture of insurance and responsibility*, 273-301.
- (32) Beyssade, J. M. (2008). Descartes' 'I am a Thing that Thinks' versus Kant's 'I Think'. *Kant and the Early Moderns*, Princeton University Press, Princeton, 32-40.
- (33) Bailey, A. (2002). *Sextus Empiricus and Pyrrhonian Scepticism*. Oxford University Press.
- (34) Lammenranta, M. (2013). The role of disagreement in Pyrrhonian and Cartesian skepticism. In *Disagreement and skepticism* (pp. 46-65). Routledge.
- (35) Olshewsky, T. M. (1991). The classical roots of Hume's skepticism. *Journal of the History of Ideas*, 52(2), 269-287.
- (36) Beards, A. (1994). Reversing historical skepticism: Bernard Lonergan on the writing of history. *History and Theory*, 198-219.
- (37) Greco, J. (2000). *Putting skeptics in their place* (p. 2000). Cambridge: Cambridge University Press.
- (38) Williamson, T. (2013). Between A Priori and A Posteriori Knowledge?. *The a priori in philosophy*, 291.
- (39) Rosefeldt, T. (2019). Kant on Imagination and the Intuition of Time. *The Imagination in German Idealism and Romanticism*, 48-66.
- (40) Williamson, T. (2013). Between A Priori and A Posteriori Knowledge?. *The a priori in philosophy*, 291.
- (41) Kitcher, P. (1980). A priori knowledge. *The Philosophical Review*, 89(1), 3-23.
- (42) McGinn, C. (1975, January). "A Priori" and "A Posteriori" Knowledge. In *Proceedings of the Aristotelian Society* (Vol. 76, pp. 195-208). Aristotelian Society, Wiley.
- (43) Benfield, D. W. (1974). The a priori--a posteriori distinction. *Philosophy and Phenomenological Research*, 35(2), 151-166.
- (44) Daston, L. (2007). The history of emergences. *Isis*, 98(4), 801-808.
- (45) Rheinberger, H. J. (2010). *On historicizing epistemology: an essay*. Stanford University Press.
- (46) Peyronel, L. (2021). A varied world of written words: some thoughts on the oldest materiality of scribal and record-keeping practices in the ancient Near East, c. 3500-2400 BCE. *Pasiphae: rivista di filologia e antichità egee*: XV, 2021, 227-239.
- (47) Hintikka, J. (2012). *Knowledge and the known: Historical perspectives in epistemology* (Vol. 11). Springer Science & Business Media.
- (48) Paul, E. S. (2018). Descartes's anti-transparency and the need for radical doubt.
- (49) Westphal, K. R. (2013). Hume, Empiricism and the generality of Thought. *Dialogue: Canadian Philosophical Review/Revue canadienne de philosophie*, 52(2), 233-270.
- (50) Rohmann, C. (2000). *A world of ideas: A dictionary of important theories, concepts, beliefs, and thinkers*. Ballantine books.
- (51) Swayne, J. (2008). Truth, proof and evidence. *Homeopathy*, 97(02), 89-95.
- (52) Feest, U., & Sturm, T. (2011). What (good) is historical epistemology? Editors' introduction. *Erkenntnis*, 75, 285-302.
- (53) Tucker, A. (2004). *Our knowledge of the past: A philosophy of historiography*. Cambridge University Press.

(⁵⁴) Sikes, S. (2023). Theoretical and Epistemological Frameworks. In *Toward New Possibilities for Library and Information Science: The Use of Social Media in the 2018 West Virginia Teachers' Strike* (Vol. 51, pp. 41-64). Emerald Publishing Limited.

(⁵⁵) Rüsen, J. (2017). *Evidence and Meaning: A theory of historical studies* (Vol. 28). Berghahn Books.

(⁵⁶) Audi, R. (2010). *Epistemology: A contemporary introduction to the theory of knowledge*. Routledge.

(⁵⁷) Tucker, A. (2004). *Our knowledge of the past: A philosophy of historiography*. Cambridge University Press.

(⁵⁸) Pompa, L. (1990). *Human nature and historical knowledge: Hume, Hegel and Vico*. Cambridge University Press.

9. DePaul, M. (2011). Foundationalism. In *The Routledge companion to epistemology* (pp. 235-244). Routledge.
10. DePaul, M. R., & Zagzebski, L. T. (Eds.). (2003). *Intellectual virtue: Perspectives from ethics and epistemology*. Clarendon Press.
11. Ewald, F. (2002). The return of Descartes's malicious demon: An outline of a philosophy of precaution. *Embracing risk: The changing culture of insurance and responsibility*, 273-301.
12. Feest, U., & Sturm, T. (2011). What (good) is historical epistemology? Editors' introduction. *Erkenntnis*, 75, 285-302.
13. Gedi, N., & Elam, Y. (1996). Collective memory—what is it?. *History and memory*, 8(1), 30-50.
14. Goldman, A. (1967). A causal theory of knowing. *Journal of Philosophy*, 64(12), 357-372.
15. Greco, J. (2000). *Putting skeptics in their place* (p. 2000). Cambridge: Cambridge University Press.
16. Hintikka, J. (2012). *Knowledge and the known: Historical perspectives in epistemology* (Vol. 11). Springer Science & Business Media.

References

1. Audi, R. (2010). *Epistemology: A contemporary introduction to the theory of knowledge*. Routledge.
2. Bailey, A. (2002). *Sextus Empiricus and Pyrrhonian Scepticism*. Oxford University Press.
- a. Baragwanath, E. (2008). *Motivation and narrative in Herodotus*. OUP Oxford.
3. Beards, A. (1994). Reversing historical skepticism: Bernard Lonergan on the writing of history. *History and Theory*, 198-219.
4. Benfield, D. W. (1974). The a priori--a posteriori distinction. *Philosophy and Phenomenological Research*, 35(2), 151-166.
5. Beyssade, J. M. (2008). Descartes' 'I am a Thing that Thinks' versus Kant's 'I Think'. *Kant and the Early Moderns*, Princeton University Press, Princeton, 32-40.
6. Bonjour, L. (2017). The dialectic of foundationalism and coherentism. *The Blackwell guide to epistemology*, 117-142.
7. Camp, J. L. (2004). *Confusion: A study in the theory of knowledge*. Harvard University Press.
8. Daston, L. (2007). The history of emergences. *Isis*, 98(4), 801-808.

26. Olsson, E. J. (2005). *Against coherence: Truth, probability, and justification*. Oxford University Press.
 - a. Paul, E. S. (2018). Descartes's anti-transparency and the need for radical doubt.
27. Peyronel, L. (2021). A varied world of written words: some thoughts on the oldest materiality of scribal and record-keeping practices in the ancient Near East, c. 3500-2400 BCE. *Pasiphae: rivista di filologia e antichità egee*: XV, 2021, 227-239.
28. Pompa, L. (1990). *Human nature and historical knowledge: Hume, Hegel and Vico*. Cambridge University Press.
29. Raz, J. (1992). The relevance of coherence. *BUL Rev.*, 72, 273.
30. Rheinberger, H. J. (2010). *On historicizing epistemology: an essay*. Stanford University Press.
31. Rodríguez-Moneo, M., & Lopez, C. (2017). Concept acquisition and conceptual change in history. In *Palgrave handbook of research in historical culture and education* (pp. 469-490). London: Palgrave Macmillan UK.
32. Rohmann, C. (2000). *A world of ideas: A dictionary of important theories, concepts, beliefs, and thinkers*. Ballantine books.
17. Hintikka, J. (2012). *Knowledge and the known: Historical perspectives in epistemology* (Vol. 11). Springer Science & Business Media.
18. Hughes-Warrington, M. (2003). 'How Good an Historian Shall I Be?': RG Collingwood, the Historical Imagination and Education (Vol. 2). Imprint Academic.
19. Kitcher, P. (1980). A priori knowledge. *The Philosophical Review*, 89(1), 3-23.
20. Lammenranta, M. (2013). The role of disagreement in Pyrrhonian and Cartesian skepticism. In *Disagreement and skepticism* (pp. 46-65). Routledge.
21. Lehrer, K., & Paxson, T. (1969). Knowledge: Undefeated justified true belief. *The Journal of Philosophy*, 66(8), 225-237.
22. McGinn, C. (1975, January). "A Priori" and "A Posteriori" Knowledge. In *Proceedings of the Aristotelian Society* (Vol. 76, pp. 195-208). Aristotelian Society, Wiley.
23. Megill, A. (2007). *Historical knowledge, historical error: A contemporary guide to practice*. University of Chicago Press.
24. Nagel, J. (2016). Knowledge and reliability. *Goldman and His Critics*, 235-258.
25. Olshewsky, T. M. (1991). The classical roots of Hume's skepticism. *Journal of the History of Ideas*, 52(2), 269-287.

42. Tucker, A. (2004). *Our knowledge of the past: A philosophy of historiography*. Cambridge University Press.
43. Unger, R. (1971). The Problem of Historical Objectivity. A Sketch of Its Development to the Time of Hegel [1923]. *History and Theory*, 11, 60-86.
44. Westphal, K. R. (2013). Hume, Empiricism and the generality of Thought. *Dialogue: Canadian Philosophical Review/Revue canadienne de philosophie*, 52(2), 233-270.
45. Williams, M. (1980). Coherence, justification, and truth. *The Review of Metaphysics*, 243-272.
46. Williamson, T. (2013). Between A Priori and A Posteriori Knowledge?. *The a priori in philosophy*, 291.
47. Zagzebski, L. (1994). The inescapability of Gettier problems. *The Philosophical Quarterly* (1950), 44(174), 65-73.
33. Rosefeldt, T. (2019). Kant on Imagination and the Intuition of Time. *The Imagination in German Idealism and Romanticism*, 48-66.
34. Rüsen, J. (2017). *Evidence and Meaning: A theory of historical studies* (Vol. 28). Berghahn Books.
35. Schukraft, J. (2017). *An Analysis of Edmund Gettier's Is Justified True Belief Knowledge?*. Macat Library.
36. Sikes, S. (2023). *Theoretical and Epistemological Frameworks*. In *Toward New Possibilities for Library and Information Science: The Use of Social Media in the 2018 West Virginia Teachers' Strike* (Vol. 51, pp. 41-64). Emerald Publishing Limited.
37. Somers, M. R. (1996). Where is sociology after the historic turn? Knowledge cultures, narrativity, and historical epistemologies. *The historic turn in the human sciences*, 53-89.
38. Sosa, E. (1980). The foundations of foundationalism. *Nous*, 547-564.
39. Stough, C. L. (2022). *Greek skepticism: A study in epistemology*. Univ of California Press.
40. Sturgeon, S. (1993). The gettier problem. *Analysis*, 53(3), 156-164.
41. Swayne, J. (2008). Truth, proof and evidence. *Homeopathy*, 97(02), 89-95.

"علال الفاسي والثورة الجزائرية"

- من خلال وثيقة سياسية خاصة من الأرشيف الوطني لما وراء البحار بإيكس - أون بروفانس

FR (A.N.O.M.), Boite N°: - 4421/93

الأستاذ الدكتور لصبر الدين لعوج

جامعة سيدي بلعباس / الجمهورية الجزائرية

Résumé:

Le secrétaire générale du Parti de l'Istiqlal Marocain a adressé un message aux combattants de la révolution algérienne qui reprochait clairement et fermement au Front de libération nationale d'avoir assisté à la conférence de l'Organisation de solidarité des peuples afro-asiatiques tenue au Caire entre fin décembre 1957 et 1er janvier 1958. Il comprenait un discours nationaliste arabo-islamique fraternel, plein d'espoir pour l'unité du Maghreb arabe, et le soutien et la victoire de la révolution algérienne, et en même temps il comprenait des conseils directifs avec de bonnes intentions pour rassembler la diaspora, et mettant en garde contre les dangers des conséquences de la domination communiste sur la révolution algérienne en particulier et sur l'unité du Maghreb arabe en général.

Title: Allal El fassi and the Algerian revolution

Keyword:

Allal El fassi; the Algerian revolution ; A special letter;
The dangers of communism ; Unit Maghrebin;

الكلمات المفتاحية:

علال الفاسي؛ الثورة الجزائرية، رسالة خاصة، سنة 1957؛ خطر الشيوعية؛ الوحدة المغربية؛

الملخص:

أرسل زعيم حزب الاستقلال المغربي رسالة لمناضلي الثورة الجزائرية تضمنت عتابا صريحا وشديدا للهجرة لجهة التحرير الوطني عن حضور مؤتمر منظمة تضامن الشعوب الأفرو-أسيوية المنعقد بالقاهرة بين أواخر ديسمبر 1957 و01 يناير 1958، وتخللها خطاب أخوي قومي عربي إسلامي، مفعم بأمل وحدة المغرب العربي، ونصرة وانتصار الثورة الجزائرية، وتضمن في نفس الوقت نصائح توجيهية بنوايا طيبة لجمع الشتات، والتحذير من مخاطر مغبة الهيمنة الشيوعية على الثورة الجزائرية خاصة ووحدة المغرب العربي عامة.

Titre : Allal Al-Fassi et la révolution algérienne

- D'après un document politique spécial FR

(A.N.O.M.), Boite N°: 93/4421-

Mots-clés :

Allal Al Fassi ; La Révolution algérienne, lettre privée, 1957; Le danger du communisme; l'unité du Maghreb;

الشتات، والتحذير من مخاطر مغبة الهيمنة الشيوعية على الثورة الجزائرية خاصة ووحدة المغرب العربي عامة. حاولنا بالاعتماد على المنهج التاريخي استنطاق مضمونها وتعليل ظروفها واستخلاص أبعادها الحضارية.

1- علال الفاسي وعلاقاته بالثوار الجزائريين:

1.1 شخصية علال الفاسي:

ساهمت العديد من مؤلفات السير الذاتية العربية والأجنبية لحياة في التعريف بهالزعيم الاستقلالي "علال الفاسي" (1910-1974) كمعلم مغربي من معالم الإنسانية، وكشفت عن مكان من العبقرية الحقيقية في شخصه، باعتباره رائد النضال السياسي الحزبي في المغرب الأقصى، وزعيم سياسي رائد في المغرب العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة، ومفاوض دولي بارع، والمفكر المصلح، والأديب الشاعر الملتزم، الذي توفرت فيه كل خصال الزعماء الحريصين بكل إصرار وتمسك وصدق على ممارسة دورهم القيادي في خدمة الشعب المغربي والوحدة المغربية والشعوب العربية والإنسانية، باختصار شديد مثل الشخصية المغربية⁽¹⁾ الأكثر كاريزيمة، التي تمثل الزعامة المهمة القائدة والفاعلة

1.2 علاقة علال الفاسي بالثوار الجزائريين:

لم يستثن الفكر النضالي للزعيم "علال الفاسي" إخوته المناضلين الجزائريين إبان الثورة التحريرية (1954-1962) ومن خلالهم الشعب الجزائري بإسداء النصائح والتوجيهات وإبداء الرأي السديد، حيث يسجل له التاريخ المشترك مواقف بطولية رائدة منذ محاولته الأولى لرأب الصدع بين الجزائريين (الإخوة الأعداء) من خلال رسالته للزعيم الجزائري "مصالي الحاج" ينصحه فيها بالتراجع عن فكرة عقد المؤتمر الانفصالي الذي كان ينوي عقده في مدينة أورنو ببلجيكا بين 14-15/07/1954م لتأسيس

Abstract:

The leader of the Moroccan Independence Party sent a letter to the fighters of the Algerian revolution that included a frank and stern reproach to the National Liberation Front for attending the Afro-Asian Peoples' Solidarity Organization conference held in Cairo between late December 1957 and January 1, 1958, and interspersed with a fraternal Arab-Islamic nationalist speech filled with the hope of the unity of the Arab Maghreb. The victory and victory of the Algerian revolution, and at the same time included guiding advice with good intentions to gather the diaspora, and warn of the dangers of communist domination of the Algerian revolution in particular and the unity of the Maghreb in general.

مقدمة:

اكتشفت صدفة خلال البحث في وثائق الأرشيف الوطني لما وراء البحر 93/4421 بإيكس- أون- بروفانس بمرسيليا (فرنسا) علبة رقم:

الخاصة ببيانات ونصوص جبهة التحرير الوطني وثيقة أرشيفية عبارة عن رسالة تاريخية سياسية خاصة مكتوبة بلغة فرنسية، ذات أبعاد حضارية أخوية قومية عربية مفعمة بأمل وحدة المغرب العربي، أرسلها الزعيم الاستقلالي المغربي "علال الفاسي" موجهة إلى مناضلي جبهة التحرير الوطني بالقاهرة بدون تاريخ، لكن مضمونها يتحدث عن عتاب صريح وشديد للهجة لجبهة التحرير الوطني عن حضور مؤتمر منظمة تضامن الشعوب الأفرو-أسيوية المنعقد بالقاهرة بين أواخر ديسمبر 1957 و01 يناير 1958، ويتضمن نصائح توجيهية بنوايا طيبة لجمع

يذكره فيها بمخاطر (MNA) حزبه الجديد: "الحركة الوطنية الجزائرية"⁽²⁾ تفرقة وحدة النضال الجزائري الثوري الاستقلالي ويظل ندائه الأول الموجه مباشرة للشعب الجزائري عشية اندلاع الثورة المسلحة في أول نوفمبر 1954 خالدا مؤكدا شعبيته، ومستبشرا بميلادها، ومنمها بقوتها، ومبشرا بانتصارها، وسباقا للاعتراف بها بقوله: «أيها الشعب الجزائري الكريم (...) وباسم مراكش الشقيقة وحركتها الاستقلالية العظيمة (...) أعبر لك عن عظيم إعجابي (...) حين انبعثت منك هذه الشعلة المضيفة التي تنير الأفق في المغرب العربي كله، وهنئتك بالموافاة العظيمة والغمرات الجسيمة التي تخوضها دفاعا عن حقك، واستبسالا في سبيل حريتك ونصرة لدينك وعروبك وكبتا لأعدائك ومستعمريك، وإنها انتفاضة عظيمة ضربت المثل للشعوب المستعبدة (...)»⁽³⁾ تزلزل أركاننا متى تحركت، وتهدد دعامة الاستعباد متى انتفضت»

واستشرف "علال الفاسي" بعيون ثاقبة مستقبل وحدة المغرب العربي في عهد الاستقلال والحرية - وهو ما يؤكد الواقع الراهن - حينما ربط مصير هذه الوحدة بنجاحها خلال مرحلة الكفاح التحرري بقوله: «إذا لم نعرف كيف نوحده صفوفنا في أثناء المعركة التحريرية التي نقوم بها اليوم، فلن نستطيع أبدا تحقيق أملنا جميعا في الوحدة والحرية في⁽⁴⁾ الاستقلال»

وتشهد الوثائق الأرشيفية على دوره البطولي الرائد بمصروجهوده في توحيد عمل مناضلي المغرب العربي من خلال إسهاماته الكبرى في تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة في فبراير 1947، والذي وصفه قائلا: «أكبر مظاهر رغبة أبناء المغرب العربي في التعاون على تحرير أوطانهم الثلاثة (المغرب والجزائر وتونس)، التي توحده بينها اللغة

والدين⁽⁵⁾ والجنس والتاريخ والجغرافية ووحدة المستعمر والأمال في التحرر منه»

والذي توج بتأسيس "لجنة تحرير المغرب العربي" في 5 جانفي 1948⁽⁶⁾ برئاسة الزعيم المجاهد بطل الريف "محمد بن عبد الكريم الخطابي"

وتقلد "علال الفاسي" أمانتها العامة، وناضل جنبا إلى جنب مع نخبة من⁽⁷⁾ المناضلين الجزائريين

وأولى الدفاع عن القضية الجزائرية أهمية كبرى لا تقل عن نضاله الوطني من أجل استقلال المغرب، إلى درجة جعل منها قضية مصيرية بين الحياة أو الموت بقوله: «أما الجزائر فنحن نعتبر قضيتها في الطليعة، وأعز علينا من قضية السلام العالمي، ومن انتصار الديمقراطية على الشيوعية، أو العكس،⁽⁸⁾ لأنها قضية حياة أو موت بالنسبة إلينا».

وانفرد "علال الفاسي" بثبات مواقفه من عدالة القضية الجزائرية، وعاش متمسكا بحتمية تحريرها، وصرح بذلك في عدة مناسبات بقوله: «إننا مصممون على تحرير الجزائر ولو انقسمت الدنيا كلها ضد⁽⁹⁾ الجزائر»

وكان الزعيم يكن لمناضلي جبهة التحرير الوطني كل مظاهر الإعجاب والإخلاص والثقة والتفاؤل بنجاحهم في رسالتهم الثورية بقوله مثلا: «وكنتم دائم الإعجاب بنشاطهم وانكبابهم على أشغالهم في صوفية منقطعة النظير، أمنت دائما أنهم سيحققون للجزائر ما تصبو أنفسهم⁽¹⁰⁾ إليه، إنهم من أولئك الذين إذا أرادوا أراد الله» ولذلك عاهد الله على الالتزام برسالة شهداء الثورة الجزائرية حتى النصر بقوله في خطابه الافتتاحي بمؤتمر طنجة 1958/04/27م: «أتوجه باسمكم إلى أرواح شهداء القطر الجزائري الشقيق (...) معاهدا⁽¹¹⁾ الله على أننا سنواصل العمل من أجل المثل التي ضحوا من أجلها»،

على أساس أن⁽¹²⁾ لكن والتزاما بكلمته المشهورة: "لن أموت قبل أن أموت" التخلي عن جزء من رسالته الإنسانية هو نوع من الموت، ظل يحذر من مغبة مخاطر الغزو الثقافي، وتهديد الأمن الروحي مؤكدا أنه بقدر ما تحتفظ الأمة بمميزاتها العقائدية وخصائصها الثقافية وقيمها الحضارية، بقدر ما تسلم من الفناء ولو طال أمد استعمارها، ولما تميزه من شجاعة في التفكير و قول كلمة الحق، ولما كان يؤمن بأن المناضلين الجزائريين إخوة ورفاق الدرب، لم يتردد في توجيه كلمات العتاب واللوم لهم في أدق الظروف وأحرجها، مستهدفا النصح والتوجيه كما يعكسه مضمون هذه⁽¹³⁾ الرسالة موضوع المقال

2 - دراسة تحليلية نقدية لرسالة علال الفاسي للثوار الجزائريين:

1.2 نص الرسالة: (ينظر الملحق)

أحد⁽¹⁴⁾ رسالة من الزعيم "علال الفاسي" إلى الدكتور "إدريس معمري" مجاهدي جبهة التحرير الوطني بالقاهرة سنة 1958م

2.2 تحليل الرسالة:

يكشف الدارس لهذه الرسالة الخاصة مجموعة مواقف نضالية للزعيم "علال الفاسي"، قدمها بحرقه كنصائح لرفاقه المناضلين الجزائريين، تبقى عبرا ودروسا للتاريخ، أحاول في هذا المقال أن أتوقف عند أفكارها بالترجمة والشرح والتحليل ثم التعليق واستخلاص العبر والدروس:

- الشعور الأخوي الصادق تجاه المناضلين الجزائريين، حيث افتتح الرسالة بقوله: «إخوتي (...) العلاقات التي تجمعنا أقوى من الصداقة، الأخوة في

القومية الموحدة للمغرب العربي (...) وباسمها أخول نفسي أن أنصحكم بكل صرامة وصدق».

- موقفه المعارض للمؤتمر التضامني الإفريقي الأسبوعي بالقاهرة سنة 1957، باعتباره ليس استمرارا للقاء نيودلهي، ولا للمؤتمر التاريخي في باندونغ أبريل 1955، بل في نظره مجرد تجمع شيوعي يعمل لصالح الشيوعية العالمية، انسحب منه الإخوة التونسيون بعدما حاول المؤتمر فرض سياسة لا تخدم مصالحهم، بينما بقي الإخوة الجزائريون، ويتساءل "علال الفاسي" ماذا قدم هذا المؤتمر للقضية الجزائرية؟ ويجب مستصغرا مواقف المؤتمرين، الذين لم يستطيعوا المطالبة باستقلال الجزائر، واكتفوا بطلب حق تقرير المصير وفتح المفاوضات حول قاعدة الاستقلال، ووصفها بالأرض الزلجة، مؤكدا أن هدف المؤتمر كان لعبة الشيوعية.

- يكشف "علال الفاسي" للمناضلين الجزائريين خطر الشيوعية على القضية الجزائرية بتأكيد في هذه الرسالة: «الشيوعية آلة هدامة، لا يمكنكم الصمود في وجهها، ستهيمن عليكم، لا تعتقدون توظيفها ثم تركها بعد ذلك، فهي التي ستلاعب بكم، أخذتم طرقها، تنظيمها، وحتى شكل تفكيرها، اعتقادا منكم في مساعدتها، لكن الشيوعية هي إمبريالية مثل التي ترضخون تحت نيرها الآن، لا تقدم شيئا بدون مقابل، لا تقدم صدقات، تنتظر ساعة الحساب عند المفاوضات في المائدة المستديرة، حيث ستجلس بنفس عضويتكم، إذا لم يكن قبلكم من أجل جني حريكم التحريرية (...) الحزب الشيوعي يستعمل طريقة فتح جيئات مع أحزاب ديمقراطية ووطنية مثلكم مثالا بهدف السيطرة، وهكذا تدخلت في الجمهوريات السوفياتية بأوروبا الشرقية، وها⁽¹⁵⁾ هم يعيدون نفس العملية معكم»

- يذكر الزعيم الإخوة الجزائريين بمخاطر الانفتاح على الشيوعيين بقوله: «طلبتم من الشيوعيين ضم رجال مقاومتهم إلى جانب مجاهديكم بشرط حل الحزب الشيوعي الجزائري للحفاظ على جبهة وطنية واحدة، لكنهم رفضوا حله، لأنهم يريدون أن يكونوا إلى جانبكم يوم النصر واقتسام الثمار (...) كتبوا لكم في شهر ماي 1956 يتجرؤون بتمثيل طبقات اجتماعية، ويشككون بذلك في شعبية جبهة التحرير الوطني، وهو ما أكدوه صراحة في بيان 1956/07/12 معللة تمسكها بعدم حل الحزب الشيوعي لمواصلة النضال لصالح العمال والفلاحين المنكوبين لإصلاح أوضاعهم المادية ضد استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، والأرض لمن يفلحها، وتشكيل مجتمع اشتراكي حر ليس سياسيا بل اقتصاديا⁽¹⁶⁾ واجتماعيا وثقافيا»

متسائلا حول صلاحيات جبهة التحرير الوطني؟ فالحزب الشيوعي الجزائري يحكم عليها بالعجز عن القيام بإصلاح زراعي وتشكيل مجتمع اشتراكي، وليس لها سوى التحرير السياسي، ويحتفظ لنفسه بالتحرير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، أي الأهم في نظر الشعب، وهو ما سيمكنهم من أخذ مواقعهم تجاه الشعب غداة النصر.

3.2 مناقشة مضمون الرسالة:

جاءت هذه الرسالة في مرحلة تاريخية خطيرة على مستوى المغرب العربي اتسمت بمجموعة من التجاذبات والتيارات، نتجت عن الصدمة الأولى للمناضلين الجزائريين خاصة في "لجنة تحرير المغرب العربي" خصوصا بعد استقلال المغرب في 1956/03/02، على أساس⁽¹⁷⁾ أنها مناورة فرنسية خطيرة، ووصفته بالتنكر والتواطؤ لكن الثورة الجزائرية سرعان ما سارعت إلى التخلي عن مبدأ الحل الشمولي لقضايا المغرب العربي،

خاصة بعد الزيارة الرسمية الأولى التي قام بها الملك "محمد الخامس" يوم 15 سبتمبر 1956م إلى مدينة وجدة، والتي كانت بمثابة دعم قوي للثورة الجزائرية مجسدا قولته التحررية الوحشية الشهيرة:

« استقلال المغرب ناقص ما دامت الجزائر قلب المغرب الكبير ترزخ تحت نير الاستعمار (...)، قضية الجزائر لا تتم الجزائريين لوحدهم (...) إنها أختنا وجارتنا ومصيرنا متعلق بمصيرها، وكل ما يقع فيها يترك⁽¹⁸⁾ صدى عميقا في المغرب»

ومن ثم حرصت الثورة الجزائرية على تحويل استقلال المغرب وتونس لصالحها، بالاعتراف الضمني بالاستقلال القطري، مع الإشادة باستمرار⁽¹⁹⁾ التضامن والوحدة الفيدرالية في إطار الدفاع عن المصالح المشتركة وأكد ميثاق الصومام في 20 أوت 1956 على مغربية الثورة الجزائرية، ورسم مستقبلا جديدا لاتحاد المغرب العربي، وجاء فيه بعنوان: "عظمة التجارب التونسية والمغربية" بتأكيد:

«والواقع أن استقلال المغرب وتونس بدون استقلال الجزائر لغو (...) وإنه لخطأ فاحش وضلال بعيد أن يعتقد أحد أنه باستطاعة المغرب وتونس التمتع باستقلال حقيقي إذا ما بقيت الجزائر رازخة تحت نير⁽²⁰⁾ الاستعمار»

ولهذا تقرر انعقاد أول ندوة مغربية بتونس في أكتوبر 1956 م بهدف إقناع قادة الثورة بقبول وساطة مغربية تونسية للوصول إلى تسوية تفاوضية، ولكنها ألغيت على إثر قيام الطيران الفرنسي في 1956/10/22 باختطاف قادة الثورة التاريخيين، أثناء انتقالهم من المغرب إلى تونس⁽²¹⁾ للمشاركة فيها، وبعدما عبرت الثورة الجزائرية عن استنكارها لهذه الجريمة وشنت بفاعليتها، سرعان ما

ثممتها واستخلصت منها أنها: « حققت أول خطوة عملية في طريق الوحدة المغربية المقبلة بعدما أصبحت القضية الجزائرية قضية كل شمال إفريقيا (...)، وأن تضامن الشعوب المغربية سيكون أكثر فاعلية من أجل المصلحة العليا للمغرب⁽²²⁾ العربي»

خصوصا بعدما أكد الملك " محمد الخامس " هذا التضامن بتصريحه التاريخي قائلا: «إن ألمي عظيم جدا وحزني عميق، وكنت أختار في الواقع أن أقدم نفسي لأشاطر أسر ضيوفي، وربما حزني أخف وطأة لو أن ولدي هو الذي اعتقل (...)»، تمثل طعنة أكثر خطورة لشرفي من حادثة تنحيي عن العرش، وذلك ليس بوصفي ملكا، بل بوصفي إنسانا (...)، إنه اعتداء⁽²³⁾ يكتسي خطورة كبيرة على مستقبل فرنسا في شمال إفريقيا»

ومن تم ستبادر أحزاب الحركات الوطنية المغربية إلى عقد مؤتمر طنجة في 27 - 30 أبريل 1958 لتنسيق سياساتها تجاه الوحدة والتضامن ودعم⁽²⁴⁾ الثورة الجزائرية عسكريا وسياسيا وعلى المستويين الرسمي والشعبي لكن حالة التوتر التي أكدها "علال الفاسي" في هذه الرسالة كانت عميقة ولخصها الزعيم الثوري المغربي "المهدي بن بركة" بصراحة بقوله: « يوجد بيننا خلاف فعلا حول المقاصد وحول الأهداف، وهذا الخلاف يزداد عمقا ويزداد اتساعا يوما بعد يوم سببه الأساسي أننا نسمع من الكثير من الجزائريين بل من بعض مسؤوليهم هنا ما يفيدنا أن الجبهة تسير في طريق شيوعي، وتعمل لفائدة الشيوعية، وأن انتصارها إنما هو انتصار للمبادئ الشيوعية الهدامة التي تقوض ديننا، وتقوض نظامنا،⁽²⁵⁾ وتقضي على وحدتنا»

زاد الأمر تعقيدا التصريح الخطير لـ "علال الفاسي" حول مسألة الحدود المغربية الجزائرية الموروثة عن الاستعمار: «إن الحدود الجزائرية المغربية تم رسمها وفق معايير

إثنية وجغرافية (...) إن مطالبنا مؤسسة، إنها تتجه إلى إعادة المغرب إلى حقيقته⁽²⁶⁾ التاريخية والجغرافية والسياسية»

وفتح باسم "حزب الاستقلال" مسألة تغيير هذه الحدود وفق ما وصفه: «المغرب الكبير في إطار حقوق المغرب التاريخية الممتدة من البحر المتوسط شمالا إلى نهر السنغال جنوبا، ومن المحيط الأطلنطي غربا إلى تمبوكتو وأدرار شرقا»، تظهر منها أطماعه ومشاريع حزبه الاستقلالي الحاكم في الأراضي الجزائرية، حيث تطاول للمطالبة بمناطق تندوف،⁽²⁷⁾ بشار، عين الصفراء وتوات وعين صالح ورقان وتزرؤفت وتابلبالا

طبعاً حاول ممثلوا الجزائر الدفاع عن التوجه الوطني العربي الإسلامي للثورة الجزائرية، وأنكروا كل إمكانية لتغلغل الشيوعية بين صفوف جبهة⁽²⁸⁾ وجيش التحرير الوطني رغم أن الواقع التاريخي يوافق مضمون الرسالة ويؤكد التحول العقائدي الكبير الذي عرفته الثورة الجزائرية منذ سنة 1957، حيث أدت مخاطر الحرب الثورية (1954-1956) إلى تطور المبادرات الفردية واللامركزية في تسيير الثورة، كان أبرزها قرارات المنطقة الثانية الشهيد "زيغود يوسف"

تنظيم الهجوم الشامل عبر مدن شمال قسنطينة في منتصف يوم السبت كحرب استنزاف شاملة، وإضفاء الطابع الجماهيري⁽²⁹⁾ 1955/08/20م⁽³⁰⁾ الشعبي على الثورة، ورغم أن هذه الحرب الثورية حققت كل أهدافها الإستراتيجية، العسكرية والسياسية والدبلوماسية والاجتماعية، خاصة وأنها أكدت وحدة الشعبين الجزائري والمغربي في ثورة شعبية تزامنت مع انتفاضة مدينة "واد زم" بالجنوب المغربي إحياء للذكرى الثانية لنفي الملك "محمد ورغم ما خلفته من خسائر بشرية ونفسية، وما

أثارته من (31) الخامس" ردود فعل فرنسية عنيفة، فإنها أثارت أول اختلاف إيديولوجي بين المناضلين الجزائريين حول أهداف الثورة حسمه أنصار العقل السياسي للثورة الجزائرية "عبان رمضان" لصالحهم، فانتقدوا أحداث 20 أوت 1955م باعتبارها (32) مست ب: "قدسية الثورة"، ودافعوا على فكرة ضرورة فتح جبهة التحرير الوطني أمام كل التيارات السياسية حتى يمكن لها أن تساهم في الثورة: "العلماء المسلمون الجزائريون" بعد الإعلان الرسمي عن حل جمعيتهم في: 07/01/1956م، و"البيانون الديمقراطيون" بعد إعلان "فرحات عباس" من القاهرة في 25/04/1956م حل حزبه "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" والانضمام للثورة، وفعلا كان الحزب الشيوعي الجزائري الوحيد الذي رفض حل حزبه، رغم أنه كان سباقا لهذا الانضمام، حيث كان قد اتخذ قراره بالانخراط الرسمي في الكفاح المسلح ضد الاستعمار في 20/06/1955م حين شكل مجموعات مسلحة أطلق عليها: "المحاربون، والتي ستساهم في الكفاح المسلح قبل اندماجها (33) من أجل الحرية"

الرسمي في جيش التحرير الوطني على إثر الاتفاق التاريخي بين الحزب، (34) الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني في: 01/07/1956م وتوحدت أهداف الجبهة مع أهداف الشيوعيين فيما يخص الاعتراف باستقلال الجزائر، وتأسيس جمهورية جزائرية ديمقراطية واجتماعية، (35) والتعجيل بالإصلاح الزراعي، والالتزام بمبادئ مؤتمر باندونغ الحيادية كما حرص الحزب الشيوعي الجزائري في هذه الاتفاقية مع جبهة التحرير الوطني على دمج منظمته العسكرية في جيش التحرير الوطني دون أن يكون لأعضائها أي رابط عضوي وسياسي بالحزب مع احتفاظهم، بينما تحافظ الإدارة السياسية للحزب الشيوعي (36) بقناعاتهم

السياسية الجزائري على استقلاليتها في التحرك السياسي مع اعترافها الرسمي بجبهة، (37) التحرير الوطني كمنظمة تحررية وطنية معادية للاستعمار وتعهدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري في رسالتين:

الأولى في 12/07/1956م والثانية في 16/08/1956م بخدمة المصلحة العامة لمستقبل الجزائر، ووضع كامل إمكانياتها السياسية والدبلوماسية. (38) والإعلامية في الداخل والخارج لصالح الثورة الجزائرية رغم أن الثورة في ميثاقها الإيديولوجي الثاني الصادر عن مؤتمر الصومام في 20/08/1956 أدانت الحزب الشيوعي الجزائري ونددت بمواقف، وحددت بعدها الإيديولوجي بوضوح مؤكدة:

« تريد الثورة الجزائرية أن تسترد الاستقلال الوطني (...) في كفاح وطني يهدف إلى تدمير حكم الاستعمار الفوضوي (...)، في سبيل نهضة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية واجتماعية، وليس في سبيل إعادة (39) حكم ملكي أو نظام تيوقراطي باند »

متحدية ما يحمله الميثاق من توجه ماركسي شيوعي جديد على الثورة ، وهوما (40) بتأثير بصمات محرره الرسمي: الشيوعي السابق "عمار أوزقان" ما (قائل: Stora Benjamin) أكد المؤرخ الفرنسي "بنجامين ستورا

«إن الطرح اللائكي يعود إلى ثقافة "عبان رمضان" وجماعته المتأثرة بقيم الجمهورية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ومنتشرة في أوساط جماعة (41) أحباب البيان والمثقفين اليساريين والبورجوازيين»

وجند الشيوعيون دعايتهم لصالح مشروع جبهة التحرير الوطني في الحق في استقلال الجزائر كشرط ضروري ووحيد في المفاوضات، من خلال مذكرات الحزب الشيوعي الجزائري الموجهة للجمعية العامة لهيئة. (42) الأمم المتحدة في دورتها الثانية عشر في سبتمبر 1957 م

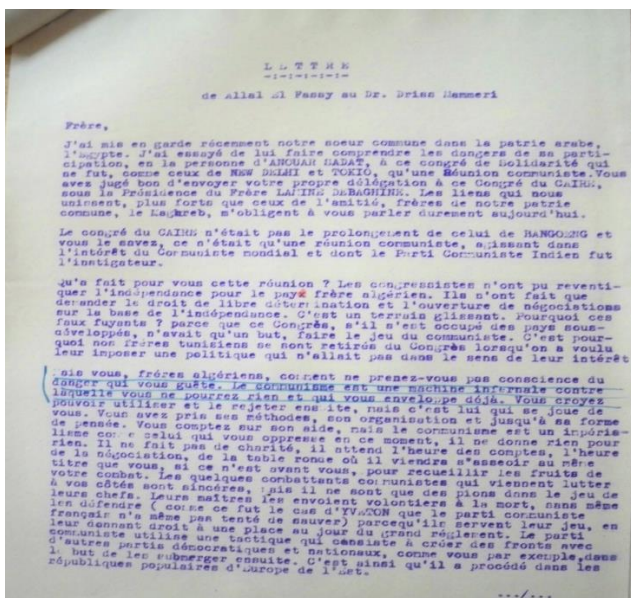
خاصة، ومستقبل العلاقات بين دول المغرب العربي عامة، وفشل محاولاته احتواء التوجه الثوري لجهة التحرير الوطني.

الملاحق:

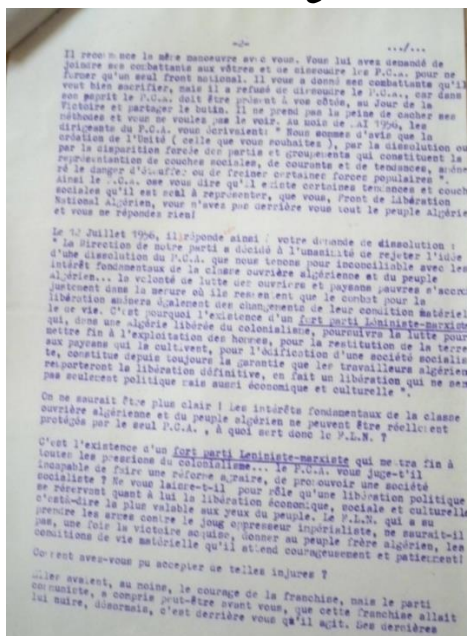
الملحق رقم: 1 رسالة من الزعيم "علال الفاسي" إلى الدكتور "إدريس معمري" مناضل جبهة التحرير الوطني

المصدر: FR (A.N.O.M.) Boite, N°: 93/4421

الصفحة 1



تابع للرسالة، ص: 2



في تطور⁽⁴³⁾ كما أثر الشيوعيون - بعد سلسلة من الانتقادات الذاتية- مسار الثورة الوطنية بالتأكيد على المضمون الاجتماعي الشعبي لها، وتمير أطروحاتها المضادة للإمبريالية والإقطاع الجزائري، وبلورة تصوراتها النظرية حول الإصلاح الزراعي وتغيير وجه الريف وتحسين وضع الفلاحين، كما ساهم في اقتراح مشروع برنامج عمل للاستقلال التام سنة 1962م، يجعل الجزائر في إطار الديمقراطية الشعبية التي تفتح الطريق لجزائر اشتراكية تقودها قوى تقدمية ثورية، تتكون من العمال بالتحالف مع الفلاحين ورجال الفكر، ظهرت بصماته في مواثيق الجزائر⁽⁴⁴⁾ عشية الاستقلال

وتختزن محفوظات الأرشيف الوطني لما وراء البحار بإيكس أون بروفانس بمرسيليا بفرنسا آلاف الوثائق الخاصة بعلاقات الحزب الشيوعي، تؤكد جميعها أن

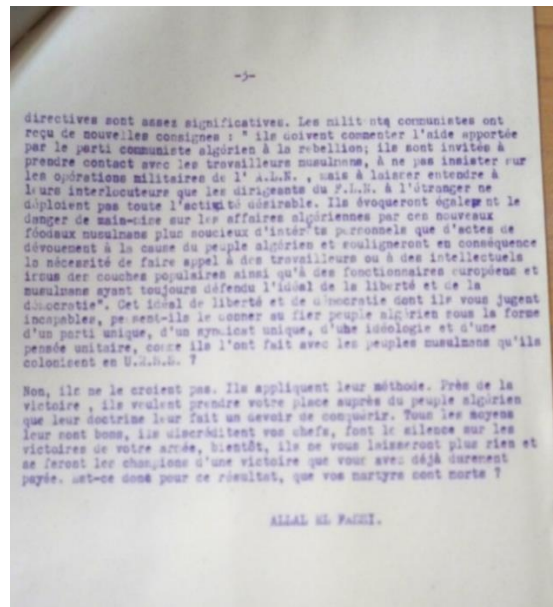
الحزب الشيوعي الجزائري⁽⁴⁵⁾ وجبهة التحرير الوطني

جند منذ 1956 مختلف وسائل إعلامه وإمكانياته البشرية والمادية والمعنوية لتجسيد سياسته الوحدوية الداعية لدعم جبهة التحرير الوطني في التأكيد على الحقيقة التاريخية للوطنية الجزائرية، وتحدي صعوباتها في إدماج الأقلية الأوروبية واليهودية في الوطنية الجزائرية بعد القضاء على⁽⁴⁶⁾ الإيديولوجية الاستعمارية العنصرية

الخاتمة:

كشفت الحقيقة التاريخية اليوم - بعد مرحلة طويلة من الصمت والإنكار- أن الحركة الشيوعية مثلت فعلا جزءا لا يتجزأ من الإيديولوجية الوطنية، وطرفا من أطراف الثورة الجزائرية مهما كانت الأخطاء التي وُجدت فيها كغيرها من الإيديولوجيات السياسية الأخرى، وتأكدت انشغالات الزعيم "علال الفاسي" حول مخاطر التغلغل الشيوعي في الجزائر وتداعياته على الثورة الجزائرية

تابع للرسالة، ص3



الملحق رقم:2، خريطة المغرب الكبير حسب علال الفاسي

سنة 1958 م

المصدر: FR (A.N.O.M.), Boite, N°:

81/350, Chronologies relatives aux différentes prises
de position du Maroc à l'égard du Sahara de (1956-
1961)



- (9) - علال الفاسي، "كي لا ننسى"، سلسلة الجهاد الأكبر، (د. ط.)، جوان 1956، ص. 276
- (10) أبو بكر القادري، مذكرات في الحركة الوطنية المغربية، ج. 3، القسم الأول، مؤتمر - طنجة لوحدة المغرب العربي أبريل 1958، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، ص. 91.
- الدار البيضاء، 2000.
- (11) - نفسه، ص. 89
- (12) - عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص. 50.
- (13) - ينظر نص الرسالة عن: الأرشيف الوطني لما وراء البحار FR (A.N.O.M.), Boite N°: 93/4421
- (14) - ينظر الملحق رقم 1: النص المصور للرسالة.
- (15) - ينظر نص الرسالة، تعريب مضمون الرسالة من إنجاز صاحب المقال.
- (16) - نفسه
- (17) Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, **Le F.L.N. Documents et-histoire, (1954-1962)**, Paris, (S. E.) Fayard, 2004, PP 764-765.
- (18) - محمد الميلي، مواقف جزائرية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص. 42.
- (19) - ينظر الندوة الصحفية التي قدمها "محمد لبجاوي" باسم جبهة التحرير الوطني التونسية حول أهداف ومواقف الجبهة وعلاقتها المغاربية، "L'Action" لجريدة "العمل" بتوجيه من الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في 16/04/1956، أعيد نشرها في الجريدة الفرنسية: «Le Monde»، du 17/04/1956.
- (20) - وزارة الإعلام والثقافة، دون تاريخ، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مطابع الحزب، وحدة رضا حوحو، الجزائر، ص. 24.
- (21) Roger Le Tourneau, **Evolution politique de l'Afrique du nord - musulmane (1920-1961)**, Alger, (Sans Edition), S.N.E.D. 1964, PP416-417,
- (22) - أمانة الجريدة، الثورة تسير، جريدة المقاومة الجزائرية، العدد: 1، في 01 نوفمبر 1956 م، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، 1984، ص. 2.
- (1) - عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، (د. ط.)، مطبعة الرسالة، الرباط، (د. ت.).
- محمد العربي المساري، علال الفاسي حضور وعطاء ودور، (د. ط.)، مطبعة الأمنية، منشورات دار الأمان، الرباط، 2013.
- عبد الحميد المرينسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الاستقلال، (د. ط.)، مطبعة الرسالة، الرباط، 1978.
- محمد العلي، علال الفاسي رائد الحركة الوطنية المغربية، (د. ط.)، مطبعة الرسالة، الرباط، 1980.
- عبد الحق عزوزي وآخرون، علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، ط1، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، 2010.
- Attilio Gaudio, **Allal el-Fassî ou l'histoire de l'Istiqlal**, - 1^oEd, Alain Moreau, Paris, 1972.
- (2) - علال الفاسي، محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، (د. ط.)، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1955، ص. 96.
- (3) - علال الفاسي، نداء القاهرة، ط1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1959، ص. ص. 63-65.
- (4) - علال الفاسي، محاضرات في المغرب العربي، مصدر سابق، ص. 197.
- (5) - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط: 4، مطبعة الرسالة، الرباط، 1980، ص. 348.
- (6) - محمد شرقي، علاقة الثورة الجزائرية بلجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة (1954-1956)، في أعمال الملتقى الدولي الأول حول ثورة التحرير الجزائرية والاستعمار الفرنسي- المنطلقات، الحقائق والأبعاد- بجامعة سكيكدة في 11-12/12/2006، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص. ص. 119-129.
- (7) Mohamed Lebjaoui, **Vérités sur la révolution algérienne**, Gallimard, Paris, 1970, P125.
- (8) - علال الفاسي، "دفاعا عن وحدة البلاد"، (د. ط.)، مطبعة الرسالة، العدد 33، الرباط، 1957/10/30، ص. 56.

(23) - محمد أمطاط ، الجزائريون في المغرب (1962-1830 م) - مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر- الرباط، 2008، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ص. ص. 341-342.

(24) - عبد الله مقلاتي ، 2007 2008، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954 - 1962)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، ص. ص. 339 - 352.

(25) - أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح -مذكرات- الجزء الثالث: مع ركب الثورة التحريرية، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص. 282.

(26) Chronologies relatives aux différentes prises de position du Maroc à l'égard du Sahara de (1956-1961). FR (A.N.O.M.), Boite, N°81 :/350,

(27) - ينظر الملحق رقم: 2، خريطة المطالب المغربية في الأراضي الجزائرية عن:

FR (A.N.O.M.), Boite, N°: 81/350. Chronologies relatives aux différentes prises de position du Maroc à l'égard du Sahara de (1956-1961)

(28) - أحمد توفيق المدني ، 1982، مصدر سابق، ص. ص. 282-283. E.D.I.F. -Mahfoud, Et l'Algérie se libéra, (29) Kaddache Alger, 2003, PP 37-46.

(30) - محمد الحسن زغيدي، "أحداث 1955/08/20 م بالشمال القسنطيني"، مجلة التاريخ، عدد خاص، رقم: 17، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر 1984م، ص. ص. 78 - 89.

(31) Nouschi (André), 1987, Propagande et idéologie en Algérie: - Le FLN et la décolonisation (1954-1962), In Idéologie et propagande en France, Colloque organisé par l'institut d'histoire et de civilisation française de l'université de Haïfa, PP 220-237.

(32) - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. ص. 149-193.

(33) Mohamed Teguia, 1988, L'Algérie en guerre, (S. E), OPU, Alger, PP195-210.

(34) Khatib Hafid, 1 juillet 1956 : L'accord F. L. N - P. C. A. - et l'Intégration des (Combattants de la libération) dans

l'armée de libération nationale en Algérie, (S. E), O.P.U., PP101-108. Alger 1991,

(35) Mohamed Harbi, Les archives de la révolution Algérienne, (S. E), Jeune Afrique, Paris 1981, PP111-112.

(36) André Morice, Sans date, Les Fellaga dans la cité, Les Communistes et la Rébellion Algérienne, (S. E), Société d'Éditions du P.O. Nantes, France, PP15-32.

(37) Jacques Jurquet, Année de feu, Algérie (1954-1956),- 1^{re}Ed, L'Harmattan, Paris 1997, PP317-323.,

(38) Mohamed Harbi, 1981, Les archives, OP cité, PP112-115.

(39) - وزارة الإعلام والثقافة، مصدر سابق، ص 12.

(40) - محمد حربي ، 1983، جبهة التحرير الوطني - الأسطورة والواقع- ترجمة داغر كميل قيصر، بيروت، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، ص. 150.

(41) Benjamin Stora, Les sources du nationalisme Algérien Origines des actes, Parcours idéologiques L'Harmattan, (S.E.), P31, Paris, 1989,

(42) A.N.O.M., 1957, Relations du F.L.N. avec P.C.A.-Boite N°: 93/4421.

P.C.A. Droit à l'indépendance de l'Algérie- Seule base sérieuse de négociation- Mémoire présenté à l'Assemblée Générale de l'O.N.U. (XII^{ème} session septembre 1957), Alger, Imprimerie spéciale du P.C.A.

(43) Jacques Jurquet, OP cité, Annexe : 2, PP 375-384

(44) الشيخ سليمان الجزائري تحمل السلاح - أوزمن اليقين-، ترجمة الجمالي محمد عبد - الحفيظ، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص. ص. 432 - 439.

(45) FR (A.N.O.M.) Boite N°: 93/4421, Relations du F.L.N. avec P.C.A.

Réalités algériennes et Marxisme, Juillet 1958,

(46) « Essai sur la Nation Algérienne », N° : spécial, PP 1-35. Alger,-

إمارة عسير خلال حكم آل عايض

1249-1289هـ / 1833-1872م

الأستاذ المساعد الدكتور بكيل محمد الكليبي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر / جامعة ذمار

الجمهورية اليمنية

Abstract:

This study aims to highlight the political situation in Asir during the rule of Al-Ayed, a historical period filled with events, and the study used the researcher to use the historical research approach to the recipient of events, arrange their sequence and find out its causes And its results, the study was divided into an introduction, four and four axes dealing with the problem of the study, its importance and objectives. The first axis receives a historical geographical geographical geographical geographic, while the second axis was eating the Emirate of Al-Ayed in Asir 1249 H 1833, and the third axis eat the relationship of Asir, and eat the fourth and final axis in the era of Muhammad ibn Ayed 1856-1872, and concluded with the study with the results of the study, Perhaps the most prominent emirate of Asir Augum in the era of Mohammed bin Ayed, who took the judgment after his father during the period 1856-1872.

Keywords: Emirate, Al Ayed, Asir, Ruling, Politics.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأوضاع السياسية في إمارة عسير خلال حكم آل عايض لهذه الإمارة، وهي فترة تاريخية مليئة بالأحداث، واقتضت الدراسة استخدام الباحث منهج البحث التاريخي لتوصيف الأحداث، وترتيب تسلسلها، ومعرفة أسبابها ونتائجها، وقسمت الدراسة إلى مقدمة، وأربعة محاور وخاتمة تناولت المقدمة مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها، وتناول المحور الأول لمحة جغرافية تاريخية عن عسير، في حين تناول المحور الثاني تأسيس إمارة آل عايض في عسير 1249هـ / 1833م، أما المحور الثالث فتناول علاقة إمارة عسير بمحيطها، وتناول المحور الرابع والآخر إمارة عسير في عهد محمد بن عايض 1856-1872م، واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ولعل من أبرزها بلوغ إمارة عسير أوج قواها في عهد محمد بن عايض الذي تولى الحكم بعد أبيه خلال الفترة 1856-1872م.

الكلمات المفتاحية: إمارة، آل عايض، عسير، حكم، سياسة.

المقدمة:

القائم على اختلاف البيئة والتضاريس وما يتعلق بها من نوازع وأهداف وطموح اقتضاها الراهن المعاش الذي فرضته مقتضيات الواقع، وأبلغ الأمثلة على هذه الميزة هو انصهار كل اليمنيين في بوتقة الدولة القاسمية التي غطت كامل أراضي الرقعة الجغرافية لليمن الطبيعي، وعندما تلاشت سرعان ما عدت الغرائز المحلية لتعبر عن طموحها السياسي حتى وإن كان هذا التعبير في حده الأدنى، وهذا ما سيتضح في إمارة عسير التي حاول أمراؤها من آل عايض التفرد بحكمها بعيداً عن الولاءات والانتماء الذي عرفت به عسير، كونها إقليم يتبع اليمن.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في وجود فترة زمنية من تاريخ اليمن تتضمن تأسيس إمارة آل عايض في إقليم عسير، وتحتاج إلى تسليط الضوء عليها وابرار أهمية هذا الحدث الذي كان له تأثير في الاوضاع السياسية في اليمن الحديث.

تساؤلات الدراسة:

ستحاول الباحث من خلال هذه الدراسة الإجابة عن جملة تساؤلات مثل: ما هو إقليم عسير؟ وكيف تطور، وكيف تم تأسيس إمارة آل عايض فيها؟ وكيف كانت علاقة هذه الإمارة بمحيطها في اليمن والحجاز؟ ومن هم أبرز حكام هذه الأسرة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بشكل أساسي في كونها إضافة جديدة ومتخصصة في مجال الاهتمام بالتاريخ لعسير من خلال ما تناولته وثائق الارشيف العثماني،

احتلت اليمن الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وهذا الجزء منحها من السيطرة على رقعة جغرافية مهمة، متنوعة المناخ والتضاريس حسب مستوى الارتفاع، أو الانخفاض من مستوي سطح البحر، إذ مثلت مناطق اليمن المختلفة جزءاً من طبيعته الجغرافية المترابطة بتضاريسها مع بعضها البعض، وتحمل في طبيعتها نفس الملامح التي تغطي بقية مناطق اليمن، وهذا التوصيف يمكن ملاحظته، جزء من مناطق اليمن الشمالية، إذ تعد عسير عبر تاريخها الطويل جزء من اليمن الطبيعية وتاريخها، وهذه الرقعة الجغرافية التي امتدت من ظفار شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً، من خليج عدن والمحيط الهندي جنوباً حتى القنفذة شمالاً، يعد التوصيف الحقيقي لليمن الطبيعية الذي عرفت به منذ القدم.

شكلت عسير، على امتداد التاريخ اليمني القديم، والاسلامي، والحديث امتداد طبيعي لكل ما يدور في الساحة اليمنية، من تطورات واحداث، إذ تأثرت وأثرت في مجريات الامور المختلفة سواء كانت سياسية، أو اجتماعية وغيرها، كما أن عسير مثلها مثل بقية مناطق اليمن التي كلما ضعف كيان الدولة المركزي قوت بداخلها النزعة المحلية الرامية، إلى الاستقلالية، وهذا الامر يلاحظ ليس في عسير وحسب، وإنما غريزة تطبعت به مختلف القبائل اليمنية، على امتداد الاراضي في مختلف الفترات والحقب، فكلما قوت الدولة المركزية، كانت هذه الكيانات المحلية المعبرة عن مصالح رقعة معينة تنصهر، في إطار المفهوم الكبير اليمن، والعكس وهذا يدل على مدى التنوع

فضلاً عن رفد المكتبة اليمنية والعربية بدراسة جديدة تتناول التأريخ لإمارة آل عايض في عسير.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز لمحة جغرافية تاريخية عن عسير.

– التعرف علي تأسيس إمارة آل عايض في عسير 1249هـ - 1833م.

استعراض علاقة إمارة عسير بمحيطها في اليمن والحجاز.

دراسة تطور إمارة عسير في عهد محمد بن عايض 1856- 1872م.

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة استخدام الباحث منهج البحث

التاريخي لتوصيف الأحداث، وترتيب تسلسلها، ومعرفة اسبابها ونتائجها.

محااور الدراسة:

تضمنت الدراسة المحاور الآتية:

المقدمة: تضمنت مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها.

المحور الأول: لمحة جغرافية تاريخية عن عسير.

المحور الثاني: تأسيس إمارة آل عايض في عسير 1249هـ - 1833م.

المحور الثالث: علاقة إمارة عسير بمحيطها.

المحور الرابع: إمارة عسير في عهد محمد بن عايض 1856-1872م.

الخاتمة: تضمنت النتائج التي وتصلت اليها الدراسة.

المحور الأول: لمحة جغرافية تاريخية عن عسير:

أشار الهمداني إلى عسير في كتابه صفة جزيرة العرب بأنها منطقة جغرافية تقع ضمن نطاق سرة تهامة شهران وبيشة وترج وتباله، فيما بين جرش واول الأزد، وحتى زهران من الازد وغامد والحر حتى سرة الطائف جنوب الحجاز⁽¹⁾، وبالتالي يعد لواء عسير امتداد طبيعي لمرتفعات اليمن شمالاً حتى بلاد الحجاز. وتميز جبالها عن غيرها من المناطق بالأشجار الخضراء التي تكسوها، وتعطيها جمال وهواء غايه في الاعتدال، تمنحها مناظر خلابة كأفضل مناطق اليمن، إلى جانب حصانتها القوية بفضل السلاسل الجبلية التي تعطيها ميزة الدفاع عن نفسها من قبل الاعداء، فضلاً عن ذلك تعد عسير جزء من تهامة المتاخمة لسواحل البحر الاحمر، حيث تتميز سواحل تهامة عسير باتساع السهل الساحلي نحو الشرق بمحاذات الجبال، وهذا جعل من هذه الاراضي خصبة وصالحة للزراعة، على جوانب الاودية، والمنحدرات التي تمد هذه الاراضي بطبقة طينية تزيد من خصوبة الأراضي الزراعية في عسير، لاسيما انها تشكل خليط من الاراضي الغنية بالصخور المفتتة من الجبال، وكميات كبيرة من الطمي في مجاري الاودية، التي تنتهي عند الساحل لتشكل ترابه رملية ذات قدر عالي من الملوحة نتيجة تأثرها بمياه البحر عند الساحل⁽²⁾.

اشار الجغرافيين إلى عسير كمنطقة تتبع الجغرافيا اليمنية التي تتخللها الجبال المتداخلة، التي تقع عليها المدن اليمنية المختلفة، على امتداد سهل تهامة الممتد من الجنوب إلى الشمال، وتتخلله جبال السراة العامر بالمناطق الزراعية، والمزروعات من اعناب وغيرها، من

المزروعات التي تزرع في اليمن، وينتهي التوصيف الجغرافي بالقول: أن اليمن تشكل ثلثي الجزيرة العربية، التي تنتهي عند حدود الحجاز من ناحية الشمال⁽³⁾، أما لفظ عسير فيشير إلى المنطقة الجغرافية في غرب الجزيرة العربية جنوب الحجاز، وشمال اليمن لتشمل الخط الممتد في الداخل من الليث في الشمال إلى اليمن بخط عرض 57. 15 شمالاً، مضافاً عليه الشريط الساحلي بخط عرض 16، إلا أنه لا توجد بيانات تحدد امتداد منطقة عسير من البحر الأحمر، إلى الشرق⁽⁴⁾، فضلاً عن ذلك تمثل جغرافيا عسير حلقة وصل تربط اليمن من ناحية الشمال بالحجاز، إذ تشمل هذه المنطقة بيئة معقدة من التضاريس الممتدة بين صنعاء، وصعدة، والطائف وحتى مكة المكرمة⁽⁵⁾.

تميز تاريخ عسير القديم بقوة ومكانة هذه المنطقة والقبائل التي كانت تسكنها وعرفت بشدة البأس ومن ذلك فرض قبيلة الازد إتاوة مالية على القوافل التجارية التي تعبر عسير نحو قريش بعد عودتها من اليمن في فصل الشتاء⁽⁶⁾، وفي مطلع التاريخ الإسلامي ضمن وفد اليمن الذي زار المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التاسعة للهجرة⁽⁷⁾، وبعد ذلك كانت عسير حاضرة في عهد الخلافة الراشدة وخرج رجالها من اليمنيين في الفتوحات الإسلامية، والتوجه خارج الجزيرة العربية، وبعد وصول العباسيين إلى الحكم كانت عسير ملاذ مناسب لهرب الأمويين من بطش العباسيين بها، واستطاع هؤلاء الأمويين من تأسيس أسرة تمكنت بعد سنوات من السيطرة على عسير طوال فترات تاريخية متعاقبة استمرت حتى التاريخ الحديث⁽⁸⁾.

يتبين من خلال ما تقدم أن عسير شكلت مع بقية مناطق اليمن رافداً كبيراً للجيش الإسلامي الذي قاد الفتوحات الإسلامية المختلفة في العراق وبلاد الشام ومصر، وشمال أفريقيا، وبلاد فارس وبلاد السند والهند، فضلاً عن توفير المنطقة ملاذ آمن لبعض معارضي الدولة الإسلامية على امتداد تاريخها الطويل نظراً للميزة الجغرافية الحصينة والبعيدة التي توفرها لهؤلاء المعارضين آنذاك.

خضعت عسير مثلها مثل بقية مناطق اليمن لحكم الدول الإسلامية المتعاقبة، وضلت تتمتع بالعناية الكاملة من جميع حكام المسلمين حتى القرن السادس عشر حين وصلت طلائع القوات البرتغالية البحر الأحمر وغدت تهدد المقدسات الإسلامية، في الحجاز، وعلى أثره تحركت الدولة العثمانية لضم مناطق المشرق الإسلامي ومنها اليمن عام 1538م، ودخلت اليمن بجميع مناطقها بما في ذلك عسير تحت الحكم العثماني⁽⁹⁾.

المحور الثاني: تأسيس إمارة آل عايض في عسير 1249هـ - 1833م.

برزت منطقة عسير بشكل لافت مطلع القرن التاسع عشر، باعتبارها منطقة جغرافية مهمة مطلة على سواحل البحر الأحمر شمال اليمن وجنوب الحجاز⁽¹⁰⁾، وهذا خلف حالة من التنافس بين قبائلها، جعلتها في حالة من عدم الاستقرار، خلال هذه الفترة التي رافقت دخول والي مصر محمد علي باشا⁽¹¹⁾، الحجاز بمساعدة شريف مكة المكرمة محمد عبدالمعين بن عون⁽¹²⁾.

يعد عايض بن مرعي⁽¹³⁾، المؤسس الأول لإمارة آل عايض في عسير، وينحدر أصله من ريده، من بين مغيد من قبائل

عسير، وجعل من ابها الواقعة وسط هذا الاقليم مركزاً للإمارة⁽¹⁴⁾، وتمكن من استغلال الظروف السياسية التي تمر بها عسير، من السيطرة عليها عام 1249هـ الموافق 1833م، وفرض نفوذه فيها، متبعاً سياسة يقضه تجاه خصومه في هذه الإمارة صعبة التضاريس والميراث⁽¹⁵⁾، وعلى الرغم من ذلك واجه عايض بن مرعي، بعد تزعمه عسير خروج المخلاف السليماني عليه، بانتفاضة قادها أمير ابو عريش علي بن حيدر⁽¹⁶⁾، الذي رفض مبايعته، في المقابل قاد عايض بن مرعي تحركات حربية ضد المخلاف السليماني رغبة منه في اعادته إلى الطاعة لكنه فشل في تحقيق ذلك نتيجة الاستعدادات الحربية التي قادها أمير ابو عريش للتصدي لهجمات عايض بن مرعي، ونجح من اخراج حامية الاخير العسكرية من جميع مناطق المخلاف السليماني، وتصفية تبعية المخلاف لأمر عسير⁽¹⁷⁾.

استمر عايض بن مرعي في قيادة قبائل عسير في الحرب مع قوات محمد علي باشا التي حاولت السيطرة على عسير بالتعاون مع شريف مكة المكرمة، ونجح الجانبين في وضع حامية على عسير، لكن ذلك سرعان ما تغير نتيجة سوء المعاملة التي تلقاها بعض زعماء عسير من شريف مكة قادت في نهاية الامر إلى اندلاع ثورة في عسير كان من نتائجها طرد الحامية العسكرية التي وضعها محمد علي باشا وشريف مكة المكرمة، في ابها وبلغ حجمها الف وخمسمائة جندي، وعين عليها صبيحي اغا اظهر رجال عسير لهذه الحامية الولاء، وسارت الامور نحو الاستقرار، وهذا قاد إلى سحب بقية القوات المصرية من عسير، والاكتفاء بقوة الحامية، التي اطمئن لها القادة قبل مغادرة عسير، ولم يكن في مخيلتهم أن هذا الهدوء لم يكن إلا فخ نصيها اهل عسير للقوات المصرية فيها،

وتمكنوا من الاجهاز عليها، ولم يتمكن إلا عدد قليل من افرادها النجاة بأرواحهم، وسبب ذلك الذعر بين قادة جيش محمد علي باشا في الحجاز⁽¹⁸⁾.

حيال ذلك برزت شخصية عايض بن مرعي خلال المواجهات العسكرية التي دارت في عسير مع قوات محمد علي باشا، إذ بدا عليه الشجاعة والاقدام في مواجهة المواقع الحرجة التي تمر بها عسير من ناحية الشمال، والجنوب، من قبل قوات محمد علي باشا التي تحاول الاطباق على عسير للسيطرة عليها⁽¹⁹⁾، واجهت قبائل مغيد بقيادة عايض بن مرعي الحملة المصرية، على عسير عام 1834م، بكل بسالة رغم فارق القوة والتسليح والتدريب بين الجانبين، إذ تميل الكفة في هذا الجانب لصالح قوات محمد علي باشا⁽²⁰⁾، في هذا السياق تشير إحدى الوثائق العثمانية إلى تعاون بعض الشخصيات في عسير، مع القائد أحمد الباشا المرابط في تهامة بقواته ينتظرو وصول الاخبار اليه عن تحركات عايض بن مرعي الحربية تجاه القوات المصرية، وفي هذا السياق، وضحت المعلومات المقدمة للقائد احمد باشا تفاصيل دقيقة عن الخطوات التي قام بها عايض بن مرعي، وسير قواته، كما قدم تفاصيل المناطق التي عسكر فيها الاخير متأهب للحرب بمجرد قدوم القوات المصرية⁽²¹⁾.

ساهمت المعلومات التي وصلت احمد باشا، في التخطيط لمباغثة قوات عسير بقيادة عائض بن مرعي، وكانت أول خطواته التوجه نحو قبائل غامد، وزهران لإخضاعهما، لاسيما انه حصل على العتاد والعدة من مدينة جدة، وبهذه الطريقة تمكن القائد احمد باشا من ابعاد عناصر القوة من عايض بن مرعي، وتمكن بعد معارك بسيطة من احكام قبضته عليها، والتنكيل بالمتعاونين مع أمير عسير،

لكن ذلك قاد إلى هروب بعض كبار اعيان هذه القبائل إلى امير عسير فتوقف احمد باشا من معاقبة هذه القبائل حتى لا تميل الكفة لصالح خصمه، وشرع في الاستعداد لمواجهة عايض بن مرعي امير عسير، وانتظر قدومه لتحقيق التفوق النوعي عليه وهو ماتم، إذ لم تكن سيطرة عايض بن مرعي على عسير مفروشة بالورود، فمنذ الوهلة الأولى لتولييه عسير، كان لزاماً عليه قيادة عسير في مواجهة قوات محمد علي باشا بقيادة احمد باشا، من جهة، وقبائل غامد وزهران من جهة أخرى، وكانت الهزيمة له تلوح في الافق، لكن تبدل الاحوال على مستوى الدولة العثمانية بشكل عام خدمت عايض بن مرعي، لاسيما بعد أن انسحبت قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية عام 1840م، إذ لاحت له الفرصة باعتباره الامير الوحيد في اليمن والحجاز الذي لم يعترف بسلطة محمد علي باشا، وظل يحاب قواته إلى أن خرجت من عسير، واصبح امير عسير القوي⁽²²⁾.

يتضح من خلال ما سبق أن الظروف السياسية خدمت الامير عايض بن مرعي لاسيما بعد انسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية الامر الذي مكنه من السيطرة على عسير.

المحور الثالث: علاقة إمارة عسير بمحيطها:

أولاً: العلاقة مع الحجاز:

شهدت العلاقات السياسية بين امير عسير عايض بن مرعي، وشريف مكة المكرمة، محمد بن عبد المعين بن عون توتراً كبيراً، نتيجة مشاركة شريف مكة في الحرب على عسير، بمعية القوات المصرية التي خرجت من الحجاز، وتمكن شريف مكة من دخول ابها عاصمة امارة عسير، وتمركز بها بعد أن سيطر على بلاد شهران، وعدد

من المناطق بالتعاون مع قوات محمد علي باشا والقوات العثمانية، ولم يكن امام امير عسير عايض بن مرعي من خيار سوى إعلان المقاومة لطرد القوات من عسير⁽²³⁾، حيال ذلك استمر عايض بن مرعي في قيادة المقاومة في عسير، ودخل في معارك كروفر مع القوات المصرية، وشريف مكة المكرمة، لكن هذه المقاومة راوحت مكانها دون ان تحقق هدفها في تحرير عسير من القوات الغازية، حتى عام 1840م، حيث شكل هذا التاريخ حدثاً فاصلاً في تاريخ عسير والجزيرة العربية، نتيجة اجبار محمد علي باشا بالانسحاب من الجزيرة العربية، بموجب مؤتمر لندن الذي عقد في نفس العام، فتم جلاء القوات المصرية من المنطقة⁽²⁴⁾.

تنفس عايض بن مرعي الصعداء بعد انسحاب القوات المصرية، وبادر في بسط سيطرته على المنطقة، في هذا السياق تشير احدي الوثائق العثمانية المرسلة لشريف مكة المكرمة محمد بن عون، من قبل احد قادة الحاميات العثمانية يدعى عبدالله بك بن ناصر يبلغه تحركات عايض بن مرعي، والاستعدادات التي يجريها للسيطرة على المناطق في عسير ممن كانت تناصره العداء، وتساعد شريف مكة والقوات المصرية، عن طريق بعث رسائل لكبار قبائل عسير يطلب منها تجهيز الجنود للغزو، لاسيما أن اهل بيشة توجهوا اليه، كما طالب قائد الحامية معرفة توجهات شريف مكة المكرمة، حيال هذا التحرك، من اجل وضع التدابير اللازمة تجاهه⁽²⁵⁾.

يتبين من خلال ما سبق أن عايض بن مرعي اراد تحقيق الاتي:

- 1- اخضاع بقية مناطق عسير التي كانت خارجه عن نفوذه بالقوة.

2- معاقبة القبائل التي ساعدت القوات المصرية
وشريف مكة المكرمة ضده.

تمكن عايض بن مرعي من بسط نفوذ امارته في ربوع
جغرافية عسير، واخضاع جميع القبائل فيها لسلطته،
ومن اجل تحاشي الاصطدام بشريف مكة المكرمة محمد
بن عبدالمعين بن عون الذي يقدم الدعم والمساندة لشيخ
بيشة ليشكل تهديد مباشر على اماره بن مرعي، حيال ذلك
بادر الاخير، بمكاتبة شريف مكة في شهر جماد الأول عام
1266هـ، الموافق شهر مارس عام 1850م، وضح فيها
امتعااض اماره عسير من تحركات عبدالله محمد بن
عبدالمعين⁽²⁶⁾، لتأليب بيشة عليه، وانه حيال ذلك
التدخل في عسير، يضع شريف مكة امام التطورات
الخطيرة التي تثار في بيشة لإفساد الاوضاع، وان الامور
إذا ما تدخل فيها شريف مكة المكرمة ستتحدر نحو الحرب
التي لا يرغب بها الجميع في هذه المنطقة، إذ يوجي مضمون
الوثيقة امتعااض عايض بن مرعي من تدخلات شريف
مكة المكرمة، في عسير، ويلتزم حيالها ضبط النفس حتى
لا يكون السبب في اشعال الحرب⁽²⁷⁾، على الرغم من
تحركات عبدالله بن شريف مكة في عسير، إلا انه كان
معارضاً لتوجهات والده في استغلال العثمانيين لمحاربة
الامير عايض بن مرعي، نتيجة قناعته بعدم جدوى ذلك
نظراً للفشل الذي منيت به توجهات والده في حشد
العديد من الحملات ضد عسير، وكان من نتائجها التأثير
على اوضاع الحجاز اكثر من تحقيق اي نتيجة تذكر في
عسير⁽²⁸⁾.

يتضح من خلال ما تقدم رغبة عايض بن مرعي حل
الخلافات مع شريف مكة محمد بن عون بطريقة سلمية،

لاسيما انه بهذه الصورة حاول اثبات صدق نواياه تجاه
شريف مكة المكرمة، على الرغم من الممارسات العدائية
التي يقوم بها الامير عبدالله بن شريف مكة، في عسير
لتحريض القبائل على ابن مرعي، وأشار اليهم الاخير بأهل
الفساد، فضلاً عن ذلك حاول امير عسير توضيح المخاوف
لشريف مكة المكرمة أن بإمكان بعض المغرضين استغلال
هذه الحالة لإشعال الصراع، وانه حيال ذلك يلتزم بضبط
اتباعه من اثاره اي موقف عدائي حيال شريف مكة
المكرمة.

حاول عايض بن مرعي تحاشي الصراع مع شريف مكة
المكرمة، نظراً لعدة اعتبارات مهمة منها:

الاعتبار الأول: قوة نفوذ شريف مكة المكرمة، ومكانته بين
القبائل العربية القوية والمؤثرة، والاعتبار الثاني: وجود
علاقة مصاهرة بين اشراف مكة وبعض قبائل عسير التي
تسكن الجبال، ولهذه القبائل مكانتها داخل عسير⁽²⁹⁾.

ساهمت الظروف السياسية التي حلت بالحجاز، في
تفوق امير عسير عايض بن مرعي على الحجاز خلال الفترة
الممتدة بين 1852م، و1856م، وتمكن من اخضاع بيشة
وبلقن وماحولهما من قبائل، فضلاً عن ذلك تقدم نحو
غامد وزهران عام 1852م، وارجع العثمانيين في الحجاز
سبب ذلك يعود إلى تعاون شريف مكة المكرمة عبد
المطلب بن غالب⁽³⁰⁾، مع ابن مرعي للسيطرة على المنطقة،
وخلال النزاع بين شريف مكة عبدالمطلب بن غالب
والعثمانيين استعان شريف مكة المكرمة بأمير عسير،
الذي كان يتبع اسلوب مرن تجاه الدولة العثمانية، ولم
يجاهرها بالعداء لكنه استخدم وسيلة ضغط عليها من
خلال تحججه بتدخل النصارى وفرضهم الاحكام الخاصة

بهم في بلد الله الحرام، وهذا الادعاء ساهم في كسب ود اهالي الحجاز له⁽³¹⁾.

تابعت الدولة العثمانية باهتمام كبير امانة عسير، بقيادة الامير عايض بن مرعي، لمعرفتها بحجم العلاقات التي تربط الاخير بشريف مكة المكرمة السابق عبدالمطلب بن غالب، وعليه ارسل والي الحجاز محمد كامل باشا إلى عسير بكتاب لعايض بن مرعي، ونتيجة لبعده المسافة، في وصول الكتاب من الحجاز، إلى عسير، ابلغ قائد الحامية العثمانية في القنفذة⁽³²⁾، الوالي بوصول حامل الكتاب، وانه زوده بدليل للوصول إلى عسير⁽³³⁾، التي وصلها بعد وفاة عايض بن مرعي، وتكفل ابنه محمد بن عايض بالرد على الوالي محمد كامل باشا، واخبره بوفاة والده، وانه يبارك ما ورد في كتاب الوالي من عودة شريف مكة المكرمة السابق، محمد بن عبد المعين بن عون، وتعهد بالتعاون معه لمافيه مصلحة الدولة العثمانية، واعلاء سلطان الإسلام والمسلمين، وضرب الفساد والمفسدين، فضلاً عن ذلك عرض محمد بن مرعي على الوالي التصالح لما في ذلك من الصحبة والصلاح للجميع⁽³⁴⁾.

يتضح من خلال ما سبق أن امانة عسير قبل وفاة اميرها عايض بن مرعي بلغت قوة لا يمكن الاستهانة بها، ليس على مستوى عسير، وحسب بل بلغ تأثيرها المباشر إلى ولاية الحجاز، وما يؤكد ذلك هو كتاب والي الحجاز بتغيير شريف مكة المكرمة، عبد المطلب بن غالب، واعادة الشريف محمد بن عبد المعين، وهذا يعد نتيجة طبيعية للأسباب الآتية:

1- قوة امانة عسير بقيادة الامير عايض بن مرعي الذي خدمته الظروف ان يشكل من عسير قوة مؤثرة جنوب الحجاز.

2- قوة تأثير الامير عايض بن مرعي على الحجاز من خلال حجم التدخل الكبير الذي قاده لمساعدة شريف مكة المكرمة السابق عبدالمطلب بن غالب.

3- توسع نفوذ الامير عايض بن مرعي في جنوب الحجاز وترحيب اهالي الحجاز بدوره الفاعل في حماية المقدسات.

ثانياً: العلاقة مع اليمن:

تعد عسير امتداداً طبيعياً الجغرافية اليمن، فضلاً عن كونها امتداداً لقبائله المتداخلة مع بعضها منذ القدم، وعلى مر التاريخ، وبعد خروج العثمانيين من اليمن عام 1635م، وإعلان قيام الدولة القاسمية، تمكن المتوكل على الله اسماعيل ابن القاسم، من اعادة توحيد اليمن ليشمل حكمه جميع مناطق اليمن الطبيعية، وبات اليمن في عهده من حدود الحجاز شمالاً، إلى البحر العربي جنوباً، وعمان شرقاً، والبحر الاحمر غرباً، وظلت اليمن موحدة حتى ارتخت قبضة الدولة القاسمية بفضل امرائها المتنافسين الذين يديرون المناطق اليمنية المختلفة، واخذ كل امير يشكل مركز قوة مستقل عن الدولة فأمر منطقة تهامة وعسير (حسن بن المتوكل)، اصبح يدير هذه المنطقة متنقلاً بين اللحية، على البحر الاحمر، وابي عريش⁽³⁵⁾، ساهمت هذه الاوضاع، في تشجيع بعض امراء عسير الطامحين، يدعى طامي⁽³⁶⁾، لتوسيع نفوذه السياسي بتجاه مناطق تهامة، حتى مدينة الحديدة عام 1221هـ الموافق 1806م، لكنه فشل في السيطرة على الحديدة،

نتيجة المواجهات التي اندلعت بين طامي والدولة القاسمية التي تسيطر، على مناطق تهامة اليمن، وتمتلك مدافع ثقيلة فتكت بقوات عسير وتمكنوا من دحرها⁽³⁷⁾.

ساهم تفكك الدولة المركزية، في اليمن، باستقلال المناطق اليمنية المختلفة، ومنها اماره عسير التي خرجت عن نفوذ ائمة اليمن في عهد الامام المتوكل احمد⁽³⁸⁾، 1224 هـ الموافق 1809 م، وفي عهد ابنه المهدي عبدالله⁽³⁹⁾، استقل بعسير عايض بن مرعي بعد جلاء قوات محمد علي باشا من تهامة بشكل عام 1840 م⁽⁴⁰⁾.

استغل آل سعود الفرصة للتوغل في عسير، بعد ضعف كيان الدولة القاسمية السياسي وبدات الاطراف تخرج عن سيطرتها، وبدا امراء عسيري يسيرون في فلك التعاون مع حكام نجد، لكن اشراف مكة المكرمة لم يروق لهم ذلك وكانوا يثيرون اشراف ابي عريش بين الفينة والآخر ضد اماره عسير، فضلاً عن تأليب العثمانيين على الامارة، مستغلين حالة الفوضى الذي تعيشها صنعاء بين الائمة المختلفين من اجل السيطرة على الحكم، وفي هذا السياق حاول بعض الائمة الاستعانة برجال عسير من اجل السيطرة على الحكم في صنعاء، الامر الذي جعل ابن مرعي متأهب لنجدة اصدقائه بهدف ابقاء السيادة له في عسير دون منازع يذكر⁽⁴¹⁾.

يتضح من خلال ما سبق أن اليمن بدات تفقد نفوذها السياسي على اماره عسير بعد ان دب الصراع السياسي بين الائمة من آل القاسم في الفترة المتأخرة من حكم الدولة القاسمية التي تميزت بالضعف ووجود ائمة ضعفاء تنازعوا على الحكم الامر الذي ادى إلى زيادة نفوذ امير عسير على حساب الدولة اليمنية المركزية في صنعاء.

المحور الرابع: إمارة عسير في عهد محمد بن عايض 1856-1872 م:

تبين احدى الوثائق العثمانية اوضاع عسير عام 1272 هـ الموافق 1856 م، وهو العام الذي توفي فيه الامير عايض بن مرعي امير عسير، وتشير الوثيقة أن اوضاع عسير منقسمة بين محمد بن عايض وابناء عمومته، وان قسم من اعيان عسير يرغبون في تعيين ابناء عمومة محمد بن عايض والقسم الاخر يفضل ابن الامير المتوفي محمد بن عايض، ويشير كاتب الوثيقة وهو (الشيخ محمد بن علي)، من المشائخ المواليين للعثمانيين في عسير، ويعرض للوالي في جدة اوضاع عسير، وان القبائل فيها تسير نحو التمرد والخروج عن الطاعة، بعد وفاة عايض بن مرعي، كما يحث الادارة العثمانية بسرعة حث الخطى لتملي الفراغ الذي خلفه وفاة الامير عايض بن مرعي في عسير، عن طريق استمالة مشائخ القبائل إليها، وان الدولة اذا ما اتجهت في هذه الخطوة ستكون لها الغلبة والنصر⁽⁴²⁾.

حاول محمد بن عايض استعطاف الدولة العثمانية من خلال الرسالة التي بعثها للسلطان العثماني عبد العزيز⁽⁴³⁾، يعلن فيها ولاءه للدولة العثمانية، والتزامه بدفع المبالغ المالية التي كانت عسير تدفعها للدولة عن طريق ولاية الحجاز، وانه رغم الظروف الصعبة التي تمر بها عسير انه ما زال ملتزم بدفع التكاليف التي يأخذها المأمورين مع الملاحظة لجناب السلطان العثماني أن هذا الولاء نابع من القناعة بأن يكون جزء من الدولة العثمانية وتستظل بظل عدالتها والامر والفرمان في الامر لجلالة السلطان⁽⁴⁴⁾، وفي سياق متصل حاول الامير محمد بن عايض ان يحل الخلافات التي كانت حاصلة بين عسير وشريف مكة المكرمة عبدالله بن محمد بن عبدالمعين

الذي تولى اماره مكة بعد وفاة والده، وتبين هذه الوثيقة التزام امير عسير محمد بن عايض بالسير نحو تحسين العلاقات مع امير مكة المكرمة الجديد، وانه على استعداد لعقد المواثيق وان لديه رغبة في عقد الصلح وجبر الخواطر بينهما وطيب الانفس والسير نحو العمل ليكون الجميع مفاتيح للخير، ومغاليق للشر، وان استمرار الخلاف لا يخدم إلا الاعداء المتريصين بذر الفتنة بين شريف مكة المكرمة، وامارة عسير⁽⁴⁵⁾.

يبدو ان هذا التوجه من قبل امير عسير محمد بن عايض كان الهدف منها اغلاق ملف الخلاف الذي تسبب به شريف مكة المكرمة السابق عبدالمطلب بن غالب الذي التجأ إلى عسير ووجد في اميرها السابق، حليف قوي ناصرته خلال فترة الصراع حول موضوع الرق الذي منعه العثمانيين في جميع مناطق الحجاز وعارضه شريف مكة المكرمة قبل عزلة من اماره مكة.

توصل الامير محمد بن عايض وشريف مكة المكرمة عبدالله بن محمد على اتفاقية بينهما نصت على الاتي:

الباب الأول: الوفاء بعهد الله وميثاقه على ما هو محرر ادناه على القاعدة الثانية وعلى هذا وجهي وعهد الله وميثاقه.

الباب الثاني: تعهد محمد بن عايض بعدم الاستماع لمن يوشي اليه عن شريف مكة المكرمة عبدالله بن محمد، والالتزام بصحبته والسعي اليه بخير، ومنع الشر نحوه ولا خذ فيه لومة لائم.

الباب الثالث: اذا حدثت اية خلافات بين القبائل الحدودية يسند حل الخلاف إلى المشائخ بينهم ما لم يرفع

الامر عن طريق الرسائل واذا لم يتم الاتفاق يتم الدعوى على يد حاكم الشرع ببركة مكة المكرمة ولا يكون غيرها.

الباب الرابع: عدم اعتراض التجار الذين يقومون بجلب السلع التجارية المختلفة من عسير إلى مكة المكرمة، ومنع اخذ الجمارك عليها، والعكس.

الباب الخامس: منع اي خلاف يحدث في مرسى الخسف من القبائل الذي لنا كراء الطريق وعدم التعدي على احد من اهل السنابيك وان حصل منهم شي من ذلك فأن الامير متعهد بأدائه.

الباب السادس: عدم قبول اي جندي من جنود الدولة مهما كان جنسه ولونه ويلتزم امير عسير برده.

الباب السابع: عدم قبول احد من قبائل الشام اذا هرب الى عسير ويلزم رفضه في اي سوق، هذا ما سار الاتفاق عليه بين الطرفين المتعاقدين شريف مكة المكرمة؛ عبدالله بن محمد بن عون ومحمد بن عايض بن مرعي، موضحة اعلاه سلع مواد يكون العمل عليها من الطرفين وبختم الوجه عام 1282 هـ الموافق 1865 م⁽⁴⁶⁾.

تأزمت العلاقات السياسية بين الامير محمد بن عايض، وبين امير مكة المكرمة الجديد حسين بن محمد بن عون⁽⁴⁷⁾، من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى، إذ إن العثمانيين لم يتحملوا مشاغبة أمير عسير، لا سيما بعد ان نجح في التغلب على عدد من المناوئين له في عسير، فضلاً عن ذلك ساهمت قوات شريف مكة المكرمة التي وصلت عسير، في تأجيج الصراع مع أمير عسير، وسبب ذلك إحراج كبير لشريف مكة المكرمة حسين بن محمد بن عبد المعين⁽⁴⁸⁾.

يبدو أن تحرك شريف مكة المكرمة ساهم في انتهاء الاتفاقية الموقعة مع شريف مكة السابق عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون في وقت سابق، وساهمت هذه الاتفاقية في تحسين العلاقات بين مكة المكرمة وعسير حتى وفاة الشريف عبدالله.

حاول محمد بن عايض استفزاز الدولة العثمانية عن طريق السيطرة على بعض الحاميات العثمانية الموجودة في عسير وخارجها، الأمر الذي دفع بخديوي مصر إسماعيل⁽⁴⁹⁾، إلى التدخل محاولاً معالجة الأمور حتى لا تتفاقم أكبر بين الدولة العثمانية، ومحمد بن عايض، وتشير احدي الوثائق العثمانية، وهي عبارة عن رسالة من الخديوي اسماعيل، إلى أمير عسير محمد بن عايض حاول فيها التدخل المباشر مع الاخير من خلال ما اعتبره اخوة الدين التي توحد الكلمة، فضلاً عن ذلك حاول خديوي مصر توضيح مدى خطورة الخروج عن الدولة العثمانية باعتبار ذلك من الأمور غير الشرعية التي تهدد جمع كلمة المسلمين خدمة حسب زعمه لأعداء الأمة الإسلامية المتربصين بها، كما حاول اهمية الوحدة والاتحاد، إذ تعهد بالتدخل لدى السلطان عبدالعزيز بالصلح مع أمير عسير وجعله أميراً باسم الدولة العثمانية، وانه في حالة موافقة الأمير محمد بن عايض على هذا العرض يمكن للخديوي إسماعيل ضمانه جانب العثمانيين وشريف مكة المكرمة من عدم الدخول في مواجهة مباشرة معه⁽⁵⁰⁾.

يتضح من خلال ما سبق أن تدخل الخديوي اسماعيل جاء لتحقيق عدد من الاهداف للدولة العثمانية منها:

- 1- وجود رغبة كبيرة لدى السلطان العثماني عبدالعزيز بعد تسلمه حكم الدولة العثمانية الجنوح إلى السلام بعيداً عن الحرب والصراع.
 - 2- وجود ضغوطات كبيرة على الدولة العثمانية من قبل الدول الأوروبية المتربصة بها والتي تتحين الفرصة للفتك بها.
 - 3- خشية السلطان عبدالعزيز من الدخول في حرب جديدة تساهم في استنزاف طاقة الدولة وتثقل أعباء الدولة المالية.
 - 4- البحث عن آفاق وحلول سياسية جديدة بعيداً عن الدخول في حرب مباشرة.
- علاقة الدولة العثمانية بعسير بعد افتتاح قناة السويس: شكلت قناة السويس أهمية كبيرة بعد افتتاحها عام 1869م، وترتب عليها إعادة العثمانيين تفكيرهم بالسيطرة على اليمن مرة أخرى لتصبح إحدى الولايات العثمانية في المشرق العربي، إذ سهلت قناة السويس عليهم عملية التواصل المباشر مع اليمن⁽⁵¹⁾، إذ حاولت الدولة العثمانية العودة إلى المنطقة لإعادتها إليها بدءاً من اغراء بعض الامراء بالعودة إلى إعلان تبعيتهم للدولة العثمانية، إذ ساهمت مجموعة من العوامل العلاقات بين الدولة العثمانية واميير عسير محمد بن عايض الذي حاول ان يكون جزء اصيل من اعادة تشكيل المنطقة الجغرافية سياسياً، بعد أن تمكن الشريف حسين بن علي حيدر امير المخلاف السليماني تدعيم نفوذه وسلطته السياسية بدعم من الدولة العثمانية التي اعلنت تأييدها له من خلال والي جدة وشريف مكة المكرمة مشترطين عليه الخطبة في المنابر للسلطان العثماني وهذا الاجراء يرمز.

بصورة او بأخرى - إلى تبعيته للدولة العثمانية، لكن ذلك لم يمر دون وجود اطماع سياسية ضد الامير حسين من قبل امام صنعاء، وامير عسير محمد بن عايض الطموح للسيطرة على مناطق تهامة، واخضاعها لسلطته السياسية، وهذا التوجه كان محل معارضة الدولة العثمانية⁽⁵²⁾.

حاول الامير محمد بن عايض استغلال الظروف السياسية التي تمر بها الدولة العثمانية عام 1287هـ الموافق 1870م، وشن حملته العسكرية على العثمانيين في تهامة متذرعاً، بقيامهم بشرب الخمر، وارتكاب بعض الاعمال المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فتمكن من السيطرة على بعض المناطق، ومنها ابي عريش التي مكث فيها شهر، ثم امر قواته بالزحف نحو اللحية ووادي مور، ولم يكن امام القوات العثمانية المتواجدة في تهامة سوى التجمع في مدينة الحديدة، وقاموا ببناء خط دفاعي حصين لمواجهة امير عسير، في المقابل توجه أمير عسير نحو زبيد وبيت الفقيه، اللتان اذعن له دون مقاومة تذكر، وحاول اهالي باجل الاتصال بقوات امير عسير، معتقدين ان قوات اماره عسير ستتمكن من السيطرة على اليمن، وهذه التوجهات لم ترضي القوات العثمانية التي تتمركز في الحديدة، واصبحت محاطة بقوات امير عسير، فبادر العثمانيين لمواجهة مع الاخير في معركة حامية راح ضحيتها مئتين جندي عثماني، وثلاثمائة عسكري من قوات امير عسير⁽⁵³⁾.

أثارت هذه الأطماع السياسية لأمر عسير مخاوف العثمانيين الذين تحركوا عام 1871م، فتقدمت قواتهم بقيادة أحمد رديف باشا الذي وقعت بينه وبين الامير

محمد بن عايض معارك كبيرة قتل فيها أعداد كبيرة من القتلى بين الطرفين، وكان من نتائجها ادراك اهل عسير مدى مغامرة أميرهم محمد بن عايض في مواجهة الدولة العثمانية، فعملوا على الابتعاد عن مناصراته، لاسيما بعد أن لمسوا منه الظلم والجور بحقهم نتيجة قوة سطوته وسيطرته عليهم فانصرفوا عنه باتجاه العثمانيين، الذين حاولوا شراء الاهالي بالأموال، التي ترتب عليها استمالة اعداد كبيرة من اعيان عسير نحو العثمانيين واستعدادهم لتقبل وجود العثمانيين داخل عسير انتقاماً من الامير محمد بن عايض، الذي ادرك مدى الفشل الذي لحق به وانصراف الاهالي من حوله نتيجة تدميرهم من تصرفاته، فاعتزل هو واتباعه نحو احدى القلاع التي تحصن بها مع اتباعه وعندما بلغ العثمانيين هذا الخبر بادروا لمحاصرته في قلعة ريده في عسير، واطبقوا عليه الحصار خانق وشديد فضلاً عن ذلك المدفعية العثمانية القلعة بقذائفها بشكل عنيف وقاسي، وعندما سكن القصف المدفعي بعد عملها الذي استمر ليلاً ونهاراً، وصل الامير محمد بن عايض إلى قناعة بعدم جدوى البقاء داخل قلعة ريده محاصراً، فقرر الخروج إلى العثمانيين وأعلنوا له الامان وعند وصوله اليهم استقبلوه بالترحيب فمال إلى عقد الصلح معهم، وتمكنوا بهذه الحيلة من طمئنة بن عايض متحينين الفرصة المناسبة لقتله، بعد ان يتمكنوا من استكمال الاجراءات الخاصة بالسيطرة على جميع مناطق عسير، بما في ذلك السيطرة على قلعة ريده مقر محمد بن عايض، وعندما تمكن العثمانيين من تطبيق هذه الاهداف المرسومة، فقبضوا عليه واعدموه، ثم ارسلوا جميع افراد عائلته مكبلين إلى العاصمة إسطنبول، ومكنتهم هذه الاحداث من احكام قبضتهم على

امارة عسير كخطوه أولى ممهدة للعودة للسيطرة على ولاية
اليمن عام 1872م⁽⁵⁴⁾.

الخاتمة:

تضمنت النتائج التالية:

- شكلت عسير. امتداد جغرافي وتاريخي طبيعيا لليمن عبر مراحل التاريخ المختلفة.
- شهدت عسير تطورات سياسية مهمة وهي تأسيس إمارة آل عايض في عسير 1249هـ. 1833م.
- تميزت علاقة عسير بمحيطها بالتأرجح بين الخضوع تارة والصراع تارة أخرى.
- بلوغ امارة عسير اوج قواها في عهد محمد بن عايض الذي تولى الحكم بعد ابيه خلال الفترة 1856-1872م.

يتضح مما سبق أن العثمانيين تمكنوا من اعادة السيطرة، على امارة عسير بالقوة وقتل الأمير محمد بن عايض، الذي كان اهم عائق امامهم في اعادة السيطرة على عسير، لاسيما بعد ان عانى العثمانيين منه الامرين، إذ راودته طموحات سياسية كبيرة بالسيطرة على مناطق تهامة واخضاعها لحكمه، لكنه فشل نتيجة قوة الدولة العثمانية، التي استطاعت القضاء على حكم آل عايض في عسير، بعد تمكن العثمانيين من قتل الأمير محمد بن عايض.

حاكم مدينة قولة، حيث بلغ عنده منزلة كبيرة نتيجة الفطنة والحنكة السياسية التي أظهرها محمد علي، وعندما بلغ الأخير الثلاثين من عمره خدمته الظروف التي لحقت بالدولة العثمانية نتيجة الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونا برت عام 1798م، فارسل في حملة عثمانية إلى مصر واثناء وصولهم الساحل المصري تم ضرب السفن العثمانية في البحر وهلك كل من كان على متنها وتمكن محمد علي من النجاة، ثم عاد بداية عام 1801م، على رأس قوات عثمانية إلى مصر، وتمكن بعد أربع سنوات من تولي ولاية مصر وأصبح حاكمها المطلق. عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2012م، ص 121-125.

(12) - محمد بن عبد المعين (1790-1858م): هو الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون أحد مراء الحجاز وأشراف مكة المكرمة تولى الإمارة للمرة الأولى عام 1827م، حتى عام 1851م، ثم نفي إلى العاصمة اسطنبول، لمدة خمس سنوات، ثم أعيد تعيينه شريفاً لمكة المكرمة عام 1856م، وفيها توفي. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ص 247.

(13) . عايض بن مرعي (...-1273هـ.... 1857م): بدأ حياته يتيمًا تربى مع اخوته في بيت ابن عمه محمد بن أحمد بن محمد الذي قتل عام 1216هـ. في إحدى معارك عسيرة فانتقل عائض واخوته إلى كفالة الأمير سعيد بن سلط بن مسفر بن عبد الرحمن وهو أخو الأمير علي بن مجثل، عرف عايض بن مرعي بانه في بداية أمره من أصحاب الأبل واشتهر بالشجاعة وعندما وصلت الحملة المصرية إلى عسيرة عام 1249هـ الموافق 1833م، استبسل في مواجهتها وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجثل فجعل الإمارة له من بعده، كان عايض بن مرعي من أنبل رجال عسيرة ذكاء وشجاعة بايعه أهل عسيرة بالإمارة في شهر شوال عام 1249هـ الموافق 1833م، بعد وفاة ابن عمه علي بن مجثل وبقي في الإمارة حتى وفاته. محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، ج10، دار الفكر العربي للنشر، بيروت، ط3، 1431هـ، ص 933.

(14) - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ص 241.

(1). الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الاكوع، مكتبة الارشاد، صنعاء، ط1، 1990م، ص 88-131.

(2) - محمود شاكر، موطن الشعوب الإسلامية في آسيا 14 شبه جزيرة العرب 1 عسير، المكتب الإسلامي، بيروت؛ ط1، د.ت، ص 12-14.

(3). علي أحمد عيسى عسيري، عسير من 1249هـ/ 1833م. 1289هـ/ 1872م، مطبوعات نادي أمها الأدبي، أمها، ط1، 1987م، ص 26-27.

(4) - كيناهان كورنيسواليس، عسيرة قبل الحرب العالمية الأولى، تحقيق: علي بن سعد آل حيفة الشهراني، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، د.م، ط1، 2009م، ص 12.

(5) - غيثان بن علي بن جريس، مرتفعات عسيرة ونجران في نظر الرحالين وكتب السير اليمنية، دراسة منشورة ضمن كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج3، مطابع الحميضة، الرياض، ط1، 2011م، ص 323.

(6). محمود شاكر: مرجع سابق، ص 113.

(7). غيثان بن علي جريس، تاريخ سروات عسيرة ومخلافي جرش وتباله بين المكتوب والمأمول، بحث ضمن كتاب السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية المنعقد بمنطقة عسيرة أمها، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك خالد، ط1، 2009م، ص 66.

(8). محمود شاكر، مرجع سابق، ص 120-121.

(9) - إيمان أحمد عارف، دراسة تحليلية لتوائم فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والإنشائية المعمارية بمنطقة عسيرة في أواخر حكم الدولة العثمانية، مجلة التصميم الدولية، مجلد 6، العدد 4، 2016، ص 114.

(10) - عبد الواحد محمد راجب دلال، البيان في تاريخ عسيرة ونجران، ج1، منشورات المؤلف، ط1، 1995م، ص 2.

(11) - محمد علي باشا (1769-1849م): هو محمد علي باشا ابن إبراهيم آغا، ينحدر من أصل الباني ولد في بلدة قولة إحدى موانئ إقليم تراقيا، ومقدونيا تربى في كنف عمه طوسون بعد وفاة والده، وبعد وفاة عمه أخذه أحد أصدقاء والده حتى بلغ سن الثامنة عشرة، فقدم محمد علي على تعلم الفروسية، ودخل في خدمة

(30) — الشريف عبد المطلب (1209-1303هـ — 1794-1885م): هو الشريف عبدالمطلب بن غالب بن مساعد الحسني، من امراء مكة المكرمة، ولد وتوفي بها، ولي امارتها للمرة الأولى عام 1243هـ وعزل عنها بعد خمسة اشهر، فتوجه إلى الشرق، ثم إلى العاصمة اسطنبول فأقام بها من عام 1267هـ حتى 1272هـ فأعيد تعيينه في امارة مكة المكرمة، حتى العام 1297هـ فوقت فيها فتنه كبيرة كان سببها منع بيع الرقيق، فعزلته الدولة العثمانية عن امارة مكة واستمر حتى العام 1299هـ وفصل عنها بعد ان تولاهما ثلاث مرات. خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج 4، ص 154.

(31) . علي احمد عيسى عسيري، مرجع سابق، ص 276-278.

(32) — القنفذة: بضم القاف وضم الفاء واسكان النون وفتح الدال المعجمة وبعبدا تاء مربوطة، واسكان النون وهي اسم المكان الذي ينبت نباتا ملتف في الرمال مدينة ساحلية في عسير استخدمها محمد علي باشا في حملاته عليها. <https://ar.wikipedia.org/wiki/> I. DH. 00350 (33).

(34) I. DH. 00350.23060.

(35) — حسين عبدالله العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (922-1336هـ / 1516-1918م)، دار الفكر العربي، دمشق، ط2، 2001م، ص 47-78.

(36) — طامي: هو طامي بن شعيب الرفيدي احد امراء عسير الاقوياء، الذي تولى بعد قريبه عبد الوهاب ابو نقطة، الذي وافته المنية وافته عام 1224هـ الموافق 1809م، الذي لقي مصرعه على يد شريف ابي عريش حمود بن محمد، بعد دخول الطرفين في صراع نفوذ في عسير، وظل طامي في عسير حتى لقي مصرعه على يد قوات محمد علي باشا التي اجتاحت عسير عام 1229هـ الموافق 1813م. عبدالرحمن بن احمد الهكلي، نفح العود في سيرة الشريف حمود، دار الملك عبدالعزيز للنشر، الرياض، ط1، 1982م، ص 223-290.

(37) . احمد بن احمد النعيمي الحسني، حوليات النعيمي التهامية من تاريخ اليمن الحدية 1215-1258هـ. 1800-1842م، تحقيق: حسين عبدالله العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987م، ص 35-36.

(38) — المتوكل احمد (1190-1231هـ / 1776-1816م): هو الامام المتوكل احمد بن المنصور علي بن المهدي العباس بن المنصور حسين بن المتوكل بن القاسم، بوقع بالإمامة بعد وفاة والده عام 1224هـ الموافق 1809م، حاول استرداد تهامة بأرسل الفين مقاتل

(15) — ابراهيم بن علي زين العابدين بن الحفظي، تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون، تحقيق: محمد بن مسلط بن عيسى الوصايي البشري، دار الامان، بيروت، ط4، 1402هـ، ص 16.

(16) — علي بن حيدر (1282-1254هـ — 1768-1838م): هو علي بن حيدر بن محمد بن احمد الهاشمي الحسني التهامي شريف من ولاية اليمن، كان في رجال عمه الشريف حمود بن محمد ونال من عمه ما يكره فخرج واستقر في ابوعريش حتى توفي. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ص 284.

(17) — لطيفة بنت ناصر المطلق، المقاومة في إقليم عسير ضد الحكم المصري (1232-1256هـ / 1817-1840م)، بحث ضمن كتاب السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية المنعقد بمنطقة عسير تاريخ عسير وحضارتها عبر العصور (بحوث علمية محكمة)، جامعة الملك خالد، 2009م، ص 226.

(18) — ابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي، المصدر السابق، ص 71.

(19) . علي احمد عيسى عسيري، مرجع سابق، ص 71-171.

(20) . كيناهان كورنيسواليس، المصدر السابق، ص 42.

(21) I. DH. 00391.

(22) . علي احمد عيسى عسيري، مرجع سابق، ص 168-196.

(23) . محمود شاكر، مرجع سابق، ص 165-166.

(24) — فاروق عثمان ابازة، سياسة بريطانيا في عسير اثناء الحرب العالمية الأولى، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت، ص 12.

(25) A. MKT. UM. 00021.00029.002.

(26) — عبدالله بن محمد بن عبد المعين (...-1877م): هو الشريف عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون واكبر ابنائه تعين عضواً في المجلس الاعلى مع مرتبة وزارة وفي شهر ربيع الثاني عام 1272هـ الموافق 1855م، وبعد وفاة والده محمد بن عون عام 1858م، ولي شرافة مكة خلفاً له وتوفي عام 1877م. محمد ثريا بك، اخبار الحرمين الشريفين وولاية الحجاز في السجل العثماني، ترجمة: هشام بن محمد علي بن حسن عجمي، مركز التاريخ العربي للنشر، تركيا، ط1، 2020م، ص 304.

(27) A. MKT. UM. 00021.00029.004.

(28) — ابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي، المصدر السابق، ص 105.

(29) . كيناهان كورنيسواليس، المصدر السابق، ص 40-41.

الحجة 1291هـ الموافق 26 يناير 1875م، تعين عضواً في المجلس الأعلى وفي شهر ربيع الثاني تعين رئيساً للدائرة الملكية وفي 1294هـ الموافق مارس أبريل 1877م، تعين عضواً في مجلس الشورى الدولة وفي 10 يونيو 1877م عين شريفاً لمكة، وظل في المنصب حتي تم اغتياله. محمد ثريا بك، المصدر السابق، ص152.

(48) - صلاح احمد هريدي علي، عسير تحت الحكم العثماني (1289-1336هـ - 1872-1914م)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1995م، ص 29.

(49) - الخديوي اسماعيل (1830-1895م): هو الخديوي اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي باشا تولى حكم مصر عام 1863م، وحاول السير على نهج جده في تحديث ولاية مصر والاستقلال بها عن الادارة العثمانية ولكن بطريقة دفع الرشاي للشخصية العثمانية المتنفذة في العاصمة اسطنبول، وحصل بذلك على لقب خديوي مصر عام 1867م، وكان اهم عمل قام به افتتاح قناة السويس بين البحرين الاحمر والمتوسط، وحصر ولاية مصر بين ابناؤه، وانشاء دار الكتب المصرية عام 1870، وعقد معاهدة مع بريطانيا لمنع الاتجار بالرقيق عام 1877م، عزل من منصبه بضغط من بريطانيا وفرنسا وغادر إلى العاصمة اسطنبول وتوفي بها ونقل جثمانه للقاهرة ودفن بها. ابو عياشة محمد الدمهوري، العقد المفرد في الفقه على مذهب الامام احمد، دار ابن حزام، بيروت، ط1، 2014م، ص 59-60.

I. DH. 00544. (50)

(51) . حسين عبدالله العمري، المرجع السابق، ص 193.

(52) . فاروق عثمان اباطة، الحكم العثماني في اليمن 1872-1918م، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ القاهرة، ط1، 1986م، ص 45-46.

(53) - مؤلف مجهول، حوليات يمانية اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، دار الحكمة اليمنية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، صنعاء، ط1، 1991م، ص 286.

(54) . مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 288-289.

اتباعه لكنه فشل في ذلك نظراً لتشتت قواته في اخماد التمردات التي شهدتها اليمن في عهده. محمد بن محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 153-158.

(39) - المهدي عبدالله (1208-1251هـ / 1794-1835م): هو الامام المهدي عبدالله بن المتوكل احمد وينتهي نسبه بالأمام المتوكل اسماعيل بن القاسم، بوع بالإنامة عام 1231هـ الموافق 1816م، قاد حملات عسكرية لإرجاع تهامة وعسير عام 1234هـ الموافق 1819م، وشهدت فترة حكمه وصول القوات المصرية إلى تهامة وعسير، وسيطرة عايض بن مرعي على امارة عسير. محمد بن محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 64-66.

(40) - حسين عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (1161-1264هـ / 1748-1848م)، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م، ص 11.

(41) - ابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي، المرجع السابق، ص115.

I. DH. 350/23060. (42)

(43) - السلطان عبد العزيز (1830-1876م): هو السلطان عبد العزيز خان بن السلطان محمود الثاني تولى عرش الدولة العثمانية بعد وفاة اخيه السلطان عبدالمجيد عام 1861م، وظل في السلطة حتى العام 1876م، وخلفه ابن اخيه السلطان عبدالحميد الثاني. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م، ص 530.

I. MMS. 0031. (44)

I. MMS. 0031/1283. (45)

I. MMS31/1283. (46)

(47) - حسين بن محمد بن عون (...-1880م): هو الابن الثالث للشريف محمد بن عون اخو الشريف عبدالله باشا تولى امارة مكة المكرمة، واخو الامير علي باشا استدعي للبلاط العثماني في اسطنبول ومنح الوزارة في 17 شعبان 1291هـ الموافق 21 سبتمبر 1874م، وتعين عضو في مجلس الشورى الدولة برتبة وزير وفي 18 ذي

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الحسن بن احمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الاكوع، مكتبة الارشاد، صنعاء، ط1، 1990م.
- 2- محمود شاكر، موطن الشعوب الاسلامية في آسيا 14 شبه جزيرة العرب 1 عسير، المكتب الإسلامي، بيروت؛ ط1، د.ت.
- 3- علي احمد عيسى عسيري، عسير من 1249هـ / 1833م - 1289هـ / 1872م، مطبوعات نادي اهبها الادبي، اهبها، ط1، 1987م.
- 4- كيناهان كورنيسواليس، عسير قبل الحرب العالمية الأولى، تحقيق: علي بن سعد آل حيفة الشهراني، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، د. م، ط1، 2009م.
- 5- غيثان بن علي بن جريس، مرتفعات عسير ونجران في نظر الرحالين وكتب السير اليمنية، دراسة منشورة ضمن كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج3، مطابع الحميضة، الرياض، ط1، 2011م.
- 6- غيثان بن علي جريس، تاريخ سروات عسير مغلافي جرش وتباله بين المكتوب والمأمول، بحث ضمن كتاب السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية المنعقد بمنطقة عسير أهبها، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك خالد، ط1، 2009م.
- 7- ايمان احمد عارف، دراسة تحليلية لتوائم فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والإنشائية المعمارية بمنطقة عسير في أواخر حكم الدولة العثمانية، مجلة التصميم الدولية، مجلد 6، العدد 4، 2016م.
- 8- عبد الواحد محمد راغب دلال، البيان في تاريخ عسير ونجران، ج1، منشورات المؤلف، ط1، 1995م.
- 9- سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2012م.
- 10- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
- 11- محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، ج10، دار الفكر العربي للنشر، بيروت، ط3، 1431هـ.
- 12- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
- 13- ابراهيم بن علي زين العابدين بن الحفظي، تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون، تحقيق: محمد بن مسلط بن عيسى الوصابي البشري، دار الامان، بيروت، ط4، 1402هـ.
- 14- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
- 15- لطيفة بنت ناصر المطلق، المقاومة في إقليم عسير ضد الحكم المصري (1232-1256هـ / 1817-1840م)، بحث ضمن كتاب السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية المنعقد بمنطقة عسير وحضارتها عبر العصور (بحوث علمية محكمة)، جامعة الملك خالد، 2009م.
- 16- I. DH. 00391
- 17- فاروق عثمان اباطة، سياسة بريطانيا في عسير اثناء الحرب العالمية الأولى، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.

- 30- I. DH. 350/23060
- 31- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: احسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م.
- 32- I. MMS. 0031
- 33- I. MMS. 0031/1283
- 34- I. MMS31/1283
- 35- صلاح احمد هريدي علي، عسير تحت الحكم العثماني (1289-1336هـ – 1872-1914م)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1995م.
- 36- ابو عياشة محمد الدمهوري، العقد المفرد في الفقه على مذهب الامام احمد، دار ابن حزام، بيروت، ط1، 2014م.
- 37- I. DH. 00544.
- 38- فاروق عثمان اباطة، الحكم العثماني في اليمن 1872-1918م، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط1، 1986م.
- 39- مؤلف مجهول، حوليات يمانية اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، دار الحكمة اليمنية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، صنعاء، ط1، 1991م.
- 18- A. MKT. UM. 00021.00029.002
- 19- محمد ثريا بك، اخبار الحرمين الشريفين وولاية الحجاز في السجل العثماني، ترجمة: هشام بن محمد علي بن حسن عجمي، مركز التاريخ العربي للنشر، تركيا، ط1، 2020م.
- 20- A. MKT. UM. 00021.00029.004
- 21- <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 22- I. DH. 00350
- 23- I. DH. 00350.23060
- 24- حسين عبدالله العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (922-1336هـ / 1516-1918م)، دار الفكر العربي، دمشق، ط2، 2001م.
- 25- عبدالرحمن بن احمد البهكلي، نفح العود في سيرة الشريف حمود، دار الملك عبدالعزيز للنشر، الرياض، ط1، 1982م.
- 26- احمد بن احمد النعيمي الحسني، حوليات النعيمي التهامية من تاريخ اليمن الحدية 1215-1258هـ. 1800-1842م، تحقيق: حسين عبدالله العمري، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1987م.
- 27- محمد بن محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- 28- محمد بن محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- 29- حسين عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (1161-1264هـ / 1748-1848م)، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م.

خطوط إمداد السلاح للثورة الجزائرية من أقصى الجنوب الشرقي الجزائري والحرب الأمنية لتأمين وصولها من خلال شهادات مجاهدين (1958 – 1962م)

الدكتور محمد حناي

جامعة الشهيد حمّـة لخضر – الوادي – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
الجمهورية الجزائرية

they framed all their efforts and harnessed all their capabilities for this purpose. One of the foundations on which they built their confrontation against the French occupier was a security confrontation, not to mention the military confrontation in the far reaches of the Algerian desert, all for the sake of securing arms convoys, following innovative methods created by the field, necessity, and need, including camouflage that relies on the components of the Algerian desert nature, as well as a security communication code that was called at the time "Nassibia."

Key words: Eastern borders - Algeria - Liberation Army - Security war - Arms supply.

مُقدِّمة:

عانت الثورة الجزائرية من جراء سياسة الخنق العسكري والأمني التي اتبعتها المحتل الفرنسي للقضاء على نقاط قوتها واستمراريتها، ألا وهي التزوّد بالسلاح، حيث نجده أسس لذلك خطي موريس وشال لأجل هذا الغرض فيما بين سنتي 1956 – 1958م؛ لكن قدرات العقل الثوري الجزائري على التّحمّل ورفع درجات التّحدّي العملي الميداني والتّصميم على المواجهة باقتدار وعزّة،

الملخص:

المتنبّع لتاريخ الحروب والثّورات وسعي الشّعوب التي أُخْتُلت للانعتاق من نير مُحتلّها، يجدها تُسجّر كلّ إمكانياتها ومُقدّراتها لأجل بلوغ هذا الهدف؛ وهذا عين ما وقع مع الشّعب الجزائري لدحر المحتلّ الفرنسي، حيث أطر كلّ جهوده وسجّر كلّ إمكاناته لأجل ذلك، ومن الأسس التي أقام عليها مواجهته ضدّ المحتلّ الفرنسي، مواجهته أمنية، ناهيك عن العسكرية في أقاصي الصّحراء الجزائرية، كلّ ذلك لأجل تأمين قوافل السّلاح، مُتّبعا في ذلك أساليب مبتكرة أبدعها الميدان والضرّورة والحاجة، منها التّمويه الذي يعتمد على مقوّمات الطّبيعة الصّحراوية الجزائرية، وكذا شيفرة تواصل أمنية سُمّيت في حينه بالنّصبيّة.

الكلمات المفتاحية: الحدود الشرقيّة – الجزائرية –

جيش التّحرير – الحرب الأمنيّة – إمداد السّلاح.

Abstract:

Anyone who follows the history of wars, revolutions, and the efforts of occupied peoples to free themselves from the occupiers will find them harnessing all their capabilities and potentials to achieve this goal. This is exactly what happened with the Algerian people to defeat the French occupier, as

جعله يُشغِل كلَّ مقوّماته التي يختزنها، وتحويل تلك المحن إلى منح يتمُّ من خلالها صهر كلِّ مقدّرات الشَّعب الجزائري الجهاديّة – من إيمان وصبرٍ واحتساب وحسن التَّوكل على الله واستعداد للتَّضحية بإرخاس المهج والأرواح – في بوتقة الهدف الأوحد ألا وهو طرد المحتلِّ والتَّحرُّر من نير براثن احتلاله، فابتكر طرق بديلة عن الحدود الشَّرقيّة والغربيّة للجزائر، واتجه باتِّجاه أقصى الحدود الشَّرقيّة الجزائريّة لتأمين السِّلاح متَّبِعاً سياسة أمنيّة مُشدّدة تعتمد مقوّم الطَّبيعة الصَّحراوية القاسية، والثَّمويه، والسُّرعة في التَّنفيذ، مُسجِّراً ابتكاراته التَّشفيريّة في الكلام لأجل انجاح هذا الفعل.

وحتى نتعرّف على هذا الفعل الميداني، قمنا بطرح الإشكاليّة التَّالية: ما الطُّرُق المسلوكة من أقصى الحدود الشَّرقيّة الجزائريّة لإمداد الثَّورة بالسِّلاح وما الحرب الأمنيّة التي خاضها جيش التَّحرير من أجل تأمينها؟ وحتى نجيب عن هذه الإشكاليّة قمنا بطرح عدّة أسئلة مساعدة، هي:

(1)- كيف حاصر فرنسا الثَّورة وسعت للقضاء على إمدادات السِّلاح؟

(2)- كيف تصدّت الثَّورة لكسر هذا الحصار؟

(3)- ما الطُّرُق التي كانت تسلكها قوافل السِّلاح من أقصى الجنوب الشَّرقي حتى تصل مواقعها؟

(4)- ما السِّياسة الأمنيّة التي اتَّبعها جيش التَّحرير في تأمين هذه القوافل ووصولها سالمة؟

أولاً- حصار فرنسا الثَّورة وسعيها للقضاء على إمدادات السِّلاح:

دأب الجزائريون كلَّ يوم على إيقاظ فرنسا وعسكرها بتنفيذ عمليات ترهيم وتعرّك صفوَّ بقائهم في أرض

الجزائر، وتفرض عليهم إعادة حساباتهم المرة تلو المرة في كيفية التَّعامل مع هذا الشَّعب الذي لا يمل ولا يضعف، والذي بسبب ثورته الشَّعبية القوية التَّخطيط والتَّنفيذ، أضحت الحكومات الفرنسيّة تسقط الواحدة تلو الأخرى، ومنها حكومة "بوروجيس مونوري Burgess Monnore"⁽¹⁾ التي أعادت "أندري موريس André Morris"⁽²⁾ كوزير للدِّفاع لأجل القضاء على الثَّورة الجزائرية، حيث رأى أنَّ إيقاف وعرقلة امتداد وتطور الثَّورة وتوفير وتعزيز الأمن وضمان الاستقرار السِّياسي للحكومات الفرنسيّة، لا يتأتى إلّا من خلال إنشاء خط دفاعي طويل مكهرب، يمتد بطول الحدود الجزائرية التَّونسية، مماثل للخط الدِّفاعي الذي سبق إنشاؤه قبل هذا التَّاريخ على الحدود الجزائرية المغربية⁽³⁾، فأصدر قراراً في 20 جوان 1957م⁽⁴⁾ لأجل إنشاء هذا الخط دفاعي. فما هو خط "موريس" وما قدراته الإعاقية للثَّورة؟.

(1)- خط موريس على الحدود الجزائرية:

1- 1 - الحدود الشَّرقية: امتد خط موريس من البحر

شمالاً إلى الصَّحراء جنوباً، حيث انطلق من عنابة، ليمر عبر بن مهيدي، الذرعان، بوشقوف، شيجاني، ويتفرع عند هذه النُّقطة، قسمان من الخط يحميان طريق السِّكة الحديدية، ثم ينزل باتجاه سوق أهراس، مداوروش، العوينات حتى تبسة، حيث يصعد باتجاه الكويف، ثمَّ ينزل نحو بكارية، الماء الأبيض، أم علي، بئر السبايخة، بئر العاتر، ثمَّ نقرين، ليتجه نحو شط الغرسة⁽⁵⁾ على مسافة يبلغ طولها أربع مائة وثمانين

كيلومتر طولاً⁽⁶⁾، أما العرض فإنه يختلف من منطقة لأخرى، تبعاً لاختلاف طبيعة وتضاريس كلِّ منطقة، حيث تراوح عرضه بين ستة واثني عشر متر إلى غاية ستين متراً⁽⁷⁾

فيما بلغت قوة التيار الكهربائي خمسة آلاف فولط⁽⁸⁾. وقد تم تزويد هذا الحاجز المكهرب بالعديد من التّحصينات⁽⁹⁾.

1 - 2 - الحدود الغربيّة: تجب الإشارة إلى أنّ عملية

غلق الحدود وتطويقها لعرقلة حركة ونشاط المجاهدين لم تبدأ أصلاً مع "أندري موريس"، بل سبقه لها الجنرال "بيدرون Pedron" قائد القسم الوهراني الذي طرح الفكرة وأوضح جوانبها وأهدافها، وقد جسدها في الميدان الجنرال "لوريو Lorillot" في شهر جوان 1956م⁽¹⁰⁾ بغرض عزل جيش التّحرير عن قواعده الخلفية بالمغرب. وأمام الخطر الذي باتت تمثله الجهة الغربيّة على القوات الفرنسيّة المحتلة عمدت القيادة الفرنسيّة للغرب الجزائري إلى غلق الحدود وتشدّد المراقبة على عناصر جهة وجيش التّحرير المتمركزة بالمغرب، الذي فتح أرضيه للثورة الجزائريّة، وعلى وجه التّحديد في كل من سعديّة، بوبكر، وجدة، سيدي عيسى، بوعرفة، بوقنت، إيش، فقيق ومرتمبراي⁽¹¹⁾. وقد كتبت في هذا الصّدّد جريدة "البرقية اليوميّة للجزائر La dépêche quotidienne d'Algérie" على صدر صفحتها الأولى تقول: «إنّ العصابات المسلّحة وجدت الملجأ والدّعم وكذا المساعدة في المغرب، ابتداء من سنة 1954م، حيث يُعتبر المغرب الإسباني بالنسبة للمتمردين الجزائريين، الملجأ المفضل لمسؤولي جهة التّحرير»⁽¹²⁾.

وقد أكد حقيقة هذه التّطورات الجنرال "سالان Salan"، الذي انتهى إلى فكرة وجوب غلق الحدود في وجه جيش التّحرير كحل أنجع لإيقاف السّلاح، خاصّة بعد تطورها على الحدود الشّرقية، لأنّ الدّعم الخارجيّ الذي تتلقاه الثّورة يشغل باله كثيراً، وبغرض عرقلة امتداد الثّورة على الجهة الغربيّة، شرع في إنجاز خط دفاعي

طولي عازل، على امتداد مسافة مائة وأربعين كيلومتر طولاً⁽¹³⁾، انطلاقاً من البحر إلى غاية مركز "أبروفوار Abreuvoir".

لكن هذا الخط لم يكن على درجة كبيرة من الخطورة على جيش التّحرير. كما أنّ الأشغال قد توقفت به لأسباب ماليّة، وبقي الأمر كذلك رغم الشّروع في زرع الألغام على مستواه، ابتداء من سنة 1957م إلى غاية رجوع "أندري موريس"، حيث عرفت الجهة الغربيّة بداية فعليّة وحقيقيّة للخط المكهرب، مثلما كان عليه الأمر في الجهة الشّرقية، بغرض تحقيق التّوازن في التّأثير على الثّورة، وتعميقه على نحو يجعل العبور أمراً عسيراً، إنّ لم نقل مستحيلاً⁽¹⁴⁾.

والجدير بالذكر أنّ "خط موريس" على الحدود الجزائرية المغربيّة امتد على مسافة 733 كلم⁽¹⁵⁾.

أما عن ظروف الأشغال الخاصّة بالخط على مستوى هذه الجهة، فإنّه ليس هناك ثمة اختلاف كبير بين الخططين المكهربين الشّرق والغربي، من حيث التّركيب التّقني. ذلك أنّ المانع الدّفاعي بهذه الجهة غير مجهز بالسّياج المضاد للباذوكا وكذا الشّباك الدّائري. وما تجب الإشارة إليه أنّ المجاهدين خلال خروجهم من الجزائر باتجاه المغرب يواجهون مباشرة خط الحماية والإنذار الذي يكشف ويحدد وجودهم، لكن أثناء دخولهم من المغرب باتجاه الجزائر تواجه المجاهدين شبكتان من الألغام بعرض ستة أمتار لكل شبكة. ومنه تبدو الأهميّة الاستراتيجيّة للعبور من المغرب باتجاه الجزائر في عملية التّموين بالسّلاح: كما يبدو بشكل واضح مدى التّركيز لجيش الاحتلال على منع ذلك على المجاهدين، والدّلّيل على ذلك شبكة الألغام المضاعفة، وبالتالي فإنّ "خط

موريس" على الحدود الغربية للجزائر توفر على مجموعة من التّحصينات هو الآخر⁽¹⁶⁾.

1 - 3 - تعزيز الخط المكهرب: إنّ إقدام فرنسا على تطويق الحدود الجزائرية التونسية والجزائرية المغربية يعكس بحق التّخوف الذي أصاب الاحتلال من استمرار الثّورة على نحو أكثر قوّة، وكذا سقوط وفشل محاولات ومخططات القضاء على الثّورة التي سبقت عملية التّطويق الحدودي؛ ومن ثمّ السّعي إلى عزل الجزائر عن تونس والمغرب اللذين شكلتا معطاً إقليمياً واستراتيجياً جديداً، أفرزه استقلال البلدين في سنة 1956م. ولأجل تثبيت مقوّم العزل الذي مثّل الدّعمة الرّئيسية والهدف الاستراتيجي الذي يُبنى عليه مخطط الخنق، كان جهد الدّولة الفرنسية منصّباً على تعزيز خط "موريس"، لأنّه اعتبر الحل النّاجع والكفيل بالقضاء على الثّورة الجزائرية التي هزت أركان الإدارة الاستعمارية⁽¹⁷⁾.

وعلى هذا الأساس ظهرت مخططات تعزيزية لإتمام ما شُرع في إنجازه من قَبْل، بغرض إحكام الغلق والتّطويق في وجه جبهة وجيش التّحرير. فحمل مخطط التّعزيز اسم الوزير المقيم "لاكوست - Lacoste"⁽¹⁸⁾ المتشبع بأسطورة الجزائر الفرنسية، ويُمثل المرحلة الثّانية من عملية الأشغال التي عرفتها الحدود الجزائرية، خلال الفترة الممتدة من جوان 1957م وجوان 1958م⁽¹⁹⁾.

ثمّ تُوبعت عملية التّعزيز في بناء هذا الخط بهدف القضاء على الثّورة، بمخطط "شابان دلماس"، و"مخطط الحرباء" ومخطط "شال"⁽²⁰⁾، الذي أنشئ على غرار خط "موريس"، والذي امتد هو الآخر من الشّمال إلى الجنوب، حيث يقترب من خط "موريس" أحياناً، ويبتعد عنه أحياناً أخرى، تبعاً لأهمية المواقع والمناطق، حيث تمتد المسافة

بين الخطين من 5 كلم إلى 40 كلم، ولهذا فإنّ الخط قد انطلق شرق وغرب القالة ليمر برمل السّوق، عين العسل، الطّارف، توستان، بوحجار وسوق أهراس، ولكن قبل سوق أهراس بحوالي 2 كلم وعند وادي الجدرية ينطلق باتجاه حمام تاسة، ثمّ يتجه شرق الطّريق الرّابط بين تاورة وسوق أهراس، وعند الكيلومتر الثّامن والعشرين يتحوّل الخط باتجاه جبل سيدي أحمد، مروراً بالمريخ، إلى غاية وادي سوف جنوب مدينة تبسة⁽²¹⁾.

هذا الحصار المطبق على الثّورة والذي كاد يقتلها، خاصة في جانبها العسكري، ذلك أنّ الولايات أضحت تشتكي من نقص الذّخيرة والسّلاح، أنتج إبداعاً عند المجاهدين، حيث أنهم لم يألون جهداً لأجل رفع التّحدي ضد مشاريع خنق الثّورة ومحاولة القضاء عليها، فأبدعوا طرقاً في المواجهة حيرت الألباب، وبرهنت على أنّ هذا الشّعب عصيّ وعنيّد لا يقهر، لأنّ إرادته هي الحياة بكرامة، ولأجل ذلك اعتمد الشّعب استراتيجية مواجهة وتصدي ضد خطي "موريس وشال" من أجل العبور.

ثانياً- تصدي الثّورة لكسر الحصار على مستوى

الحدود:

(1)- على مستوى الحدود الشّماليّة الشّرقية والغربيّة:

ارتكزت استراتيجية الثّورة في التّصدي "للسد القاتل"

على أسس تقنية، تستند إلى معرفته معرفة شاملة

ودقيقة تعتمد العناصر الأساسية التّالية:

✓ - تحديد مواطن ودرجة الخطر عبر مختلف

شبكاته.

✓ - دراسة وبحث الوسائل الملائمة والكفيلة

بإحداث الثّغرات وسط الخط المكهرب القادرة على

التقليل من حجم الخسائر البشرية وكذا نسبة الخطر، فضلاً عن العمل باستمرار على تغيير وتطوير الوسائل بالموازاة مع مختلف التعزيزات التي يعرفها الخط المكهرب باستمرار، وذلك بغرض تمكين المجاهدين من العبور وإدخال الذخيرة والسلاح⁽²²⁾.

وعلى هذا الأساس فإنَّ عملية العبور والوسائل المستعملة خلالها عرفت الطُّرق التالية:

(أ)- الطَّريقة الأولى: اتسمت بانعدام معرفة طبيعة الخط والأخطار التي يمكن أن يسببها، ولذلك نجد أنَّ المجاهدين كانوا يعمدون إلى اجتناب الأسلاك الشَّائكة، خاصة بعد أن لُغمت الأرض وكُهربت الخطوط، حيث كانت عملية العبور تتم بالجنوب⁽²³⁾، وذلك تجنباً لملاحقة قوات الاحتلال والخوف من الإصابة بانفجار الألغام. لكن هذه الطَّريقة عُدِّلت بسبب تعرض قوافل الذخيرة والسلاح للملاحقة والمطاردة التي تُستخدم فيها الطائرات الاستكشافية⁽²⁴⁾.

(ب)- الطَّريقة الثَّانية: لجأ خلالها المجاهدون إلى أسلوب آخر في التَّعامل مع الخط المكهرب، حيث كانوا يقومون بالحفر تحت الأسلاك الشَّائكة ورفعها عن الأرض بواسطة الأخشاب، وهذه العملية صعبة جداً، ذلك أنها تتطلب وقتاً لإنجاز عملية الحفر، وقد يكون ذلك صعباً في بعض المناطق الصَّخرية، ومن ثمة فإنَّ هذا الأسلوب لا نجد له تطبيقاً إلاَّ حيث تكون الأرض سهلة، كما أنَّ هذه الطَّريقة تعيق حركة المجاهدين لأنها تضطرهم إلى نزع الحقيبة الظَّهرية، وكذا الأسلحة والذخيرة المحمولة لتعذر المرور بها تحت الأسلاك، ومن هنا أصبح مهمة اجتياز الحدود أمراً أكثر صعوبة⁽²⁵⁾.

(ج)- الطَّريقة الثَّالثة: طورها المجاهدون في النِّصف الثَّاني من سنة 1958م، حيث أنهم يأتون بمجموعة براميل مفتوحة من الجهتين ويوصلونها ببعضها البعض في شكل أنبوب مركب من عدَّة أجزاء، ويلقُون خارجها بالمطاط، وبدخلها يجعلون الخشب المغلف بالمطاط، ثم يحدثون فجوة في الأسلاك المكهربة، بعدها يُمد هذا الأنبوب العازل للكهرباء وينقلون بواسطته حبواً، المجاهد تلو الأخرى، ثمَّ بعد ذلك يفصل إلى أجزاء ويُخبئ في مكان قريب لأجل استعماله عند العودة، وعند العودة يُركَّب وتكرر العملية باتجاه الأراضي التُّونسية، واستمرت هذه العملية إلى غاية الاستقلال⁽²⁶⁾.

(د)- الطَّريقة الرَّابعة: عكست هذه الطَّريقة التَّطور الحاصل في استعمال الوسائل النَّاجعة في عملية العبور والكفيلة بإحداث فجوات كبيرة في الخط المكهرب، فقد تمَّ خلال هذه المرحلة استخدام المقصات المغطاة بالمطاط العازل التي جيء بها من ألمانيا، حيث أنَّ هذه المقصات بإمكانها قطع خطوط مكهربة يصل ضغطها إلى عشرين ألف فولط⁽²⁷⁾. وقد استعملت الثَّورة هذا الأسلوب على نحوٍ مكثف وواسع في جميع عمليات العبور أو التَّخريب الجزئي أو أثناء العمليات المعممة؛ والسَّير في توسيع نطاق استعماله هو السُّهولة الكبيرة التي يجدها المجاهدون سواء في حمل المقص أو استعماله، فضلاً عن السَّعة في إحداث الفجوات على مستوى الأسلاك الشَّائكة والمكهربة.

(هـ)- الطَّريقة الخامسة: هي قفزة نوعية في تطور أساليب التَّصدي للخط المكهرب الذي ما انفكت الثَّورة تحدثه بين الفينة والأخرى للرفع من مستوى التَّحدي الأمني، والفاعلية العسكرية. وقد تمَّ خلال هذه المرحلة من مسار الثَّورة استخدام المحوِّل الكهربائي، الذي عكس

قدرة الثورة على استخدام التقنيات الحديثة في الكهرباء
رغبة منها في تثبيت قواعد مواجهة كفيلة بتحقيق نوع من
توازن الرعب وإقلاق العدو⁽²⁸⁾، كذلك تحقيق نوع من
الانفراج للولايات الداخلية؛ لقد استخدم هذا الأسلوب
هو الآخر على نحو واسع وحقق نتائج إيجابية، حيث تعذر
على قوات الاحتلال ضبط وتحديد مكان القطع، ذلك أن
المحوّل يوضع على الخط المكهرب ويُشَدُّ إلى موضعين
متقابلين على ذات الخط المكهرب ثم يُقطع الجزء المكهرب
الواقع بين موضعي الشد، الأمر الذي يجعل التيار
الكهربائي يستمر في السريان ولكن في المحوّل وليس في
الخط⁽²⁹⁾.

(و)- الطريقة السادسة: أُسْتُعْمِلَتْ في الحدود الغربية،
وهي عبارة على صناعة صندوق من الخشب غير مغطى
ومفتوح من الجهتين العليا والسفلى، يوضع على السلك
المكهرب، ثم يمر بداخله المجاهد من الجزائر باتجاه
المغرب. وقد أثارت عمليات العبور الناجحة انتباه واهتمام
بل وحيرة وقلق قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت في
الصباح تقف على آثار للسير باتجاه المغرب، ما يعني قيام
المجاهدين بعبور الحدود ليلاً، ولكن من غير أن ينتبه
القائمون على المراقبة، رغم وسائل الضبط والتحديد
الدقيقة إلى ذلك، باعتبار أن الخشب مادة عازلة. بيد أن
ذلك حفّز قوات المحتل على القيام بتعزيز المراقبة
وتكثيفها لاكتشاف السر الكامن وراء العبور الناجح؛ وقد
استطاعت بعد فترة قليلة أن تحجز الصندوق وتوقف
العمل به⁽³⁰⁾.

(ز)- الطريقة السابعة: وهو استعمال "البنقالور"⁽³¹⁾.
الذي يُعدُّ نقطة فارقة في تطور استراتيجية الثورة لأجل
التصدي لخطي "موريس وشال"، حيث شرعت الثورة في

استعماله خلال شهر ديسمبر من سنة 1958م، على
مستوى الحدود الغربية، حيث أوضحت التعلّمة السرية
للعقيد "دوليكون - Delequen" قائد القسم العسكري
الوهراني بتاريخ 19 ديسمبر 1958م⁽³²⁾ أن استعمال
"البنقالور" يُعتبر أسلوباً جديداً يستعمله الثوار على
مستوى الحدود الغربية، وذلك لأنه استعمل لأول مرة في
ليلة 27 إلى 28 سبتمبر 1958م بالقرب من جنان "بورزق"
في المشرية، ثم أضحى يُعمم شيئاً فشيئاً، إلى أن صار
يُستعمل في كل محاولة للعبور. وقد ذكرت ذات التعلّمة
أنّه ابتداءً من شهر سبتمبر إلى غاية أول ديسمبر من سنة
1958م استعمل 491 بنقالور، وهو العدد الذي انفجر
فقط؛ وخلال الفترة الممتدة من 1 ديسمبر إلى غاية 12
ديسمبر 1958م انفجر 149 بنقالور، وهو ما يعطي دلالة
واضحة على التوجه الجديد الذي سلكته قيادة الثورة في
استعمالها للوسائل وحسن تمكّنها من إدارتها إدارة حسنة
في الزمان والمكان، بعد ملازمة نتائجها الإيجابية ميدانياً.
بيد أن استعمال "البنقالور" للعبور كانت له سلبيات⁽³³⁾
تمثلت في كشف جنود جيش التحرير، مما يضطرهم إلى
الدخول القسري في اشتباكات ومعارك هم في غنى عنها،
فقد تسبب هذه المعارك في خسائر بشرية كبيرة في
صفوف جيش التحرير نتيجة التدخل الفوري والسريع
للطيران العمودي⁽³⁴⁾.

(ح)- الطريقة الثامنة: تمثلت هذه الطريقة في التعبير
على تمسك الجزائري بكل خيرات وطنه وطبيعته المعطاءة،
وخلق نوعٍ من التناغم الذي يضيف إلى الإبداع في
الابتكارات للوسائل المساعدة على دحر العدو الفرنسي،
فقد استغلت الثورة التحريرية الطبيعة الجزائرية
وسخرتها لخدمتها، من جبال وصحارٍ ووديان. ومثالنا على

ذلك ما شهد به الشيخ "سيدي عبد الجبار التيجاني"⁽³⁵⁾ شيخ الطريقة التيجانية، الذي قال في إحدى جلساته مع أحبابه وزواره، أنَّ الثورة تنشط كثيراً في جلب السلاح من الأراضي المغربية في فصل الشتاء، وخاصة في "الليالي البيض"⁽³⁶⁾، كما أنها كانت تستغل الوديان عندما تفيض - تحمل - وتتدفق من المغرب الشقيق باتجاه الجزائر، من هذه الوديان: "واد السَّاورَة" الذي يمرُّ بـ "بشار" ثم "بني عباس"، ويسيح في منطقة تدعى "طالمين"، فهذه المنطقة يتلقى المجاهدون المسؤولون على جلب الأسلحة كميات السلاح التي وصلت سالمة في أكياس مصنوعة من وبر الجمال ومُحكمة الرِّبط، ويؤتى بها إلى زاوية "عين ماضي التيجانية" حيث تجمع هناك، وبعدها تأتي وحدات النقل والتوزيع من مسؤولو الثورة لأخذ هذه الأسلحة. كذلك "واد مرة" الذي يمرُّ بـ "أنفوس" ثم "الغيشة" ويُصب بـ "واد مزي" الذي يمرُّ بـ "تاجموت"، هذا الواد كذلك كانت الثورة تستغله لجلب السلاح. وما يتعذر من الإمساك به من أكياس الأسلحة، كان يرصد بواسطة "الرقاب" أو "المراقب" في منطقة "رأس الميعاد" و"سيدي خالد" الذي يمرُّ بها "واد جدي"، - لأنَّ هذه الوديان كلها مرتبطة ببعضها البعض - إلى غاية مدينة "بسكرة" حيث تأخذ بقية الأسلحة من هناك. ويروي في شهادته هذه أنَّ الوديان لما تفيض في المغرب الشقيق كانت الثورة بمساعدة الأخوة المغاربة يُعلموننا من أعالي سفوح الجبال الأطلسية بالصوت المرتفع ويرددون عبارة "يا وتلقوه رآه مأمّن"⁽³⁷⁾؛ يعني بذلك تلقوا شحنة السلاح إنَّها قادمة في الماء، ومفردة "مأمّن" تعني الماء، لأن رؤية الماء في المنام تعني الأمان، وبهذا تصبح العبارة: "يا وتلقوه رآه جايكم مع الماء"⁽³⁸⁾.

وبهذا العمل البارِع في التَّشفير حتى للرسائل السَّمعيَّة، نستشف مدى حنكة وقدرة الثورة الإبداعية على حشد عوامل الانتصار، العامل تلوى الآخر لأجل بلوغ الهدف الأسمى وهو الاستقلال.

لقد برعت الثورة الجزائرية في تثبيت معادلات الردع العسكرية التي تُبيِّن وتبرز قدراتها على أنها هي صاحبة الكلمة العليا ومنها: شنها الدَّائم للهجومات والكمائن، كذلك تصديها لعمليات التَّمشيط التي تقع مرتين كل شهر بنجاح تام. وإذا لم يخرج العدو الفرنسي في هذه العمليات التَّمشيطية على مستوى الخطوط الخلفية لخطي "موريس وشال" كانت الثورة تهجم على مراكزه؛ ولهذه العملية أهداف كثيرة فإن لم تكن من أجل القضاء عليه، فعلى الأقل مضايقته واستنزافه وافتكاك الأسلحة والعتاد وتخريب منشآته العسكرية⁽³⁹⁾.

(2)- على مستوى أقصى الحدود الجنوبية الشرقيَّة:

لقد بدأ اهتمام "جبهة التحرير الوطني" بأقصى الجنوب الجزائري انطلاقاً من أواخر سنة 1956م⁽⁴⁰⁾، وذلك لتوسيع رقعة الكفاح الوطني، وكذلك لضمان مزيد من التَّموين والإكثار من المنافذ الثَّوريَّة التي تحتاجها الثورة للتجديد والانعاش بين الفترة والأخرة، وكذا توسيع التَّنظيم الثَّوري بالنَّسبة "لجبهة التحرير الوطني"، وبسط نفوذها وسيطرتها على كامل التُّراب الوطني⁽⁴¹⁾.

بناء على هذه الرُّؤية والأهداف أرسلت قيادة الثورة مبعوثين من طرفها للقيام بهذه المهمة وكان من بينهم: المجاهد "مُحمَّد جغابة" المجاهد "مُحمَّد الشَّريف مساعدي" وغيرهم⁽⁴²⁾، والذين سعوا مع ثلَّة من المجاهدين لترتيب الأوضاع هناك، فكان لهم ما أوردوا لناحية انخراط أبناء أقصى الجنوب في الثورة التَّحريرِيَّة وكفاحها

المسلّح المشروع، من خلال انتظامهم في مجموعات، منها ما كان عسكري، ومنها ما كان أمني، ومنها ما كان سياسي⁽⁴³⁾.

بناء على هذا الواقع التّنظيمي المحكم، وبسبب الضّروقات التي فرضتها عمليّة محاصرة الحدود الشّماليّة شرقاً وغرباً، اتّجهت "جبهة التّحرير الوطني" و"جيش التّحرير الوطني" إلى استغلال جبهة أقصى الجنوب لتزويد الثّورة التّحريريّة بما تحتاجه من سلاح، مستعينة في ذلك بأعيان الجنوب لتأمين طرق الإمداد، فكيف تمّ ذلك؟

ثالثاً- الطّرق⁽⁴⁴⁾ التي كانت تسلكها قوافل السّلاح من أقصى الجنوب الشّرقى حتى تصل مواقعها:

قامت قياد الثّورة في الولاية السّادسة وبالتّسيق مع الخلايا الثّوريّة كلّ حسب تخصّصه وموقعه، برسم لمسارات قوافل السّلاح من أقصى الجنوب حتى مواقع إفراغ شحنات الأسلحة في الأماكن المتفق عليها، وهذه المسارات كالآتي:

الطّريق 1. انطلاقاً من: قندناي بأقصى الجنوب - عين أزان - تينال كوم - تارات - عين أميناس - وهجرين - ماركسن - قارة الهامل - الدّبداب - بئر الخادم - بئر فاطيمة - الرّباعة - طنقر - (من طنقر بإمكان القافلة التوجه نحو سوف) - بئر حمّه مسعود - بئر بالركايز - بئر الطّويزة - العرّامة - ماء طهراوي - غيلات - ابجاق - بولرباش - مالح البوقال - عقلة بالعيد - أميه عيسى - بئر لحرش - زمول حليلة - شوشة حنانة - عرق لزال - بركة - المالح - بئر مطمطاط⁽⁴⁵⁾.

الطّريق 2. انطلاقاً من قندناي بأقصى الجنوب، ونقطة الالتقاء هي الدّبداب، ثمّ ينحاز عن الطّريق 1.

يساراً، فيأتي بير الرّتم - بئر بوخرب - بئروروبات - (من بئروروبات بإمكان القافلة التوجه نحو سوف) - بئر بالماكي - بئر الشّهلة - بئر البرك - بئر الصّوالج - سيدي بوقصعة - عقلة أمباركة - بئر عين بوسماحة - شوشة أولاد مبروكة - بئر مطمطاط⁽⁴⁶⁾.

الطّريق 3. انطلاقاً من قندناي بأقصى الجنوب، ونقطة الالتقاء هي الدّبداب، ثمّ ينحاز عن الطّريق 2. يساراً، فيأتي بئر لهويدفات - بئر العرص - بئر بوجحيحيفة - بئر العكرة - (من بير العكرة بإمكان القافلة التوجه نحو سوف) - بئر الجدايد - بئر لمظال - 3 أبيار - أميه سعد - بئر الشّهبة - لعوج - مالح عبد القادر بلحاج - بئر المتكي - الرّوخ - بئر مطمطاط⁽⁴⁷⁾.

الطّريق 4. انطلاقاً من قندناي بأقصى الجنوب، وفي عين أميناس تنعرج غرباً، فيأتي بئر الزّقزاف - بير الشّبي - سودة - برج عمر إدريس - بئر بولعراس - حاسي الطّراطاق - بن مالكة - بلقبور - بئر الطّراطاق - حاسي الثّوارق - بئر واد الشّيوخ - لمكنة - حاسي الرّقارة - فج الخلوي - تفجاوين - بئر جاهلي - بئر سباح لحمير - حاسي الحملة - بئر بغيريسة - بئر بوقناسة - كريمة والعباد، ومن ثمّ ورقلة.

هذه الطّريق الرّابعة كان يسلكها "القايد العيد بوسعيد"⁽⁴⁸⁾ عند تأمينه للسّلاح⁽⁴⁹⁾.

الطّريق 5. وهي طريق مزدوجة:

الأولى: انطلاقاً من: قندناي بأقصى الجنوب - عين أزان - تينال كوم - تارات - عين أميناس - وهجرين - ماركسن - قارة الهامل - الدّبداب، ثمّ تميل باتجاه الشّريط الحدودي فيما بين أبراج المراقبة الفرنسيّة انطلاقاً من: بير ريقة - بير الصّابري - بير خشيم عيسى -

حاسي لبحور - بير مواطة - البرمة - بير المنقع - بير الغرافة - بير الذّر - بير الشّعالة - بير الجدايد - بير ميه الرّيح - بير بوضبعة - بير الرّقيعات - بير ميزوز - بير لعمق - بير أمهت الرّبايع - أبيار معلوفة - بير لازول - ثمّ إما باتجاه العقلة بوادي سوف، أو باتجاه "الدّبيدي" حسب الضّرورة الأمنيّة.

الثّانية: انطلاقاً من: قندناي بأقصى الجنوب - عين أزان - تينال كوم - تارات - عين أميناس - وهجرين ماركسن - قارة الهامل - الدّبداب، - بئر الخادم - بئر فاطيمة - الرّباعة - طنقر - (من طنقر بإمكان القافلة التوجه نحو سوف) - أو تكمل باتجاه "بير الرّكايز" - بير مَيّ - - بير الجدايد - بير ميه الرّيح - بير بوضبعة - بير الرّقيعات - بير ميزوز - بير لعمق - بير أمهت الرّبايع - أبيار معلوفة - بير لازول - ثمّ إما باتجاه العقلة بوادي سوف، أو باتجاه "الدّبيدي" حسب الضّرورة الأمنيّة⁽⁵⁰⁾.

هذه القوافل التي كانت تأتي بالسّلاح لا يتجاوز تعداد جمالها 18 جملاً، ويُرافقها 7 أشخاص، أحدهم كشّاف، كلهم مجاهدون خبراء بالمسالك⁽⁵¹⁾ الصّحراويّة، وتسير كل 3 جمال مع بعضها لتفادي الانكشاف الأمني، على أن يكون بين كلّ ثلاثة وثلاثة مسافة آمنة تقدّر بمرحلة⁽⁵²⁾؛ أمّا الجمال التي تعباً بطونها بالرّصاص، ففي كلّ 3 جمال يوجد واحد في بطنه الرّصاص، ولا يُحمل على ظهره كميّة كبيرة. كما أنّ هذه العمليّة حصلت 6 مرات متتالية، في شهر ديسمبر 1958م، وشهور: فيفري، وأفريل، وماي سنة 1959م⁽⁵³⁾، وكُثِرَت السّنوات الموالية حتى الاستقلال⁽⁵⁴⁾.

رابعاً- السّياسة الأمنيّة التي اتّبعها جيش التّحرير في تأمين هذه القوافل ووصولها سالمة:

حتى تسلك قوافل السّلاح طريقها آمنة قامت قيادة "جبهة التّحرير الوطني" بتأمين البيئة الشّعبية الحاضنة للثورة من خلال أعيان ومشايخ الجنوب وسخّرتهم لهذا الأمر، لناحية تجنيدهم وتجنيد مُحبهم لهذا الأمر، وجعل العديد منهم أعين وأذان الثّورة في الوسط الشّعبي وفيما بين الطّرق الصّحراويّة للاستطلاع الطّرق والمسالك وإعلام القيادة بكلّ جديد فيما يخصّ العدو.

1- طريقة تأمين قوافل السّلاح:

ناهيك عن اختيار المواسم والفصول المناسبة ومحاولة تسخير الواقع الطّبيعي والمناخي لتأمين قوافل السّلاح، كانت الثّورة تدعم ذلك على مستوى الدّعم اللوجستي الميداني بأرمادة من المجاهدين ذوي اختصاصات متعدّدة، لأجل حماية هذه القوافل التي تعبّر عن مصير الثّورة وشريان حياتها؛ ومن هؤلاء نجد:

1 - 1 - السّعيّف: جمعها "سعفاوة"، والسّعيّف مهمّته أن يكون في عقب القافلة ويتتبع أثرها ويحمي مؤخّرتها من مدهامة العدو لها من الخلف أو من مُباغتها. كما ينتشر مجموعة أخرى من "السّعفاوة" على طول المسلك المتفق على السّير به، متنقلين بين الآبار المائية الموجود بذلك المسلك، لتأمين وصول القوافل لتلك الآبار والتّزود منها بالماء ثمّ مغادرتها.

1 - 2 - الرّقاب⁽⁵⁵⁾: وجمعها "الرّقابة"، وهم الذين يصعدون فوق "غرد عالي" - كتيب رملي - وعند مغادرة قافلة السّلاح إلى بئر مُعين، يرسلون الإشارة عن طريق رفع الصّوت عالياً بعبارة يتّفق عليها، على أن القافلة غادرت الموقع كذا، فاستلموها، فيردّ الرّقاب الآخر بأنه علّم ويرسل إشارة صوتيّة للسّعفاوة حتى يكتشفون الطّريق هل هي آمنة وسالكة أم لا⁽⁵⁶⁾.

2- طريقة تأمين البيئة الدّاخلية التي ستصلها
قوافل السّلاح:

فيما يخص التّواصل عند الأسيرة الثّورية في سوف، وحتى في مرحلة الإعداد للثورة عند جلبهم لقوافل السّلاح من القطر الليبي الشّقيق مراراً بمدينة "غدامس"، ثمّ قطع الصّحراء عبر العرق الشّرقى الكبير من خلال الطّريق الصّحراوي السالك لمدينة "وادي سوف"، حتّم على القيمين على هذا الأمر من أبناء المنطقة التزام الحذر الشّديد في نقل الرّسائل فيما بينهم، الحاملة لأخبار وصول قوافل السّلاح من "ليبيا"، ومكان تخبئتها ببعض المحلات والمساكن والغيطان⁽⁵⁷⁾ بسوف، وكذا زمن إقلاعها باتجاه "الأوراس". ولإدراك خطورة هذا الفعل وعواقبه الوخيمة على المنطقة وسكنها إذا علمت إدارة الاحتلال الفرنسي بذلك، قام أحد أئمة منطقة "عميش" - البيضاء حالياً - سنة 1949م في تلك الفترة، وهو كبير مقاديم الطّريقة التّجانيّة المدعو المقدم "العيد بن يامه التّجاني" إلى ابتكار وسيلة تواصل يمكنها أن تفاديهم الخطر ما أمكن، وهو استعمال اللغة العربيّة بين من يقرؤونها من الأئمة المنخرطين في هذا العمل، وبعض طلبتهم وأقربائهم الموثوقين، وسُميت هذه الوسيلة التّواصلية في حينها بـ"النّصبيّة"، وهي شيفرة تعتمد على اللغة العربيّة المرمّزة بحركات اللغة، النّصب، الرّفع، الكسر، والسّكون⁽⁵⁸⁾.

لما اندلعت الثّورة وازداد خطر المراقبة والجوسسة الفرنسيّة على المجاهدين والبيئة الحاضنة لهم خاصّة بعد أحداث رمضان 1376هـ/ أبريل سنة 1957م⁽⁵⁹⁾، طوّر القيمين على هذه "النّصبيّة" من أدائها، فأصبحوا يشترطون على من يستعملها السّرعة في نطقها في قالب فُكاهي حتى لا يجلب الانتباه وتظهر لمن لا يعرفها على أنّ

مستعملها يمزح، ومن قام بهذا الأمر الشّيخ "أمحمد التّجاني"⁽⁶⁰⁾.

2- 1 - مباني هذه الشّيفرة - النّصبيّة :-

تُعلم هذه الشّيفرة لمن سيستعملونها كالآتي:

إذا كان الحرف مرفوع ننطق الحرف + الرّفع.

إذا كان الحرف منصوب ننطق الحرف + النّصب.

إذا كان الحرف مجرور ننطق الحرف + الكسر.

إذا كان الحرف ساكن ننطق الحرف أَلِف (أ) مع قاف

ساكنة (أَبْقَى) أو (أَتَقَى) أو (أَتَقَى) بحسب الجملة.

ثمّ تطورت لزيادة الحذر، فأصبحت:

في حالة النّصب: الحرف + نِسْ.

في حالة الرّفع: الحرف + حُو.

في حالة الجَرّ (الكسر): الحرف + خِي.

في حالة السّكون: الحرف + أَلِف (أ) مع قاف ساكنة

(أَبْقَى) أو (أَتَقَى) أو (أَتَقَى) بحسب الجملة.

أمّا الشّد، فيشدها المتكلم مثل: حطّ، ننطقها: حَنَصْ

أَطَقْ.

2- 2 - تطبيق القاعدة⁽⁶¹⁾:

الرّسالة المبعوثة: الحذر الحذر من أعوان فرنسا
الطريق غير سالك.

الكلمة	شيفرتها	الكلمة	شيفرتها	الكلمة	شيفرتها
أَلْ	أَنْسَلَقْ	أَ	أَنْصَ	أَلْ	أَنْسَلَقْ
حَ	حَانِسْ	عَ	عَقْ	طَ	طَانِسْ
ذَ	ذَانِسْ	وَا	وَانَسْ	رِي	رِيخِي
رَ	رَقْ	نِ	أَنْقْ	قِ	أَقَقْ
مِ	مِخِي	فِ	فِيخِي	عَ	غَلِسْ
نَ	أَنْقْ	رَ	رَانِسْ	يِ	أَيَقْ
		نَ	أَنْقْ	رُ	رُوخُو
		سَا	سَانِسْ	سَا	سَانِسْ
				لِ	لِيخِي
				كُ	أَكَقْ

3- شيفرة الاتصال من خلال المظهر والحركات:

بحسب شهادة المجاهد "الحاج العروسي بن الصّالحة"⁽⁶²⁾ أنّ الثّورة استطاعت تجنيد أعيان الشّعب الجزائري قاطبة ممن كان لهم حساً وطنياً عالياً، منهم: الأئمة، التّجار، المشايخ، وهذا لأنّ فرنسا تستبعد أن تشكّ في سلوكهم اليومي وتراقبهم، لكن رغم ذلك امتاز هؤلاء الأعيان بالحذر والحيطة واتباع إرشادات وتوجيهات المحافظين السّياسيين للمحافظة على حياتهم مع الالتزام بالحذر واليقظة اتجاه العدو وإبقاء الأعين والأسماع متفتّحة باتجاهه واتجاه أعوانه؛ وبناء عليه تمّ انشاء شيفرة تعتمد على اللّباس وطريقة إرتدائه، فهي شيفرة اعطاء وتلقي أوامر، وكذا حركات اليد وإشاراتها، وتعبيرات الجسد، وكمثال على ذلك:

إذا صدرت الأوامر بعملية تصفية لعميل ما سواء كان من الأهالي أو المتعاونين مع إدارة الاحتلال، ليس شرطاً أن تتمّ في الليل، ففي بعض الأحيان تتمّ في وضح النّهار، كما فُعل بِـ "صابر النّايلي" الذي كان أحد مُجندي إدارة الاحتلال ويقوم بمضايقة الأهالي على مستوى "وادي سوف"، ويستفّرهم لأجل جمع المعلومات حول أصحاب القوافل، من هم؟ ومتى خرجوا؟ وأيّ وجهة سلكوا؟، فتتمّ تكليف مجموعة من البياضة بتصفيته سنة 1959م، وكان أحد أفراد المراقبة هو محدّثنا المجاهد "الحاج العروسي بن الصّالحة"، والذي اتّفق مع المنقذ "علي بن القايدة"⁽⁶³⁾ عن الحركات التّالية:

رفع أسفل "القندورة" (أي القدورة)، ووضعه فوق الكتف، تعني أحذر معه حراسة.

وضع يدي اليمنى على وجهي وانزالها بقوة، تعني

انسحب.

الجلوس على مشطي رجلي، تعني تريث بجانبه مدني قد يؤذي.

انزال طرف العمامة من على كتفي وتركها مدلاة، تعني نفذ العملية⁽⁶⁴⁾.

ناهيك على شيفرة تواصل وطرق تمويه عديدة لأجل حماية المجاهدين وقوافل السّلاح والقضاء على العملاء⁽⁶⁵⁾.

خامساً- خاتمة واستنتاجات:

مما قدّم يمكننا التّوصل إلى التّنتائج التّالية:

✓ أنّ قوّة "الثّورة التّحريريّة الجزائريّة" التّنظيميّة وأداءها الميداني، جعلها تقلق "فرنسا" وتجبرها على البحث عن طريقة تُجفّف بها منابع المدد بالسّلاح وتغلق طرقه، فأنشأت خطي "موريس وشال" المكهرين للحدي من تدفّقه للأراضي الجزائريّة.

✓ استطاعت "فرنسا" أن تخنق "الثّورة الجزائريّة" من خلال هذا الإنجاز، لكن الثّورة لم تُعدم الحيلة والوسيلة للتّغلب على هذا الأمر، فسخرت كلّ إمكاناتها لهذا الشّأن مستعينة بالطّبيعة، كما أسلفنا الذّكري متن هذه الورقة البحثيّة.

✓ عند محاصرة الحدود الشّماليّة للجزائر الشّرقية والغربيّة، استدارت الثّورة الجزائريّة باتجاه الصّحراء وخاصة أقصى الجنوب الشّرق، وقامت بتنشيط خلاياها هناك التي أطرتها منذ أواخر سنة 1956م، وبدأت بجلب السّلاح عبر هذه المنافذ لإمداد الثّورة بما تحتاج.

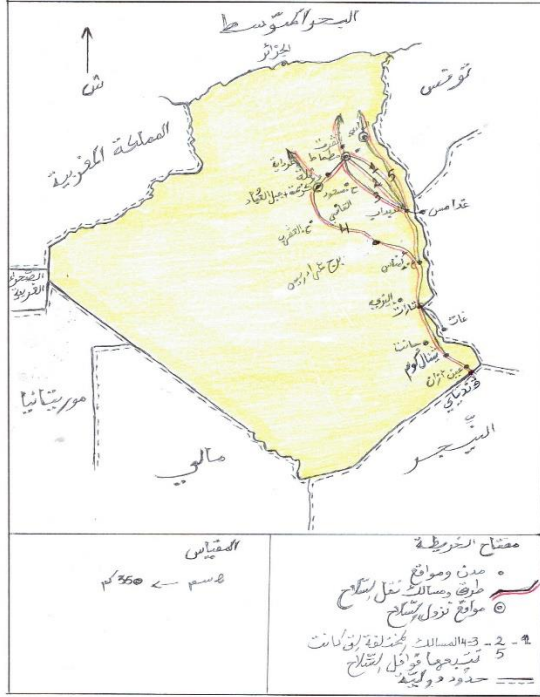
✓ أطّرت "الثّورة الجزائريّة" هذه القوافل القادمة من أقصى الجنوب بمنظومة أمنيّة (استكشاف واستطلاع

الملحق رقم (1).

خريطة توضح طرق قوافل السلاح من أقصى

الجنوب الشرقي الجزائري باتجاه

"وادي سوف" و"وادي رينغ" و"ورقلة".



المصدر: رحلة ميدانية تتبعنا فيها مواقع الآبار

الصحراوية التي كانت تسير وفقها قوافل السلاح.

بمساعدة كل من: أخموخ وان تمتدي، ومحمد البشير

ليمان، ومحمد البشير بن صالح بقع. وعلي بن محمد

سراي. وسائق السيارة التجاني حناي ربيع 2016م/ وربيع

2017م.

الخريطة من إنجاز صاحب البحث

وحماية) عبّرت من خلالها على مدى قدرة التخطيط

والتنفيذ الميداني لإيصال هذه القوافل سالمة.

✓ لقد استندت هذه المنظومة الأمنية إلى تسخير

المقومات الطبيعية⁽⁶⁶⁾، وكذا الواقع المعيشي⁽⁶⁷⁾، والمظهر

المتناسب مع البيئة الصحراوية⁽⁶⁸⁾ حتى تحمي قوافل

السلاح.

✓ لقد كان لمنظومة "النصبية الأمنية التي أنشأها

أبناء سوف البررة، ومنه: المشايخ والأئمة دوراً مهماً في

صناعة شيفرة اتصال وتواصل، حمت قوافل السلاح

وسهّلت عملية التواصل الداخلي بين الفاعلين، وحماية

بيئة الجهاد دون إعطاء فرصة للانكشاف أمام العدو.

كما أنّ "النصبية" تعطي دليلاً واضحاً أنّ مُثَقفي ذلك

الزّمن ومتعلميه كانوا هم الأساس في رسم معادلات

النّصر.

✓ لقد استغلّت الثورة مظهر اللباس اليومي

وجعلته شيفرة اتصال وتواصل، سُخِّرت لضرب العدو في

مقتل، من خلال تصفية عملائه وتنظيف الطريق أمام

المجاهدين وجعلها سالكة لإتمام واجهم الديني والوطني.

وما يمكن قوله: أنّ طرق إمداد السلاح من أقصى

الجنوب الشرقي قد حظيت باهتمام كبير عند قيادة

"الثورة التحريرية الجزائرية"، فأمنتها منذ انطلاقها حتى

وصولها، مُسجّرة في ذلك وعي ويقظة أبناء "الشّعب

الجزائر" لأنّه من دون وعي ويقظة لا يمكن إتمام الأهداف،

ومن دون وعي ويقظة فالمحتل دائماً واقف بالباب يترصد

العودة.

Mohamad Tegui: «l'Algérie en guerre», Alger, OPU, 1988, p.265.

(11) - Service de l'armée de terre, 1H2039, dossier n°1, «mise en place du barrage Ouest du 1956 à la fin de 1959 dans le corps d'armée d'Oran».

(12) - La dépêche quotidienne d'Algérie: du 25.26/08/1957. (13) - جمال قندل: خطأ موريس وشال، المرجع السابق ص.55.

(14) - المرجع نفسه، ص.57.

(15) - Service de l'armée de terre, 1H2039, dossier n°1 «mise en place du barrage Ouest...», Op.cit.

(16) - Service de l'armée de terre, 1H2035, dossier n°1 «renforcement du barrage Est», Fiche du 19/03/1958.

(17) - جمال قندل: خطأ موريس وشال، المرجع السابق ص.75.

(18) - روبرت لاکوست نقابي ورجل سياسي فرنسي ولد في 5 جويلية 1898م بأزورا دوردوني، شغل منصب نائب في مجلس دوردوني من سنة 1945 حتى 1958م، ثم من سنة 1962 حتى 1967م، وسيناتور في نفس الإقليم من سنة 1971 إلى 1980م، لكنه معروف خاصة بكونه الحاكم العام = للجزائر في حكومات "غي مولي"، "موريس بوروجيس مونوري"، "وفيلكس غايارا" من فيفري 1956 حتى ماي 1958. استخلف لاکوست في مكان الجنرال "كارتو" في فيفري 1956 وأصبح الوزير المقيم والحاكم العام للجزائر وحافظ على منصبه كرئيس لوزارة الجزائر حتى أزمة ماي 1958م، وهو من المؤيدين لفكرة الجزائر الفرنسية وبقاء الجزائر في الجمهورية الفرنسية، وكان أحد أعمدة آلة القمع الفرنسية أثناء ثورة التحرير الجزائرية، ولم يتردد في الدفاع عن استخدام التعذيب من قبل الجيش الفرنسي والشرطة وقد صرح قائلا: «إنهم مسؤولون على عودة الإرهاب الذي تسبب في هذه الأيام الأخيرة بمقتل عشرين وجرح خمسين في الجزائر العاصمة، الذين يتباهون بتحكييم القلب والدكاء ويقومون بحملة ضد استخدام التعذيب، أتعهدهم بأننا سنمقتهم». في شهادة له أثناء الدفاع عن الجنرال "سالان" عند محاكمته في 19 ماي 1962م قال بخصوص مناصري "جبهة التحرير واتفاقيات إيفيان": «لدي الحق أن أقول أن هذا الاشتماز الذي يملكني اليوم سببه أن أولئك الذين قتلوا النساء والأطفال في ساحات المقاهي وفي محطات الحافلات ومخارج المدارس والملاعب

(1) - تعتبر حكومة بوروجيس الحكومة الرابعة منذ اندلاع، الثورة، حيث عرفت الجمهورية الرابعة سقوطاً حراً وسريعاً لحكومات: مانديس فرانس، إدغار فور، قي مولي، وللإشارة فإن حكومة بوروجيس لم تعمّر هي الأخرى طويلاً حيث امتدت مدة بقائها من 13 جوان 1957م إلى غاية نوفمبر 1957م. انظر: جمال قندل: خطأ موريس وشال وتأثيراتهما على الثورة التحريرية 1957 – 1962م، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص.43.

(2) - أندري موريس: وزير الدفاع الفرنسي في حكومة "بوروجيس مونوري" الذي أصدر قراراً بإنشاء الخط المكهرب الحدودي بتاريخ: 28 جوان 1957م، تحت رقم 3969، لأجل عزل الثورة الجزائرية عن قواعدها الخليفة التي تمدّها بالسلاح بتونس والمغرب. وقد أضحى هذا الخط يحمل اسمه ويُعرف به. انظر: Le Bled: du 03/10/1957.

(3) - La dépêche quotidienne d'Algérie: du 01/06/1957, n°2718.

(4) - Service de l'armée de terre, dossier n°1 décisions du 20/06/1957.

(5) - Centre national des archives: «étude sur la ligne Morrice», fonds du GPRA, cote G.O/507.

(6) - Raoul Salan: «mémoire fin d'un empire», presse de la cité, Paris, 1974, p.224.

(7) - Guentari Mohamed: «organisation politico – administrative et militaire de la révolution Algérienne de 1954 à 1962», vol 2, OPU, 1994, p.136.

(8) - A listaire Horne: «Histoire de la guerre d'Algérie», Michel Albin, France, 1987, p.274.

(9) - جمال قندل: المرجع السابق، ص.51.

(10) - Service de l'armée de terre, 1H2059, dossier n°1, «équipement de la frontière Algéro – Marocaine».

- Service de l'armée de terre, 1H2039, dossier n°1, «Fiche sur le barrage Ouest».

-P.Buchoud: «veilles d'armes sur les barrages», in, historia magazine, tome10 n°1218, du 12/09/1974.

أورد السيد محمد تقيّة أنّ الحاجز الأوّل أنشئ على مستوى الحدود الشرقية في شهر أوت 1956م، وذلك بعد الهجمات التي شنها جيش التحرير في نهاية 1955م وكذا في سنة 1956م.

والحفلات، تم العفو عنهم»، وقصد بذلك الجزائريين. توفي في 8 مارس 1989م في بيريجو. انظر:

Le parti socialiste et la guerre d'Algérie, L'Harmattan, Paris, 1990, p111 – 125.: « Etienne McQueen .

وانظر:

André Figueras: « **Salan, Raoul: ex-général...**, **La Table ronde**», Paris, 1965, p.245

(19) - في أعقاب الزيارة التي قام بها لأكوست لمعينة خط "موريس" عن قرب، صرح قائلاً: « انتقلت رفقة صديقي "أندري موريس" بغرض مراقبة السد الذي يمنع عبور السلاح والعصابات. وللعلم فإنني جعلت إنجاز هذا السد شرطي الأول لقبول الانضمام إلى حكومة "بوروجيس مونوري"، وعليه فإنني أشكر السيد "موريس" الذي بذل مجهودات معتبرة قصد إتمام هذا الإنجاز، وإلى جانب ذلك فإنه أعطى التعليمات الضرورية للقيادة وسهر على تطبيقها...».

انظر: L'écho d' Oran: du 03/10/1957

(20) - موريس شال: وُلد بفرنسا في 1905/9/5م، وفي سنة 1923م التحق بمدرسة "سان كير – Saint Cyre"، وتخرج منها سنة 1925م برتبة ملازم أول، وفي نفس السنة التحق بالمدرسة التطبيقية للطيران وتخرج منها طياراً. التحق بالمدرسة العليا للطيران الحربي (1937/1939م)، ثم التحق بالمقاومة الفرنسية سنة 1943م حيث عُيّن رئيس مصلحة الاستعلامات الجوية في فرنسا، ثم نائب قيادة الأركان الجوية سنة 1946م إلى غاية سنة 1949م، فجنرالاً قائداً لسلاح الجو بالمغرب من سنة 1949م إلى غاية سنة 1950م، ثم جنرالاً قائداً للقوات المسلحة في الجزائر من نهاية ماي 1958م إلى غاية شهر أفريل سنة 1961م. في شهر ماي 1961م حُكم عليه بالسجن لمدة 15 سنة بسبب قيادته للانقلاب ضد الجنرال ديغول بغرض الإطاحة به، بدعوى أنه فرط في حق الجزائر الفرنسية. انظر: Maurice Challe: «**Notre révolte**», Presse de la cité, Paris, 1968.

(21) - عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج. 2، ط. 1، دار البعث، قسنطينة، 1991م، ص. 67 – 68. وانظر كذلك: المنظمة الوطنية للمجاهدين: «تقرير القاعدة الشرقية»، أشغال الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة، الطارف: من 16 إلى 17 أفريل 1987م، ص. 19.

(22) - جمال قندل: خطا موريس وشال، المرجع السابق ص. 112.

(23) - المنظمة الوطنية للمجاهدين: «تقرير»، أشغال الملتقى الجهوي للولاية الثانية لكتابة تاريخ الثورة 1959 – 1962م، جيجل: من 22 إلى 23 أفريل 1987م، ص. 15.

(24) - Alistaire Horne: «**histoire de la guerre d' Algérie**», Alibin Michel, France, 1987, p.506.

(25) - الطاهر زيري: مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929 – 1962م، ط. 1، منشورات ANEP، الجزائر، 2008م، ص. 196.

(26) - مقابلة مع: الشيخ المجاهد إبراهيم مزهودي، أجريت بمنزله بالحمامات. ولاية تبسة، بتاريخ: يوم السبت 25 جويلية 2009م.

(27) - Yves Courrière: « **l' Algérie en guerre, l' heure des colonels**», Fayard, France, 1970, p.195.

(28) - مقابلة مع: المجاهد أحمد علي محساس، أجريت بمنزله بالعاصمة، بتاريخ: يوم الخميس 27 ديسمبر 2012م.

(29) - جمال قندل: خطا موريس وشال، المرجع السابق ص. 114.

(30) - المرجع نفسه، ص. 115.

(31) - البنقالور: هو أنبوب ملولب يبلغ طوله متراً أو مترين ونصف، يتم إدخال الأنبوب الأول ثم الثاني ثم الثالث... حتى يمتد طوله. يُعبأ بمادة متفجرة "T.N.T"، ثم يفجر لأجل عمليات التخريب أو العمليات المعقدة. انظر: المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام: حوار حول الثورة، تق: الجندي خليفة: ج. 1، ط. 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص. 473.

(32) - Service de l'armée de terre, 1H2039, dossier n°2, «note sur l' utilisation de bengalores par les rebelles pour le forçement du barrage de la frontière Franco - Marocaine», n°1644.

(33) - حوار حول الثورة، المرجع السابق ص. 472.

(34) - محمّد لحسن أزغدي: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير، المرجع السابق، ص. 199.

(35) - الشيخ سيدي عبد الجبار التجاني: والده هو سيدي "محمّد البودالي"، وُلد سنة 1340هـ/1920م، نشأ في البادية عند أسرة "أحمد بن وذناب" من عرش "أولاد زيان"، حفظ القرآن الكريم وبعض المتون على يد الشيخ "عبد الرحمان الفيلاي المغربي"، وأكمل دراسته على يد الشيخ "سيدي الحاج حفصي" و"الشيخ محمّد قريد"، زار المملكة المغربية مرتين متتاليتين سنة 1947م و سنة 1948م. عند اندلاع الثورة التحق بصفوف المجاهدين رفقة والده ورجال الأسرة الأشراف مطلع جانفي 1955م. كان مسؤولاً عن التّموين الذي يرسل إلى الثورة، كما كان مسؤولاً على حفظ المجاهدين بالزّاوية وتأمين سلامتهم ومستلزماتهم. زار بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج سنة (1397هـ/1976م). بُيع بالخلافة يوم الاثنين 21 جمادى الثاني 1411هـ/ 07 جانفي 1991م، بعد وفاة المغفور له سيدي علي التجاني؛ مكث في خلافة الطريقة التجانية 15 سنة،

باللغتين العربية والفرنسية. طلب العلم في الجامع الزيتوني بالجريد التونسي، كما درس شرح خليل في الفقه المالكي وألفية ابن مالك على الشيخ "محمد مسروق بلحاج عيسى" مفتي ورقلة وعالمها. تولى القيادة في الأربعينات، ولما قُسمت ورقلة إلى ثلاث بلديات انتخب بالإجماع رئيساً لبلدية "الشعانية بني ثور" في شهر ديسمبر 1958 إلى 1962م، انتخب في نفس الفترة عضواً ممثلاً لورقلة في مجلس "عمالة الواحات". سخر منصبه كقائد لأجل الثورة التحريرية في استخراج العديد من البطاقات التموينية للضباط والمجاهدين بورقلة، والتوسط للمعتقلين وفك أسيرهم من النفي والحبس، وتسهيل الإمداد بالسلاح. وكان من الرجال الذين وقفوا بحزم وحكمة ضد مشروع "فصل الصحراء"؛ وهو الذي أخرج سر الاجتماع الخطير الذي انعقد بورقلة مع الأعيان يوم 1962/02/23م. اختلف بعد الاستقلال مع بعض المسؤولين فاعتزل السياسة نهائياً وتفرغ للعلم، والأعمال الخيرية، إلى أن توفي يوم السبت 08 ذو القعدة 1412هـ/09 ماي 1992م. انظر: سليمان حكوم: «نبذة من حياة القائد العيد بوسعيد»، أعمال الملتقى الوطني الرابع، سياسات الثورة الجزائرية للحفاظ على الوحدة الثرابية الوطنية 1954 – 1962م، من 03 إلى 04 فيفري 2016م، بجامعة الوادي، ط.1، مطبعة جامعة الشهيد حمّـة لخضر - الوادي، الجزائر، 2018م، ص.215.

(49) - مقابلة مع: المجاهد الياس ناصر(م.1924م)، أجريت بمنزله بـ"جانت" ولاية "إليزي"، بتاريخ: يوم السبت 31 أكتوبر 2015م.

(50) - مقابلة مع: المجاهد "رزوق البشير بن لخضر" (م.1933م)، أجريت بمنزله الكائن بحي "المرزاقة" ببلدية "حاسي خليفة" (الوادي)، بتاريخ: يوم السبت 10 مارس 2018م.

(51) - المسالك الصَّحرَاوية: هي ليست طرق معلومة بل مسالك استحدثها المجاهدون لتأمين السَّلاح، وتكون رديفة للطرق المعلومة، قد ترسم على يمينها أو ترسم على يسارها، على أن تبعد عن البير المعلومة مرحلة ونصف والتي تُقدَّر

(52) - المرحلة: عند خبراء الصَّحراء تقدَّر بين 10 إلى 15 كم. أمَّا في الثورة فقد كانت تقديرية لا تتجاوز 10 كم إلى 12 كم. مقابلة مع: المجاهد "رزوق البشير بن لخضر"، المصدر السابق.

(53) - محمد حناي: الوقف الإسلامي بالجزائر ومساهمته في دعم الحركة الوطنية والثورة التحريرية زاوية تماسين النجانية أنموذجاً (1830 — 1962م)، أطروحة مقدَّمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر(غ.م)، قسم العلوم الإنسانية، كلية

وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الأحد 26 شوال 1426هـ/27 نوفمبر 2005م. انظر: السَّعيد ديدى: دليل الحائر ، ط.1، مطبعة الأوراس، الوادي، الجزائر، 2010م، ص.90.

(36) - الليالي البيض: وهي الليالي التي يشتد فيها برد الشتاء وينزل فيها الكثير من الجليد، وتدخل فيها كل المخلوقات في مرحلة السُّبات القصري وعدم النُّمو، وخاصة النَّبات؛ فالفلاح مثلاً يُحرِّم عليه تقليم أشجاره، والموايل يُحرِّم عليه مس غنمه أو أبله كأن يقوم بنزع أصوافها أو أوبراها، حتى لا تنتكس وتمرض. مقابلة مع: سنوكة العربي، أجريت بمنزله بالحمادين. ولاية الوادي، بتاريخ: يوم الخميس 10 فيفري 2000م.

(37) - الشَّخص الذي يقوم بهذه المهمة(من الجزائريين أو المغاربة) يُسمى "رقَّاب"، والقمة التي يُتابع منها مسيرة حمولة السَّلاح تُسمى "الرَّاقوبة". مقابلة مع: الشَّيخ سيدي عبد الجبار التَّجاني(م.1920م)، أجريت بتغزوت. ولاية الوادي أثناء زيارته السنوية لها، بتاريخ: يوم الثلاثاء 16 نوفمبر 1999م.

(38) - الشَّيخ سيدي عبد الجبار التَّجاني: المصدر السَّابق.

(39) - حوار حول الثورة، المرجع السَّابق، ص.483.

(40) - عبد السَّلام بوشارب: الهَقَّار أمجاد وأنجاد، ط.1، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م، ص.130.

(41) - مقابلة مع المجاهد: العروسي بن فرج التَّجاني(م.1926م)، أجريت بمنزله الكائن بحي "المرزاقة" ببلدية "حاسي خليفة" (الوادي)، بتاريخ: يوم الأربعاء 10 فيفري 2016م.

(42) - عبد السَّلام بوشارب: المرجع السَّابق، ص.130.

(43) - نفسه، ص.135.

(44) - ينظر: الملحق رقم.(1).

(45) - مقابلة مع: أخموخ ون تمتدي(م.1923م)، أجريت بمنزله بـ"تياقي" بلدية "برج عمر إدريس، ولاية "إليزي"، بتاريخ: يوم الأربعاء 25 ديسمبر 2013م.

(46) - مقابلة مع: المجاهد "مسعود مسقم"(م.1931م)، أجريت بمنزله بحي الأعشاش، بتاريخ: يوم الثلاثاء 30 جوان 2015م.

(47) - مقابلة مع: المجاهد "رزوق البشير بن لخضر" (م.1933م)، أجريت بمنزله الكائن بحي "المرزاقة" ببلدية "حاسي خليفة" (الوادي)، بتاريخ: يوم السبت 10 مارس 2018م.

(48) - القائد العيد بوسعيد: والده "محمد بن قدور"، وأُمُّه الفاضلة "فاطمة زيتي بنت فاقو" التَّارقية، وُلد خلال سنة 1331هـ/1913م ببلدة "عين البيضاء"، بمدينة "ورقلة" في أسرة بدوية ميسورة الحال. تلقى تعليماً عاماً ومهنيّاً في المدارس الفرنسية، وله إلمام جيد

ساهم في بناء المعهد الإسلامي (بشوشة) بمدينة "الوادي"، بناءً ونقود، حيث أنه أغلق محله التجاري لمدة سنتين كاملتين. ولمّا لاهم المقربين منه وعائلته على تضييع أعماله بحسب مفهومهم، ردّ عليهم قائلاً: «ربي في دنياي وديني، آخرتي وجنتي في مساعدة أبناء الجهة – أبناء سوف – على التعلّم من غير غربة»، وكان عمله هذا رفقة صديقه "عبد الباقي شيحة" أحد سكان مدينة "الوادي". توفي سنة 2000م وقبر بمقبرة الحاج البكري بالبياضة. مقابلة مع: جديد مسعود (م.1941م) (ابن صاحب الترجمة): أجريت بمنزله بالبياضة، بتاريخ: يوم الأربعاء 29 أوت 2018م.

(63) - لقبه تواتي كان أهله يقطنون بحي "العباسة" بالبياضة، والأُن يسكنون ببلدية المقرن.

(64) - مقابلة مع: المجاهد الحاج العروسي بن الصّالحة (م.1920م)، أجريت بمنزله بالبياضة، بتاريخ: يوم الاثنين 9 فيفري 1998م.

(65) - عبد الحميد بسر: الشّهيد القائد الطّالب العربي قمودي (صرخة الصّمت)، ط.1، مطبعة مزوار – الوادي، الجزائر، 2014م، ص.241.

(66) - معرفة الفصول والأشهر وطبيعة المناخ فيها.

(67) - طريقة عيش الرّحل.

(68) - ارتداء الرّي المناسب مع البيئة، إذا كانوا داخل أراضي التوارق لبسوا الزي التاريخي، وإذا دخلوا أرض سوف لبسوا الزي السّوفي، وإذا اتجهوا صوب ورقلة لبسوا الرّي الشّعبي.

العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشّهيد حمّو لخضر – الوادي، الجزائر، 2020م، ص.204.

(54) - مقابلة مع: المجاهد محمّد حمّو بن علي التّيجاني (م.1923م): أجريت بزاوية قمار التّيجانية، أثناء رحلته الصّيفيّة، بتاريخ: يوم الاثنين 08 جويلية 1996م.

(55) - أشرنا له سابقاً، ينظر الصفحة 9 من هذا البحث.

(56) - مقابلة مع: أخموخ ون تمتدي (م.1923م)، و مقابلة مع: المجاهد "رزوق البشير بن لخضر"، المصدر السّابق.

(57) - الغيطان: مفردا "غوط"، وهو المزرعة أو البستان الذي يزرع فيه الرّجل السّوفي نخيله، وتجمع عند السّكان بلفظ "غواطين" أو "غيطان". ورد في لسان العرب: غاط، يغوط، غوطاً=حفر. والغوط: المتسع من الأرض مع طمأنينة، وجمعه "أغواط" وهو عمق الأرض الأبعد، و"الغيطان" كلّ ما انحدر من الأرض. انظر: ابن منظور جمال الدّين: لسان العرب، مج.5، ج.37، باب: الغين، مادة: غوط، المرجع السّابق، ص.3316.

(58) - مقابلة مع: الشّيخ أمحمّد التّيجاني المدعو "أبايا الشّيخ" (ن.1924م)، أجريت بالزاوية التّيجانية بالبياضة، بتاريخ: يوم الجمعة 03 ماي 2002م.

(59) - سعد العمامرة و الجيلاني العوامر: شهداء الحرب التّحريرية بوادي سوف، ط.1، مطبعة النّخلة، الجزائر، (د – ت – ن)، ص.81.

(60) - السّعيد ديدي: علم سوف الشّيخ أمحمد التّيجاني، (د – ط)، (د – د – ن)، (د – ب – ن)، 2006م، ص.19 – 33.

(61) - مقابلة مع الأستاذ: محمّد دريهم (م.1966م): أجريت بمنزله بالبياضة، بتاريخ: يوم الجمعة 20 سبتمبر 2018م.

(62) - الحاج العروسي بن الصّالحة: هو "جديد العروسي بن مسعود"، وأمه الفاضلة "غربي الصّالحة بنت علي بن مسعود"، وُلد سنة 1321هـ/1903م، حفظ القرآن الكريم على يد الطّالب "العربي ستو" بمسجد "القرافين" بالبياضة، تزوج سنة 1920م من المصونة "مريم بن علي بنت أحمد بن صالح"، وأنجب منها 3 أولاد و 3 بنات، كان أحد المجاهدين في الثّورة التّحريرية حيث التحق بصفوفها مطلع سنة 1955م كسياسي يجمع الاشتراكات ويساعد في تمويل جيش التّحرير الوطني من ماله الخاص لأنّه كان تاجراً، برفقة سي "الحبيب جراية" وسي "محمّد النّاوي" وسي الهاشمي قويدري حيث كانوا يدعمون الشّهيد المجاهد الطّالب "العربي قمودي"، ساهم رفقة صديقه "محمّد شوشان سلطاني" في بناء مدرسة الشّعب بالبياضة تحت إمرة وإشراف المقدم سيدي "العيد بن يامه"، كما

الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف 08 فيفري 1958:

الأسباب والأطوار والتداعيات

الدكتور محمد ذويب

جامعة منوبة/ الجمهورية التونسية

ملخص:

پays ont traversé des circonstances similaires tout au long de leurs histoires ainsi que chacun formant la profondeur stratégique de l'autre. Toutes ces conditions ont fait que les deux peuples frères ont tout partagé, même les crises et les attaques, surtout pendant et après la période de la colonisation française de deux pays. Parmi ces attaques figure l'attaque brutale contre le village tunisien de Sakiet Sidi Youssef, situé à la frontière avec l'Algérie, le 8 février 1958. Cette attaque s'est produite dans un contexte politique complexe. Elle a connu des phases douloureuses et a eu des conséquences qui ont affecté les deux pays, les peuples tunisien et algérien, ainsi que l'opinion publique internationale. Dans cet article, nous tenterons d'aborder les causes, les étapes et les conséquences de cette agression.

Mots clés : Tunisie. Algérie. France. Sakiet Sidi

Youssef. Aggression.

مقدمة.

بحكم الارتباط الوثيق على جميع المستويات بين تونس والجزائر، كانت تأثيرات كل الأحداث التي يشهدها كل طرف عميقة على الآخر خاصة خلال فترة خمسينات القرن العشرين حيث ساهم اندلاع ثورة غرة نوفمبر 1954 في الجزائر في تقوية الحركة الوطنية التونسية ومزيد تجذيرها في مواجهة الاستعمار الفرنسي مما أدى إلى

بحكم عدة عوامل ومعطيات مشتركة تجمع الجزائر بتونس فإن الدولتين قد مرتا طوال تاريخهما بظروف مشابهة حيث شكلت كل واحدة العمق الإستراتيجي للآخرى. كل هذه الأوضاع جعلت الشعبين الشقيقين يتقاسمان كل شيء حتى الأزمات والاعتداءات خاصة خلال فترة الاستعمار الفرنسي للبلدين وبعدها. ومن بين هذه الاعتداءات الهجوم الفرنسي الغاشم على قرية ساقية سيدي يوسف التونسية الواقعة على الحدود مع الجزائر يوم الثامن من فيفري 1958 والذي جاء في سياقات سياسية معقدة تربط البلدية وكانت وراءه عدة أسباب وشهد أطوار مؤلمة وكانت له نتائج مست البلدين والشعبين التونسي والجزائري والرأي العام الدولي على حد سواء. في هذا المقال سنحاول التطرق لأسباب هذا الاعتداء وأطواره ونتائج.

الكلمات المفتاح:

تونس، الجزائر، فرنسا، ساقية سيدي يوسف.

الاعتداء

L'attaque française sur Sakiet Sidi Youssef, le 8 février 1958 : causes, étapes et répercussions.

Résumé:

A cause de plusieurs facteurs et données communs qui unissent l'Algérie et la Tunisie, les deux

تسريع فرنسا بمنح البلاد التونسية استقلالها في 20 مارس 1956 ولكن هذا الاستقلال ظلّ منقوصا حيث لم تتخلى فرنسا الاستعمارية عن بعض المواقع الحساسة في البلاد التونسية كما لم تتوانى عن القيام بالاعتداء عن الأراضي التونسية في عدة مناسبات.

ومن بين الاعتداءات الفرنسية على تونس المستقلة نذكر الهجوم على ساقية سيدي يوسف المتاخمة للجزائر يوم الثامن من فيفري 1958 والذي جاء كرد فعل على الهزائم الكبيرة التي منيت بها القوات الفرنسية في مواجهة المقاومة الجزائرية التي مثلت مدينة الساقية قاعدة خلفية لها. كانت لهذا الاعتداء الفرنسي السافر انعكاسات كبيرة على التواجد الفرنسي في شمال أفريقيا حيث أحسنت تونس استغلال هذا الحدث الإجرامي دبلوماسيا وسياسيا لتدعيم استقلالها عن فرنسا الاستعمارية كما هو الشأن بالنسبة للجزائر التي نجحت في الحصول على استقلالها في 05 جويلية 1962.

فماهي السياقات التاريخية الوطنية والإقليمية والدولية التي جرى فيها الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف؟ ما الذي دفع فرنسا إلى القيام بهذا الاعتداء السافر؟ ماهي أطوار هذه الحادثة ومجرياتها؟ ماهي نتائج هذا الاعتداء؟ وكيف كانت ردات الفعل تجاهه؟

أسباب الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف

أ. موقع إستراتيجي للمدينة على الحدود الغربية مع الجزائر.

تقع مدينة ساقية سيدي يوسف في ولاية الكاف التي تتبع إقليم الشمال الغربي التونسي وتبعد عن تونس العاصمة قرابة 290 كلم. تتميز بالسياحة الجبلية الغابية حيث تحيط بها مساحات شاسعة من الغابات الكثيفة

وتحدّها من الناحية الغربية الحدود الجزائرية التونسية على مستوى الطريق المؤدّي من مدينة سوق أهراس وتحديدًا منطقة الحدادة الجزائرية إلى مدينة الكاف. تعود تسمية المدينة بساقية سيدي يوسف إلى كونها تقع على ضفاف وادي سيدي يوسف الذي تربط مياهه بين تونس والجزائر والذي ينبع من الناحية الغربية للبلدة وبالقرب من الضفة الغربية المقابلة لهذا الوادي يوجد جامع يحوي رفاة الولي الصالح سيدي يوسف⁽¹⁾.

يذكر المؤرخون أنّ أول تجمع سكاني أحدث في منطقة ساقية سيدي يوسف قد تشكّل من أولاد سيدي عمر الغربيين والنازحين من منطقة بئر العاتر من ولاية تبسة الجزائرية والذين نزحوا سنة 1847 هروبا من الاضطهاد الإستعماري وبحثا عن الشغل في حقول القمح والشعير المحيطة بالسكان ثم التحق بهم أولاد سيدي عبيد النازحين من التراب الجزائري قبل أن يشرع بعض سكان جبال ورغة الذين يشتغلون بالفلاحة في الحقول المحيطة بالمكان في تكوين النواة الأولى لهذه البلدة⁽²⁾.

في سنة 1853، أحدث أول مركز للقمارق بهذا التجمع الناشئ لمراقبة عمليات العبور والتنقل بين البلدين تونس والجزائر. مع الاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية، توافدت على المكان مجموعات بشرية من جنسيات مختلفة أهمها بعض الأهالي القادمين من منطقة القبائل الجزائرية وبعض الإيطاليين والفرنسيين. وفي مطلع القرن العشرين استقرّ بها عدد من أهالي عرش الفراشيش الوافدين من منطقة القصيرين ثم التحق بهم بعض البطون من أولاد بوغانم وشارن وأولاد تليل والشابي وفي سنة 1936 أخذت شكل مدينة صغيرة وأحدثت بأمر خلال تلك السنة⁽³⁾.

كل هذه الظروف المتعلقة بنشأة المدينة وخاصة موقعها الهام على خط التماس مع الجزائر والتواجد

الكثيف لسكان من أصول جزائرية على أرضها جعلها تلعب دورا محوريا في النضال المشترك بين الشعبين التونسي والجزائري وقد تواصل هذا الدور حتى بعد إمضاء بروتوكول استقلال تونس عن فرنسا يوم 20 مارس 1956 حيث مثلت هذه المدينة قاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ومثل أهلها خير داعم لأخوتهم الجزائريين على جميع المستويات وهو ما جعلها هدفا للاعتداءات الفرنسية في عدة مناسبات حتى قبل حادثة 08 فيفري 1958.

ب. دور محوري للمدينة في دعم حركة المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي:

نظرا لموقعها الإستراتيجي على مقربة من التراب الجزائري وبحكم أنها تقع وسط مجموعة من الهضاب المكسوة بغابات الصنوبر، فقد اختار الجيش الفرنسي أن تكون ساقية سيدي يوسف أول مكان تطأه طلائع جيشه وذلك في الرابع والعشرين من شهر أفريل 1881⁽⁴⁾. كانت مدينة ساقية سيدي يوسف أثناء الحركة الوطنية معقلا للمناضلين الوطنيين وشهدت عدة معارك طاحنة بين المقاومين التونسيين والجيش الإستعماري أهمها معركة سيدي سالم التي جرت في خريف 1954 واستشهد خلالها عشرة من المجاهدين التونسيين كما كانت المدينة قبلة للمجاهدين الجزائريين والفارين من ويلات الحرب الفرنسية في الجزائر⁽⁵⁾.

مع اشتداد المواجهات بين الطرفين، فتحت قرية ساقية سيدي يوسف التونسية أبوابها للجرحى والمصابين من عناصر جيش التحرير الذين استخدموا بدورهم المدينة منطقة استراتيجية ل وحدات الجيش وقاعدة خلفية للعلاج إضافة إلى استقبال اللاجئين الذين كانوا يتوافدون للحصول على مساعدات الهلال الأحمر

والصليب الأحمر في ظل الظروف المأساوية التي كانت تمر بها البلاد تحت نيران الاحتلال وقمعه. أكدت عدة تقارير عسكرية منذ 1955 عن تواتر عمليات اجتياز للحدود التونسية تقوم بها مجموعات من المقاومين الجزائريين بالتنسيق مع متعاونين تونسيين⁽⁶⁾ وكانت هذه المجموعات المقاومة بقيادة الرئيس المكي وأحمد القبائلي (مرزوق أحمد) وعمارة بوقلاز ومحمد الأصنام والمسطاري وعبد الرحمان بن سالم وعلاوة بشايرية ومحمد لخضر سيرين وسليمان قانون⁽⁷⁾.

خلال فترة أواسط الخمسينات، شهدت المراقبة المدنية بالكاف كغيرها من باقي جهات البلاد التونسية حركية هامة تهدف إلى الضغط على فرنسا حتى تركز إلى التفاوض من أجل الاستقلال بعد فشل مفاوضات بداية الخمسينات التي تجسدت في مذكرة 15 ديسمبر 1951 وحتى بعد إمضاء اتفاقية الاستقلال الداخلي 03 جوان 1955 لم تعرف هذه المنطقة الحدودية الاستقرار إذ إن موقعها على التخوم الجزائرية واحتداد المقاومة في الجزائر وتواجد عدد كبير من المعارضين اليوسفيين فيها جعلها مسرحا للمواجهات بين أنصار الأمانة العامة والديوان السياسي⁽⁸⁾.

لعبت مدينة الكاف دورا محوريا في إسناد المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي حيث أصبح مستشفى المدينة يستقبل ويقدم الإسعافات للجرحى الجزائريين القادمين من المناطق الحدودية للجهة كما تم تخصيص سيارات لإسعافهم. من جهة أخرى، كان أطباء الجهة يتوجهون إلى مناطق تواجد المجاهدين الجزائريين للقيام بمداوتهم هذا علاوة على تخصيص مأوى للاستراحة بكل من تاجروين والقلعة الجرداء. تمثلت مظاهر الدعم أيضا في تمرير الأسلحة إلى الجزائر حيث كانت الشاحنات تنطلق

2 - أطوار الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف.

أ. ما قبل الاعتداء

لم تكن أحداث ساقية سيدي يوسف هي أولى الاعتداءات الفرنسية على التراب التونسي منذ إمضاء بروتوكول الاستقلال 20 مارس 1956 حيث تواترت الاعتداءات بصفة متكررة إذ يبدو أنّ السلطات الاستعمارية لم تتقبل استقلال تونس وسيادتها على أراضيها كما رفضت احترام حدود تونس المستقلة خاصة تلك الواقعة من ناحية الجزائر التي لازالت تحت الاستعمار الفرنسي حيث سمحت لجيوشها بالانتقال من الأرض إلى أخرى دون الخضوع للإجراءات القانونية الجاري بها العمل⁽¹⁵⁾.

شهد شهر ماي 1957 لجوء عدد كبير من الجزائريين إلى تونس هروبا من عمليات التمشيط والايقافات والتعذيب والاغتيال والمذابح واقتفت أثرهم وحدات من الجيش الفرنسي وحاول الجيش التونسي والحرس الوطني التصدي لها ومنعها من التوغّل داخل التراب التونسي. في 31 ماي 1957، جدّت مواجهة بين الطرفين نتجت عنها إصابة خميس الحجري كاتب عام وزارة الخارجية التونسية بجروح أدّت لاحقا إلى وفاته هذا إضافة إلى وفاة تسعة تونسيين من القوة العامة وإصابة 12 آخرين بجروح⁽¹⁶⁾.

ارتكب جنود الفرقة السادسة والعشرين الفرنسية عدوانا جديدا على تونس يوم غرة سبتمبر 1957 واجتازت دبابات فرنسية الحدود من جهة حيدرة التابعة لولاية القصيرين وهاجمت قوات من الجيش التونسي والحرس الوطني التي تصدّت لها وكانت ذريعتها أن جنودا يشتغلون في حضيرة " بمقطع الرمال العسكري " بالجزائر على بعد كيلومتر من الحدود التونسية تعرّضوا لهجوم فجّد

من مدينة مكثّر في اتجاه المناطق الحدودية ويتم تفريق شحنتها في منطقتي ساقية سيدي يوسف والفلطة ثم يقع نقلها من قبل رجال مختصين في اجتياز الحدود أو على ظهر دواب إلى التراب الجزائري⁽⁹⁾.

أكدت صحيفة لوباريزيان على دور تونس في تسريب الأسلحة إذ يصل حسب تقريرها إلى الجزائر ما يقارب الـ 500 قطعة سلاح شهريا قادمًا من البلاد التونسية⁽¹⁰⁾. من جهتها أكدت بعض الدراسات أنّه كان يتم تمرير ما بين 400 و500 سلاح كل شهر إلى الجزائر منذ صائفة 1956 كما يذكر المكتب الثاني للمخابرات الفرنسية عبور 1200 سلاح كل شهر منذ 1957، منها عدد كبير من الأسلحة الثقيلة⁽¹¹⁾.

سياسيا، تجلّت مواقف تونس من مسألة الدعم اللا مشروط للثورة الجزائرية من خلال خطاب بورقيبة الذي جاء فيه " لا يمكن أن يكون هناك سلم حقيقي في إفريقيا الشمالية ولا تطبيع في العلاقات مع فرنسا الا إذا فكرت هذه الأخيرة بجدية في استقلال الجزائر "⁽¹²⁾. من مظاهر المساندة الأخرى التي كانت تثير قلق باريس وخاصة العسكريين في الجزائر هي إمكانية حصول الجزائريين المقيمين بتونس على "جواز تنقّل" مؤشّر من طرف السلطات الأمنية التونسية إلى جانب تمتع عناصر جبهة التحرير القيادية بالحرية التامة في الشغل وممارسة نشاطهم داخل التراب التونسي⁽¹³⁾.

كان من نتائج هذا الدعم والمساندة تعرّض البلاد التونسية إلى تهديدات مستمرة من قبل فرنسا التي لجأت حكومتها إلى اعتماد سياسة "الترغيب" حيث تأثرت العلاقات التونسية - الفرنسية بتطور الأحداث في الجزائر من 1956 إلى 1958 وخاصة بسبب تعاظم المساندة التونسية لها⁽¹⁴⁾.

اشتباك عنيف في الكويف سقط فيه خمسة عشرة قتيلًا أربعة منهم من الجنود التونسيين كما قبضت القوات الفرنسية على عنصرين تونسيين اقتادتهما عنوة إلى الجزائر ثم قامت بقتلهما. وفي 05 سبتمبر 1957، أغار الطيران الفرنسي على مشيخة الخميرة بجهة عين دراهم فسقطت شهيدتين تونسيين كما تسَلَّ أعوان شبه عسكريون يقودهم ضباط فرنسيون إلى الأراضي التونسية واختطفوا تونسيين وعادوا أدراجهم إلى الجزائر وفي 11 سبتمبر 1957 قامت الكتيبة 153 باختطاف تونسيين⁽¹⁷⁾.

يوم 02 جانفي 1958، اجتاز طابور عسكري فرنسي متكوّن من عشرين دبابة الحدود التونسية من جهة السند بولاية قفصة وتوغّل أكثر من ثمان كيلومترات في الأراضي التونسية وطوّق منطقة فم الخنقة وقام بالاعتداء على الأهالي وسرقة ممتلكاتهم واختطف عشرة رجال وخلف ثلاثة شهداء وأربعة جرحى⁽¹⁸⁾. في يوم 07 فيفري 1958 وقبالة ساقية سيدي يوسف، أطلق جنود تونسيون النار على طائرة فرنسية من نوع T6 - 6 ومن الغد وتمام الساعة التاسعة وخمس دقائق أصيبت طائرة فرنسية من نوع MD متمركزة في منطقة تلمرمة⁽¹⁹⁾.

جاءت الاعتداءات كردّ فعل على الضربات القوية التي تلقّتها فرنسا الاستعمارية في الجزائر وخاصة على الحدود التونسية والمناطق الجبلية خلال تلك الفترة حيث استطاعت الكتيبة الثالثة لجيش التحرير الجزائري بقيادة العياشي حواسنية وعبد الوهاب صوالحية شنّ هجومات متتالية على ثلاث قواعد عسكرية فرنسية وألحقت بها أضرارًا كبيرة وتم خلالها تحرير عدد من الجزائريين المحتجزين والتحق بهم أفراد الكتيبة الذين كانوا موجودين بساقية سيدي يوسف⁽²⁰⁾.

كل هذه الاعتداءات الفرنسية المتكررة على الأراضي التونسية كانت بمثابة الإنذار لما سيقع لاحقًا من اعتداء على ساقية سيدي يوسف إذ يبدو أنّ فرنسا كانت تنتظر أي ردة فعل تونسية على ما ترتكبه من جرائم للقيام بمجزرة فاستغلّت إطلاق التونسيين النار على طائرتيها يومي 07 فيفري وصبيحة 08 فيفري لترتكب مجزرة ساقية سيدي يوسف في خرق تام لكل قواعد الشرعية الدولية.

ب. أطوار الاعتداء.

أغار الطيران الفرنسي يوم 08 فيفري 1958 على بلدة ساقية سيدي يوسف وارتكب مجزرة وحشية كردّ فعل على الدعم التونسي للثورة الجزائرية. كان السبب المباشر لهذه المجزرة هو قيام جهة التحرير الجزائرية بأسر أربعة جنود فرنسيين. حسب الجيش الفرنسي، فإن هؤلاء الجنود وقع إدخالهم إلى التراب التونسي فكان رد فعل رئيس الحكومة الفرنسية فيليكس قايار بأن قام بتوجيه جنرال فرنسي ألبار بوشالي إلى تونس للمطالبة بالتدخل لإطلاق سراحهم لكن الرئيس التونسي آنذاك الحبيب بورقيبة رفض طلب المبعوث الفرنسي وبرّر ذلك بأن تونس ليست لديها أية سلطة على عناصر جهة التحرير الجزائرية المتواجدة خاصة في ولاية الكاف وجندوبة لذلك قررت قيادة الجيش الفرنسي بالجزائر معاقبة تونس وأعطى وزير الدفاع جاك شابان دالماس موافقته على شن غارة جوية استهدفت ساقية سيدي يوسف⁽²¹⁾.

في حدود الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق من يوم السبت 8 فيفري 1958، وهو يوم السوق الأسبوعية، أقدمت طائرة استكشافية من نوع M.D وإحدى عشرة طائرة مقنبلة من نوع B. 26 وست طائرات من نوع Corsaire، وثمان طائرات من نوع Mistral على اختراق

المجال الجوي التونسي، وهاجمت طوال ساعة وعشرين دقيقة قرية ساقية سيدي يوسف والمنجم المحاذي لها مخلفة تحت الأنقاض مائة وثلاثين (130) شهيدا وأربعمائة (400) جريح وكان من بين هؤلاء نساء وأطفال أغلبهم من التلاميذ، كما أصيبت ثلاث سيارات شحن تابعة للصليب الأحمر الدولي كانت بصدد توزيع المواد الغذائية والملابس على السكان وعلى اللاجئين الجزائريين، إلى جانب تهديم جزء كبير من بنايات القرية، منها مائة وثلاثون مسكنا وخمسة وثمانون متجرا ومدرستان وبنايات مدنية.⁽²²⁾

اعترف الجنرال راوول صالان بحقيقة هذا الهجوم العدواني، وعدّد الخسائر التي ألحقت بجيش التحرير الوطني في أول برقية بعث بها إلى وزير الدفاع الفرنسي جاء فيها: "لقد هاجمت ثلاث مجموعات تتألف كل واحدة منها من طائرتين من نوع Corsaire مواقع العدو الثلاثة الخاصة بالدفاع الجوي، وإنّ الأهداف التي قصفت بالقنابل ذات 250 كلغ، قد هُدمت بنسبة 80%، كما أنّ المواقع الأربعة لمنجم الرصاص القديم بالساقية: معسكر جيش التحرير الوطني والتي هاجمتها إحدى عشرة طائرة من نوع B. 26 وثمان طائرات من نوع Mistral، قد هُدمت بنسبة 50% والصور الملتقطة جوا التي ستصلكم هذا المساء توضح جلياً الأهداف العسكرية التي تمّ قصفها..."، وأوضح أيضا بأنه "محقّ في القرار الذي اتّخذ به بخصوص هذا القصف الجوي لأنّه في حالة الدفاع المشروع..."⁽²³⁾.

تمثّلت الخسائر المادية التي خلفها الهجوم الفرنسي الغاشم على ساقية سيدي يوسف في تحطيم خمس سيارات مدنية منها شاحنات للصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر التونسي وتحطيم المباني العمومية التالية: مبنى المعتمدية، مركز الحرس الوطني، مركز الجمارك،

إدارة البريد، مدرسة ابتدائية، إدارة الغابات وإدارة المناجم وتحطيم 43 دكانا و97 مسكنا. وقد كان مندوب الصليب الأحمر "هوفمان" موجودا بساقية سيدي يوسف أثناء القصف، فقد وصل ومساعدوه حوالي الساعة العاشرة صباحا قصد توزيع الإعانات الغذائية وغيرها على اللاجئين الجزائريين وكان بصدد زيارة مأوى اللاجئين صحبة معتمد المنطقة عندما وقع القصف وقد صرّح في شهادته أنّ القاذفات الفرنسية التي هاجمت الساقية ودمرتها حطّمت أيضا عربات الشحن التابعة للصليب الأحمر وهي أربعة: ثلاث عربات تابعة للصليب الأحمر السويسري وواحدة تابعة للهلال الأحمر التونسي وكلّها مشحونة بالملابس المعدة للتوزيع وقد لقي هذا الحادث تنديدا دوليا واسعا وإدانة كبرى.⁽²⁴⁾

كانت هذه المجزرة عملا انتقاميا قام به جيش الاستعمار الفرنسي الذي تعرّض لهزيمة نكراء إثر معركة "جبل الواسطة" التي جرت وقائعها في 11 جانفي 1958 وتم خلالها قتل 16 عسكريا من جنود الاحتلال وأسر أربعة آخرين، قام جيش التحرير الوطني الجزائري بمحاكمتهم ومعاملتهم كأسرى حرب من طرف الكتيبة الثالثة تحت قيادة العقيد الطاهر زبيري، قبل إطلاق سراحهم فيما بعد في إطار المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني وسلطات الاحتلال⁽²⁵⁾.

أدينّت المجزرة المرتكبة من قبل الجيش الفرنسي حتى من طرف حلفاء فرنسا على غرار بريطانيا وأمريكا، اللتين حضر سفيراهما إلى عين المكان في اليوم الموالي للأحداث لتحديد جملة الخسائر المسجلة وذلك بحضور عديد الإعلاميين الأجانب الذين أبلغوا الرأي العالمي عن حجم الدمار والقتل الذي خلفته تلك المجزرة التي ظلّت صورة خالدة لتضحيات شعب واحد على أرضين، مسحت دماؤه

المتمزجة، الحدود الفاصلة وأسست لعلاقات استثنائية تتعدّى الأجيال المتعاقبة والمصالح الضيقة والأطماع البائدة.

3- صدى أحداث الساقية ونتائجها.

أ. وطنيا.

على إثر الإعلان عن خبر قصف ساقية سيدي يوسف، سارع المسؤولون التونسيون إلى التحوّل إلى موقع الجريمة للوقوف على الأضرار الناجمة عنه كما قرّرت السلطات التونسية تكليف لجنة لفتح تحقيق في القضية ومتابعة إنقاذ الضحايا وإسعافهم⁽²⁶⁾. ولإطلاع الرأي العام الدولي على فضاة الكارثة، دعت الحكومة التونسية سفراء كل من الولايات المتحدة الأمريكية ومصر وليبيا والعراق والمغرب وسوريا ولبنان وإيران والملحقين بالسفارات البريطانية والإسبانية والإيطالية إلى عين المكان رفقة والي الكاف وممثل عن قرية سيدي يوسف. كما أصدرت تونس الأوامر للسكان بإقامة المتاريس لشلّ تحركات القوات الفرنسية وطلبت من الجيش الفرنسي الإسترخاء قبل القيام بأي تحرك على أراضيها⁽²⁷⁾.

في خضم هذا الوضع الخطير والمقلق للغاية، أمر رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة سفير تونس بفرنسا بمغادرة باريس والعودة إلى تونس حالاً. كما أمر سفير تونس بواشنطن بأخذ الإجراءات اللازمة لرفع شكوى ضد فرنسا أمام مجلس الأمن وقد ألقى خطابا جاء فيه: "إنّ تونس فوجئت بعدوان غاشم على قرية سيدي يوسف شنة الطيران الفرنسي، هذا العدوان الذي لم يسبق له مثيل في مدى فضاغته من شأنه تعميق الهوة بين تونس والجيش الفرنسي الذي حلّقت أسراب طائراته على القرية لقصفها مدمرة مدرستها الابتدائية وسوقها ومخلفه

حصيلة ثقيلة من الخسائر البشرية وغيرها لانتهاك سيادة تونس وضاربة الرأي العام الدولي عرض الحائط"⁽²⁸⁾.

استغلّت تونس الاعتداء على ساقية سيدي يوسف لترفع سقف مطالبتها من فرنسا حيث طالبت بتحرير كامل مجالها من التواجد الفرنسي بما فيها قاعدة بنزرت وطالبت بتحديد مدّة زمنية قصيرة للشروع في عمليات الإخلاء والمغادرة⁽²⁹⁾. جاء في بيان صادر عن رئاسة الجمهورية التونسية ما يلي: "إنّ معركة الجلاء ستشمل التراب التونسي كلّه بما في ذلك بنزرت وبإمكاننا أن نتحاكم أمام منظمة الأمم المتحدة ولا يمكن لأي دولة من أن تمنعنا من ذلك فهو حق من حقوقنا لا يقبل المساومة ولا نرتضي له بديلا" ولم يمض أسبوع على هذا البيان حتى أضاف بورقيبة "نحن نصرّح باعتبارنا دولة مستقلة أنّه بعد مضي عامين على استقلالنا لا مجال لوجود جيش فرنسي جائم على صدورنا دون حق"⁽³⁰⁾.

وبخصوص طرح القضية أمام مجلس الأمن للأمم المتحدة، كان للحدث صدها العميق والواسع في أجهزة الإعلام العالمية، وقد استغلّته الدبلوماسية التونسية إلى أقصى حد، لتحقيق نتائج سياسية هامة أولها الحصول على جلاء القوات الفرنسية من أرضها⁽³¹⁾. وقد عهدت تونس إلى مهمة طرح القضية أمام مجلس الأمن إلى موظفين سامين⁽³²⁾ هما روبرت دانيال مورفي⁽³³⁾ وهرولد بيلي⁽³⁴⁾.

قام مورفي وبيلي برحلات مكوكية بين تونس وباريس وكانت لبورقيبة عدة مقابلات أجراها هو والباهي الأدغم معهما⁽³⁵⁾، تمسّك فيها الطرف التونسي بموقف واضح وصريح، وهو الإصرار على جلاء القوات الفرنسية بدون قيد أو شرط رافضا رفضا باتا مطلب الحكومة الفرنسية في إبقاء خمس مطارات تحت سيطرتها، وفي تركيز قوة

دولية على الحدود الجزائرية لمنع تسرب المجاهدين والسلاح إلى التراب الجزائري⁽³⁶⁾.

تلکأت الحكومة الفرنسية واستعملت شتى أساليب التسويف والمماطلة وحتى التهديد أحيانا بالخروج من الحلف الأطلسي. ومرت العلاقات الفرنسية الأمريكية بفترة تأزم شديد أبرزت التناقض الصارخ بين سياسة كلا البلدين في المنطقة وآلت الأمور إلى أن نزلت أمريكا بثقلها للضغط على حكومة فيليكس قايار وتدخل رئيسها أيزنهاور ووزير خارجيتها فوستر دالاس مباشرة في القضية وبعث برسائل شخصية شديدة اللهجة إلى نظيريهما الفرنسيين.

كان لهذا التدخل تأثيره المباشر على الأوضاع الداخلية في فرنسا نفسها، حيث اندلعت أزمة سياسية حادة كادت تؤول إلى حرب أهلية، مما أدى إلى توقف عملية ما يعرف بـ "المساعي الحميدة" الأمريكية البريطانية وصدرت تهديدات مباشرة وواضحة إلى تونس من قادة الجيش الفرنسي في الجزائر⁽³⁷⁾، وهو ما دفع بورقيبة والباهي الأدغم إلى المبادرة بالالتجاء من جديد إلى مجلس الأمن حيث صرح الحبيب بورقيبة للإذاعة والتلفزة الأمريكية قائلا "في حالة ما إذا لم يوفق المستر مورفي في إقناع الفرنسيين بوجوب حل وسط يقزم علة مبدأ التنازل والاحترام المتبادل فإني سأقدم من جديد قضيتنا إلى مجلس الأمن وأنا مرتاح الضمير"⁽³⁸⁾.

في هذه الظروف، رأى بورقيبة والأدغم أنه من المفيد تعزيز الوفد التونسي في منظمة الأمم المتحدة الذي كان يرأسه المنجي سليم بمساعدة محمود المستيري بعضو من الحكومة واستقر الرأي على أن يقوم أحمد المستيري بهذه المهمة فتوجه إلى نيويورك. وفي الأثناء، وردت الأنباء عن وصول الجنرال ديغول إلى الحكم في باريس، وعن الرسالة التي بعث بها إلى بورقيبة يُعلمه فيها عزمه على إيجاد

تسوية للمشاكل القائمة بين البلدين. أوقف المجلس النظر في القضية، بعد أن وافق المنجي سليم على اقتراح تقدم به ممثل فرنسا لإنهاء المداولات دون التصويت على لائحة... وبعد فترة قصيرة، تلقت القوات الفرنسية الأوامر اللازمة للجلاء غير المشروط عن كامل التراب التونسي.

ب. عربيا ودوليا.

إزاء الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف وتمسك فرنسا الاستعمارية بتواجد بعض قواتها على التراب التونسي وبالمحافظة على تموقعها في عدة مناطق إستراتيجية في تونس على غرار قاعدة بنزرت يمكننا طرح السؤال التالي: هل كان العسكريون الفرنسيون بالجزائر ومن ورائهم الاستعماريون واليمين المتطرف في باريس يخططون لإعادة احتلال البلاد التونسية أم أنّ القصد من الاعتداء على ساقية سيدي يوسف كان ضرب عزائم التونسيين وصدّهم عن الوقوف إلى جانب الجزائريين وتلقينهم درسا؟ على كل، إن حسابات العسكريين والاستعماريين قد باءت بالفشل⁽³⁹⁾.

لقد تسبّب هذا الاعتداء في انهيار الجمهورية الرابعة وتماسك التآزر التونسي الجزائري وعجل بالقطيعة بين الحكومتين الفرنسية والتونسية وساهم في تجذّر المواقف التونسية في النزاع مع فرنسا حول القواعد العسكرية الفرنسية بالتراب التونسي. وهذا حسب اعتقادي، ما يفسّر الاعتداء الثاني الذي لا يمكن فصله عن ملابسات العدوان على الساقية، أي معركة رمادة في أواخر ماي 1958 وانطلاقا من هذا الحدث نلاحظ التدرج نحو إيجاد حل نهائي لمسألة قاعدة بنزرت⁽⁴⁰⁾.

من جهة أخرى، أكدت هذه العملية التضامن المغربي الذي برز في ندوتي طنجة التي التأمّت بين 27 و30 أفريل 1958 وندوة تونس التي دارت فعالياتها بين 18 و20 جوان

1958 حيث حددت هاتان الندوتان طبيعة السياسة التونسية والمغربية تجاه المسألة الجزائرية مع مراعاة العلاقات المستقبلية مع فرنسا والغرب بصفة عامة⁽⁴¹⁾.
إثر قصف القوات الفرنسية لساقية سيدي يوسف، تتالت مواقف القيادات العربية والدولية منددة بالجريمة النكراء في حقّ المدنيين العزل ووردت هذه المواقف من ملك المغرب محمد الخامس ومن الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي دعا إلى اجتماع عاجل للبت في مسألة الهجوم الخطير وتداعياته على مستقبل السلام في منطقة شمال أفريقيا كما أكدت سوريا في بيان لها مساندتها المطلقة لتونس⁽⁴²⁾.

من جهتها اعتبرت الأوساط السياسية في واشنطن أنّ قصف الساقية قد يعطي لتونس دفعا قويا في مساعيها لتدويل القضية الجزائرية وأنّ الحادثة قد اكتسبت صبغة استعمارية وفي بريطانيا كان وقع الحادث شديدا رغم إحجام الحكومة البريطانية عن القيام بأي تصريح. وفي الإتحاد السوفياتي آنذاك، أكدت الأوساط الرسمية أنّ حوادث الساقية كانت نتيجة لسياسة فرنسا في شمال أفريقيا العاجزة عن محاربة قوات التحرير الجزائرية. وفي ألمانيا الغربية، أكد المسؤولون أنّ هذا الحادث زرع الهلع في الحكومة الحليفة لفرنسا أكثر مما أربى الثوار الجزائريين كما عبّرت كل من إيطاليا وبريطانيا والفاثيكان والكتلة الشيوعية والأمم المتحدة عن مواقفها المنددة بهذه المجزرة الرهيبة⁽⁴³⁾.

استغلّ الإتحاد السوفياتي هذا الحدث ليعبّر عن موقفه في شأن الحرب الجزائرية - الفرنسية ويفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية ومن ورائها المعسكر الليبرالي. وهذا ما يفسّر إصرار كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى لعرض وساطتهما وإقناع التونسيين

بسحب الشكوى التي تقدّموا بها لدى هذا المجلس⁽⁴⁴⁾.
طبعاً الإتحاد السوفياتي حاول استغلال الهجوم الفرنسي على ساقية سيدي يوسف لتسجيل نقاط سياسية لصالح المعسكر الإشتراكي الذي كان يقوده ضد نظيره الرأسمالي الذي كانت فرنسا آنذاك أحد ركائزه مما دفع أمريكا وبريطانيا للإسراع بعرض وساطتهما وإقناع تونس بسحب شكواها التي قدمتها لمجلس الأمن مع وعدها بإجبار فرنسا على الموافقة على كل المطالب التي كانت تريدها تونس.

كما عرفت العلاقات بين فرنسا وحلفائها في المعسكر الغربي بسبب هذه العملية نوعاً من "الارتباك" أو "الإحراج" فكان أهم حلفاء فرنسا متمسكين بالاتفاقيات التي تفرض المساندة ولكن ومن جهة أخرى دفعت بهم هذه العملية إلى "محاسبتها" حتى لا تكون سياستها سبباً في زعزعة منطقة شمال إفريقيا وهي منطقة تعدّ ذات أهمية بالغة في الاستراتيجية الأمريكية لحماية الحوض الغربي للمتوسط خصوصاً منذ التدخل السوفياتي في الجانب الشرقي منه بعد أن استغل أحداث أزمة قناة السويس. فكل ما كان يهم الولايات المتحدة في هذه القضية هو حماية منطقة شمال إفريقيا من الخطر السوفياتي الذي بدأ يتسرب حسب زعم أيزنهاور، عن طريق جمال عبد الناصر ولا يمكن أن يتم هذا الأمر إذا ما عملت فرنسا على إيجاد حل لهذه المعضلة حتى لا تدفع بالوطنيين الجزائريين في أحضان عبد الناصر⁽⁴⁵⁾.

كانت تداعيات الهجوم الفرنسي على ساقية سيدي يوسف كبيرة وعميقة وقد حاولت كل القوى الفاعلة توظيف هذه الأزمة خاصة المعسكر الإشتراكي الذي حاول توظيفها في معركته مع المعسكر الرأسمالي. كما أبرزت حادثة الاعتداء مدى تشعّب القضايا المطروحة على الساحة المغاربية وصعوبة تجاوزها خاصة الخلاف

خاتمة

شكّل الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف حدثاً فارقاً في مستوى العلاقات الدولية وجاء في سياقات تاريخية وطنية ومغربية وإقليمية ودولية معقدة كانت عواقبه وخيمة وتجاوزت تداعياته الصراع التونسي-الفرنسي الذي انطلق منذ سنة 1881 ومثل بروتوكول الاستقلال الممضى بتاريخ 20 مارس 1956 ليضمّن العلاقات الفرنسية - الجزائرية وحتى العلاقات بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي وقد استغلّت السلطات التونسية هذه الحادثة لفك ارتباطها النهائي بالمستعمر الفرنسي حيث تمّ الجلاء العسكري عن كامل التراب التونسي على مراحل وتقوية مناعة الحدود التونسية ودعم استقلال البلاد التونسية كما مكّنت الجزائر من الحصول على استقلالها في الخامس من جويلية 1962 وتؤكد هذه الحادثة مدى الارتباط الوثيق بين البلدين على جميع المستويات.

التونسي - الفرنسي والجزائري - الفرنسي وانصهارهما في خضم الحرب الباردة ومساعي كل من المعسكرين لتسجيل مواقف سياسية على الطرف الآخر. كما فجّرت الحادثة تناقضات المعسكر الليبرالي وعدم التنسيق بين عناصره فالولايات المتحدة التي كانت تملك قواعد عسكرية في التراب الليبي والمغربي كانت تستخدمها لصد الخطر الشيوعي، بينما فرنسا كانت تستخدم قواعدها في تونس والمغرب الأقصى لضرب المقاومة الجزائرية.

شكلت حادثة الساقية منعرجاً حاسماً في تونس وفي منطقة شمال أفريقيا إذ أبرزت أن السياسة الفرنسية لم تعد تتماشى مع التطورات التي شهدتها العالم خلال فترة النصف الثاني من خمسينات القرن العشرين وهذا ما حمل جريدة "المانشستر" البريطانية، على أن تعلق على هذه السياسة بقولها: "إنّ هذه السياسة ظلت دائماً تعتمد على الخرافات والاعتقادات الخاطئة. فهي تعتبر تونس ميداناً خاصاً بها وحدها ويمكن فصلها عن بقية العالم... فعلى فرنسا أن تتعامل معها ندا للنند"⁽⁴⁶⁾.

(15) - البكوش (الهادي)، الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف الوقائع والتداعيات، تعريب أحمد العايد ومحمد بلحاج، جامعة منوبة، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس 2008، ص 07.

(16) - المصدر نفسه، ص 13.

(17) - البكوش (الهادي)، الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف الوقائع والتداعيات... نفس المصدر، ص 16.

(18) - بلاغ وزارة الإعلام التونسية يوم 04 جانفي 1958 وخطاب الحبيب بورقيبة 09 جانفي 1958.

(19) - البكوش (الهادي)، الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف الوقائع والتداعيات... نفس المصدر، ص 34.

(20) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف... نفس المرجع، ص 22.

(21) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف... نفس المرجع، ص 23.

(22) - Stora Zakya Daoud (Benjamin) ; *Ferhat Abbes, une utopie algérienne*, Denoël, paris 1955. P 286.

(23) - Salan (Raoul), *Biographie de Raoul Salan (1899- 1984)*, p 236.

(24) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف... نفس المرجع، ص 65.

(25) - *L'écho d'Alger, Apres l'odieuse agression de Sakiet : tension accrue entre Paris et Tunis, 15 Janvier 1958*, p01.

(26) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف... نفس المرجع، ص 40.

(27) - التيمومي (الهادي)، تونس البورقيلية 1956-1987، دار محمد علي للنشر، تونس، 2020، ص 41.

(28) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف... نفس المرجع، ص 41.

(29) - *Actes du neuvième colloque international sur processus et enjeux de la décolonisation en Tunisie (1952- 1964)*; Gian Paolo Calchi Novati. Le bombardement de Sakiet- Sidi-Youssef et les péripéties de la politique tunisienne face à la

(1) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف، تقديم الهادي البكوش، مطبعة المغرب للنشر تونس، الثلاثية الأولى 2006، ص 18.

(2) - المرجع نفسه.

(3) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري... نفس المرجع، ص 18.

(4) - المحجوبي (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سيراس للنشر، تونس 2007، ص 18.

(5) - البكوش (سمير)، نظرة استقرائية للواقع السياسي والأمني على التخوم التونسية الجزائرية بين 1954-1958- الكاف نموذجا، مجلة روافد العدد العاشر 2005، إصدارات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس 2005، ص 311.

(6) - الهلالي (عبد الحميد)، "سكان سهول مجردة العليا وجبال خمير: بين تصفية الاستعمار والتواصل مع الثورة الجزائرية 1954-1962"، مجلة روافد العدد العاشر 2005، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة تونس، ص 225-226.

(7) - Nezzar (Khaled) ; *Algérie, journal de guerre (1954- 1962)*; éditions publisud / Médiane, Paris 2004 p 234.

(8) - البكوش (سمير)، نظرة استقرائية للواقع السياسي والأمني على التخوم التونسية الجزائرية... نفس المرجع، ص 312.

(9) - الجيش الوطني التونسي، تقرير القيادة العامة للوحدة الثانية للمشاة S503، تقرير جانفي 1957 و302.

(10) - *Le Parisien*, 12 Décembre 1957.

(11) - Medard (Frédéric) - *Les projets d'interventions militaire en Tunisie et au Maroc ; historiens et géographes ;* N° 388, octobre 2004 ; p 289.

(12) - جريدة العمل 25 مارس 1958.

(13) - الشايب (محمد لطفي)، " الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية من 1954-1958"، محاضرة قدمها بمناسبة الاحتفال بالذكرى 40 لاستقلال الجزائر، ص 01.

(14) - Esghaier (Amira Aleya) «les tunisiens et la révolution algérienne» in méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb 1998, Zaghuan, Ftersi, pp 109- 141.

guerre d'Algérie » pp 55- 75. P 65. Publication de Ishmn Tunis 1999.

(30) - الدحمانى (محمد صالح)، دور الجيش في استكمال السيادة الوطنية 1956-1963، ضمن أعمال الندوة الدولية الثالثة عشرة حول: استقلال تونس ومسيرة التحرر من الاستعمار، تونس 4-5-6 ماي 2006، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر سلسلة تاريخ الحركة الوطنية عدد 13، ص 195.

(31) - الصباح، العدد 1743، 21 مارس 1958 "سيادة رئيس الجمهورية يبشر الشعب التونسي بانسحاب الجيش الفرنسي ثم تعقب ذلك مسألة المطارات ومسألة قاعدة بنزرت"، ص 01 و 08.

(32) - العمل، العدد 733، 02 مارس 1958، "فخامة الرئيس يلفت أنظار رؤساء الدول إلى خطورة الوضع بالجزائر، مستمر في يغادر تونس اليوم بعد أن اطلع على وجهة النظر التونسية"، ص 01.

(33) - روبرت دانيال مورفي: دبلوماسي أمريكي مرموق (28 أكتوبر 1894- 09 جانفي 1978)، بدأ عمله الدبلوماسي في عام 1917 كعضو في الوفد الأمريكي في برن. شغل مناصب عديدة من بينها نائب القنصل في زيورخ وميونخ، والقنصل الأمريكي في باريس من 1930 إلى 1936، والقائم بالأعمال إلى حكومة فيشي وكان مختصا في شؤون فرنسا في وزارة الخارجية الأمريكية.

(34) - هرولد بيلي: (15 فيفري 1909- 27 جويلية 2011)، كان دبلوماسيًا بريطانيًا ومؤرخًا ومستعربًا. بدأ بيلي حياته المهنية كمؤرخ ومحاضر، وانضم إلى السلك الدبلوماسي البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية، وشغل مناصب وسفير في سفارات المملكة المتحدة بالشرق الأوسط.

(35) - الصباح، العدد 1805، 03 جوان 1958، "في ندوة صحفية، الأستاذ الباهي الأدغم يوضح موقف تونس من العروض الفرنسية لاستئناف التفاوض ومن واجب مجلس الأمن إزاء الوضع بالجمهورية"، ص 01 و 4.

(36) - المستيري (أحمد)، شهادة للتاريخ ذكريات وتأملات وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس والمغرب الكبير (1940-1990) وثورة 2010-2011، دار الجنوب للنشر، أكتوبر 2011، ص 118.

(37) - الصباح، العدد 1745، 23 مارس 1958 "حتى الرجعيين الفرنسيين وتصلبهم قد يدعوان الحكومة التونسية لمراجعة موقفها اللين" ص 01 و 04.

(38) - الصباح، العدد 1746، 25 مارس 1985، "فخامة الرئيس بورقيبة يفضي بتصريح خطير وصريح ويوضح فيه النقاط التي حددتها تونس لتسهيل مهمة الوساطة الأنجلوسكسونية"، ص 01.

(39) - الشايبى (محمد لطفي)، الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية من 1954-1958... نفس المرجع، ص 03.

(40) - يزيدي (بشير)، العلاقات التونسية-الفرنسية ومسألة قاعدة بنزرت 1956-1963، الندوة العلمية لجمعية صيانة مدينة بنزرت، جويلية 2003.

(41) - Mansar (Adnen), «les relations Tuniso- françaises au lendemain de l'indépendance dans le discours de Bourguiba» in actes de huitième colloques- histoire orales et relations Tuniso- françaises de 1945- 1962- la parole aux témoins, Ishmn Tunis 1998.

(42) - البكوش (الهادي)، الاعتداء الفرنسي على ساقية سيدي يوسف الوقائع والتداعيات... نفس المصدر، ص 51- 52.

(43) - بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف... نفس المرجع، ص 41- 42.

(44) - براهي (محمد)، الذكرى الرمز، مداخلة مطبوعة بمناسبة إحياء ذكرى ساقية سيدي يوسف، 1996، ص 06.

(45) - اليزيدي (بشير): الرهانات والأبعاد في عملية الاعتداء على ساقية سيدي يوسف 1954-1958... نفس المرجع، ص 330.

(46) - براهي (محمد)، الذكرى الرمز... نفس المرجع، ص 06.

المصادر والمراجع:

2005، إصدارات المعهد العالي لتاريخ تونس

المعاصر، تونس 2005،

• المصادر باللغة العربية:

- بن فرج (المنصف)، ملحمة النضال التونسي
الجزائري من خلال حوادث ساقية سيدي يوسف،
تقديم الهادي البكوش، مطبعة المغرب للنشر تونس،
الثلاثية الأولى 2006.

- التيمومي (الهادي)، تونس البورقيلية 1956-1987،
دار محمد علي للنشر، تونس، 2020،

- الدحماني (محمد صالح)، دور الجيش في استكمال
السيادة الوطنية 1956-1963، ضمن أعمال الندوة
الدولية الثالثة عشرة حول: استقلال تونس ومسيرة
التحرر من الاستعمار، تونس 4-5-6 ماي 2006،
منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر سلسلة
تاريخ الحركة الوطنية عدد 13،

- الشايب (محمد لطفي)، "الدولة التونسية الجديدة
والثورة الجزائرية من 1954-1958"، محاضرة
قدمها بمناسبة الاحتفال بالذكرى 40 لاستقلال
الجزائر،

- المحجوبي (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية
بتونس، سراس للنشر، تونس 2007،

- الهلالي (عبد الحميد)، "سكان سهول مجردة العليا
وجبال خمير: بين تصفية الاستعمار والتواصل مع
الثورة الجزائرية 1954-1962"، مجلة روافد العدد
العاشر 2005، المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر،
جامعة منوبة تونس.

- البكوش (الهادي)، الاعتداء الفرنسي على ساقية
سيدي يوسف الوقائع والتداعيات، تعريب أحمد
العايد ومحمد بلحاج، جامعة منوبة، منشورات
المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس 2008،
- بلاغ وزارة الإعلام التونسية يوم 04 جانفي 1958.
- بورقية (الحبيب)، خطاب 09 فيفري 1958.
- الجيش الوطني التونسي، تقرير القيادة العامة
للوحة الثانية للمشاة S503، تقرير جانفي 1957
و302.

- جريدة الصباح التونسية.
- جريدة العمل التونسية.
- المستيري (أحمد)، شهادة للتاريخ ذكريات وتأملات
وتعاليق حول فترة من التاريخ المعاصر لتونس
والمغرب الكبير (1940-1990) وثورة 2010-2011،
دار الجنوب للنشر، أكتوبر 2011.

• المصادر باللغة الفرنسية:

- L'écho D'Alger.

- Le Parisien.

• المراجع بالعربية

- براهي (محمد)، الذكرى الرمز، مداخلة مطبوعة
بمناسبة إحياء ذكرى ساقية سيدي يوسف، 1996،
- البكوش (سمير)، نظرة استقرائية للواقع السياسي
والأمني على التخوم التونسية الجزائرية بين 1954-
1958- الكاف نموذجا، مجلة روافد العدد العاشر

- Salan (Raoul), **Biographie de Raoul Salan** (1899- 1984).
- Stora Zakya Daoud (Benjamin) ; **Ferhat Abbas, une utopie algérienne**, Denoël, paris 1955

- يزیدی (بشير)، **العلاقات التونسية- الفرنسية** ومسألة قاعدة بنزرت 1956- 1963، الندوة العلمية لجمعية صيانة مدينة بنزرت، جويلية 2003.

• المراجع بالفرنسية:

- Actes du neuvième colloque international sur processus et enjeux de la décolonisation en Tunisie (1952- 1964) ; Gian Paolo Calchi Novati. "Le bombardement de Sakiet- Sidi- Youssef et les péripéties de la politique tunisienne face à la guerre d'Algérie » pp 55- 75. P 65. Publication de Ishmn Tunis 1999.
- Esghaier (Amira Aleya) « **les tunisiens et la révolution algérienne** » in méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb 1998, Zaghuan, Ftersi.
- Mansar (Adnen), «**les relations Tuniso- françaises au lendemain de l'indépendance dans le discours de Bourguiba**» in actes de huitième colloques- histoire orales et relations Tunisio- françaises de 1945- 1962- la parole aux témoins, Ishmn Tunis 1998.
- Medard (Frédéric), **Les projets d'interventions militaire en Tunisie et au Maroc ; historiens et géographes** ; N° 388, octobre 2004.
- Nezzar (Khaled) ; **Algérie, journal de guerre (1954- 1962)** ; éditions publisud / Médiane, Paris 2004.

الباحث في حقل التاريخ الشفوي – مهارات ووسائل

الدكتور محمد عبد الجواد البطة

باحث وكاتب في التأريخ الحديث والمعاصر/ دولة فلسطين

الفلسطينية من خلال توثيق التجارب والمعرفة المحلية والوطنية.

Summary: The aim of this study is to highlight the significance of the oral history methodology and its utilization in documenting contemporary Palestinian history. Additionally, the study seeks to identify the essential skills that researchers in the field of oral history should possess. The study focuses on the modern digital tools that play a role in facilitating the documentation process while saving time and effort. The study is divided into three main axes: Firstly, the importance of oral history is emphasized as a primary source of information. Secondly, the necessary skills for researchers in this field are highlighted. Thirdly, digital tools and technologies are explored, including techniques relying on artificial intelligence.

The study concludes that studies in oral history require collaborative efforts between researchers and narrators to overcome challenges related to memory, details, and personal analysis, aiming to present an accurate and reliable historical narrative. The study underscores the significance of the field of oral history in studying the Palestinian cause, serving as a crucial source for documenting identity,

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية منهج التاريخ الشفوي وكيفية الاستفادة منه في تأريخ فلسطين المعاصر، وكذلك التعرف على المهارات الأساسية التي يجب أن يمتلكها الباحث في مجال التاريخ الشفوي. تركّز الدراسة على أهم الوسائل الرقمية الحديثة التي تُسهّم في تسهيل عملية التوثيق وتوفير الوقت والجهد. تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية: أولاً، أُبرزت أهمية التاريخ الشفوي كمصدر أساسي للمعلومات. ثانياً، تم التركيز على المهارات الضرورية للباحث في هذا المجال. وثالثاً، تم التطرق إلى الوسائل والتقنيات الرقمية المساعدة، بما في ذلك التقنيات التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي.

توصلت الدراسة إلى أن دراسات التاريخ الشفوي تتطلب تعاوناً مشتركاً بين الباحث والراوي للتغلب على تحديات الذاكرة والتفاصيل والتحليل الشخصي، من أجل تقديم رواية تاريخية موثوقة. وأكدت على أهمية حقل التاريخ الشفوي في دراسة القضية الفلسطينية، حيث يعتبر مصدراً هاماً لتوثيق الهوية وربط الأجيال بتاريخها وتقديم مادة قانونية قوية في مواجهة الاحتلال.

تقترح الدراسة أن يُنشئ صناع القرار في فلسطين مراكز تاريخ شفوي في الجامعات والبلديات، لتعزيز التوثيق المحلي والأكاديمي. تأتي هذه المسؤولية كجزء من التزام ثقافي وأكاديمي نحو القضية والأجيال القادمة، حيث تسهم هذه المراكز بشكل كبير في الحفاظ على الهوية

الأسباب الحقيقية للوصول إلى الحقائق التاريخية، وفي حال تعذر الوصول إلى الوثائق والمادة المكتوبة، يتم اللجوء إلى التاريخ الشفوي، لسد الثغرات ومعرفة أهم الأحداث التي لم تسجل في وقتها لعدة أسباب، ولكن تكمن مشكلة هذا النوع من المصادر أنها تتعامل مع ذاكرة الإنسان التي تتأثر على المدى البعيد

فضلاً عن وضع الأمنيات والإحساس بالظلم من قبل الراوي على أنه حدث وقع مع عدم الفصل بين الماضي الحقيقي، والإحساس بالظلم الذي صحب أثناء تجربته أو معاصرتة للحدث، لهذا يجب أن يخضع المحدث الشفوي لمنهج نقدي باطن وظاهر، فضلاً عن معرفة حالته الصحية والنفسية وإخضاعه لإختبار الذاكرة للتأكد من مدى صحة روايته قبل اعتمادها. وهذا ما يهدف إليه البحث وهي إظهار أهم مواطن الضعف والقوة في التاريخ الشفوي وتقديم المعالجة النافعة. من إعداد الباحث منهجياً، والتعرف على أهم الوسائل الحديثة التي توفر الوقت والجهد مع مراعاة الجودة العالية في للعمل ولكي تصبح المادة العلمية الشفوية قوية وموثوقة بها، يجب أن تكون خالية من الأمنيات وخيالات الراوي، وفي هذا الخصوص لابد للباحث في حقل التاريخ الشفوي أن يكون على دراية كبيرة بالمنهج العلمي بالبحث التاريخي، وأن يتمتع بقدرات ومهارات شخصية عالية، في أسلوب الحوار مع الراوي، وأن يكون ملماً إماماً كبيراً في موضوع البحث قبل مقابلة الراوي، وأن يكون متابعاً للتطورات الرقمية الخاصة بوسائل المقابلة وآليات التسجيل والتفريغ والأرشفة الحديثة وطرق عرضها واستخدامها في ظل عالم رقمي متطور. لتحقيق الاستفادة القصوى وتوفير الوقت والجهد.

connecting generations to their history, and providing strong legal material in the face of occupation.

The study recommends that decision-makers in Palestine establish oral history centers in universities and municipalities, with the purpose of enhancing local and academic documentation. This responsibility aligns with a cultural and academic commitment to the cause and future generations. It is expected that these centers will greatly contribute to preserving Palestinian identity through the documentation of local and national experiences and knowledge.

الكلمات المفتاحية:

مسار الرواية الشفوية، الرواية الشفوية، منهج التاريخ الشفوي، الباحث في التاريخ الشفوي، الراوي الشفوي، والمؤرخ الشفوي. المقابلة الشفوية، العصر الرقمي، التاريخ الشفوي وتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

Keywords: Oral narrative trajectory, oral narrative, oral history methodology, oral history researcher, oral historian, oral narrator, oral historian. Interview, digital age, oral history, artificial intelligence applications.

المقدمة: يعتبر التاريخ علم معرفة حوادث الماضي، والبعض يعرفه على أنه علم الماضي، وآخرون يعرفونه على أنه الماضي ذاته، وعلى الرغم من كل هذه التعريفات إلا أن التاريخ العلمي الأكاديمي يعتمد على الوثائق بشكل رئيسي، وما كتبه وسجله المعاصرون للحدث، وكل المصادر يجب أن تخضع إلى النقد الظاهر والباطن للوثيقة وكاتبها، والتفسير والتحليل، بهدف إعادة صياغة الحدث ومعرفة

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في احتياج القضية الفلسطينية إلى الاهتمام بالتاريخ الشفوي، خصوصاً في غياب الكثير من المصادر الأولية والوثائق التي تبين أهم الخبايا في حقل البحث، ولكن لان الوثيقة تكون غالباً رسمية وفي يد طرف يصعب الحصول عليها منه، وخصوصاً أن هناك قيوداً على نشر الوثائق تبدأ من ثلاثين عاماً وتصل إلى قرن من الزمان فلم يتبقى لدراسة أي موضوع في التاريخ الفلسطيني المعاصر والقضية الفلسطينية بجانب المصادر الأولية و الثانوية سوى اللجوء إلى الشاهد الذي مورس عليه جزء من الحدث، كأن يكون أسيراً مثلاً، أو شارك في صناعة جزء من الحدث كأن يكون قائدًا سياسيًا أو ميدانيًا، وهنا للحصول على مادة علمية صحيحة يعتد بها، يتوقف هذا على مهارات الباحث في التاريخ الشفوي.

تهدف الدراسة الى:

- إظهار أهمية منهج التاريخ الشفوي وكيفية الاستفادة منه في كتابة التاريخ الفلسطيني المعاصر.
- التعرف على أهم الخصائص والمهارات التي يجب على الباحث في حقل التاريخ الشفوي التمتع بها.
- معرفة أهم الوسائل الرقمية الحديثة التي تساعد الباحث في حقل التاريخ الشفوي، وتوفير الوقت والجهد.
- إثراء المكتبات العلمية بمثل هذه الدراسات النافعة.

منهج الدراسة: أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة الوصفي والتحليلي، وسوف تعتمد الدراسة على الوثائق

والإصدارات العربية والإنجليزية التي تحدثت عن هذا الموضوع.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية هي كالآتي:

- أهمية التاريخ الشفوي كمصدر رئيسي للمعلومات
- مهارات البحث في حقل التاريخ الشفوي
- الوسائل الحديثة المساعدة في حقل التاريخ الشفوي
- الخاتمة والنتائج التوصيات

المحور الأول

أهمية التاريخ الشفوي كمصدر مهم للمعلومات أولاً- مسار الرواية الشفوي: مثلت الرواية الشفوية منذ القدم مصدرًا مهمًا لعلم التاريخ، بنقلها المتواتر لما أنتجته الحضارات الإنسانية القديمة، فمنها تعرفنا على الحضارات الأوروبية القديمة، وحضارة الشرق الأدنى القديم، والتي سجلها هيرودوت بعد التقصي والتحقيق، وتعرفنا أيضًا على الحضارة الفارسية، والحضارة العربية، حيث كان لدى عرب الشمال⁽¹⁾ روايات شفوية من قصص عن آلهتهم، وروايات عن شؤونهم الاجتماعية، وعن غزواتهم، ومعاركهم تعرف بالأيام، وعن أنسابهم وتنظيمهم الاجتماعي والمثل الاجتماعية، مثل: المروءة، أو نبل الأعمال والآثر، ولعب الشعر دورًا أساسيًا في تعزيز الروايات الشفوية، وأصبح الوثيقة التي تعزز صحة القصة⁽²⁾.

وقد نشأت روايات الأيام في المجالس القبلية المسائية، وتكمن أهميتها في استمرارها في صدر الإسلام لعدة مميزات منها: أن أسلوبها مباشر يفيض بالحيوية، وواقعي يختلط فيه النثر بالشعر، وكان لهذا الأسلوب أثره

الواضح في بداية علم التاريخ عند العرب وفي العراق والأوساط القبلية، ومن مظاهر الاهتمام الواضح من قبل المؤرخين العرب بها، أن قاموا في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، بجمع هذه الروايات وتصنيفها، وصارت الأيام جزءاً من الأخبار التاريخية. ومن هؤلاء المؤرخين: ابن الأثير الذي حاول أن يورد أخبار الأيام في تسلسل تاريخي، فضلاً عن الاهتمام بها من قبل اللغويين والنسابين بسبب ورود الشعر فيها مثل: أبي عبيدة وابن قتيبة والمدائني والأصفهاني وابن عبد ربه، كما رأى المؤرخ العثماني حاجي خليفة⁽³⁾ أن تكون الأيام فرعاً من التاريخ؛ إذ يقول: "علم أيام العرب وهو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأحوال الشديدة بين قبائل العرب، والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ"⁽⁴⁾

كما استخدم المؤرخون العرب والمسلمون المادة الشفهية بشكلٍ واسع، بل إنَّ قدرًا من التراث العربي المدوّن، في ميادين علمية كثيرة، كان تراثاً شفهيًا قوامه التداول والرواية الشفهية، وهناك إجماع على أنَّ جلَّ المحدثين والمؤرخين والإخباريين والأدباء والشُعراء الأوائل، قد استفادوا من المصادر الشفهية؛ فالبلاذري (ت، 298هـ)، والطبري (ت، 310هـ)، والمسعودي (ت، 346هـ)، وابن خلدون (ت، 808هـ)، يأتون على رأس المؤرخين المسلمين الأوائل الذين اعتمدوا بشكلٍ كبير على الروايات الشفهية عند تأليفهم كتبهم، ويكاد الشعر العربي الجاهلي برمته أن يكون شعرًا شفهيًا نشأ في وسط غنائي

وفي هذا الخصوص يرجع الفضل إلى العلماء المسلمين الذين قننوا قواعد علمية للاستفادة من الروايات الشفهية، أصبحت تلك القواعد فيما بعد علومًا مستقلة مثل: علم الإسناد، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، وغير ذلك كثير، ومع هذا

الواقع فإن عددًا من المؤرخين الآن لا يعترف بالمصادر الشفهية، ويقول مسعود ضاهر: "إن هذه الظاهرة أمام تدوين الكثير من الحقائق التاريخية الجديدة التي يتم اكتشافها في أثناء إجراء المقابلات الشخصية الشفهية، كما أدى إهمال المؤرخين للتراث الشفهي إلى ترك هذا الميدان للمتخصّصين في الأنثروبولوجيا والفولكلور، الذين لا يهتمون بالماضي، ومن هنا جاءت أغلب أدبيات التراث الشفهي المعاصرة ناقصة وغير مقنعة"⁽⁵⁾.

وكما هو واضح فعلي مر العصور كان للرواية الشفوي مصداقية وكان لها اعتبار، ولكن من منتصف القرن التاسع عشر 1848م وحتى منتصف القرن العشرين 1948م، في مرحلة الامبريالية الجديدة، فقدت هذه المصداقية كمصدر للتاريخ وذلك لاعتبارات فلسفية سادت أوروبا في تلك الفترة بتفضيل المصادر المكتوبة على الرواية الشفوية المعتمدة على الذكريات، أصبح التاريخ المروي أمرًا مستخفًا به وكان التفكير به فقط كأمر "دوني" وأنه يقتصر على خيال "الحنثالة" وأخذت الجامعات تعمل على تدريب معقد للمؤرخين يتطلب توثيقًا مكثفًا وكتابة موضوعية تعتمد الوثائق

ولأسباب تتعلق بالاستعمار في منتصف القرن العشرين أعاد المؤرخون إحياء التاريخ الشفوي، واتجهوا إلى أصوات الماضي لتسجيل تاريخ الأحياء لم يعد التوثيق المكتوب كمرجع للأدلة التاريخية هو المصدر الوحيد ولا الأفضل بالضرورة.⁽⁶⁾ حيث تنبه المؤرخون إلى أن للتاريخ الشفوي ما يقدمه ليس في المجتمعات المتأخرة فحسب بل وأيضًا في المجتمعات الحديثة التي تغص بالصحفيين والمؤرخين والكتاب، فالسجل المكتوب لا يمكن أن يكون كاملاً، والتاريخ الشفوي والشخصيات التاريخية التي لا تتوافر عنها مادة كهذه، وأهم من ذلك أنه يؤلف كل ما

يمكننا معرفته عن الكثير من الأحداث والتجارب المتعلقة بحياة الناس العاديين الذين يغفلهم السجل المكتوب تمامًا بالإضافة إلى هذا وذاك يمكن استخدام الروايات الشفوية لاختبار أو تصحيح المصادر المكتوبة وحتى المادية⁽⁷⁾.

وفي هذا الخصوص كانت جامعة كولومبيا السبّاقة في هذا المجال؛ ففي عام 1948م حين أطلقت مشروعًا لتدوين التاريخ.. على يد المؤرخ في الجامعة "آلان نيفنز"، وفي خمسينات وستينات القرن العشرين قام عدد من المؤرخين البريطانيين بتسجيل جانب من التاريخ الشفوي للطبقة العاملة، ثم تم إنشاء جمعية التاريخ الشفوي البريطانية في سبعينات ذلك القرن على يد بول طومسون. كما قام الأمريكيون بتأسيس جمعية التاريخ الشفوي في العام 1967، وقبل هؤلاء -في عام 1942م- قام أحد المؤرخين، وهو "جوزيف غولد" بعملية جمع التاريخ الشفوي لذلك الزمان، ورغم أنه لم يقم بإنتاج أو نشر هذا التاريخ إلا أنه أعطى نوعًا من الشعبية والانتشار لمصطلح التاريخ الشفوي⁽⁸⁾، كما ساهمت الاختراعات الحديثة في مجال التسجيل -صناعة الأشرطة، والفيديو والحاسوب- في إحياء التاريخ الشفوي، وتسهيل عمل الباحثين وتعزيز أرشفة المواد التاريخية لمن يقوم بالمقابلات⁽⁹⁾.

ثانيا- الرواية الشفوية في العصر الحديث: تباينت الاتجاهات الأكاديمية حول الرواية الشفوية ومدى الاعتماد عليها كمصدر يعتد به في كتابة التاريخ الأكاديمي. ما بين رافض لأسباب ليس أقلها أهمية عدم وجود سند تاريخي تقليدي لها وبين من يعتبر التاريخ الشفوي مكملًا مهمًا للوثائق المكتوبة والتي تعد القاعدة للمعلومات المستخدمة لفهم وشرح الحوادث التاريخية وتفسيرها⁽¹⁰⁾.

وهناك من يرى اعتماد الرواية الشفوية مصدرًا في الكتابة التاريخية العلمية الحديثة والمعاصرة يكمن في مستجدات ذهنية وفكرية ومعرفية، وفي استحقاقات حقوقية وسياسية وإنسانية أدركها وعي إنساني جديد بالتاريخ وبمعنى التاريخ، بل أدركتها استعدادات معرفية جديدة تبحث في ما يختزنه الإنسان من عواطف وذاكرة وقدرات، وكذلك في احتمالات عزل أو طمس أو إلغاء أو نسيان⁽¹¹⁾.

كما أن واقع التاريخ الشفوي في العصر الرقمي أخذ اهتمامًا متزايدًا بسبب ظهور الكثير من التقنيات الرقمية في التسجيل والتوثيق والأرشفة والنشر وسهولة المقابلة عن بعد فضلًا عن المقابلة الوجيهة، التي ساعدت على تطوره بوتيرة متسارعة، مع مده بدورات تدريبية تصقل مهارات الباحث وتعود عملية تحليل المادة الشفوية لتصبح تاريخ شفوي بعد أن تمر بمراحل التحقق من وقوع الحدث وذاكرة الراوي السليمة، والمقارنة بالمصادر المكتوبة، إلا أن مستقبل التاريخ الشفوي سوف يصبح أكثر انتشارًا وأهمية وذلك بسبب أدوات وتقنيات الذكاء الاصطناعي التي توفر الكثير من الجهد المبذول في السابق من حيث التسجيل وتحليل الصوت وتفرغ محتوى المقابلة الشفوية الكبيرة في دقائق معدودة بجودة املائية ونحوية عالية جدًا، وبعد أن كانت تأخذ ساعات طويلة وربما تصل إلى يوم أو أكثر في نسخها وتدقيقها وتنسيقها ومن ثم طباعتها. وهناك المئات من المقابلات الشفوية التي بقيت مسجلة ولم تفرغ وتنشر بسبب صعوبة وارتفاع تكلفة تحويله إلى نص مكتوب؛ إلا أن الأمر أصبح أكثر سهولة — وما على الباحث سوى التدريب والتعرف على وسائل التقنيات الرقمية والذكاء الاصطناعي المساعدة في البحث العلمي ومنها تحويل الصوت المسجل

إلى نص مكتوب، وكيفية أرشفة المواد الرقمية الحديثة بتقنية الذكاء الاصطناعي.

ثالثاً- تعريف التاريخ الشفوي: وخلال بحث متعمق تبين أن هناك عشرات التعريفات للتاريخ الشفوي، لن نستطيع تناولها في هذا المقام الذي لا يتسع لها، ولكن هناك تعريفاً أورده الباحث الفلسطيني عادل يحيى من مركز بيرزيت، عرف التاريخ الشفوي: بأنه منهج بحث يدرس الماضي من خلال الكلمة المحكية المحفوظة في الذاكرة والمنقولة مشافهة ويشمل هذا:

1- التراث الشفوي: دراسة الماضي البعيد من خلال الروايات الشفوية الشائعة في مجتمع معين والمنقولة عبر عدة أجيال أو جيل واحد على الأقل.

2- وتاريخ الحياة: وهو دراسة الماضي القريب من خلال روايات الأفراد وذكرياتهم عن أحداث حياتهم، خبراتهم ومشاهداتهم، خاصة تلك الأحداث التي شاركوا فيها شخصاً، أو كانوا شهود عيان لها⁽¹²⁾.

في حين عرف تومس ريكس التاريخ الشفوي بأنه: التاريخ الحي، الذي شهده وخبره شخص ما ويعيش في ذاكرته، وهو عمل اجتماعي يتطلب مهارة جيدة في العلاقات الإنسانية من ناحية الباحث الذي يجري المقابلة واهتماماً ثابتاً ودائماً في الموضوع من ناحية الراوي⁽¹³⁾.

رابعا- أهمية التاريخ الشفوي كمصدر مهم للمعلومات: يتقاطع الباحثون في هذا الحقل في تعريف "التاريخ الشفوي" فهو مصدر رئيس للمعلومات للفئات التي لا يلتفت لها المؤرخ الرسمي، وفي ذات الوقت هو تدوين للرواية عن أحداث ما بقي منها في ذاكرة الراوي، وفي مجال آخر أنه يستطيع إلقاء الضوء على عناوين نظرية مثل الذاكرة، الأمة، الهوية، كما يعتبره عدد من الباحثين

أنه وسيلة لإعادة رسم حياة بأحداثها وتفاصيلها وألوانها ورائحتها⁽¹⁴⁾.

في مقدمة كتاب "الأرض في ذاكرة الفلسطينيين" اهتم الكاتب بتوضيح المصطلح حيث ميز بين تدوين الشفاهة والتأريخ الشفوي، فالتدوين هو كل استطلاعات الرأي على الاستثمارات المكتوبة، والتي تعبأ كتابياً، وكل المقابلات بالصوت والصورة لتعبأ كتابياً فيما بعد، أما التاريخ الشفوي فهو تدوين الرواية الشفوية عن أحداث ما بقي منها في ذاكرته أو الصورة الحالية لها في ذاكرته، جزء من الذاكرة الجماعية وهي ثقافة ذلك المجتمع، يكتسب التاريخ الشفوي أهمية خاصة كمصدر رئيسي للمعلومات والأحداث والفئات التي لا يلتفت لها المؤرخ الرسمي، الأمر الذي أدركه علماء التاريخ ونتيجة لذلك اتجهوا لدراسة مساحات أخرى من الحياة الإنسانية ومن ثم اكتشفوا مصادر أخرى للمعلومات⁽¹⁵⁾.

مما سبق نستخلص أن أهمية التاريخ الشفوي تكمن في عدة أمور منها أنه يحتوي على قصص حياة الناس العاديين وتفاصيل حول الحياة اليومية والتقاليد والثقافات. هذه المعلومات تساعد في فهم أعمق للثقافات المختلفة وتطورها. كما أنه مهم في ملء الفجوات: في بعض الأحيان، قد تكون هناك فترات أو أحداث لم يتم توثيقها بشكل كامل في الوثائق الرسمية. يمكن أن يملأ التاريخ الشفوي هذه الفجوات ويوفر لنا رؤية أوضح حول ما حدث خلال تلك الفترات. كما يمكن للتاريخ الشفوي أن يساعد في رصد التغيرات والتطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على مر الزمن. كما أنه يسلط الضوء على تأثيرات الأحداث على التغيرات في المجتمع. لهذا يمكن للتاريخ الشفوي أن يكون مصدراً للبحث والدراسات الأكاديمية، حيث يمكن استخدام الشهادات

الشفوية كمصدر للمعلومات لدراسة مجالات معينة من التاريخ. منها القضية الفلسطينية التي تعد حقلاً غنياً يثرى التاريخ الشفوي بموضوعات عدة .

كما تكمن أهمية التاريخ الشفوي كمصدر مهم في فهم وتوثيق القضية الفلسطينية، خاصة للأحداث والتجارب التي لم يتم توثيقها بشكل كامل في السجلات الرسمية أو التقارير الدولية. وهذه بعض الأسباب التي تجعله مهماً: الشهادات الشخصية: تاريخ الشفوي يتيح للفلسطينيين والمعنيين بالقضية فرصة لمشاركة شهاداتهم وتجاربهم الشخصية، وهذا يساهم في تسليط الضوء على الظروف الإنسانية والاجتماعية التي مروا بها خلال النكبة وبعدها. الحياة اليومية الممزوجة بالمعاناة والتجارب الشخصية: يوفر التاريخ الشفوي لمحة عن الحياة اليومية للفلسطينيين وتأثير الصراع على حياتهم، مثل الانتهاكات والهجمات والتهجير والحصار والأسر والاعتقال. التراث والثقافة: يمكن للتاريخ الشفوي أن يحفظ التراث والثقافة الفلسطينية، بما في ذلك اللغة والأغاني والقصص التراثية والفلسفات والتقاليد. وأما في خصوص المقاومة والنضال: يساهم التاريخ الشفوي في توثيق جهود الفلسطينيين في المقاومة والنضال من أجل حقوقهم وتحقيق العدالة⁽¹⁶⁾، ويحفظ الحق التاريخي للفلسطينيين. ويحفظ للأجيال القادمة تاريخ آبائهم وأجدادهم كيف عاشوا في ديارهم ومزارعهم وأماكن عملهم قبل التهجير وأثنائه وبعده بناءً على أسس علمية سليمة. وله المقدرة على إبراز المعاناة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، يبرز دوره في الصمود والثبات على أرضه، يمكن الاستفادة منها كوثيقة قانون ضد جرائم الاحتلال⁽¹⁷⁾.

كما أن التاريخ الشفوي يشكل جسراً مهما لتواصل الأجيال: لأنه يساعد على نقل التجارب

والذكريات من جيل إلى آخر، وهذا يحفز الوعي والتضامن بين الأجيال ويسهم في الحفاظ على الهوية الوطنية للفلسطينيين وهنا يجب مراعاة أن تاريخ الشفوي قد يكون معرضاً للتأثيرات الشخصية والتحيزات، وبالتالي يجب استخدامه بحذر وتوازن مع مصادر أخرى لضمان الدقة والموضوعية. من هنا يمكن القول أن التأريخ الشفوي يتسع أكثر فأكثر ليشمل مناحي الحياة المختلفة التي لا تقف عند الأحداث فقط، بل التي يمكن جمعها في إطار الوثيقة، بحيث يمكن ردف مفهوم التأريخ الشفوي بالأرشيف الشفوي. وبذلك يصبح التأريخ الشفوي عملاً معرفياً من حيث تأسيسه للوثيقة وإتاحته الفرصة لتحليلها ومقاطعتها مع وثائق أخرى⁽¹⁸⁾، وحتى نصل لهذه المرحلة الدقيقة يحتاج الأمر إلى مهارات كبيرة يجب أن تتوفر في الباحث بحقل التاريخ الشفوي.

المحور الثاني

مهارات الباحث في حقل التاريخ الشفوي

في بداية الأمر يحتاج الباحث في حقل التاريخ الشفوي أن يتعرف ويميز بدقة عالية بين المفاهيم المتعلقة في التاريخ الشفوي، والتي تعد أهم الأسس الذي يجب أن يتمتع بها الباحث كمهارات مهمة جداً لن يفلح دونها الباحث، حيث يجب عليه أن يفرق بين الرواية الشفوية حول موقف معين، أو حكاية خاصة لشخص ما عاشها ضمن موقف عام وبين التاريخ الشفوي كمنهج علمي يعتمد في كتابة موضوع تاريخي بشكل رئيسي أو جزئي، على جمع الروايات الخاصة من عدة أشخاص عاشوا أو عاصروا الحدث وكانوا جزءاً منه وتأثروا به أو أثروا في مساره. وحتى يتمكن من هذا التفريق العلمي لا بد أن نبين مكونات التاريخ الشفوي الخمسة وهي: الرواية الشفوية، ومنهج التاريخ الشفوي -ونقصد به المنهج والموضوع -

كالبحت أو الكتاب- وبين الباحث في التاريخ الشفوي، والراوي، والمؤرخ الشفوي.

فالرواية الشفوية هي: قصة يرويها الراوي بعد وقوع الحدث إما بفترة وجيزة كشهادة للاستدلال على الحقائق عندما يطلب منه من قبل جهات معنية بالأمر، كالصحافة أو الشرطة، أو القضاء، أو من قبل الباحث في التاريخ بعد انتهاء الحدث بفترة قد تكون بعيدة نسبياً. وأهم ما يأخذ عليها: أن الرواية الشفهية في كتابة التاريخ تظل رواية وليست وثيقة يعتد بها، كما تظل رواية يرويها صاحبها وتخضع لمنهج نقد النص، أي تفكيك النص وإعادة تركيبه لحالته الأولى، وبالتالي لا بد من دراسة الظروف التي كانت قائمة لتؤثر على هذه الرواية حتى يمكن فهم طبيعتها. ولعل أبرز ملامح "الرواية الشفهية" أن صاحبها لا يتحدث دائماً عن نفسه، وإنما يحاول النيل من الآخرين من دون أن يقيم ذاته، فالرواية الشفهية التي يذكرها صاحبها دائماً هي جزء من مذكراته الشخصية عيها الرئيسي أن صاحبها لا يتحدث عن نفسه لكنه يتحدث عن الآخرين، ومن ثم يحاول النيل منهم من دون أن يقيم نفسه ولا يقول مثلاً إنه أخطأ أو تسرع أو اندفع أو جانبه الصواب أو لم يكن مدرّكاً لأبعاد أشياء كثيرة، لذا فإن حديثه ينصب دائماً على الآخرين ويصورهم على أنهم لا يفهمون⁽¹⁹⁾.

التاريخ الشفوي هو: منهج يهتم بجمع الروايات الشفهية من أصحابها وإخضاعها لتحليل والنقد والمقاربة بالأحداث الواردة في الوثائق الرسمية. بهدف تقديم تاريخ علمي صحيح غير متأثر بأحاديث النفس والأمنيات والتهمم الملقى جزافاً من قبل الراوي⁽²⁰⁾

الباحث في التاريخ الشفوي: هو الشخص المؤهل أكاديمياً في علم التاريخ ومدرّب تدريباً خاصاً على وسائل

البحث العلمي، ومهارات التواصل والحوار، وعلى الأسس الصحيحة للتعامل مع الرواية الشفهية بهدف تحويل الرواية الشفهية إلى تاريخ علمي مكتوب. وهناك بعض المدارس التي تسميه المؤرخ الشفوي، ولكن مع البحث المعمق والتدقيق ظهر جلياً وجود تباين كبير بين الباحث في التاريخ والمؤرخ الشفوي، وتبين هذا على وجه الخصوص في التجربة الباحثين في القبائل الأفريقية.

الراوي (الشاهد): هو الشخص الذي عاصر الحدث أو عايش الأحداث وكان جزءاً منها ويستطيع أن يقدم شهادة للتاريخ تحتوي على حقائق مفيدة عن الحدث الذي عايشه أو شهده بنفسه لا لنقل عن غيره.

المؤرخ الشفوي: هو الشخص الذي عاصر أحداث مهمة وعاش بعضها وشاهد وشهد جزءاً منها بنفسه وسمع من غيره عن جزئيات أخرى للحدث لم يشهدها ويستطيع أن يقدم رواية شبه كاملة عن الحدث ويفصل بين ما شهده وسمعه. بطريقة صحيحة⁽²¹⁾، وهو في هذا المقام أشبه بالمكتبة التي تضم مراجع مهمة حول موضوع البحث وأهم ما يميزه هو اهتمامه وشغفه الكبير بتاريخ قبيلته أو جماعته أو مؤسسته أو حزبه الخ

ومن الجدير بالذكر أن تحويل الرواية الشفهية إلى تاريخ مدون يحتاج إلى اتباع منهج التاريخ، لأن الرواية الشفهية عرضة للتغيير والتبديل، والإنسان عرضة للتسليان، وقد تخونه الذاكرة، أو يخلط بين الأحداث، أو ينحاز لجهة معينة أو رأي أو فكرياً من بهما؛ لهذا لا بد من دراسة الراوي نفسه، ولا بأس أن نطيق على الرّواة شيئاً يسيراً من منهج المحرّثين، ولا بأس أن يقوم الباحث في التاريخ بدور المحقق الذي يستجوب الشهود من أجل الوصول إلى الحقيقة، ولهذا يصح أن نقول: إن الرواية الشفهية معرفة تاريخية إذا كان مضمونها يشكل شاهداً

أو دليلاً يبحث عنه الباحث في التاريخ؛ لتعليل ما وقع أو لتدعيم وجهة نظره، وبهذا تصبح الروايات الشفهية مجرد أدلة أو كشف نفي أو إثبات وجهة نظر معينة⁽²²⁾، وهنا تظهر أهمية الرواية الشفهية كونها تحفظ الأحداث الغير موثقة في الوثائق الرسمية من الفناء والضيع، أو من تطورها عبر الزمن قبل أن تصبح أسطورة غير علمية في بعض الأحوال.

وتكمن أهم الاشكاليات في منهج التاريخ الشفوي التي يجب أن ينتبه لها الباحث في التاريخ في امرين رئيسيين هم:

1- اشكاليات تتعلق بالراوي مثل:

الذاكرة: أهم مشاكل الذاكرة هي: الذاكرة ولها عدة موضوعات: الصحة العقلية، شجاعة الراوي، قدرة الراوي علي استدعاء الأحداث بطريقة موضوعية، أمانة الراوي وصدقه، الاختلاط الأمور على الراوي⁽²³⁾.

- احساس الراوي بعدم الاطمئنان للباحث
- الخوف من المحاسبة - الأمنية، أو الاجتماعية-
- الخلط بين ما حدث وبين الآمال والأمنيات.
- التحليل الشخصي وإبداء الرأي وكأنه حقائق وقعت

- عدم التذكر بصورة صحيحة
 - اخفاء بعض المعلومات المهمة بصورة متعمدة
- 2- اشكاليات تتعلق بالباحث في التاريخ الشفوي منها:

- تأهيل الباحث أكاديميًا وتدريبه على أسس المقابلة الصحيحة
- معرفة الباحث بتفاصيل موضوعه
- قدرة الباحث على الحوار واستثارته لذاكرة الراوي لتوليد الذكريات المحمولة في ذاكرة الراوي⁽²⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر أن العلاقة بين الباحث والراوي يجب أن تقوم على مبدئين أساسيين وهم: الندية، و التعاطف: والمقصود بالندية هو: إلمام الباحث في موضوع البحث من كل جوانبه، ومعرفة أدق التفاصيل في الموضوع المبحوث قبل مقابلة الراوي. بمعنى آخر تكون الندية في المعرفة حول الموضوع. من خلال استقاء المعلومات من الوثائق والمصادر المكتوبة. حتى لا يشط الراوي عن الحقائق ويركن إلى خيالاته وأمنيته، فيوجه الباحث الراوي إلى الحدث مع التذكير بعبارات لبقة مثل: سمعت، تحدث البعض، لماذا كان ذلك حسب علمك، هل سمعت هذا أم شاهدته بنفسك، أهذا رأيك الشخصي، أم معرفة مؤكدة عن الحدث، مثل ذلك، حتى يكون اللقاء مجدي ونافع لا بد من الندية بين الباحث في التاريخ والراوي⁽²⁵⁾.

التعاطف ويقصد به: اظاهر التعاطف مع الراوي وتوفير جو من الاستئناس بين الباحث في التاريخ والراوي؛ من أجل بث حالة من الطمأنينة للراوي، ليتنسى له استدعاء الماضي بأمان دون خوف من المحاسبة في الحاضر أو المستقبل. وهنا تتجلى قدرة الباحث في التاريخ الشفوي وخبراته⁽²⁶⁾.

أهم المهارات التي يجب أن تتوفر في الباحث في حقل التاريخ الشفوي والتي تكتسب من خلال التدريب والتأهيل هي على النحو التالي:

أولاً مهارات شخصية منها: التواصل مع الرواة: اختيار الرواة: يجب اختيار الرواة المحتملين بناءً على صلة خبراتهم بالموضوع المطروح. يجب التواصل مع الرواة المحتملين وتوجيه خطاب تمهيدي يحدد التركيز والغرض من المقابلة. وبناء الثقة: القدرة على بناء علاقة جيدة مع المحاور من خلال إظهار الاحترام والود والاهتمام بما يقولونه. يجب أن يكون الباحث في التاريخ الشفوي مهارياً

في التواصل والتحضير والاستماع والتقييم والتوثيق لضمان جمع وتسجيل معلومات تاريخية دقيقة وموثوقة... أن يتمتع الباحث بالمرونة: القدرة على التنقل بين الأسلوب المألوف والأسلوب الرسمي حسب الحاجة والمحافظة على اتصال فعال وودي مع المحاور. القدرة على التعاطف والندية: يجب على الباحث أن يكون قادرًا على التواصل مع الشهود والرواة، وإظهار احترامه لتجاربههم ومشاعرهم، وتفهم طبيعة العلاقة بين الباحث والشاهد. والاستماع الفعال: يجب على المحاور أن يكون لديه قدرة استماع جيدة للراوي، والتركيز على التفاصيل والمعلومات التي يقدمها. وأن يتسم بالصبر واستخدام استراتيجيات الصمت: المحاور يجب أن يظهر الصبر واستخدام الصمت بشكل مناسب لإتاحة الفرصة للراوي للتعبير بحرية. القدرة على إظهار الأهمية للراوي: يجب أن يعبر الباحث عن اهتمامه بتجربة الراوي وقيمة مشاركتها في البحث. وأن يظهر اهتمامًا حقيقيًا بما يقوله، ويمكن استخدام لغة الجسد والإيماءات للتواصل بشكل فعال وتشجيع الراوي على التحدث⁽²⁷⁾.

ثانيًا: الالتزام بأخلاقيات العمل والاحترام والتفهم: يجب أن يتعامل الباحث مع الراوي باحترام وتفهم لتشجيعه على مشاركة تجربته بصدق. وإذا كان المحاور من كبار السن، فإن تحديد حدود زمنية والتعاون معهم للمساعدة في جعل المقابلة مريحة بالنسبة لهم تعتبر مهمة. ويجب على الباحثين الشفويين أن يلتزموا بمبادئ الأخلاقيات، مثل الاحترام لنزاهة منظور الراوي وعدم التلاعب بالمعلومات. ومن المهم جدا احترام رغبة الراوي إذا طلب حجب اسمه أو معلومات شخصية أخرى⁽²⁸⁾.

ثالثًا: مهارات أكاديميًا: تكتسب المهارات الأكاديمية من خلال الدراسة والتدريب والممارسة المستمرة في علم

التاريخ الشفوي وتظهر في التحضير المسبق للمقابلة وخلال المقابلة وبعد المقابلة وما تضمنت من أرشفة صحيحة وتفرغ للمحتوي الصوتي، ونشر الرواية في قالب بحث تاريخي.

أولاً ما قبل المقابلة:

مرحلة التخطيط للمقابلة: يجب وضع خطة واضحة لأسلوب المقابلة ونوعها قبل إجرائها هذا يشمل معرفة من سيتم مقابلته واهتماماته، وبحث خلفية الموضوع المراد تسجيله. ومن التحضير الجيد أيضًا هو الامام الجيد بالموضوع وإعداد قائمة بالأسئلة المحتملة مسبقًا ومناقشتها مع المحاور لمساعدتهم في التفكير في إجاباتهم. اجتماع ما قبل المقابلة: يجب عقد جلسة ما قبل المقابلة لتبادل المعلومات حول الأسئلة المحتملة والأهداف والعملية. وإعداد مخطط تفصيلي لموضوعات وأسئلة المقابلة لاستخدامها كدليل أثناء الحوار المسجل. الاستفسار الإبداعي: يجب طرح أسئلة إبداعية واستقصائية خلال المقابلة والاستماع بعناية إلى الإجابات وطرح أسئلة متابعة⁽²⁹⁾.

ثانيًا أثناء المقابلة:

إعداد البيئة: أولاً يجب ترك الراوي اختيار مكان المقابلة، أن يتم إجراء المقابلة في غرفة هادئة خالية من الضوضاء، ما لم يكن هناك حاجة خاصة لتضمين الضوضاء في المقابلة. تسجيل مقدمة: يجب أن يقوم الباحث في التاريخ الشفوي بتسجيل مقدمة في بداية كل جلسة لتوجيه أفكار الراوي والمحاور نحو أهداف كل جلسة. وأن تتضمن هذه المقدمة تفاصيل مثل أسماء الراوي والباحث وتاريخ ومكان المقابلة. ويتم الاتفاق على الوقت مسبقًا بين الباحث والراوي على الوقت المقرر للمقابلة والتقييم المستمر لحالة الراوي للتأكد من استمرار رغبته في

المشاركة. الاستماع وعدم مقاطعة الراوي هذا يساعد على تدفق المعلومات والحفاظ على استمرارية عملية الذاكرة⁽³⁰⁾.

ويجب أن يتمتع الباحث بالقدرة على طرح أسئلة تناسب موضوع البحث وتشجع الراوي على تقديم المعلومات المهمة. وتكون أسئلة مفتوحة بحيث تسمح للراوي بالتحدث بحرية وإيجاز. والقدرة على قيادة حوار ابداعي من خلال الاستفسار وتحفيز الراوي: يجب على المحاور أن يستخدم استفسارات تحفيزية لجعل الراوي يشارك بمزيد من التفاصيل والقصص⁽³¹⁾.

ثالثاً- ما بعد المقابلة: تبدأ عملية حفظ التسجيلات بشكل فوري. من خلال توثيق التحضيرات والأساليب المستخدمة خلال المقابلة، ويجب تقديم هذه المعلومات إلى المستودع الذي سيحتفظ بالمقابلة. والاهتمام بالمحتوى وضمان وصولها وفقاً لمعايير الأرشيف والأمان المعمول بها. وتوثيق الوصول من يمكنه الوصول إلى المقابلة وتحديد حقوق الوصول بناءً على اتفاقيات سابقة. زيادة إمكانية الوصول: يجب على المستودعات عمل نسخ وفهارس وعلامات زمنية وأوصاف مفصلة للمحتويات لزيادة إمكانية الوصول إلى المقابلة. احترام الاتفاقيات السابقة: يجب على المؤسسات الالتزام بالاتفاقيات السابقة المبرمة مع المحاورين أو المؤسسات الراعية. التقييم والنقد: يجب على الباحث تقييم المعلومات التي يتلقاها من الراوي ومقارنتها بالمصادر الأخرى والتحقق من دقتها وتماسكها⁽³²⁾.

كما يجب أن يسعى الباحث للتوصل إلى صورة متكاملة وموثوقة للحدث أو الموضوع المعني. التحقق من المعلومات: يمكن للباحث تحقيق بعض المعلومات من خلال الأرشفة والمصادر الثانوية للتأكد من صحة المعلومات التي قدمها الراوي. التصنيف والتحليل: يمكن

للباحث تصنيف وتحليل المعلومات التي جمعها من الراوي والمصادر الأخرى لفهم أفضل للموضوع التاريخي. كما يجب أن يكون الباحث قادراً على تحليل وتفسير المفاهيم الاجتماعية والسياسية للشهادات الشفوية، وكيف يمكن أن تساهم في فهم الظروف والسياق الزمني. توثيق ونشر الروايات: يمكن للباحث توثيق الروايات ونشرها بشكل مكتوب للمساهمة في توثيق التاريخ الشفوي والحفاظ على الذاكرة الشعبية. القدرة على استخدام الشهادات الشفوية كمصدر أساسي: يجب أن يكون الباحث قادراً على استخدام الشهادات الشفوية كمصدر أساسي لاستنباط المعلومات التاريخية، وتحليلها واستخدامها في بناء السرد التاريخي⁽³³⁾.

وفي ختام هذا المحور من الجدير بالذكر أن نبين أن هناك أموراً تم استبعادها من حقل التاريخ الشفوي منها: الأسئلة الموجهة بشكل قوي، في السابق كان بعض الباحثين يستخدمون أسئلة موجهة بشكل قوي للرواة ويُفضل اليوم استخدام أسلوب أكثر احتراماً للرواة دون توجيههم بقوة. كما يُفضل اليوم الحفاظ على المحتوى الشفوي بأكبر قدر ممكن على حالته الأصلية وعدم تحريره بشكل كبير للحفاظ على مصداقيته. وأصبح من المهم جداً توثيق معلومات أساسية عن المقابلة مثل تاريخها ومكانها وهوية المقابل والرواة. في السابق، قد تم تجاهل هذه المعلومات في بعض الأحيان، ولكن اليوم يُعتبر توثيقها ضرورياً وأصبح الباحثين أكثر احتراماً للسرية والخصوصية. وتم استبعاد أي ممارسات تنتهك خصوصيات الرواة وأصبحت المقابلات تُجرى بشكل أخلاقي ومحترف. ولكن تبقى أهم التحديات الملموسة التي واجهت بعض المؤرخين وهي الاعتبار الأخلاقية مثل حماية الحريات والحماية الشخصية للمجموعات المهمشة

و من يحق له الوصول للوثائق وما هي قضايا الاجتماع السياسية والاجتماعية مثل الاختلافات الدينية الاثنية وصحة الذاكرة والتأكد من صحة المعلومات الشفوية، في هذا الخصوص يطرح علماء التاريخ الشفوي السؤال التالي: ما الذي يجعل معلومات التاريخ الشفوي صحيحة لكي ندمجها ونقرها منهجياً؟ والاجابة هي:

1- النظر إلى عدد الشهادات

2- التناغم بين المعلومات الشفوية والمكتوبة المؤرخة

3- مقارنة الحاضر مع الماضي

4- يتم طرح امثلة حقيقية وكافية⁽³⁴⁾.

المحور الثالث

الوسائل الرقمية الحديثة المساعدة في حقل التاريخ الشفوي

لاشك أن وجود الوسائل وتطور الأدوات التقنية بشكل عام تعد عاملاً رئيساً في تقدم العلوم: ففي بداية الحياة البشرية وتدوين التاريخ اعتمد الإنسان على الوسائل المتاحة في بيئته الخاصة مثل: عظام وجلود الحيوانات وجدران بعض الكهوف، لتدوين بعض نشاطهم الإنساني البدائي، ثم تطور الأمر بشكل كبير عندما دونت الحضارة السومرية تاريخها وعلومها وآدابها وأسماء ملوكها وآلهتها ومدنها وأساطيرها على ألواح الطين بخط مسماري بلغت 600 الف لوح، كما أوجدت الحضارة الفرعونية أدواتها الخاصة والفريدة منها تقنية الكتابة الهيروغليفية والتي أوصلت لنا جمالها وعبقرياتها، وكان لها الفضل في فهم أعماق لحضارة مصر القديمة وتاريخها وثقافتها، كما تعرفنا من خلال تلك الوسائل والتقنيات على الحضارات القديمة بكافة تفاصيلها الدقيقة.

وكان لظهور تقنية الطباعة التي ظهرت لأول مرة في الصين في القرن الثامن، ولاحقاً نقلت إلى أوروبا في القرن الخامس عشر، ثم إلى باقي الدنيا دوراً كبيراً في عمليات النشر وزيادة انتشار المعرفة. إلا أن تقنية الطباعة كان لها أثراً سلبياً على مكانة التاريخ الشفوي وترجع أهميته لصعوبة نقله وطباعته خلال القرن التاسع عشر هذا بمقارنته بالنص المكتوب، ولكن أدى ظهور تقنية تسجيل الصوت عودة مجددة ونمو متزايد في عملية التوثيق الشفوي وتسجيل الروايات الشفوية الشخصية، من خلال تسجيل الروايات على الأسطوانات وبكرة التسجيل، وتزايد أهمية التاريخ الشفوي بسبب ظهور جهاز تسجيل الكاسيت المحمول من قبل شركة هولندية في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وانتشرت عملية التسجيل الشفوي على نطاق أوسع، ثم جاءت مرحلة تقنية تسجيل الفيديو وأصبح التاريخ الشفوي يسجل بطريقة الكاسيت أو الفيديو وتم أرشفت وفهرست التسجيلات في زوايا مخصصة في المكتبات ومراكز التاريخ الشفوي وفي المتاحف أيضاً.

ثم في فترة وجيزة ظهرت الأقراص الصلبة ثم أقراص الليزر المعتمدة على الحاسوب في التسجيل والأرشفة، وجاءت تقنية التسجيل الرقمي المعتمدة على جهاز تسجيل مخصص مزود بميكروفون وذاكرة رقمية ذات سعة كبيرة، وهناك من يسجل على جهاز الاتصال المحمول من خلال تزويده ببرنامج تسجيل صوت وميكروفون خارجي لضمان جودة أفضل. ولكن هذه التقنية وصلت إلى تطور كبير وخيالي في ظل عالم يتطور كل لحظة من خلال ظهور تقنيات وأدوات الذكاء الاصطناعي التي إذا تعاملنا معها سوف توفر الكثير من

الجهد والوقت والمال في تسجيل وتوثيق وتفرغ وأرشف
الروايات الشفوية المسجلة.

وفي هذا المحور سوف نتطرق إلى الوسائل
وتقنية، المقابلة الحديثة، من خلال التعرف على وسائل
تسجيل المقابلة الوجيهة والمقابلة عن بعد في عالم رقمي
متطور، كما سوف نتحدث عن أهم التطبيقات والتقنيات
التي تعمل بالذكاء الاصطناعي وتساعد في سهولة العمل في
حقل التاريخ الشفوي.

أولاً - الميكروفونات الرقمية:

تم إطلاق مبادرة "التاريخ الشفوي في العصر
الرقمي" من قبل باحثين غربيين لتعزيز استخدام الأدوات
والأجهزة الرقمية في تسجيل ومعالجة التاريخ الشفوي.
المبادرة تشير إلى انتشار التاريخ الشفوي في العصر الرقمي
وأهمية الحفاظ على تسجيلاته بجودة عالية. كما نوهت
هذه المبادرة على أن تكون أجهزة الكمبيوتر قادرة على
التعامل مع الملفات الصوتية الكبيرة وتكون آمنة
 واحتياطية. كما يجب أن تتم عملية الحفظ والأرشفة
بتسمية الملفات الصوتية بشكل فريد لتسهيل العثور
عليها لاحقاً. يُفضل استخدام محركات أقراص صلبة
خارجية للتخزين على المدى الطويل بدلاً من الأقراص
المضغوطة أو أقراص DVD.⁽³⁵⁾

وأما بخصوص الميكروفونات، فمن الأفضل
استخدام ميكروفونات خارجية لتحقيق جودة صوت
ممتازة وتجنب الضوضاء الخلفية. يمكن تثبيتها بشكل
مريح على الملابس. تستخدم ميكروفونات محمولة أحادية
الاتجاه في المقابلات في الهواء الطلق لتقليل من الضوضاء
غير المرغوب فيها. كما يجب ضبط إعدادات المسجل بناءً
على نوع الميكروفون المستخدم⁽³⁶⁾، وهذه بعض الأجهزة
الشهيرة والموصى بها للباحثين في التاريخ الشفوي:⁽³⁷⁾

Zoom H5 Handy Recorder: هذا المسجل يتميز
بجودة صوت عالية وإمكانية ترقية الميكروفونات. يحتوي
على ميكروفونين منفصلين يمكن استخدامهما لتسجيل
متعدد الاتجاهات.

Tascam DR-40X Portable Audio Recorder:
هذا المسجل مثالي للمقابلات بفضل ميكروفوناته المدمجة
 وإمكانية توصيل ميكروفون خارجي إذا كان ذلك ضرورياً.
Sony PCM-D100: يعتبر هذا المسجل من بين
أفضل المسجلات في فئته بفضل جودة صوته الاستثنائية
وميزات التحسين الصوتي.

Olympus LS-P4: مسجل صغير ومحمول يتميز
بجودة صوت عالية وإمكانية تسجيل استريو.

Roland R-07: هذا المسجل صغير الحجم ويمكن
توصيله بالهاتف الذكي للتحكم عن بعد ومشاركة الملفات
بسهولة.

Zoom H6 Handy Recorder: هذا المسجل مثالي
إذا كنت تخطط لتسجيل مقابلات مع عدة مشاركين،
حيث يمكن توصيل ميكروفونات إضافية.

Tascam DR-05X: مسجل صوت ميسر للميزانية
الضيقة، يقدم صوتاً جيداً وسهولة في الاستخدام.

Zoom H1n Handy Recorder: مسجل محمول
وميسر يتيح تسجيل عالي الجودة مع ميزات مفيدة.

وهنا يمكن القول عند اختيار مسجل الصوت
المناسب، يجب مراعاة جودة الصوت والميزات المتاحة
ومدى سهولة الاستخدام والتكلفة المتاحة. بغض النظر
عن الجهاز الذي تختاره، يجب أن تتأكد من أنه يلبي
احتياجات تسجيل مقابلتك للتاريخ الشفوي بشكل كامل
ودقيق. مسجل محمول Zoom H5 4-Track للصوت
للفيديو والموسيقى والبث الصوتي. وتتراوح أسعار هذه

ثانيًا- معدات الفيديو الرقمية:

يفضل العديد من الباحثين في التاريخ الشفوي الصوت لسهولة استخدامه وقابليته للنقل، لكن معدات الفيديو في السنوات الأخيرة أصبحت اختياريًا متاحًا بسبب انخفاض تكلفته، وتضمنها في تطبيقات الهاتف الذكي. ومع ذلك يوجه تحديدًا من حيث مساحة الذاكرة والمعايير الدولية أو تنسيقات والحفظ المتفق عليها. وأهم ما يتمتع به تسجيل الفيديو أنه يسمح لنا برؤية تعبيرات الشخص الذي تمت مقابلته والموقع الذي تم تصويره فيه، وأما عن الهواتف الذكية؟ اعتاد الكثير من الناس على تسجيل المحادثات ومقاطع الفيديو على هواتفهم الذكية هذه الأيام. وأصبحت الهواتف المحمولة أكثر تطورًا وقدرة. ومع ذلك، هناك العديد من الأسباب التي تجعلك كباحث في التاريخ الشفوي تفكر مليًا قبل استخدامها لتسجيل مقابلة التاريخ الشفوي للأسباب التالية:

- ليست مصممة لهذا الغرض. وبالتالي ستكون جودة الصوت متغيرة وقد يحد عمر البطارية وسعة التخزين من جودة الصوت، وسيحتاج إلى تسجيله بجودة رديئة غير مناسبة للأرشفة
- كما أن البيانات في الهاتف ليست آمنة: المقابلات المخزنة على الهواتف عرضة للضياع لعدة أسباب منها اختراق الهواتف، أو وسرقته، أو ضياعه.
- تحتاج إلى تنزيل تطبيق خاص: من أجل تحسين جودة الصوت (لتسجيل ملفات PCM wav) وشراء ميكروفون عالي الجودة، بالإضافة إلى ربما مكبر صوت مسبق، وفي بعض الحالات زيادة سعة التخزين. وهذا يزيد التكلفة الإضافية⁽³⁸⁾.

الأجهزة بين 70 دولار إلى 250 دولار حسب ما تم رصده على موقع أمازون من قبل الباحث، وفي الصفحة القادمة تم إرفاق صور تعريفية لبعض أجهزة التسجيل المهمة في مجال تسجيل المقابلة في حقل التاريخ الشفوي، وتوضح الصور أنواع أجهزة التسجيل المختلفة وادواتها ومرفقاتها، وكيفية استخدامها مع أجهزة الهاتف الذكي لتحسين جودة الصوت للمقابلة.



كما يمكن للباحث في حقل التاريخ الشفوي أن يستعين بتطبيقات تسجيل المكالمات في عمل مقابلة عن بعد، وهناك تطبيقات تصلح للآيفون مثل: Tape A Call Pro. وأخرى تصلح لـ Android وهي كثيرة ولكن إذا كنت تخطط لاستخدام مسجل الصوت الرقمي الخاص بك ، فينصح التسجيل بتنسيق WAV وهذا أمر ضروري لضمان جودة الصوت.

ومن الجدير بالذكر أنه لا تحتوي هواتف Android على مسجل مدمج ، ولكن يمكنك تنزيل تطبيق مجاني يسمى "Easy Voice Recorder" والذي سيقوم بالمهمة. وأما إذا كان لديك تطبيق آخر تفضله، فاستخدمه.

ومن المهارات والأسس التي يجب أن يتبعها الباحث في التاريخ الشفوي أثناء إجراء المقابلة عن بعد ، أن يقوم في بداية المقابلة بتحديد وقت ومكان وأسماء الأشخاص بشكل صحيح. مع تشغيل وضع التسجيل وذكر أسماء جميع الحاضرين. إذا كان ذلك مهم وله فائدة للبحث، ونصح باتباع هذا البرنامج النصي وهو أن يبدأ الباحث في بداية التسجيل بالقول: إنه الشهر والتاريخ والسنة ونحن في اسم المدينة (مثال غزة). أنا هنا الباحث في التاريخ الشفوي (اذكر اسمك الباحث فلان) مع ذكر اسم (الراوي - الشاهد) لإجراء مقابلة كجزء من... اذكر اسم المشروع مثال (توثيق تطور الفن التشكيلي في قطاع غزة 1948-1988)⁽³⁹⁾.

وهذه روابط بعض التطبيقات الرقمية لعمل مقابلة عن بعد



Sectors that are likely to boom post-COVID-19 – Part 2 - VCBay News ... by Unknown Author is licensed under CC BY-NC-ND



ثالثاً- تسجيل المقابلات عن بعد من خلال تقنيات رقمية: في هذه الأيام يوجد عشرات التطبيقات والوسائل التي تتيح للباحثين في حقل التاريخ الشفوي التواصل عن بعد وعمل مقابلات بالصوت والصورة أو بالصوت فقط كما ذكر سابقاً، ومن هذه التطبيقات ما هو متاح ومنتشر حول العالم يمكن للجميع استخدامه مجاني ومنه ما هو مدفوع، وهناك تطبيقات مدفوعة، كما يوجد تطبيقات لعمل مقابلات بالصوت والصورة ويمكن تسجيلها تعمل ضمن نطاق جغرافي محدد مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا فقط، ولا تعمل في منطقة الشرق الأوسط.

ومن التطبيقات والمنصات المشهورة والتي يمكن للباحث في حقل التاريخ الشفوي استخدامها في مجال مؤتمرات الفيديو: منصة Zoom و Skype و Webex، والكثير غيرها. وتحقق هذه المنصات العديد من المزايا لإجراء المقابلات عن بعد - وهي أنها تتيح للباحثين الوصول بسهولة أكبر إلى الأشخاص من نطاق جغرافي أوسع بكثير. وعمل مقابلة فردية أو جماعية.

Otter.ai: هذه هي خدمة تحويل صوت إلى نص موجهة للاجتماعات والمحادثات. توفر واجهة سهلة الاستخدام وإمكانية تحرير وتنسيق النصوص المُحوّلة.

Rev.com: تقدم خدمة تحويل صوت إلى نص من خلال الاستعانة ببشر محترفين وأيضًا من خلال تقنيات تلقائية. تركز أكثر على الجودة.

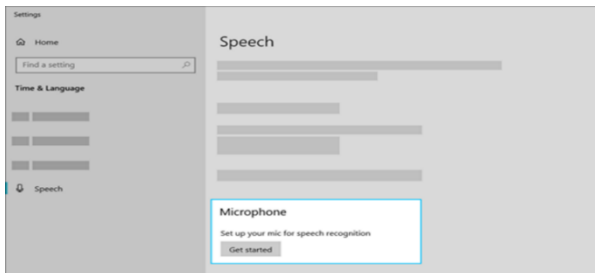
Descript: هذه أداة تحرير الصوت والفيديو توفر أيضًا خدمة تحويل الصوت إلى نص. تمتاز بتجربة تحرير نصية متكاملة.

يرجى ملاحظة أنه قد يتوقف أداء هذه الأدوات على جودة ووضوح الصوت المسجل ولهجة المتحدث ولغة النص المستهدف. قد تحتاج أيضًا إلى اختيار الأداة التي تناسب احتياجاتك وميزانيتك.

هناك بعض الأدوات المجانية التي يمكنك استخدامها لتحويل الصوت المسجل إلى نص مكتوب: Google Speech-to-Text API

على الرغم من أنه ليس مجانيًا بالكامل، إلا أن Google توفر حدود استخدام مجانية شهرية تسمح لك بتحويل كمية محدودة من الصوت إلى نص.

مرفق بعض الصور للتطبيقات الذكاء الاصطناعي التي تحول الصوت إلى نص مكتوب لتعرف الباحثين عليها



No Skype for Windows Phone 7 by Unknown Author is licensed under CC BY-SA

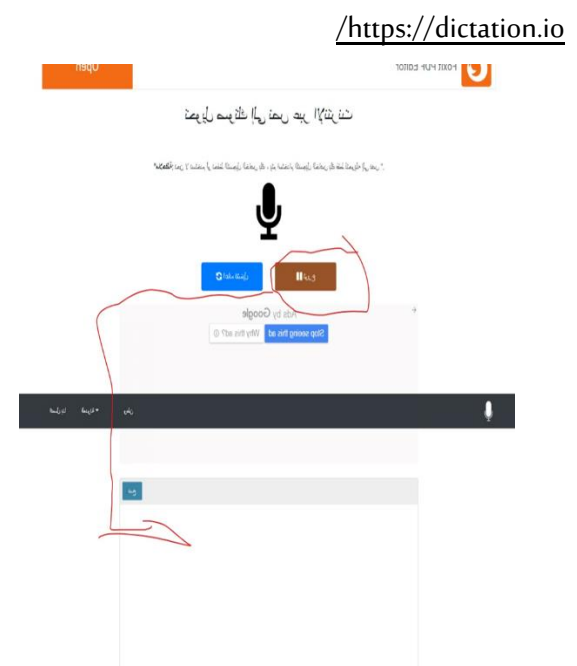
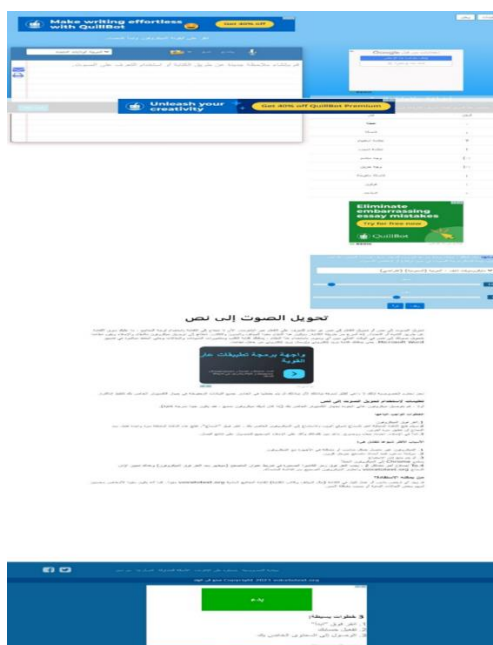
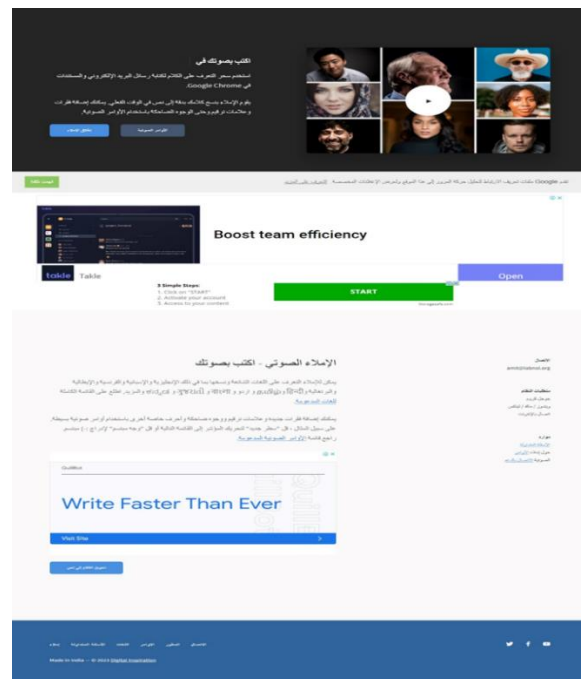
رابعًا- تطبيقات الذكاء الاصطناعي المساعدة للباحث في حقل التاريخ الشفوي:

هناك العديد من الأدوات والخدمات التي تستخدم الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي، ولكن في هذا المقام سنتحدث عن تطبيقات تعمل على تحويل الصوت المسجل إلى نص مكتوب وأهم ما يميز هذه التطبيقات أنها تختزل الوقت الطويل المستغرق في عملية تفريغ المقابلة إلى دقائق معدودة، بدقة إملائية ونحوية عالية جدًا، وأهم تحدي أمام هذه التطبيقات أنها ليست مجانية بالكامل، فمهما ما يعطيك فترة تدريبية محددة بوقت وجيز جدًا أو عدد قليل ومحدد من تفريغ الكلمات، وبالرغم من وجود اشتراك سنوي أو شهري مقابل هذه الخدمة إلا أنه يعود بالفائدة الكبيرة على الباحثين ومراكز الأبحاث من خلال توفير الجهد والوقت والمال أيضًا، إليك بعض هذه التطبيقات:

Google Cloud Speech-to-Text: هذه خدمة من Google تتيح للمطورين تحويل الصوت إلى نص باستخدام تقنيات تعلم الآلة. يمكنك استخدامها من خلال واجهة برمجة التطبيقات (API) أو واجهة المستخدم على الويب.

IBM Watson Speech to Text: هذه خدمة من IBM تقدم إمكانية تحويل الصوت إلى نص، وهي مشابهة للخدمة المذكورة أعلاه. يمكن استخدامها من خلال واجهة البرمجة أو واجهة المستخدم.

Microsoft Azure Speech to Text: هذه خدمة من Microsoft توفر قدرة تحويل الصوت إلى نص ودعم للعديد من اللغات والأوضاع الصوتية المختلفة.



في الختام: يمكن القول أن السردية أو الرواية الشفوية شكلت نواة التاريخ الذي وصل لنا منذ العصور القديمة، هذا السرد تمتع بأهمية كبيرة منذ بداية تكوين الوعي الإنساني، وإدراك الإنسان لذاته وأهميته وأهمية تجربته وإنجازاته التي عملت علي تطوره الحضري فتشكلت الحضارات بتراكم التجربة وتكرارها حتى أصبحت ثقافة

وأداب وعلوم نعيش نتاجها في واقعنا المتطور، وهذا لم يكن يحدث لولا سرد القصص التي تواترت بين الناس لتشكل رواية شبه كاملة تحمل الكثير من الحقائق والكثير من الأساطير، حتي تنبه المؤرخون لها فقاموا بتحقيقها ودونوها بعد سماعها من روايتها الذين وصلتهم بالتواتر، وتمتعت الرواية الشفوية التاريخية بأهمية كبيرة وتربعت علي عرش التدوين، حتى بدأ يتراجع دورها بعد اختراع الطباعة وظهور مدارس تاريخية أكاديمية في أوروبا في منتصف القرن التاسع عشر، ولكن عاد الاهتمام بالرواية الشفوية مرة أخرى بعد اختراع وسائل تسجيل الصوت في منتصف القرن العشرين، وأخذ الاهتمام بالرواية الشفوية بالتزايد في ستينات وسبعينات القرن العشرين بسبب ظهور جهاز تسجيل الكسيت المحمول، واليوم أصبحت الرواية الشفوية مصدرًا مهمًا للتاريخ كونها تبين تاريخ المهمشين وتسجل التاريخ الحي وخصوصًا في ظل غياب الوثيقة الرسمية.

أهم النتائج: تبين من خلال الدراسة أن التاريخ الشفوي شكل منذ العصور الأولى مصدرًا أساسيًا للمعلومات وقد حفظ العلماء والمؤرخون تجارب الإنسان بعد تسجيل وتدوين كل الروايات والسرديات الشفوية التي شكلت الوعي الإنساني بكافة مراحل تطوره.

- تاريخ الشفوي يعد مصدرًا أساسيًا لفهم وتوثيق القضية الفلسطينية، حيث يمكنه تسليط الضوء على الظروف الإنسانية والاجتماعية والحياة اليومية والتجارب الشخصية للفلسطينيين. ويمكن للتاريخ الشفوي أن يحفظ التراث والثقافة الفلسطينية، ويوثق جهودهم في المقاومة والنضال من أجل حقوقهم، ويظهر دورهم في الصمود على أرضهم ويمكن استخدامه كوثيقة قانونية ضد جرائم الاحتلال، ويساهم تاريخ الشفوي في توثيق الحقوق

التاريخية للفلسطينيين ويحفظها للأجيال القادمة بناءً على أسس علمية منهجية سليمة.

- كما أظهرت الدراسة أن دراسات التاريخ الشفوي تتطلب جهودًا مشتركة بين الباحث والراوي للتغلب على التحديات المرتبطة بالذاكرة والتفاصيل والتحليل الشخصي، من أجل تحقيق رواية تاريخية دقيقة وموثوقة.

- وتبين أن دراسات التاريخ الشفوي تواجه تحديات عدة تتعلق بالراوي والباحث، أولاً فيما يتعلق بالراوي، تتضمن هذه التحديات مشاكل تتعلق بالذاكرة، مثل الصحة العقلية والدقة في تذكر الأحداث، بالإضافة إلى تأثير عوامل مثل شجاعة الراوي وقدرته على استدعاء الأحداث بشكل موضوعي، وأهمية أمانة الراوي وصدقه في نقل الأحداث تُعد تحديًا مهمًا أيضًا، فضلاً عن تأثير العوامل النفسية والاجتماعية على قدرته على التذكر بدقة. العوامل الشخصية للراوي قد تؤثر أيضًا على نقله للحقائق بمختلف وجهات النظر وقدراته في تحليل الأحداث. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يؤدي عدم التذكر بدقة واختبار الحقائق إلى تقليل دقة الرواية. تواجه أيضًا التحديات المتعلقة بالباحث، حيث يجب عليه أن يكون مؤهلاً أكاديميًا ومدرّبًا جيدًا لإجراء مقابلات دقيقة. يجب أن يمتلك معرفة عميقة بموضوع الدراسة ليتمكن من طرح أسئلة ملائمة ومحفزة. يلعب الحوار الفعال دورًا هامًا، حيث يجب على الباحث أن يستمع بعناية ويثير الذاكرة لدى الراوي من أجل الحصول على معلومات دقيقة وموثوقة.

في دراسة التاريخ الشفوي، يجب على الباحث التمييز بدقة بين مفاهيم مختلفة، والتي تشكل أساسًا هامًا يجب أن يتسم به الباحث بمهاراته. يجب على الباحث تمييز الرواية

الشفوية حول موقف معين أو حكاية شخصية معينة عن التاريخ الشفوي كمنهج علمي يهتم بجمع الروايات الخاصة من الأشخاص الذين عاشوا الحدث وكانوا جزءاً منه، ويحللها ويخضعها للنقد. يتألف التاريخ الشفوي من مكونات مختلفة، بما في ذلك الرواية الشفوية نفسها، ومنهج التاريخ الشفوي، والباحث في التاريخ الشفوي، والراوي، والمؤرخ الشفوي. تُعد الرواية الشفوية عرضة للتغيير والانحياز، وبالتالي يجب أن يتبع الباحث منهجاً نقدياً واستقصائياً للتحقق من صحة الروايات. بالإضافة إلى ذلك، يُعدّ التاريخ الشفوي منهجاً يهدف إلى تحويل الروايات الشفوية إلى تاريخ مدون يعتمد على تحليل ونقد الروايات ومقارنتها مع الوثائق الرسمية. تلعب الروايات الشفوية دوراً هاماً في تسجيل الأحداث غير الموثقة والمهمة التي قد تضيع مع مرور الزمن.

تبين أن الوسائل الرقمية الحديثة تسهم بشكل كبير في تطور حقل التاريخ الشفوي. وذلك يعود بفضل التطور المستمر في تقنية تسجيل الصوت والفيديو والتسجيل الرقمي والذكاء الاصطناعي، وتقنيات المقابلات الحديثة والمقابلات عن بعد، ولاشك أن جميع هذه الوسائل تساهم في توثيق الروايات بشكل فعال.

كما تبين أن الوسائل الرقمية الحديثة تمكن الباحثين من تسجيل وتوثيق الروايات الشفوية بكفاءة وسهولة أكبر، وتوفير جودة واضحة في التسجيل والأرشفة والتحليل.. وأبرزت الدراسة إن هذا التطور التقني يسهم في تعزيز أهمية التاريخ الشفوي وجعله أكثر توثيقاً واعتراًً به في الأوساط الأكاديمية المترددة في التقبل والعمل بالتاريخ الشفوي

التوصيات:

يجب الاهتمام بالتاريخ الشفوي كونه يظهر أهم التجارب الإنسانية الغير مسجلة، ويكشف الكثير من الحقائق التي لم تدون في الوثائق الرسمية ووسائل الإعلام.

يجب تأهيل الباحثين في حقل التاريخ الشفوي، ومدهم بدورات تدريبية حول المنهج وكيفية التحضير للمقابلة، ومعايير اختيار الرواة، وكيفية إجراء المقابلة والأرشفة ومواجهة التحديات.

يجب على الباحثين في حقل التاريخ الشفوي التعرف والمطالعة المستمرة على الوسائل الرقمية التي تساعد في عمل المقابلة والتوثيق والأرشفة والنشر، وخصوصاً تطبيقات الذكاء الاصطناعي في هذه الخصوص.

يجب على صناع القرار في فلسطين أن يولوا اهتماماً كبيراً لتطوير مراكز التاريخ الشفوي. يأتي هذا في سياق الاحتياج الملح لموارد توثيقية تستند إلى التاريخ والثقافة والهوية الفلسطينية، لما لها من أهمية كبيرة في توثيق وفهم القضية الفلسطينية.

يجب على جامعات فلسطين والبلديات في الوطن إنشاء مراكز تاريخ شفوي، وتأتي هذه المسؤولية كجزء من التزامنا الثقافي والأكاديمي تجاه قضيتنا والأجيال القادمة. فهذه المراكز ستسهم بشكل كبير في توثيق التجارب المحلية والأكاديمية والتي بدورها تحافظ على الهوية الفلسطينية.

(11)- يقظان النقي: التاريخ الشفوي: المسوّغ الأبيستيمولوجي، الثلاثاء 8 أيلول 2015 - العدد 5489 - ص 20.

<http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=NP&ArticleID=675618>

(12)- عادل يحيى: مصدر سابق، ص 7.

(13)- توماس ريكس: التاريخ الشفوي ودراسات المرأة. (ورشة عمل لمركز الاردن الجديد-عمان، 2005، ص 75.

(14)- صلاح هنية: التاريخ الشفوي... رواية ذاكرة حية، 12-12-2006
http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=2a150c0y44126400Y2a150c0

(15)- نفسه.

(16) سلمان أبو ستة: مصادر التاريخ الشفوي، جريدة حق العودة - العدد 20، <http://www.badil.org/ar/publications-ar/periodicals-ar/haqelawda-ar/item/275-article04.html>.

سلمان أبو ستة هو المنسق العام لشبكة التاريخ الشفوي الفلسطيني والمنسق العام لمؤتمر حق العودة. هذا المقال مقتبس من ورقة مطولة مقدمة الى مؤتمر التاريخ الشفوي، غزة، أيار 2006.

(17) رياض منصور مصطفى شاهين: التاريخ الشفوي كلمة عميد كلية الادب بالجامعة الاسلامية أ.د محمود العامودي، وتقديم كتيب لدورة محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، ط أولى 2005، ص 7.

(18)- مؤسسة وثيقة وطن- سوريا- ما هو التوثيق الشفوي؟ موقع وثيقة وطن، 1 يونيو 2018 <https://wathiqat-wattan.org/367f>

(19)- عاصم الدسوقي: الرواية الشفوية في التاريخ- دورية كان التاريخية- العدد الرابع؛ يونيو 2009، ص 19.

(20)- برنامج تدريبي جديد عبر الإنترنت: شهادة التاريخ الشفوي للتغيير الاجتماعي، جمعية التاريخ الشفوي (OHA) الولايات المتحدة الامريكية (تمت ترجمته)

<https://oralhistoryreview.org/ethics/training-social-change/>

(21)- مجموعة مؤلفين: الورقة الثانية / المخبرون مؤرخون مثلي مثلك، عبد الله على إبراهيم: (السودان)، التاريخ الشفوي، المجلد

(1)- يقصد بعرب الشمال على الإجمال بأنهم العرب العدنانيون، ومنازلهم شمال بلاد اليمن في تهامة والحجاز ونجد وما وراء ذلك شمالاً إلى مشارف الشام والعراق، وهم يرجعون بأنسابهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام، أما عرب الجنوب فيقصد بهم عرب اليمن أو القحطانيون، فهم ينتسبون إلى يعرب بن قحطان، ويعرفون العرب المتعربة وكان عرب الشمال ينكرون على اليمن لسانهم العربي: للمزيد انظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/%>

(2) في هذا الخصوص يقول ابن فارس: الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر ومنه تعلمت اللغة=

(3) هو مصطفى بن عبد الله الشهير ب حاجي خليفة، يعرف بلقب كاتب جلي، جغرافي ومؤرخ عثماني موسوعي،

ولد في القسطنطينية سنة 1609- وتوفي سنة 1068.

(4) عبد العزيز الدوري: نشأة التاريخ عند العرب، مركز للتراث والتاريخ، 2000، ص 18- 20

(5) عبدالله بن إبراهيم العسكر: أهمية تدوين التاريخ الشفوي، مجلة الدرعية - العددان 40، 39 تاريخ الإضافة: 2009/9/1 ميلادي - 1430/9/11 هـ

<http://www.alukah.net/culture/0/7295/#ixzz537hjpHxC>

(6)- توماس ريكس: التأريخ الشفوي للانتفاضة، دليل المعلمين والباحثين والطلبة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 1994، ص 82- 85

(7) -عادل يحيى: التاريخ الشفوي منهج وتقنيات البحث، من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة، دليل المعلمين والباحثين والطلبة، مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، رام الله، 1994، ص 18.

(8)- يوسف أحمد الحسن: تاريخ المسحوقين التاريخ الشفوي، الواحة، عدد 52، 2011/2/2

<http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=586>

(9)- توماس ريكس: مصدر سابق، ص 82- 85.

(10)- وليد المدلل: موضوعات التاريخ الشفوي وأهميتها، محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، مركز التاريخ الشفوي الجامعة الإسلامية/ غزة، ط أولى، 2005، ص 19.

الأول مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث
دراسة السياسات، ط. 1، بيروت 2015.

(22) - عبدالله بن إبراهيم العسكر: أهمية تدوين التاريخ الشفوي،
مجلة الدرعية - العددان 39، 40 تاريخ الإضافة: 2009/9/1 ميلادي
- 1430/9/11 هجري:

<http://www.alukah.net/culture/0/7295/#ixzz537hjpHxC>

(23) - عصام عدوان: و ناصر جربوع، مركز التاريخ الشفوي،
محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، الجامعة
الإسلامية، غزة، كلية الآداب، مايو 2005م، ص42-ص74.

(24) - محمد عبد الرزاق القشعي: التاريخ الشفوي وأهميته، السبب
12 سبتمبر 2015

<http://www.al-jazirah.com/2015/20150912/cu27.htm>

(25) - مجموعة مؤلفين: الورقة الثانية، عبد الله على إبراهيم:
(السودان)، ص54.

(26) - مجموعة مؤلفين: الورقة السابعة: الباحث شين فيلد:
التعاطف والعاطفة والاختلاف التاريخ الشفوي بعد العف في جنوب
أفريقيا ما بعد الفصل العنصري التاريخ الشفوي، المجلد الأول
مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث دراسة
السياسات، ط. 1، بيروت 2015. ص 208-304.

(27) - دليل وموارد التاريخ الشفوي مكتبة جامعة كاليفورنيا

<https://oralhistory.org/about/principles-and-practices-revised-2009/>

(28) - مصطفى كها، الرواية الشفوية: آليات وإشكاليات جمعها
وتوثيقها. يوم دراسي حول التاريخ الشفوي

<http://arabca.net/?mod=articles&ID=44>

(29) - مجموعة مؤلفين: الورقة السادسة: الباحث إبراهيم بونشيش
مواطن القوة والضعف في الشهادات الشفوية دراسة تطبيقية في
تاريخ المغرب الراهن (1973-2005). لتاريخ الشفوي، المجلد الأول
مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث دراسة
السياسات، ط. 1، بيروت 2015. ص163.

(30) - بئينة شعبان، ما قبل المقابلات الشفوية : الإعداد والبحث

المقابلات: المبادئ الموجّهة لقيادة المقابلة، وثيقة وطن، 1 أبريل

<https://wathiqat-wattan.org/%D9%85%D8%A7>، 2018

(31) - مجموعة مؤلفين، ورقة ليندا شوبس : ستة عقود من التاريخ
الشفوي تأملات وقضايا ثابتة التاريخ الشفوي، المجلد الأول
مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث دراسة
السياسات، ط. 1، بيروت 2015. ص 53

(32) - دليل وموارد التاريخ الشفوي مكتبة جامعة كاليفورنيا

<https://oralhistory.org/about/principles-and-practices-revised-2009/>

(33) - طرق التاريخ الشفوي. تقنية وتقنية التدخل. منهج تدريب
المؤرخين الشفويين "التاريخ الشفوي: النظرية والتطبيق،

[https://bolcheknig.ru/ar/reference/ustnaya-istoriya-](https://bolcheknig.ru/ar/reference/ustnaya-istoriya-metodika-i-tehnika-intervirovaniya-programma)

[metodika-i-tehnika-intervirovaniya-programma](https://bolcheknig.ru/ar/reference/ustnaya-istoriya-metodika-i-tehnika-intervirovaniya-programma)

(34) - كاترينا ماي سا يكال: توسيع حدود التاريخ من التاريخ السردى
الى التاريخ الشفوي التسجيلي الطرائق والادوات وفي السياق
الفلسطيني ومنطقة الخليج مؤتمر التاريخ الشفوي: المفهوم والمنهج
وحقول البحث في المجال العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة
السياسات، في بيروت في الفترة من 21 إلى 23 شباط / فبراير 2014.
(35) - الضيوف غير المدعويين ، أو تكبير / تصغير مقابلة التاريخ
الشفوي

[https://oralhistoryreview.org/technology/uninvited-](https://oralhistoryreview.org/technology/uninvited-guests2020)

[/، تاريخ 11 سبتمبر 2020](https://oralhistoryreview.org/technology/uninvited-guests2020)

(36) - <https://witness.org/resources/>

(37) <https://doi.org/10.1080/00940798.2023.2178316>

(38) - <https://oralhistorycentre.ca/mobile/>

(39) <https://www.vtfolklife.org/retired-fieldwork-equipment>

قائمة المراجع والمصادر

أولاً الكتب والاصدارات العربية:

- توماس ريكس: التاريخ الشفوي للانتفاضة، دليل المعلمين والباحثين والطلبة، مؤسسة تامل للتعليم المجتمعي، رام الله، 1994.
- -----،-----: التاريخ الشفوي ودراسات المرأة، ورشة عمل لمركز الأردن الجديد-عمان، 2005.
- رياض منصور مصطفى شاهين: كتيب لدورة محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، التاريخ الشفوي، ط أولى 2005.
- سلمان أبو ستة: هذا المقال مقتبس من ورقة مطولة مقدمة الى مؤتمر التاريخ الشفوي، غزة، أيار 2006.
- عاصم الدسوقي: الرواية الشَّفِيَّةُ في التاريخ.- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع؛ يونيو 2009.
- عادل يحيى: التاريخ الشفوي منهج وتقنيات البحث، من يصنع التاريخ؟ التاريخ الشفوي للانتفاضة، دليل المعلمين والباحثين والطلبة، مؤسسة تامل للتعليم المجتمعي، رام الله، 1994.
- عبد العزيز الدوري: نشأة التاريخ عند العرب، مركز للتراث والتاريخ، 2000
- عصام عدوان: و ناصر جربوع، مركز التاريخ الشفوي، محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الاداب، مايو 2005.
- كاترينا ماي سا يكال: توسيع حدود التاريخ من التاريخ السردي إلى التاريخ الشفوي التسجيلي الطرائق والأدوات وفي السياق الفلسطيني ومنطقة الخليج مؤتمر التاريخ الشفوي: المفهوم والمنهج وحقول البحث في المجال العربي، المركز العربي
- للأبحاث ودراسة السياسات، في بيروت في الفترة من 21 إلى 23 شباط / فبراير 2014.
- مجموعة مؤلفين: الورقة الثانية / المخبرون مؤرخون مثلي مثلك، عبد الله على إبراهيم: (السودان)، التاريخ الشفوي، المجلد الاول مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، ط. أولى، بيروت 2015.
- -----،-----: الورقة السابعة: الباحث شين فيلد: التعاطف والعاطفة والاختلاف التاريخ الشفوي بعد العف في جنوب افريقيا ما بعد الفصل العنصري التاريخ الشفوي، المجلد الأول مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، ط. أولى، بيروت 2015.
- -----،-----: الورقة السادسة: الباحث إبراهيم بونشيش مواطن القوة والضعف في الشهادات الشفوية دراسة تطبيقية في تاريخ المغرب الراهن (1973- 2005). للتاريخ الشفوي، المجلد الأول مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، ط. أولى، بيروت 2015
- وليد المدلل: موضوعات التاريخ الشفوي وأهمتها، محاضرات في منهجية التاريخ الشفوي وتقنياته، مركز التاريخ الشفوي الجامعة الإسلامية/ غزة، ط أولى، 2005.
- يقظان التقي: التاريخ الشفوي: المسوّغ الأبستمولوجي، العدد 5489 ، الثلاثاء 8أيلول 2015.
- يوسف أحمد الحسن: تاريخ المسحوقين التاريخ الشفوي، الواحة، عدد 52، 2011/2/2

- ثانياً: المقالات والاصدارات عبر المواقع الالكترونية:
- برنامج تدريبي جديد عبر الإنترنت: شهادة التاريخ الشفوي للتغيير الاجتماعي، جمعية التاريخ الشفوي (OHA) الولايات المتحدة الأمريكية (تمت ترجمته).
<https://oralhistoryreview.org/ethics/training-social-change/>
 - بثينة شعبان: ما قبل المقابلات الشفوية : الإعداد والبحث المقابلات: المبادئ الموجّهة لقيادة المقابلة، وثيقة وطن، 1 أبريل 2018،
<https://wathiqat-wattan.org/%D9%85%D8%A7>
 - دليل وموارد التاريخ الشفوي مكتبة جامعة كاليفورنيا
<https://oralhistory.org/about/principles-and-practices-revised-2009>
 - سلمان أبو ستة: مصادر التاريخ الشفوي، جريدة حق العودة - العدد 20،
<http://www.badil.org/ar/publications-ar/periodicals-ar/haqelawda-ar/item/275-article04.html>
 - صلاح هنية: التاريخ الشفوي... رواية ذاكرة حية، 12-12-2006،
http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=2a150c0y44126400Y2a150c0
 - طرق التاريخ الشفوي. تقنية وتقنية التدخل. منهج تدريب المؤرخين الشفويين "التاريخ الشفوي: النظرية والتطبيق،
<https://bolcheknig.ru/ar/reference/ustnaya-istoriya-metodika-i-tehnika-intervirovaniya-programma>
 - عبدالله بن إبراهيم العسكر: أهمية تدوين التاريخ الشفوي، مجلة الدرعية - العددان 40، 39 تاريخ الإضافة: 2009/9/1 ميلادي - 1430/9/11 هجري
<http://www.alukah.net/culture/0/7295/#ixzz537hjpHxC>
 - مصطفى كها: الرواية الشفوية: آليات وإشكاليات جمعها وتوثيقها. يوم دراسي حول التاريخ الشفوي
<http://arabca.net/?mod=articles&ID=44>
 - محمد عبد الرزاق القشعبي: التاريخ الشفوي وأهميته، السبت 12 سبتمبر 2015
<http://www.aljahirah.com/2015/20150912/cu27.htm>
 - الضيوف غير المدعوين ، أو تكبير / تصغير مقابلة التاريخ الشفوي
<https://oralhistoryreview.org/technology/uninvited-guests/> تاريخ 11 سبتمبر 2020
 - <http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=586>
 - <http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=NP&ArticleID=675618->
 - <https://witness.org/resources/>
 - <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
 - <https://doi.org/10.1080/00940798.2023.217831>
 - <https://oralhistorycentre.ca/mobile/>
 - <https://www.vtfolklife.org/retired-fieldwork-equipment>

تلخيص كتاب

روح القوانين لمونتسكيو

الدكتورة هبة فاروق محمد هارون

محاضرة غير متفرغة في الجامعة الأردنية/ المملكة الأردنية الهاشمية

نبذة عن كتاب روح القوانين (المخطوط)	- وصف الكتاب في القاعة الخاصة في مكتبة الجامعة الأردنية:
تاريخ الكتابة: بدأ مونتسكيو الكتابة سنة 1744م وانتهى منه سنة 1748م.	- يتوفر في المكتبة الجزء الرابع الباب العشرون بعنوان "صلة القوانين بالتجارة من حيث طبيعتها وأنواعها".
الطبعة الاولى في جنيف وكان بعنوان "روح الشرائع، او الصلة التي يجب أن تكون بين القوانين والطبائع والإقليم والديانة والتجارة... الخ".	- يصنف الكتاب على أنه مخطوط وهو إهداء من معالي السيد أكرم زعيتر ترجمة عادل زعيتر.
اللغة: الفرنسية	- نوع الخط: كتب يدوياً بخط الرقعة
معلومات عن الكتاب (المخطوط) من المترجم عادل زعيتر:	- نوع الحبر: الأسود.
الكتاب مؤلف من واحد وثلاثين باباً موزعاً بين ستة أجزاء، يشمل الجزء الأول على ثمانية أبواب يعالج فيها أمر القوانين وأشكال الحكومة. ويشتمل الجزء الثاني على خمسة أبواب يعالج فيها مونتسكيو التدابير العسكرية مع أمور الجباية. ويشتمل الجزء الثالث على ستة أبواب يعالج فيها المؤلف الأوضاع والطبائع واتباعهما لأحوال الأقاليم. أما الجزء الرابع فيشمل أربعة أبواب يعالج فيها المسائل الاقتصادية. ويحتوي الجزء الخامس على ثلاثة أبواب تعالج أمور الدين. أما الجزء السادس وهو الأخير يضم خمسة أبواب يتحدث فيها المؤلف عن القوانين الرومانية والفرنسية والإقطاعية، ويعد البابان الأخيران من هذا الجزء ذيلًا للكتاب.	- نوع الورق: A4 . يميل لونه الى اللون البيج المصفر وغير مخطط.
	- عدد الصفحات: يبدأ من صفحة 393 وينتهي عند صفحة 855.
	- تاريخ النشر: 1952م
	- مكان النشر: (د. م)
	- الناشر: (د. ن)
	- كتب المترجم عادل زعيتر في نهايته ما يلي: تمت مراجعته من قبل عادل زعيتر في تاريخ 1952/10/29م. تم في الساعة 5.15 دقيقة مساءً من يوم السبت الموافق 1 محرم 1372هـ

نبذة عن المؤلف

شارل لوي دوسيكوندا بارون لابريد ومونتسكيو⁽¹⁾

ولد في لابريد سنة 1689م. ينتهي الى أسرة امتهنت العسكرية وارتقت الى طبقة النبلاء. في القرن السادس عشر تزوج والده من امرأة عغسكونية انجليزية ثرية، وعندما توفيت وهو في السابعة من عمره ورث عنها مونتسكيو كل ثروتها.

تلقى تعليمه الابتدائي في القرية (لابريد) ثم انتقل سنة 1700م الى كلية جوي قرب باريس، ثم درس المحاماة في جامعة بوردو وتخرج منها وأصبح محامياً سنة 1708م، تزوج من سيدة بروتستانتية ثرية تدعى جان دولارتيغ.

وفي سنة 1716 توفي عمه وورث عنه تركة كبيرة وأصبح عضواً في برلمان بوردو. في سنة 1721م نشر كتابه الأول "رسائل فارسية". وفي عام 1722م انتقل الى باريس وعمل في البلاط الملكي ثم انتُخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية سنة 1728م، تجول في العديد من الدول الأوروبية، وفي سنة 1731م بقي وأصبح عضواً في الجمعية الملكية في إنجلترا. وانتسب بعدها الى الماسونية. وفي سنة 1734م أصدر كتاب "نظرات في أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم". بعدها انقطع عن الكتابة، ثم في سنة 1748م ألف كتابه الضخم "روح الشرائع" أو "روح القوانين" وبعد سنتين أضاف اليه ملحفاً بعنوان "دفاع عن روح الشرائع". وفي سنة 1755م توفي بعد صراع مع المرض.

من أقوال مونتسكيو:

"القانون يجب ان يكون مثل الموت الذي لا يستثنى أحداً".

"موقف الطاغية، هو موقف ذلك الذي يقطع الشجرة لكي يقطف ثمرة".

"العقل أنبل وأكمل وأبدع حاسة يملكها الإنسان".
"أفضل ما يفعله الفاشلون ان يصنعوا من أنفسهم رجال دين".

نبذة عن المترجم عادل زعيتر⁽²⁾

ولد في نابلس فلسطين سنة 1895م، يُعرف بأنه شيخ المترجمين وأحد أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين. كان أبوه عمر حسن زعيتر قاضياً في محكمة الحقوق. تلقى علومه الأولى في مدرسة النجاح الوطنية في نابلس، وأصل تعليمه في المكتب السلطاني في بيروت، وكان تلميذاً للعلامة مصطفى الغلايني (1885م – 1944م)، ومن بيروت انتقل إلى اسطنبول، والتحق بالجامعة السلطانية فأجاد اللغة التركية. نال عادل زعيتر شهادة الحقوق في باريس عام 1925م، واشتغل محامياً، وفي عام 1953م أصبح عضواً في المجمع العلمي العراقي. وانتُخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق عام 1955م. واستقر نهائياً في نابلس منصرفاً الى الترجمة بعد نكبة 1948م حتى وفاته سنة 1957م.

أغنى زعيتر المكتبة العربية بعشرات الكتب التي نقلها الى العربية ومنها العقد الاجتماعي لروسو، التفاؤل لفولتير، وحضارة العرب وروح التربية وروح الاشتراكية لغوستاف لوبون.

تلخيص كتاب روح القوانين

يُعد كتاب روح القوانين (Del' Esprit desiois) رائعة مونتسكيو بدون منازع وهو من أمهات الكتب الفلسفية لقد كان الكتاب نقطة تحول جوهريّة في عصر التنوير الأوروبي وأصبح الكتاب المقدس عند زعماء الثورة

الفرنسية. نُشر الكتاب عام 1748م وأدانت الكنيسة الكاثوليكية عام 1751م، واعتبرته من الكتب المحرمة.

لعب الكتاب دوراً هاماً في بلورة الفكر السياسي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي.

"ان القانون على العموم هو الموجب البشري ما سيطر على أمم الأرض طراً، ولا ينبغي للقوانين السياسية والمدنية في كل أمة ان تكون غير الأحوال الخاصة التي يُطبق عليه الموجب البشري، ويجب أن تكون تلك القوانين خاصة بطبيعة البلد، خاصة بالإقليم البارد او الحار او المعتدل، وبطبيعة الأرض وموقعها واتساعها، وبجنس حياة الامم او الزُراع او الصائدين او الرعاة. ويجب أن تتناسب درجة الحرية التي يمكن ان يُبيحها النظام، ودين الأهلين، وعواطفهم وغناهم وعددهم وتجارتههم وطبائعهم ومناهجهم، وهذا ما أحاول صنعه في هذا الكتاب في جميع هذه الصلات، وهي التي يتألف من مجموعها ما يُسمى روح الشرائع". (مونتسكيو).

لقد رجع مونتسكيو في كتابه "روح القوانين" الى عدد ضخم من المؤلفات لكبار المفكرين والفلاسفة أشار إليها المترجم منها على سبيل الحصر:

1- كتابي الجمهوري والقوانين لأفلاطون.

2- السياسة لأرسطو.

3- الأميرميكيافيلي.

4- كتاب المدينة الفاضلة (يوتوبيا) لتوماس مور.

5- بحث عن الحكومة والمدنية للوك.

ينقسم العمل الى 31 جزءاً تحتوي على فصول قصيرة ذات أسلوب واضح ومميز. استطاع مونتسكيو في كتابه أن يُصنف أنظمة الحكم السياسي الى ثلاث أنواع: الحكم الديكتاتوري والملكي والجمهوري. وربط بين أسس الحكم

ومؤسسات الدولة وبين العوامل الطبيعية والأخلاقية والاقتصادية والجغرافية لأن لها أثر مباشر في وضع القوانين وتطورها. فالنظم الاجتماعية عنده لا تسير بالترتيب بل هي تخضع لقواعد وقوانين دقيقة صارمة لا تقل في قوتها عن القوانين التي تسود العالم المادي. وفصل بين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية. وهي بالنسبة له من أهم العناصر التي تعمل على منع قيام دولة استبدادية وحاجزا في وجه الحكم الفردي المستبد. ومع ذلك كان من مؤيدي الملكية المقيدة وليس المطلقة لأنه هذه الأخيرة هي رمز للديكتاتورية.

لقد تطرق مونتسكيو إلى قوانين الرق والعبودية ودعا إلى الغائها ودور الثقافات السائدة على طبيعة الأنظمة والقوانين التي تقوم عليها الدولة، وأن المؤسسات السياسية يجب أن تعكس المظاهر الاجتماعية والجغرافية للمجتمع.

ويذهب مونتسكيو إلى ضرورة اختلاف القوانين باختلاف الأقاليم والعروق والمعتقدات والمناحي والوسائل، ويُسهب في بيان تأثير الإقليم فيذهب إلى ان البرد يساعد على نمو وتطور الصناعة ونشوء الشجاعة وأن الحر يني الكسل.

حيث يعتبر أن أهل الأرياف الذين يؤلف منهم الجزء الأكبر من الشعب ليسوا شديدي الغيرة على حريتهم. بسبب انشغالهم الدائم في أراضيهم ويستشهد بقول الفيلسوف اليوناني شيشرون "ممن يؤلف الفريق الصالح؟ إنهم رجال التجارة والأرياف الذين إذا لم تتصور معارضتهم للملكية، نرى تساوي كل الحكومات عندهم شرط ان يتوافر لهم الهدوء".

يُقسّم كتاب مونتسكيو روح القوانين الواحد والثلاثون الى ثلاثة أقسام:

1- القسم النظري.

2- القسم العملي.

3- قسم المتفرقات الذي يشمل على موضوعات خاصة.

بالنسبة للقسم الأول يتكلم مونتسكيو عن القوانين بشكل عام فيقول "إن القوانين عبارة عن علاقات ضرورية تشتق من طبيعة الأشياء. ولكل الموجودات قوانينها، فللآلهة قوانينها، وللعالم المادي قوانينه، وللعقول المتعالية على الإنسان قوانينها وللحيوانات قوانينها". فالقوانين عند مونتسكيو ما هي إلا علاقات بين قوى متفاعلة تؤثر في بعضها البعض وتتأثر أيضا بقوى خارجية سواء فيزيائية معنوية أو أخلاقية.

فالتبيعة ومبادئ الحكومة والتعليم، والضرائب والمناخ، وعادات وتقاليد الأمة وعدد السكان والدين السائد جميعها تتفاعل مع بعضها البعض فتنتج هذه العلاقات القوانين.

في المقابل ينتقد مونتسكيو الشعراء الذين أخضعوا القوانين والظواهر السائدة في العالم إلى القدرية العمياء. حيث يقول "إذ كيف يمكن أن تتصور أن تخلق مثل هذه القدرية موجودات مفكرة؟" فالله كما يذكر مونتسكيو خلق الكون وفق قواعد وقوانين معينة تحفظه وتصونه من أجل أن يقوم بواجباته المنوطة به.

والعالم المادي فيخضع لقوانين تجعله ثابتاً لا يتغير لأنها أساس وجوده وبقائه وثباته واستمراره.

وأما الموجودات العاقلة فتخضع لنوعين من القوانين كما ذكر مونتسكيو وهما:

(1) نوع طبيعي وهي القوانين التي كانت تسود الإنسان البدائي قبل تكوين المجتمعات، فالإنسان هنا في مرحلة ما

يُسيطر عليه الخوف، وكل إنسان كان يشعر بأنه أقل من الآخر وبالرغم من ذلك لم يكن هناك نزاعات بين الأفراد. فالنزعة التي كانت مهيمنة في هذه المرحلة هي البحث عن الطعام والمحافظة على الحياة والانجذاب الجنسي... الخ. كل ذلك يمثل القوانين الطبيعية عند البشر في تلك الفترة. أما اليوم فيطلق عليها الدوافع الغريزية.

(2) أما النوع الآخر من القوانين. هي القوانين الوضعية التي يضعها الإنسان لنفسه بعد تكوين المجتمعات وهي قوانين مفروضة على الإنسان، فالقوانين الوضعية عند المؤلف هي القوانين السياسية والمدنية، وأما قانون الأمم فهو ينظم علاقات الأمم مع بعضها البعض لأنها ضمان السلام والاستقرار والأمن لكل أمة.

والقوانين التي يركز عليها مونتسكيو هي:

1- قانون الأمم الذي ينظم العلاقة بين المجتمعات.

2- القانون السياسي الذي ينظم شؤون الحكم.

3- القانون المدني الذي ينظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض.

لقد اجتهد مونتسكيو في تلخيص العوامل التي تؤدي إلى تغيير العلاقات سواء بين الخالق والمخلوق أو بين المخلوقات بعضها ببعض مُظهراً الفرق بين جماعة وأخرى وبين عصر وعصر آخر.

وهذه العوامل كما أوردها المؤلف في كتابه تنحصر في فئتين وهما:

(1) عوامل أخلاقية أو اجتماعية تُشكل الحكومة التي يتخذها المجتمع.

(2) عوامل فيزيقية حيث يوحد هذا العامل الفيزيقي الأول في المناخ وهو الذي يُسيطر على الأقليم، ثم تأتي بعد ذلك

العوامل الأخلاقية والفيزيقية لكي تدور حول هذين العاملين الرئيسيين.

فالقوانين عند مونتسكيو هي التي تتعلق بالحكومة السائدة والمبدأ الذي تقوم عليه بالإضافة الى نوع الأرض والموقع والمساحة التي يشغلها المجتمع ودرجة الحرية التي يمنحها الدستور للحكم الديني السائد بين الناس، وميول الشعب وثروته المادية.

هذه العوامل كما يراها المؤلف تؤثر بالقوانين بصورة متفاوتة. يقول مونتسكيو بهذا الصدد "أن العوامل الأخلاقية تشكل الطباع العامة للأمة، وتحدد نوع روحها العام بدرجة أكبر مما تفعله العوامل الفيزيقية، وأن النظم والعادات والتقاليد والأخلاق تستطيع أن تتغلب بسرعة وسهولة على قسوة المناخ".

فالعوامل الفيزيقية والأخلاقية تؤثر على تطور ونضوج وتقوية وإضعاف القوانين حتى أننا نجد في كل عصر "جيلاً من القوانين" يختلف عن السابق أو اللاحق. فأجيال القوانين تسير على غرار أجيال بني الإنسان، ويؤكد الفيلسوف مونتسكيو بأن كل "جيل من القوانين" ما هو إلا نتيجة لتفاعل هذه العوامل مع بعضها البعض.

القوانين وعلاقتها بالحكومة في طبيعتها ومبادئها يبحث مونتسكيو هذه القوانين في كتابه من الباب الثاني وحتى الثامن، حيث يذكر في الباب الثاني عن طبيعة نظام الحكم والذي يتخذ ثلاثة أشكال وهي: جمهورية، ملكية، استبدادية، ولكنه فصل بين الملكية والاستبداد لكي ينقض نظام الحكم الاستبدادي دون الإساءة للحكم الملكي في فرنسا الذي كان يقوم على الحكم الملكي - التحكيمي. والحكم الجمهوري في رأي المؤلف حكم الشعب أو من ينوبون عنه أو جزء من الشعب، أما الحكم الملكي فهو يقوم

على مبدأ الحكم الواحد الذي يحكم ضمن قوانين واضحة المعالم لا يتعدهاها.

وفيما يتعلق بالحكم الاستبدادي فهو الذي يقوم على حكم شخص واحد دون قانون وفق أهوائه الشخصية المستبدية. ويُصنف مونتسكيو الحكم الجمهوري إلى صنفين:

1- إما أن يحكم الشعب أو من ينوب عنه وفق قواعد نيابية معينة، فتلك هي الديمقراطية (حكم الشعب باسم الشعب).

2- وإما أن يكون الحكم في أيدي فئة من الأغنياء وهي الأرستقراطية (الأوليغارشية).

وأحسن أنواع الأرستقراطية من وجهة نظره هي التي تقترب قدر الإمكان من الديمقراطية في الحكم.

وبالعودة إلى الحكم الملكي، فيعبر عنه مونتسكيو في كتابه بأنه الذي يقوم على هيئات تكون لها اختصاصات محدودة تحديداً دقيقاً تحدد من سلطة الملك، وهذه الهيئات أو المؤسسات تتوسط بين الملك والشعب.

من الواضح أن مونتسكيو عندما تحدث عن هذه الأنواع من الحكم إنما كان يفكر (من وجهة نظري) بالنظام الملكي الاقتطاعي الذي ساد معظم الشعوب الأوروبية في العصور الوسطى، حيث كانت طبقة النبلاء والأشراف ورجال الدين تحد من سلطات الملك وتباعد بينه وبين الاستبداد، إذ بدون هذه الهيئات يصبح الملك كما يقول مونتسكيو "لا حدود لسلطانه ولا رادع لتصرفاته إذ لا نبلاء بلا ملك ولا ملك بلا نبلاء وفي هذه الحالة يُصبح الملك مستبد".

(الباب الثاني - الفصل الرابع)

وفي حكم الاستبداد يقول مونتسكيو ما يلي "أن المستبد هو الذي يخلق بجانبه الأمراء الكسالى الجهلاء ذوي الشهوات التي لا تحدها حدود". فالمستبد يعين له وزيراً يقوم بكل

الواجبات وتحمل كل الأعباء في المقابل ينفذ المستبد رغباته ويرضي نزواته باسم الوزير.

والقوانين تحت الحكم الجمهوري تركز على التفصيلية، فمن يضع القوانين يتحمل مسؤوليتها، والتفصيلية تعني (التضحية بالمصلحة الفردية على المصلحة العامة)، فالتفصيلية هي التمسك بواجبات المواطن الصالح، وإذا وقع الخطأ في قوانين الدولة الصادرة عن الشعب فالحاكم يستطيع الرجوع عن قراره بكل سهولة ويسر. أما الحكم الملكي فأساسه يقوم على (ثقة الشعب به)، بعكس الحكم المستبد الذي يقوم على (الخوف والرغبة من الحاكم) لأن الناس الأحرار هنا هم عبيد أذلاء للمستبد صاحب الجبروت والسلطان. (الأبواب الثالث والرابع والخامس).

إن أنظمة الحكم السابقة تؤثر على القوانين المدنية والجنائية والإدارية التي تنظم حياة الأفراد اجتماعياً. فعلى سبيل المثال في مجال قانون التربية والتعليم، يذكر مونتسكيو بأن الحاكم يعمل على توجيه هذا القانون بما يخدم أغراض المجتتمع والمبادئ الأساسية التي يتربى عليها الفرد وغرس الفضيلة والخوف في داخله سواء كان نظام الحكم جمهوري، ملكي، ومستبد.

فقوانين التربية والتعليم بالنسبة للنظام الجمهوري فيها نوع من الإلزام أكثر من النظام الملكي والمستبد.

فالنظام المستبد ينشر الخوف والرغبة بين رعاياها عن طريق نشر القسوة والعقاب والوحشية في معاملة المحكومين، أ/ا بالنسبة للنظام الملكي، فالملك يخلق جواً من الطمأنينة والراحة والثقة بالنفس ينعكس إيجابياً على محبة الشعب له. (الباب السادس).

وفي حالة الحكم الديمقراطي، فإن تدريب المواطنين على الفضيلة والتضحية بمصالحهم الخاصة في سبيل الصالح

العام يعتبر أمراً صعباً وليس سهلاً، لأن المجتمع في هذه الحالة بحاجة إلى قوانين جنائية، وإنشاء محاكم تعمل على تطبيق القانون ووضع أقصى العقوبات لكل من تجاوز القوانين وذلك من أجل نشر الطمأنينة بين الناس بأن أموالهم وممتلكاتهم وأنفسهم في أمان.

لكن الأمر مختلف في نظام الحكم المستبد، حيث نجد العقوبات صارمة وحشية وغير إنسانية تخلو من الرحمة، وبالتالي ستعكس على المجتمع وينشر فيه الخوف والرغبة بدلاً من الراحة والأمان.

كما يؤدي الشكل السياسي للدولة إلى سن قوانين تحمي الفرد من سوء استخدام النظام أو استغلاله ما عدا النظام الاستبدادي الذي يخضع فيه الفرد لكل أنواع الظلم والاستغلال الوحشي بلا ضمان.

أما في النظام الجمهوري والملكي، فتوضع القوانين التي تحمي الفرد وحرياته المختلفة كما تحميه من الضرائب الباهظة التي لا تتناسب مع قدراته المالية. ويقول مونتسكيو بهذا الصدد ما يلي: "في مقدور الحاكم ان يجمع من الضرائب مقداراً يتناسب طردياً مع حرية المحكومين" حيث يتعلق بشكل الحكومة وهذا ما أطلق عليه المؤلف (بقوانين الترف) (Lois Sumptuary) (الباب السابع).

فمن المعروف ان الترف في أي دولة من الدول يتفاوت حسب توزيع الثروات، فالدولة التي تتوزع فيها الثروات بشكل عادل بين أفراد المجتمع دون فوارق لا يكون ثمة ترف فيها، لأن الترف يأتي من تمتع الإنسان بعمل الآخرين، ينفق عليه الغني أو المترف من ثروته التي تزيد عن حاجته، لذلك نجد أن الترف القليل أو المعدوم في رأي مونتسكيو موجود في الدول الديمقراطية أو الجمهوريات، لماذا؟ لأن كل إنسان وفرد في المجتمع يجد كفايته من الثروة بلا زيادة

أو نقصان بسبب عدالة التوزيع في الثروات، وهذا واضح في الجمهوريات المثالية التي يسودها حسن توزيع الثروة وعدالته. أما بالنسبة للجمهوريات التي تسير على النظام الأرستقراطي كـ بعض المدن الإيطالية واليونانية فإن الطبقة الأرستقراطية فيها كانت تعيش بلا ترف واضح لأن قوانين البلاد كانت تحتم عليهم الاعتدال في الانفاق، لأن الثروة كانت مقدسة بأيديهم وبالتالي كان يُحرم منها باقي الشعب، وفي المقابل كانت الطبقة الأرستقراطية في اليونان تنفق وبسخاء على رفاهية الشعب وخاصة في الأعياد والمواسم الدينية، فالأرستقراطيون كانوا يتحملون عبء الثروة والفقر معاً.

وهذا يعتبر نظاماً مثالياً للنظام الأرستقراطي. أما في النظام القائم على التعدد الطبقي بدأت تصدر قوانين تعمل على تشجيع التجارة والصناعة لكن إذا صدرت قوانين تحد من حرية إنفاق الأثرياء فإن الفقراء سيزدادون فقراً ولن يجدوا عملاً وسيموتون جوعاً.

أما في دولة الاستبداد فالترف واضح مع فارق عن النظام الملكي وهو أن الشعب هنا عبيداً أذلاء للطاغية الحاكم المستبد.

ويكون الترف محصوراً بفئة من الناس، كان الطاغية قد ولاهم ليصرفوا شؤون العبيد، وينتهزوا الفرص المتاحة لاستغلالهم أبشع استغلال، خاصة وأن هذه الفئة المترفة من الناس تعيش يومها وتحاول الوصول إلى أقصى قسط من الترف في أقل وقت ممكن وعلى حساب الآخرين.

فالقوانين عند المؤلف تتعلق بالنظام السياسي للدولة، وأن هذا النظام قابل للفساد إما بطول "الاستعمال" أو "بفساد القائمين عليه"، والنتيجة انتشار الرشوة والفساد وسوء استغلال المال العام.

ويذكر مونتسكيو في (الباب الثامن) ما يلي: "الملكية تتحول بالفساد إلى طغيان حاكم واحد، والأرستقراطية إلى طغيان أفراد عديدين، بينما يؤدي فساد الديمقراطية إلى طغيان نواب الشعب".

فالسبب الأول لفساد الديمقراطية يعود إلى فقدان الناس لروح المساواة التي يجب أن تسود بينهم، ومن ناحية أخرى تفسد الديمقراطية إذا زاد التمسك بروح المساواة وفي هذه الحالة كل إنسان سيعتبر نفسه مساوياً لرئيسه في العمل، وبذلك يرى من الخطأ أن يتلقى أوامره منه، وأن من حقه أن يعصيه ويرفض رئاسته عليه، وبالتالي ستضيع الثقة بين الناس وتضطرب المقاييس وتنتشر الفوضى.

يقول المؤلف بعد أن انتهى من تأليف كتابه ما يلي: "إنني استطيع القول بأنني استغرقت فيه حياتي كلها، إذ عندما انتهيت من دراساتي القانونية وضعته وسط مؤلفات القانون فبدأت أبحث في تلك المؤلفات عن روح القوانين، فأجهت نفسي ولم أصنع شيئاً ذا قيمة، ومنذ عشرين عاماً اكتشفت مبادئ وهي جد بسيطة. ولو أن مؤلفاً غيري قام بنفس الجهد لخرج بإنتاج أفضل، ولكنني أعترف أن العمل في هذا الكتاب كاد يقتلني، إنني أريد أن استريح ولن أعمل شيئاً بعد ذلك".

الخلاصة

وبعد مرور مئة وخمسين عاماً على صدور كتاب روح القوانين، إلا أن المنهج الذي اتبعه هذا المفكر العظيم في طرح العناصر التي تدخل في تشكيل القوانين والتي لا تزال حية لوقتنا الحاضر القاعدة الأساسية للتشريعات في كل بلد. وتبقى نظرية فصل السلطات حية اليوم لدى كل نظام حكم يسعى لإقامة الديمقراطية في بلده.

إن كتاب "روح الشرائع" هو سفر مونتسكيو السياسي الرائع ولم يُؤلف في الغرب ما يفوقه، حيث يقول عادل زعتر عنه أنه "أعظم كتاب فرنسي في القرن الثامن عشر فهو جامع لفلسفة الاشتراع وحكمة التاريخ والفقه الدستوري، فهو يسير بقارئه إلى مثل الثورة الفرنسية الأعلى وهي الحرية، المساواة، والإخاء".

ولقد أشاد بكتابه عدوه اللدود فولتير عندما قال: "كان الجنس البشري قد أضاع حججه فأعادها مونتسكيو إليه".

وقال عنه إميل فاغيه: "روح الشرائع أكثر من كتاب، هو أثر تاريخي عظيم ينزل إلى الوقائع فيترك فيها أثراً عميقاً لزمن طويل جداً".

قال مونتسكيو في المجلد الثاني من روح الشرائع أنو القوانين وقد أعجبي ما قال ما يلي: "عندما أتصرف حيال أمر ما أكون مواطناً، ولكن عندما أكتب أكون إنساناً، ثم يُضيف "أنا إنسان قبل أن أكون فرنسياً ذلك لأنني إنسان بقوة الضرورة، وليست فرنسياً إلا بحكم المصادفة".

ومن وجهة نظري كقارئ لكتاب روح القوانين، أعتبر مونتسكيو رجلاً حراً يطالب بإفساح المجال لكل إنسان بأن يتمتع بـ "هامش" حريته، وأن يتفتح حسب مقدرته وإرادته وتطلعاته لغد أفضل. مع الأخذ بعين الاعتبار الأرض التي يعيش عليها الإنسان والسماء التي يعيش تحتها. وعند مقارنة ما ورد في كتاب مونتسكيو وما يُطبق

على أرض الواقع في الوقت الحالي تصيبنا الدهشة عندما تجد القاضي في فرنسا وانجلترا وأوروبا يستطيع أن يستجوب الوزراء وكبار الشخصيات في الدولة إذا ما ثبت تورطهم في عملية فساد أو رشوة أو ثراء غير مشروع أو استغلال للمنصب من أجل تحقيق مصالح شخصية، بينما في عالمنا الثالث قلما أن يحدث مثل هذا الأمر سواء في الماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل.

(1) محافظة، د.علي، الفكر السياسي الغربي الحديث من بداية

القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين (تحت الطبع) الفصل

الرابع، ص ص 120-125.

(2) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام في أربعة مجلدات، المجلد

الثالث، (ص - ك) هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، 1948،

ط1.

إحصاءات سكان فلسطين في العهد العثماني من عام (1847-1948م)

الأستاذة إيمان حمدان

جامعة الجزائر 2 – كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ/ دولة فلسطين

and settled. Therefore, the study was divided into three sections: -

The first section: talks about the Ottoman system of population registration.

The second research: talks about the population of Palestine in the proposed period in terms of their numbers and categories.

The third section: talks about the factors that influenced the demographic change of the region.

Keyword: the ottoman, population, Palestine, system of population

المقدمة:

تنبع أهمية فلسطين من قيمتها الدينية؛ حيث اختارها الله سبحانه وتعالى من بين بقاع الأرض لتكون موطناً لمعظم الأنبياء، ويوجد فيها أقدس وأقدس دور العبادة بعد المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ولقد أُسري بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى أرض فلسطين، وصلى بالأنبياء جميعاً في هذه الأرض المباركة، ومن هذا المنطلق فإن من يُدرك قيمة فلسطين الدينية يُدافع عنها. وقد ساهم عامل آخر بالاضافة الى أهمية فلسطين الدينية لاستقرار السكان في فلسطين الا وهو عامل

Abstract:

The Ottoman registration of the population of Palestine began shortly after the Ottoman conquest in 1516. The purpose of the registration was initially financial. The Ottomans wanted to know who they could tax and who they could not tax so that they would not be registered as a people who can pay taxes to the government. The Ottoman registration is useful in knowing many aspects of Palestinian social and financial life, and in knowing the extent of the government's control. The greater the registration, the greater the government's control. Accurate registration increases the government's authority because it allows the government to know who it can impose taxes on and who it can recruit. Therefore, research was sought. With him in population statistics in Palestine

The study focuses on the population of Palestine from the year. (1878 - 1914) their numbers and the influential factors that the region witnessed and affected the numbers of the place in which they lived

الموقع، فهي معبر يصل بين قارات العالم القديم، آسيا وأوروبا وأفريقيا ولعل مركزية الموقع الفلكي لفلسطين بالنسبة للمعمور من العالم القديم، جعلها مركزاً لاستقرار الإنسان بالإضافة بأنها أصبحت جسراً لعبور للقوافل التجارية والجماعات البشرية المهاجرة وجماعات الجيوش المهاجمة.

لقد عاشت فلسطين دائماً في خطري وكاد الخطر الخارجي يتناسب طردياً مع خطورة الموقع وأهميته وغناه، ولا شك بأن الخطر كان يدهم فلسطين عندما ظهرت القوى القوية المتصارعة على مناطق النفوذ وتمثل ذلك في الحروب الدينية وفي الاطماع الاستعمارية.

وفي عام 1948 بدأ الكيان الصهيوني يطبق سياسة التهويد للأراضي الفلسطينية وتهجير سكانها لذلك جاءت هذه الدراسة للوقوف على التغيرات الديمغرافية التي حدثت على فلسطين وخاصة الهجرات المتتابعة التي حدثت سواء على الصعيد التهجير منها وإليها.

وفيما يتعلق بالأرقام الواردة في هذه الدراسة فقد أخذت من مصادر إحصائية متنوعة مثل التعدادات السكانية التي أجرتها سلطة الانتداب البريطاني قبل عام 1948.

وقد قسم البحث إلى عدة محاور : المحور الأول تحدث عن النظام العثماني المتبع في تسجيل السكان وكيفية تسجيل السكان ، ثم تطرقنا إلى تطور السكان في فلسطين من عام 1849-1949 مشتملة على عدة جداول توضح أعداد السكان وتوزيعهم على السناجق .

إشكالية البحث:

تفتقر سجلات النفوس إلى التجانس والمعاصرة بالإضافة فإن المشكلتين المحددتين في إحصاءات السكان العثمانية هما التأريخ والنقص في العد باستثناء بعض

جداول السكان المكتوبة بخط النسخ الاناضولي كانت الإحصاءات العثمانية تنشر دون إدراج التواريخ التي جمعت فيها البيانات ومن الممكن دائماً أن نتأكد تقريباً من أن البيانات المنشورة في عام ما جمعت بالفعل قبل عامين أو أكثر أما الإحصاءات المطبوعة بخط النسخ فإن القاعدة هي أن يتأخر النشر لمدة عامين أو ثلاثة أعوام أما الإحصاءات الأكبر حجماً التي أعدتها الحكومة المركزية فقد تكون الإحصاءات قديمة بسنوات عديدة والطريقة الوحيدة لتأريخ الإحصاءات الأكبر حجماً هي مقارنتها بالبيانات الموجودة في خط النسخ والتي نعرف سنوات تجميعها⁽¹⁾.

والإشكالية الأخرى التي واجهت البحث تحليل البيانات وخاصة أن الحدود الإدارية كانت في تغيير مستمر الأمر الذي أدى إلى نشوء محافظات أصغر حجماً . ففي البداية كانت فلسطين كلها جزءاً من ولاية سوريا وبحلول عام 1886م كانت سوريا قد قسمت إلى محافظات أصغر حجماً فأصبح شمال فلسطين (عكا والبلقاء أو نابلس سناجق) جزءاً من ولاية بيروت الجديدة . بينما أصبح جنوب فلسطين جزءاً من سناجق القدس المستقلة وظلت سناجق عكا والقدس مستقرة ولكن حدود نابلس كانت متقلبة فجزء منها داخل ما أصبح فلسطين وجزء منها خارج فلسطين حتى أواخر الثمانينيات القرن التاسع عشر عندما أصبحت جزءاً من سناجق القدس المستقلة⁽²⁾، وفيما التقسيمات الإدارية لفلسطين العثمانية حوالي عام 1900م السناجق والاقضية:

سناجق القدس يتكون (القدس، يافا، غزة، خليل الرحمن)

سنجق عكا يتكون من (عكا، حيفا، صفد، الناصرة،
طبريا)

سنجق البلقاء أو نابلس (نابلس، بيسان، جنين)

النظام العثماني لتسجيل السكان

بدأ التسجيل العثماني لسكان فلسطين بعد فترة وجيزة من الفتح العثماني عام 1516م، وقد كان الغرض من احصاء السكان مالياً في المقام الاول، فقد كان العثمانيون يرغبون في معرفة على من يمكنهم فرض الضرائب وكانوا يستثنون أولئك الذين لا يمكنهم فرض الضرائب عليهم مثل البدو، فقد كان هناك صعوبة في اقناعهم بفرض الضرائب عليهم⁽³⁾.

والسجلات العثمانية المتوفرة من تلك الفترة المبكرة توفر لنا بيانات مفيدة حول العديد من جوانب الحياة الفلسطينية، إلا أنها محددة الاستخدام كمصادر للتحليل الديموغرافي، ومن خلال تلك السجلات يتضح لنا درجة الرقابة الحكومية فكلما زادت الرقابة الحكومية زادت فعالية التسجيل وعلى العكس من ذلك، فإن التسجيل الدقيق يزيد من قوة الحكومة لأنه يسمح للحكومة معرفة على من يمكنها فرض الضرائب ومن يمكنها تجنيدهم.

اما في القرن السادس عشر فقد تراجعت القوة العثمانية في الولايات ولم يكن هناك اي دور فعال للحكومة المركزية على الحكومات المحلية فتراجع تسجيل السكان في تلك الفترة حتى أنه اختفى فعلياً ولم يتم تسجيل المواطنين العثمانيين الا في عهد السلطان محمود الثاني (1808م - 1839م) عندما بدأت قوة المقاطعات العثمانية بالتزايد بالاضافة الى ذلك فقد تجاوز الامر مجرد فرض الضرائب وتحسين وضع الموازنة المالية ولكن تعدى الامر الى إعادة بناء الهيكل الداخلي للدولة وتحسين

وضع العسكريين وزيادة دخلهم، وهذا الامر جعل الحاجة الى جنود جدد لغرض تحصيل الضرائب وكذلك للدفاع عن الامبرطورية مما زاد من الحاجة لفرض ضرائب جديدة لدعم الجنود وكذلك لشراء الآلات الجديدة، ومن اجل ذلك كان الحاجة الى نظام فعال لتسجيل السكان لكل من التجنيد الاجباري وفرض الضرائب بعد أن دمر محمود الثاني الانكشارية الجيش التقليدي لدى الامبراطورية العثمانية⁽⁴⁾.

وفي عام 1826م أصبح التجنيد اجباري غاية ملحة لذلك أصبحت عملية جمع المعلومات عن الذكور كمصدر للقوى العاملة العسكرية أمراً بالغ الأهمية، وأصبح التسجيل للتجنيد السبب الرئيسي لأول تسجيل سكاني عثماني حديث والذي بدأ في عهد محمود الثاني، أما نظام التسجيل في عهده فقد قسم الى عدة أقسام.

وكل مجموعة تختلف حسب الغرض من تسجيلها فقد تم تسجيل المسلمين وهي المجموعة الدينية الوحيدة التي كانت تخضع للتجنيد الاجباري حسب وضعهم العسكري ومدى استعدادهم للخدمة، اما تسجيل غير المسلمين الذين لم يخضعوا للخدمة العسكرية فقد تم تسجيلهم حسب وضعهم الاقتصادي والتقسيم المعتاد " الاغنياء والمتوسط والفقراء" وهكذا فقد تم تسجيل المسلمين في المقام الاول؛ بسبب فائدتهم كجنود وغير المسلمين لقدرتهم على دفع الضرائب⁽⁵⁾.

اما في القرن التاسع عشر فقد قام العثمانيون بإصلاحات جديدة وفي جميع المجالات وخاصة التنمية التعليمية والاجتماعية والاقتصادية الى جانب الاصلاحات العسكرية والسياسية، لذلك كانت معرفة السكان وأعدادهم أمراً مهماً لأسباب متنوعة كتوظيف المدارس الابتدائية وبناء السكك الحديدية.

1326 سالنامة بيروت	1321(1903-1904)	138,841
1330 النفوس	1330(1911-12)	154,563

وعندما بدأت الحركة الثورية بين الاقليات المسيحية التي أصبحت تهدد الامبراطورية العثمانية بشكل واضح لذلك وجد العثمانيون أن المعلومات حول التركيبة العرقية لمقاطعاتهم أمر ضروري.

أما في عهد عبد الحميد الثاني (1876م - 1909م) كان النظام المتبع في تسجيل بيانات السكان نظاما علميا لا يعتمد على أي مبرر حكومي.

أما النظام العثماني التقليدي لتسجيل السكان المتبع خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر يتم بتحديد اسم رب الاسرة، اما في منتصف القرن التاسع تضمنت المعلومات المسجلة عموما اسم كل ذكر ومكانته في العائلة (على سبيل المثال "احمد بن محمد حفيد علي او ابن عم احمد محمود")، وعمره وتاريخ ميلاده ومكان الولاده والخصائص الاخرى ذات الصلة على سبيل المثال "أعنى او مقعد وما الى ذلك"، في البداية تم تسجيل الذكور فقط ولكن بدأ ادراج النساء في سبعينات القرن التاسع عشر في سجلات منفصلة، وقد ابقت السجلات اللاحقة المجموعات الدينية معا ، ولكن تم تحديد السكان دائما حسب الدين وقد احتفظت الحكومة العثمانية بسجلات احصاء السكان في مكتب اطلق عليه النفوس في كل مقاطعة⁽⁸⁾.

وكان زعماء القرى ملزمين بإخبار مكاتب النفوس في الولايات بجميع المواليد والوفيات والهجرات وكانت السجلات يتم تحديثها وفقا لذلك فكان يكتب فوق اسمه "ميت" او "منتقل" اما الذين انتقلوا بشكل دائم سواء للتجارة او للتجنيد فقد كان يتم ارجاعهم⁽⁹⁾.

ونشرت تسجيل لسكان فلسطين لأول مرة في السجل السنوي لولاية سوريا لعام 1288هـ/1871م-1872م، وقد تم تقسيم السكان حسب المجموعة الدينية فقط بالنسبة للمدن اما بالنسبة للمناطق القروية فقد تم إدراج السكان ككل دون تمييزهم حسب الدين اما في السنوات اللاحقة فقد تم تقديم سجلات مفصلة حسب المجموعات الدينية⁽⁶⁾ وفيما يلي الملخصات المنشورة من سجلات السكان العثمانيين (غير مصححة) عن مجموع السكان في السناجق الثلاث سالفة الذكر⁽⁷⁾:

عدد السكان	تواريخ التجميع التقريبية	السناجق
229,801	1302(1884-85)	سناجق القدس
234,770	1303(1885-86)	التعداد الاول
258,860	1311(1893-94)	إحصاءات 1313-
328,168	1330(1911-12)	1330
36,368(الذكور فقط)	1296(1878-79)	سناجق عكا سالنامة سوريا 1298هـ
75,882	1302(1884-85)	التعداد 1
82,668	1306(1888-89)	التعداد 2
95,617	1313(1895-96)	سالنامة بيروت
133,877	1331(1912-13)	1318 سجلات 1330 النفوس
3,359(الذكور فقط)	1296(1878-79)	سناجق نابلس سالنامة سوريا 1298
114,015	1306(1888-89)	التعداد السكاني الثاني
130,212	1315(1897-98)	1318 سالنامة بيروت

32400	13400	8000	11000	1905 م	الاحصاء العثماني ⁽¹⁸⁾
70000	45000	13000	12000	1910 م	Ben- Arioch ⁽¹⁹⁾

أما الجدول التالي فهو يعطي تقديرات لعدد السكان في المناطق الحضرية من عام 1890-1891 إلى عام 1898-1899⁽²⁰⁾:

السنة	عدد السكان	بلدة
1314(1896-1897)	43000	القدس
1316(1898-1899)	16000	نابلس
1314(1897-1896)	16000	غزة
1308(1891-1890)	11000	الخليل
1316(1899-1898)	10000	يافا
1314(1897-1896)	8000	عكا
1316(1898-1899)	1000	الناصرة
1308(1891-1890)	6000	حيفا
1311(1894-1893)	5000	صفد

تطور نمو السكان في فلسطين من عام 1914-1918

بلغ عدد السكان في فترة الحكم العثماني عام 1914 حوالي 689 ألفاً منهم 634 ألف عربي و 55 ألف من اليهود اي ان نسبة اليهود كانت تبلغ في ذلك العام 8% من مجموع السكان.

ومع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين بدأت الهجرة اليهودية الى فلسطين بالتصاعد مما ادى زيادة نسبة اليهود الى 9,9% في عام 1920 و 10,6% في عام 1921م.

تطور نمو سكان فلسطين خلال الفترة (1922-1944)

جرى تعداد للسكان في عام 1922 لأول في تاريخ فلسطين الحديث ، ثم اتبع بتعداد ثان عام 1931م وكانت ايضا تعد تقديرات سنوية للسكان وتجمع بيانات

ان سجلات السكان العثمانية كانت تحتوي على نفس النوع من الازياء التي نجدها في كل إحصاءات الشرق الاوسط حتى يومنا هذا فبسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة كان مسجلو السكان العثمانيون يحصرون النساء والاطفال على نحو موحد والسبب وراء حصر النساء على نحو موحد يتلخص في صعوبة اختراق قدسية وخصوصية المنزل اما بالنسبة للاطفال فقد كان هناك التجنيد الإجباري حيث كان اباؤهم يخفون وجودهم وقد ثبت ان حصر الاطفال مهمة صعبة بالنسبة لجامعي التعداد السكاني في مختلف انحاء العالم⁽¹⁰⁾.

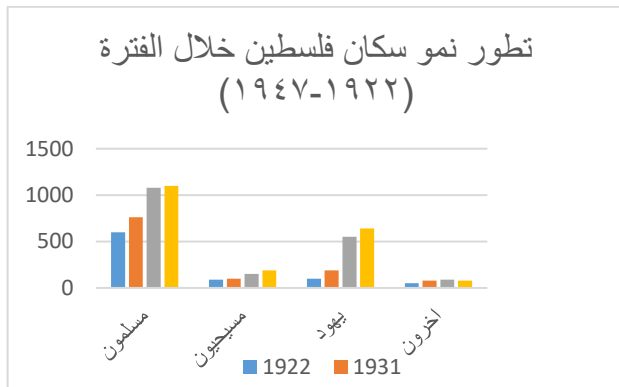
تطور السكان في فلسطين من (1849-1910)

فيما تطور اعداد السكان في الفترة السابقة وخاصة اليهود حيث سنلاحظ مدى التغيرات الديمغرافية في القدس المتمثلة بزيادة عدد اليهود الناجمة عن زيادة عدد المهاجرين من اليهود الى القدس، كما يلاحظ تراجع أعداد السكان من المسلمين، نظرا لإنتشار الامراض والطاعون أو الهجرة الى دول أوروبا وأمريكا⁽¹¹⁾ وفيما جدول بإحصاءات الدولة العثمانية من عام 1849-1910:

المصدر	السنة	مسلمون	مسيحيون	أخرى	المجموع
دفتر نفوس العثماني ⁽¹²⁾	1849م	24177	3804	895	29876
مصادر يهودية ⁽¹³⁾	1876م	7560	5470	11 ألف- 12 ألف	13030
سالنامه ولاية سوريا ⁽¹⁵⁾	1888	4500	3690	3805 ⁽¹⁴⁾	11995
الرحالة condor ⁽¹⁶⁾		5000	5300	12400	22700
القنصلية الامريكية ⁽¹⁷⁾	1887	10000	12000	25000	47000

عن المواليد والوفيات وبعض الخصائص السكانية الأخرى.

ولكن في عام 1948 حالت الظروف دون إجراء تعداد ثالث لسكان فلسطين ولكن وضعت تقديرات لعدد السكان لذلك العام. فقد بلغ عدد السكان في فلسطين عام 1922 نحو 752,048 نسمة، وازداد عددهم إلى 1,035,821 نسمة في عام 1931⁽²¹⁾.



وتشير البيانات الإحصائية بأن معدلات الوفيات عند العرب أعلى منها عند اليهود فقد بلغ متوسط الوفيات عند المسلمين 24 بالالف وعند المسيحيين 14 بالالف وعند الدروز وغيرهم 20 بالالف بينما عند اليهود 10 بالالف. بالرغم من أن نسبة الوفيات عند العرب إلا أن الزيادة الطبيعية أعلى من غيرهم وذلك نتيجة زيادة معدل الخصوبة ويعد سببها للظروف الاجتماعية المتمثلة بالعادات والتقاليد والقيم والأعراف والدين، أما نسبة الزيادة الطبيعية عند المسلمين من عام 1922-1946 بلغت 26,8% بالالف وعند المسيحيين 20,6% بالالف، وعند الدروز وغيرهم 24,3% بالالف، وعند اليهود بلغت 20,2% بالالف.

جدول (2) معدل المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية لسكان فلسطين حسب الديانة، 1946-1922⁽²²⁾

الفترة الزمنية	مجموع المسلمين	المسلمين	مسيحيون	دروز وآخرون	معدل
معدلات المواليد					
1922-	46,6	50,2	36,3	42,8	32,9
1925	48,6	53,5	38,2	45,9	34,3
1926-	44,7	50,3	35,9	44,9	30,2
1930	40,6	48,9	33,3	45,8	25,8
1931-	42,1	51,2	31,1	43,4	27,0
1935					
1936-					
1940					
1941-					
1946					
معدل الوفيات					
1922-	23,8	26,9	16,1	19,6	13,7
1925	24,3	28,3	17,9	24,8	11,7
1926-	21,0	25,4	15	21,5	9,3
1930	16,5	21,1	12,1	19,1	8,1
1931-	14,2	18,3	10,6	16,3	7,4

ازداد عدد سكان فلسطين بين عامي 1922 و 1944 بنسبة 131,4% وقد ساهمت الزيادة الطبيعية بنسبة 63% من الزيادة العامة للسكان، في حين ساهم صافي الهجرة بنسبة 37% من الزيادة العامة للسكان، أما بالنسبة لمعدلات المواليد عند العرب كانت عالية وأكثر من المناطق المجاورة لها كما أن هذه المعدلات كانت ثابتة خلال عهد الانتداب فقد بلغ متوسط معدل المواليد خلال الفترة من 1922-1946 عند المسلمين 51 بالالف، وعند المسيحيين 35 بالالف وعند الدروز وغيرهم 45 بالالف.

أما معدل الخصوبة عند اليهود فقد كان أقل بكثير من العرب، حيث كان متوسط الزيادة الطبيعية خلال الفترة 1922-1946 30 بالالف وكان اتجاه هذه المعدلات أخذاً بالانخفاض.

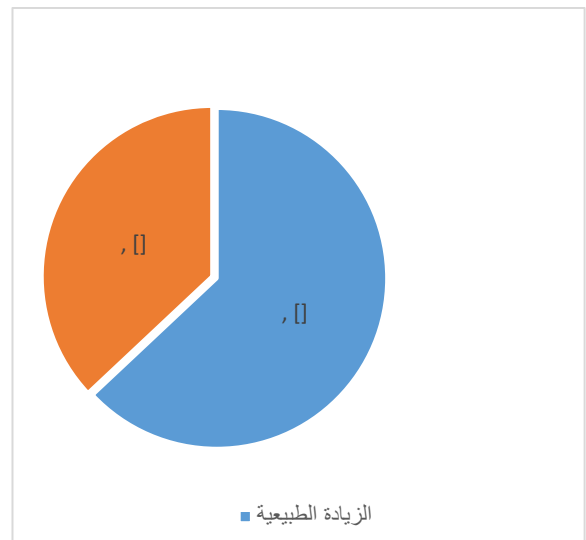
أما الجدول التالي يعطي تقديرات لأعداد السكان خلال الفترة 1922-1944⁽²³⁾:

المجموع	آخرون	يهود	مسيحيون	مسلمون	
752,048	7917	83,790	71,464	589,177	عدد السكان وفقا لتعداد 1922
1,739,624	14,098	528,702	135,547	1,061,277	تقدير السكان في نهاية 1944
987,576	6481	444,912	64,083	472,100	مجموع الزيادة الطبيعية
622,247	6026	117,226	45,590	453,405	الزيادة الطبيعية للسكان
365,329	455	327,686	18,493	18,690	الزيادة الطبيعية بفعل الهجرة
%63	%93	%26	%71	%96	النسبة المئوية للزيادة الطبيعية
%37	%7	%74	%29	%4	النسبة المئوية للزيادة بفعل الهجرة

الهجرة اليهودية الى فلسطين تعد جزءا من حركة واسعة النطاق خرجت من الدول الاوروبية منذ نهاية القرن التاسع عشر واشتدت موجاتها في النصف الاول من القرن العشرين (ما بين الحربين العالميتين)، وصاحب هذه الهجرة التخطيط لإنشاء وطن قومي لليهود روجت له وسعت اليه الحركة الصهيونية العالمية . وقد تحقق لليهود

-1931					
1935					
-1936					
1940					
-1941					
1946					
معدل الزيادة الطبيعية	20,2	23,2	20,2	23,3	22,8
-1922	22,6	21,1	20,3	25,2	24,3
1925	20,9	23,4	20,9	24,9	23,7
-1926	17,7	26,7	21,2	27,8	24,1
1930	19,6	27,1	20,5	32,9	27,9
-1931					
1935					
-1936					
1940					
-1941					
1946					

وتفاوتت نسبة ازدياد السكان حسب الفئة الدينية ما بين عامي 1922 و 1944، اذ حقق اليهود أعلى نسبة زيادة سكانية وصلت الى 536,1%، وحقق المسيحيون زيادة سكانية نسبتها 90%، بينما لم يحقق المسلمون سوى نسبة 80%.



ذلك بعد اصدار قانون وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين عام 1917.

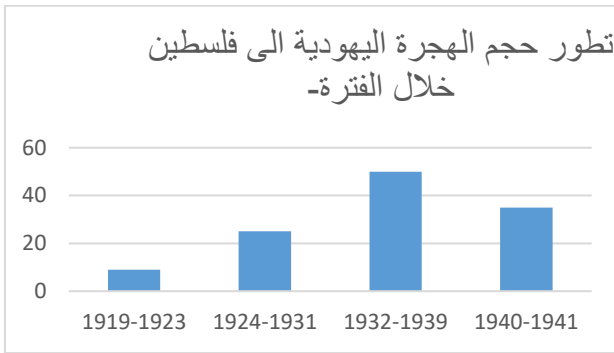
اما الهجرة فقد بدأت فعليا قبل الانتداب البريطاني وقبل وعد بلفور حيث قدر عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين قبل الانتداب البريطاني بحوالي 62,5 الف مهاجر كما في الجدول (4) واشتدت معدلات الهجرة بعد الاحتلال البريطاني .

جدول (4) هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة مقارنة مع هجرة العرب الفلسطينيين (بالالف)⁽²⁴⁾

الفترة	عدد اليهود القادمين	الفترة	عدد العرب الفلسطينيين المغادرين
1903-1882	25	-1880	60
1914-1904	37,5	1947	450
-1919	482,9	1948	
1948/5/14			
المجموع	545,4	المجموع	510

هاجر اليهود الى فلسطين في أربعة أفواج رئيسية من عام (1948-1919)، وكان مجموع أفرادها نحو 482,857 مهاجرا وبمتوسط بلغ 16,440 مهاجرا في السنة . وقد أثرت عوامل متنوعة داخلية وخارجية في حركة الهجرة اليهودية فقد كانت متوسط الهجرة اليهودية في الفترة من عام (1919 – 1923) 7 الاف مهاجر سنويا اما في الفترة الممتدة من (1924-1931) فقد ارتفع متوسط الهجرة الى 24,600 مهاجر سنويا وزاد متوسط الهجرة خلال الفترة (1932 - 1939) الى 57,100 مهاجر في السنة . اما الفترة (1940 - 1948) فقد شهدت هجرة يهودية قادمة الى فلسطين بلغ متوسطها السنوي 34,900 مهاجرا⁽²⁵⁾.

وقد تفوقت نسبة الذكور بشكل ملحوظ على نسبة الاناث في مجتمع المهاجرين اليهود الى فلسطين خلال فترة الانتداب وتشير الارقام الى ارتفاع نسبة المهاجرين الأفراد ولاسيما الذكور خلال فترة الانتداب . إذ كانت الصهيونية تشترط ان يتم اختيار 80% من المهاجرين من بين اعضاء منظمات الشبيبة، ومن الافراد الذين يقبلون العمل في الزراعة، ومن العمال المدربين الذين لم تتجاوز اعمارهم سن الخامسة والثلاثين . ومن الطبيعي ان تنعكس طبيعة هذه الهجرة الانتقائية على وضع المجتمع اليهودي في فلسطين بحيث تهيأ الفرصة لمزيد من حالات الزواج وارتفاع في معدلات الخصوبة، وللاتجاه نحو استغلال الارض والاستفادة من مواردها⁽²⁶⁾



التوزيع الجغرافي للسكان قبل 1948 :

تشير الارقام توزيع السكان على الاقضية من حيث العدد والكثافة الى أن تغيرات ملموسة طرأت على أعداد وكثافات السكان في أقضية فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني وذلك وفقا لتعداد السكان في عام 1922 و1931، وفقا لتقديرهم في عام 1944⁽²⁷⁾.

1-توزيع السكان في الاقضية :

يمكن توزيع السكان في الاقضية حسب عدد السكان من الاكثر الى الاقل فهناك اقضية اشتملت على أكثر من 50 ألف نسمة مثل: القدس، وغزة، وبئر السب، يافا، نابلس، حيفا . اما الاقضية التي اشتمل كل منها على أقل من 25

ألف فهي كالتالي : صفد، الناصرة، طبرية، بيسان. اما القدس التي تعتبر اكبر أفضية فلسطين انذاك على 117,300 نسمة، بينما اشتمل قضاء بيسان وهو أقل افضية فلسطين على 10,600 نسمة. اما الكثافة السكانية في فلسطين فقد بلغت عام 1922 حوالي 28,7% نسمة /كم وتتفاوت كثافة السكان في افضية فلسطين حسب تفاوت المساحة وعدد سكان هذه الافضية ويمكن تصنيف الكثافة السكانية لعام 1922 على النحو التالي:

- 1 - كثافة سكانية منخفضة جدا (10 نسمة /كم) :- اقتصر على قضاء بئر السبع
- 2- كثافة سكانية منخفضة (25- 30 نسمة /كم) :- اقتصر على كل من قضاء الخليل وقضاء بيسان
- 3- كثافة سكانية متوسطة (31- 50 نسمة /كم) :- اشتملت على أفضية نابلس وصفد وجنين وطولكرم ورام الله وعكا والناصرة وطبرية .
- 4- كثافة سكانية مرتفعة (51- 75 نسمة /كم) :- اشتملت على أفضية الرملة وحيفا وغزة والقدس
- 5- كثافة سكانية مرتفعة جدا (195 نسمة /كم) :- اقتصر على قضاء يافا

بلغت نسبة العرب والاقليات الصغيرة الاخرى غير اليهودية في عام 1922 نحو 88,9% من إجمالي سكان فلسطين، وكانت هناك أفضية عربية نقية وخالية تماما من اليهود مثل افضية رام الله ونابلس وجنين . وهناك أفضية عربية اخرى اشتملت على نسبة يهودية تقل عن 1% من سكانها مثل أفضية الخليل وطولكرم وعكا وغزة وبئر السبع . اما الافضية التي كانت تسكنها أقليات يهودية بنسبة تزيد عن النسبة العامة لليهود في فلسطين عام 1922 (11,1%) فهي أفضية يافا (37%) وطبرية (30,1%)، والقدس (29,2%)، وصفد (16,9%)، وحيفا (15,5%).

سكن اليهود منذ بدايات القرن السادس عشر في المدن الفلسطينية الاربعة المقدسة بنظرهم وهي: صفد وطبريا، والخليل، والقدس واستقر القسم الاكبر في مدينة صفد⁽²⁸⁾، وقد سكن اليهود في تلك الحارات التي أنشأوها ، وهذه الحارات لم تكن مغلقة كالتى كانت في اوربا بل كانت أبوابها مفتوحة امام السكان من كافة الطوائف⁽²⁹⁾. وفي مطلع ثمانينات القرن التاسع عشر بدأ التهجير اليهود من بلداتهم الاوروبية الى فلسطين وقد اعتاد الباحثون الاسرائيليون ان يستعملوا مصطلح الاستيطان القديم او اليشوف⁽³⁰⁾ القديم ، الذي تمت إقامته منذ وصول بعض يهود إسبانيا بعد طردهم عام 1492م، والذين اعتاشوا على اساس المساعدة والاعتماد على اموال الصدقات "الحلوقاه"⁽³¹⁾، اما المصطلح الجديد للاستيطان فقد تم اعتماده منذ وصول مجموعات من يهود اوربا الاشكناز الى فلسطين عام 1882م، حيث ان الاستيطان القديم أعتبر كامتداد لحياة المهاجر، بينما أراد الاستيطان الجديد، ان يتجدد وينقطع نهائيا بالشتات وما يرمز اليه⁽³²⁾.

ومع قدوم يهود اوربا أصبح هناك نوعين من اليهود في فلسطين، النوع الاول يطلق عليهم الطائفة السفاردية⁽³³⁾ ويتلقى هؤلاء السفارديم مساعدات مالية من منظمة الاليانس الاسرائيلي⁽³⁴⁾ تقدر بقيمة 20 ألف فرنك تجمع هذه المساعدات من يهود فرنسا وبريطانيا وترسل عن طريق الاليانس الاسرائيلي⁽³⁵⁾ وهناك خمسة جماعات يهودية يتميزون قليلا عن الطائفة السفاردية وهي كالتالي:

1 - اليهود المغاربة: أما هؤلاء فقد قدموا من شمال أفريقيا واستقروا في القدس اما عددهم حوالي 3الالف نسمة تقريبا، ولهم حاخامهم الخاص بهم ، ومؤسساتهم الخيرية، والباقي سكنوا في حيفا في القطاع الشرقي، الحارة

الشرقية بجانب المسلمين، والذين جاءوا إليها منذ 1829م⁽³⁶⁾.

2 - اليهود الذين قدموا من جورجستان، ويسمون الجورجيون، وعددهم حوالي الألف⁽³⁷⁾.

3 - اليهود القادمون من تركستان، ويسمون (البوقريون) وعددهم حوالي خمسة آلاف نسمة ويضعون أنفسهم تحت الحماية الروسية ويعتبرون أغنى الفئات اليهودية⁽³⁸⁾.

4 - اليهود القادمين من اليمن ويبلغ عددهم حوالي الألفين إلى ثلاثة آلاف نسمة وهم الأكثر فقرا بين يهود القدس⁽³⁹⁾.

5 - اليهود القادمون من إيران ويسمون العزامي وعددهم حوالي ألف أما الطائفة السفارادية حوالي 25 ألف نسمة⁽⁴⁰⁾.

أما الطائفة الثانية تعرف باسم الطائفة الاشكنازية⁽⁴¹⁾ وبلغ عددهم 35 ألفا ومنهم جماعات مختلفة وقد وصلوا من مناطق مختلفة منهم من قدم من روسيا وألمانيا والنمسا وهنغاريا وبلجيكا ورومانيا وغيرها من البلاد الأوروبية والأمريكتين ويعود أصلهم للعرق السلافي والكسوني أما عدد الذين يحملون التبعية للدولة العثمانية سوى خمسة آلاف نسمة أما الباقون فهم يحملون جنسية بلدهم الأصلي⁽⁴²⁾.

وبعد إصدار الأمر السلطاني الإصلاحى بتاريخ (1255هـ / 1839م) للقادمين من البلاد الأوروبية بدأ أعداد اليهود الاشكناز بالتكاثر في فلسطين وذلك بسبب وجود من يحميهم وخاصة حصول بعضهم على التبعية العثمانية وعدد كبير من أبنائهم ظلوا مخالفيين ويتهربون من ضريبة الخدمة العسكرية، لذلك لم يتم تسجيل قسم كبير منهم⁽⁴³⁾.

وقد حصل اليهود على قسط من الحرية وتم تعزيز مركزهم وذلك بعد حرب القرم عام (1856م) فقد سمحت

الدولة العثمانية بإستحداث منصب جديد لرئاسة اليهود في القدس ، وهو منصب الحاخام باشي في عام (1841م) ومن صلاحياته إقامة معابد جديدة في القدس، ثم ألحقته الدولة العثمانية بقانون للطائفية اليهودية عام 1865م ومن ثم صدر قانون تملك الاجانب⁽⁴⁴⁾ الذي أصدره الباب العالي عام 1284هـ / 1867م، الذي سمح هذا القانون بحرية التملك الامر الذي فتح الافاق لليهود بالتملك وهذا القانون سمح بالتملك في جميع أنحاء الدولة العثمانية بإستثناء الحجاز وما أن تم إصدار هذا القانون حتى سارعت الدول بالتوقيع على هذا المرسوم ، لأنه يسمح لهم بالتملك دون الرجوع الى استنبول⁽⁴⁵⁾.

وبعد اصدار هذا المرسوم بدأت تظهر حجج البيع في سجلات القدس مرسوما فيها ما تم تعميمه عن مراسيم في هذا الخصوص ومن امثلة ذلك: "بعد صدور المضبطة من مجلس إدارة متصرفية القدس بناء على الرخصة الصادرة بحق التملك لرعاية الدولة حسب التنظيمات المؤسسة هذه، اشترى الخواجه بنسيون ليونه داود السكتاجي تبعة انجلترا من بائعة السيد والوكيل عن السيدة... وعن شقيقته... بشهادة مختار محلة الشرف عباس بن عمر البشيتي... جميع الحصة الشائعة وقدرها أربعة قرايط⁽⁴⁶⁾ وسبعة اثمان القيراط من أصل 24 قيراط من جميع الدار القائمة البناء بمحلة الشرف⁽⁴⁷⁾ بساحة المساكن⁽⁴⁸⁾.

وقد سهل هذا المرسوم لدى رواد فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين الى تنفيذ طموحهم⁽⁴⁹⁾ أمثال موسى منتفوري وبالمستون⁽⁵⁰⁾، فاستطاع منتفوري من شراء قطعة ارض قرب باب الخليل أقام عليها اول مشروع لحي يهودي خارج أسوار المدينة المقدسة عرف "مشكنوت شأنانيم" في حدود عام 1272هـ / 1855م، وقد كان هدف المشروع في البداية إقامة نزل ومستشفى لكنه عدل عنه

1856 نسمة ومنهم أصحاب المهن التي ذكرناها والجدول التالي يبين نوع المهنة وعدد الذين عملوا بها⁽⁶¹⁾.

المهنة	العدد	المهنة	العدد	المهنة	العدد
تاجر	25	بنكي	1	كندرجي	3
صراف	4	صناعي	2	كوى	1
مجوهراتي	4	مجلد كتب	2	خادم	1
معلم	3	ساعاتي	4	خياط	4
طبيب	2	فندق	3	وسيط تجاري	5
قانوني	2	حلاق	5	حاحام	16
مهندس	1	قهوجي	2		

وقد سكن اليهود الاجانب الذين أخذوا الحماية الانجليزية في المدن التالية⁽⁶²⁾:

- 1 - 16 يهودي في طبرية
- 2 - 25 يهودي في صفد
- 3 - 34 يهودي في الخليل
- 4 - 3 يهود في حيفا
- 5 - 3 يهود في نابلس

ومن فترة إصدار قانون الاجانب 1867م لغاية إصدار أول قرار بمنع دخول اليهود الاجانب الى فلسطين عام 1882م والتي مدتها خمسة عشر عاما، اخذ اليهود في تلك الفترة حريتهم في شراء وبيع العقارات دون عوائق إدارية وتركزت في مبيعات الدور والاراضي والدكاكين والمقاهي والحواصل والافران والمخازن وبعض القطع خارج القدس.

ومن عام 1882م لغاية عام 1914 كانت علاقة الدولة العثمانية مع اليهود الاجانب بين مد وجزر لكن ثابته المنع من دخول فلسطين لم تتغير وعدم الاقامة والسكن بشكل جماعي في المدن بين الاهالي وفي المناطق الريفية⁽⁶³⁾.

وأقام حيا استيطانيا لليهود، وبعد موت منتفوري أخذت اسمه تخليدا له وعلى ما قام به من خدمة لليهود⁽⁵¹⁾.

كان هذا المشروع بمثابة قفزة نوعية في مسيرة التغلغل اليهودي في القدس والمتمثل بتشجيع الاستيطان اليهودي في القدس ومحيطها لاسيما باب الخليل، وقد حاول هؤلاء ايجاد خرق في المواقف السياسية والدينية للدولة العثمانية القائمة على تحديد الوجود اليهودي في بيت المقدس وفق المعاهدات السابقة ، ويعد ذلك بداية المرحلة المنظمة والمبرمجة في تهويد المدينة وخاصة ان منتفوري حاول نشر التعليم بين اليهود القاطنين في القدس لخلق جيل جديد يدعم أفكاره⁽⁵²⁾.

وتم إنشاء عدد من المدارس التي ساندته المشروع اليهودي وتقديم الدعم المالي لتلك المدارس لتشجيع التعليم بين صفوف اليهود حتى وصل عدد الطلاب اليهود في القدس الى 1700 طالب يهودي⁽⁵³⁾ ومنها المدارس الدينية في الكنس⁽⁵⁴⁾، ومدرسة روتشلد داخل القدس⁽⁵⁵⁾ وتم إنشاء عدد من المستشفيات اليهودية لتقديم الرعاية الصحية ومنها مستشفى روتشلد الذي أسس عام 1270هـ/1854م، ويقع في حارة اليهود⁽⁵⁶⁾، ومستشفى بيكورحوليم في محلة الارمن وهو لليهود الاشكنازي⁽⁵⁷⁾، ومستشفى كاب اللراخ⁽⁵⁸⁾ بالاضافة للمستشفيات الاجنبية التي تفتح أبوابها لليهود مثل المستشفى الانجليزي⁽⁵⁹⁾.

عمل اليهود في مهن مختلفة مثل التجارة والصرافة والمجوهرات او احتراف صنعة او امتلاك قهوة وعمل بعضهم الاخر في مهنة الحلاقة والخياطة والطبخ ومنهم من عمل بمهنة التدريس والطبابة والقانون وفي البنوك زمهنة الفندقية ومهندسين وقسم منهم كانوا رجال دين(الحاخامات)⁽⁶⁰⁾.

وبلغ مجموع اليهود الذين احتما بالحماية الانجليزية والذين قدموا منذ عام 1825 لغاية 1856م ما يساوي

وبقي دخول اليهود حرا بالرغم من قوانين المنع فقد دخل الالف اليهود أكثرهم من يهود الروس ومن يهود الدول الغربية من فرنسا وألمانيا وانجلترا وإسبانيا ومن أمريكا بصورة غير شرعية وقدر عددهم عام 1882 م ب 30 ألف نسمة (64).

أما بالنسبة للهجرة اليهودية الى فلسطين تبلغ نحو 85 ألف يهودي مقيمين في فلسطين عام 1914 م في حين لوقورن هذا الرقم بعدد اليهود قبل هذا التاريخ فهو عدد صغير للغاية ويفترض أن الفارق بين الرقمين هو مقدار الهجرة أما الرقم 85 ألف يهودي فقد استمده ج.ب.بارون أول مدير لتعداد سكان فلسطين الانتدابية والذي أخذه بدوره من آرثر روبين رئيس مكتب الاستعمار اليهودي في فلسطين ونظرا لأن إحصاءات بارون -روبين تشكل عنصرا أساسيا وفيما يلي جدول يوضح اعداد السكان اليهود في فلسطين:

تقديرات روبين لنمو عدد السكان في فلسطين من عام 1800-1933 م (65)

السنة	عدد السكان
1800	10000
1850	12000
1880	25000
1890	35000
1900	51000
1910	80000
1920	75000
1930	170000
1933	240000

Mandate. New York: Columbia university press, 1990. p.8-14.

تيماري القدس 1948، ص25

Ben- Arioeh, Jerusalem, pp.278-279.199,126-131⁽¹⁹⁾

⁽²⁰⁾ Semeddin sami : kamusulalam 15-16

⁽²¹⁾ Luke, c, and Keith – Roach, E., Handbook of Palestine and Transjordan, London (1930)

⁽²²⁾ Vital statistical tables 1945

General monthly bulletin of current statistics ,1947.

⁽²³⁾ Government of Palestine, General monthly bulletin of current statistics. vole .12, Jeru-Salem (1947). p.687

⁽²⁴⁾ Central bureau of statistics, statistical abstract of Israel ,1985, pp .150-151

⁽²⁵⁾ R., Bacha, The population of Israel, Jerusalem (1976)

⁽²⁶⁾ W., Press, the Economic effects of Jewish immigration in Palestine, Annals of Ameer. Accad of polite. and so. science. vole. 164,1932. pp 109 -113

⁽²⁷⁾ حكومة فلسطين ، الاحصاءات الحيوية لسكان فلسطين (1945-1922) وانظر ايضا حكومة فلسطين ، تعداد فلسطين عام 1931. المجلد الثاني الاسكندرية (1933)، وانظر ايضا المكتب المركزي للاحصاء، المجموعة الاحصائية الفلسطينية، العدد 4 ، الدائرة الاقتصادية بمنظمة التحرير الفلسطينية دمشق 1982، ص54-55

⁽²⁸⁾ انظر ميخال أفيطبول، اليهود في البلدان الاسلامية (1850 - 1950)، ص70-72 و132-134

⁽²⁹⁾ نسبية زكي ، اليهود في القدس العربية الاسلامية، بعد الفتح العمري وحتى القرن 19 ، ص53

⁽³⁰⁾ اليشوف: كلمة عبرية تعني مستوطنة او استيطان وكانت تطلق مجازا قبل قيام إسرائيل على المستوطنين اليهود في فلسطين ومنظمتهم

⁽³¹⁾ الحلوقة: اصطلاح عبري يطرق على المساعدة المالية التي يعطيها يهود الشتات الى يهود الفقراء منهم والمحتاجين في فلسطين. انظر أفيطبول، اليهود في البلدان الاسلامية، ص 139

⁽³²⁾ فيثيال يهوشع، مصطلح الاستيطان القديم والجديد، كاتدرا، ديسمبر 1977، ص4

⁽¹⁾McCarthy, Justin: The population of Palestine population history and statistics of the late ottoman period and the mandate, Columbia university press Network, Oxford copyright, 1990, p,5

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص5

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص2

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، 2

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص3

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، ص5

⁽⁷⁾ تم استخلاص أعداد السكان في التوقعات من تعداد السكان سنجق القدس:التعداد 2 (1302هـ :احصاء 1313هـ، 1313:سجلات النفوس 1330هـ

سنجق عكا:سالنامه سوريا 1303هـ، 1299هـ: التعداد الثاني 1306:سالنامه بيروت 1313، 1318هـ،

نابلس: التعداد الثاني 1306: سالنامه بيروت 1318، 1315:سجلات النفوس 1330هـ

⁽⁸⁾ المصدر نفسه ص5

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، ص3

⁽¹⁰⁾ المصدر نفسه ، ص3

⁽¹¹⁾ البشير 22 أيلول 1891م ، ص 2، 1865،

⁽¹²⁾ شولش، تحولات ، ص41، أبوبكر، ص142

⁽¹³⁾ Scholch, Alexander.jerusalem in the 19th century “1831-1917”, k.j.ed.new York, olive branch press, 1990.p231

⁽¹⁴⁾ حساب نسبة متوسط العائلة التي اعتمدها الدولة العثمانية في إحصاء السكان ستة أفراد لكل أسرة

⁽¹⁵⁾ سالنامه ولاية سورية ، دفعة 13.1871م، ص148.شولش ، تحولات ، ص105، رافق الموسوعة الفلسطينية ، م3، ص907

⁽¹⁶⁾ Conder, claude, R and Kitchener, H: The survey of western Palestine, vol3, London ,1882, vol III, p.162

⁽¹⁷⁾ United states, department of state, national Archives and Records Service Administration, Dispatches from united state consuls in Jerusalem, Palestine ,1856-1906 ,5 rolls.

⁽¹⁸⁾ Marty, Justin, The population of Palestine: population History and statistics of the late ottoman period and the

(45) س ش القدس 357، 12 ربيع الاول 1287هـ/ 13 حزيران 1870 م ص343، يوسف حكيم، سورية والعهد العثماني، بيروت، المطبعة الكاثوليكية 1966م ص23، الشناق، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين ص326.

(46) القيراط: وحدة قياس عن طريق تقسيم الكل على 24 سواء كان ذلك عقار او ارض او حيوان كما قسم القيراط الى ربع ونصف وثلاث والى اجزاء كالثلث والسدس والخمس، عطا الله، وثائق، ج1، ص52. (47) محلة الشرف: من محلات القدس تقع غرب الحرم قرب حارة المغاربة، س ش القدس 380، ذي الحجة 1308هـ/ 8 تموز 1891م، ص79.

(48) س ش القدس 356، 9 صفر 1285هـ/ 2 حزيران 1868م، ص99. (49) شولش، تحولات، ص148.

(50) بالمرستون: رئيس وزراء بريطانيا خلال هذه الحقبة الزمنية Isiah Friedman, Lord Palmerston and the protection of the Jews in Palestine (1839-1851), Journal of Jewish social studies, p.26, 69، ص69، مقدمة في تاريخ، عبد العزيز عوض،

(51) شولش، تحولات، ص92، الشناق، العلاقات، ص340. (52) علي محمد علي، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الاوسط، الهيئة العامة، مكتبة الاقصى، القدس، (دت) ص29-30، الحلاق، موقف، ص46-48، سوسه، العرب، ص720، أمين أبو بكر، ملكية الاراضي في متصرفية القدس 1858-1918م، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1996م، ص300.

(53) سليم تيماري، القدس 1948، الاحياء العربية ومصيرها في حرب 1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت 2002، ص21. (54) س ش القدس 379، 21 شوال 1307هـ/ 21 ايار 1890، ص59، س ش القدس 392، شعبان 1317هـ/ 5 كانون الاول 1899م، ص71.

(55) س ش القدس 394، 28 رجب 1309هـ/ 31 كانون الثاني 1892م، ص23.

(56) س ش القدس 407، 18 ذي الحجة 1329هـ/ 2 تشرين الثاني 1911م، ص73، جريدة البشير/العدد 711، تموز 1891م، العارف، المفصل، ص671.

(57) س ش القدس 379، جمادى الاولى 1307هـ/ 24 كانون الاول 1889م، ص35، س ش القدس 400، 13 شعبان 1330هـ/ 16 تموز 1912م، ص187.

(33) السفاراديم: لقب مشتق من كلمة سفاراد وفي العبرية تعني اسبانيا وتطلق هذه الكلمة على اليهود الشرقيين عامة، الذين هاجروا من اسبانيا والبرتغال واقاموا في جنوب أوروبا وشمال افريقيا وفلسطين

(34) من أوراق الباب العالي B.E.O.NO.2229472 رسالة من متصرفية القدس الى الصدارة حول مدير مكتب الاليانس في القدس 23 ربيع اول 1325هـ/ 23 نيسان 1907م، عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي 1336هـ/ 1918م، ضمن الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2، بيروت، 1990، ص868.

(35) أوراق أكرم بك، تقرير رشيد بك الى معالي الصدر الاعظم، 15 نوفمبر، 1906م.

(36) صيقل، مي ابراهيم، حيفا العربية، ص29

(37) تقرير رشيد بك، نفس المصدر

(38) تقرير رشيد بك، نفس المصدر

(39) نفس المصدر

(40) نفس المصدر

(41) الاشكناز: لقب يطلق على اليهود الاجانب الذين هاجروا من وسط أوروبا خاصة من ألمانيا

(42) المصدر نفسه

(43) المصدر نفسه

(44) وقد جاء في القانون: "صورة الخط الهمايوني ليعمل بموجبه قد تقرر هذه المره بالارادة السنية المواد القانونية الاتية: بناء على ان تكون مدارا لتوسع الثورة والعمران في ممالك الدولة العلية وعلى ان تكمل القضية الملزمة التي هي أمنية الملك والمال بأن يجعل متصرف الاجنبيين في الاملاك في الممالك السلطانية تحت ضابطة حسبة ونظام سديد.." واضاف الدسنور في مادته الاولى: "تبعه الدول الاجنبية اذن لهم ان يستفيدوا من حقوق تصرف الاملاك.. في كل طرف من أراضي الممالك السلطانية ما عدا الاراضي الحجازية..." الدستور، ج2، ترجمة نوفل افندي نعمة الله مراجعة خليل افندي الخوري، المطبعة الادبية، بيروت، 1301هـ، ج1، ص68، عبد الله الطيباوي، الاوقاف الاسلامية بجوار المسجد الاقصى بالقدس واصلها وتاريخها واغتصاب اسرائيل لها، ترجمة عزت جرادات، منشورات وزارة الاوقاف والمقدسات الاسلامية، عمان، 1401هـ/ 1981م، ص79-87.

(58) س ش القدس 407، 6 ربيع الثاني 1330 هـ/ 30 اذار 1912 م

(59) س ش القدس 388، 16 جمادى الاولى 1314 هـ/ تشرين الاول

1896، ص 175

(60) ارشيف اسرائيل، ملفات القنصلية الانجليزية، دفتر رقم

f/6/786

(61) المصدر نفسه

(62) المصدر نفسه

(63) Iran, Dailey, No. 49881

(64) تقرير محمد فوزي ص 118-119

(65) Ruppin, Arthur: The Jews in the modern world, Hesperides
press, 2006 p. 30

قائمة المصادر والمراجع:

- 15- فيثبال يهوشع، مصطلح الاستيطان القديم والجديد، كاندرا، ديسمبر، 1977
- 16- عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر هجري/التاسع عشر الميلادي 1336هـ/1918م، ضمن الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2، بيروت، 1990
- 17- أوراق أكرم بك، تقرير رشيد بك الى معالي الصدر الاعظم، 1905
- 18- صيقل، مي ابراهيم: حيفا العربية 1939-1918 التطور الاجتماعي والاقتصادي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان.
- 19- عبد الله الطيباوي، الاوقاف الاسلامية بجوار المسجد الاقصى بالقدس واصلها وتاريخها واغتصاب اسرائيل لها، ترجمة عزت جرادات منشورات وزارة الاوقاف والمقدسات الاسلامية، عمان، 1401هـ/1981
- 20- س ش القدس 357، 12 ربيع الاول 1287هـ/ 13 حزيران 1870
- 21- يوسف حكيم، سورية والعهد العثماني، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1966م.
- 22- الشناق، محمود: العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1870-1914م)، مطبعة بابل الفنية، فلسطين - حلحول، 2005.
- السالنامه العثمانية**
 - 1 - سالنامه ولاية سوريا لعام 1297هـ/ 1879م
 - 2 - سالنامه ولاية سوريا لعام 1303هـ/ 1885م
 - 3 - سالنامه ولاية بيروت لعام 1310هـ/ 1893م
 - 4 - سالنامه ولاية بيروت 1306هـ
 - 5 - سالنامه ولاية بيروت 1315هـ
 - 6 - سالنامه ولاية بيروت 1318هـ
 - 7 - سالنامه سوريا 1313هـ
- 1 - Justin Mc Carthy, The population of Palestine population history and statistics of the late ottoman period and the mandate, Columbia university press Newyork, oxford copyright, 1990
- 2 - scholch, Alexander, Jerusalem in the 19th century "1831-1917" k.jed, Newyork, olive branch press 1990.
- 3 - conder, claud, R and Kitchener, H: The survey of western Palestine, vol 3, London, 1882
- 4 - united states, department of state, national Archives and Records service Administration Dispatches from united state consuls in Jerusalem, Palestine, 1856-1906
- 5 - luke, c, and keith -Roach, E, Handbook of Palestine and Transjordan, London, 1930
- 6 - Government of Palestine, General monthly bulletin of current statistics, vol 12, Jeru-salem 1947
- 7 - central bureau of statistics, statistical aboabstract of Israel, 1985.
- 8 - R, Bacha, The population of Israel, Jerusalem 1932.
- 9 - W, press, the Economic effects of Jewish immigration in Palestine, Annals of Ameer, Accad of polite and so, science 1932
- 10- Ruppin, Arthur: The Jews in the modern world, Hesperides press, 2006
- 10 - حكومة فلسطين : الاحصاءات الحيوية لسكان فلسطين (1945-1922)
- 11- حكومة فلسطين، تعداد فلسطين عام 1931، المجلد الثاني، الاسكندرية 1933
- 12- المكتب المركزي للاحصاء، المجموعة الاحصائية الفلسطينية العدد 4، الدائرية الاقتصادية بمنظمة التحرير الفلسطينية، دمشق 1985
- 13- صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الاسلامية 1850-1950م ترجمة د. جمال احمد الرفاعي، ط1، عالم المعرفة، الكويت. 1995
- 14- نسبية زكي، اليهود في القدس العربية الاسلامية. بعد الفتح العمري وحتى القرن 19.

الحقوق محفوظة

وزارة الثقافة/ المركز الوطني لحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة

رقم التسجيل المحلي: (192/ث) في 11 / 3 / 2013